الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة منتوري قسنطينة

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم التاريخ والآثار

رقم التسجيل :............

الرقم التسلسلي:.........

أحمد توفيق المدني
ودوره في الحياة السياسية والثقافية
بتونس والجزائر 1899-1983 م

رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر

إعداد الطالب:

عبد القادر خليفي

إشراف الأستاذ الدكتور:

عبد الكريم بوالصفصاف

لجنة المناقشة

تاريخ المناقشة: / /

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة الأصلية
اسماعيل زروخـــــــي	أ.التعليم العالي	رئيسا	جامعة منتوري قسنطينة
عبد الكريم بوالصفصاف	أ.التعليم العالي	مشرفا ومقررا	جامعة منتوري قسنطينة
صالح لمـــــــــيش	أ.محاضر	عضوا	جامعة - المسيـــــلة
الجمعي خمــــــري	أ.محاضر	عضوا	جامعة – باتـــــــنة

السنة الجامعية:

1427هـــ 1428 هـــ/ 2006 م- 2007 م

المقدمة

ارتبط تاريخ الجزائر المعاصر بجهود أقطاب بارزين تركوا بصمات واضحة في مسار الحركة الوطنية بأشكالها الثقافية والسياسية المختلفة،و كان لهم عظيم الأثر في بعث نهضتها الثقافية و الفكرية،و التصدي للمشروع الاستعماري الفرنسي الأوروبي الذي رام إلغاء كيان هذه الأمة،و جعلها فضاء تابعا لما وراء البحر و مزرعة لاستثمار سمومه الفكرية و الأخلاقية،فسجلوا بذلك أروع المشاهد و خلـّـدوا أنصع الصفحات.

و إذا كانت التجارب الإنسانية لهؤلاء الأقطاب قد اتسمت بالثراء و التنوع و استهدفت خدمة القضية الوطنية برؤى و تصورات متمايزة -ليس خافيا أنها أدت إلى مشاحنات و صراعات- فالموضوعية والعقلانية تقتضيان أنه ليس من حق أحد أو فصيل ما احتكار حب الوطن،و الالتفاف على النضال و الكفاح و ممارسة الإقصاء،و إلغاء الأدوار التي أبانت عن حيوية و حركية كبيرة على الساحة الجزائرية،و صبغت بكل ألوان الطيف التجربة النضالية لبلد المليون و نصف المليون شهيد.

و إننا – و الحال هذه – لنتعجب كل العجب من أنَّ شخصيات وطنية بارزة طالها التنكر و تقزيم المسعى،و مسها الطعن في شرف النضال و الجهاد و لعلَّ في طليعة هؤلاء الذين مورس عليهم التهميش و الإقصاء الشيخ "أحمد توفيق المدني" مقارنة بحضوره المتميز و تجربته الرائدة ليس في الجزائر فحسب بل و في موطن ميلاده تونس أيضا ،و ما تركه من تراث حافل بجلائل الأعمال رسم صورة حية لرجل عاش للجزائر و للأمة العربية والإسلامية قاطبة ، و حمل بصدق همومها و ترجم بأفكاره تطلعاتها على مدار سبعين عاما من العطاء.

و لا أعتقد أني أجانب الصواب إذا قلت أنَّ كثيرا من المحسوبين على الفئة المثقفة و الجامعية لا يعرفون للرجل قدره، و ربما التبس عليهم الأمر مع شخصية "توفيق الحكيم" ،و أنَّ المطلعين منهم اختصروا "المدني" في صفحات "كتاب التحريف و التزييف" لصاحبه محمد الطاهر فضلاء الذي شن حملة شعواء على مترجمنا.

إنَّ إفراد كاتب القطرين بدراسة أكاديمية تترجم جلائل أعماله الوطنية في ميادين عديدة من منابر النضال و كراسي المسؤوليات،و تسلط الأضواء على حقيقة الدور الذي لعبه أضحت عملا وطنيا يصب في خانة تحرير تاريخ البلاد وإزاحة الستار عن جوانبه المظلمة،و إنصاف رجاله و صانعيه ممن شملهم التشويه و التغييب الممنهج في عهد الدولة الوطنية المستقلة.

والحق أنَّ اختياري شخصية "أحمد توفيق المدني"موضوعا للدراسة يعكس في حقيقة الأمر هذا التوجه الجديد القاضي باستكمال حلقات التاريخ الوطني خدمة للحقيقة و تنويرا للأجيال

- أسباب اختيار الموضوع:

ساهمت عوامل عديدة في دفعي إلى اختيار هذا الموضوع مجالا للبحث أهمها :

أولا : غياب دراسة أكاديمية خاصة بالشيخ "أحمد توفيق المدني" كرائد من رواد الحركة الإصلاحية ،و كسياسي نشط ، و مؤرخ كان له فضل السبق في التأسيس لمدرسة تاريخية وطنية بعد زميله الشيخ "مبارك الميلي"، فالرجل لم يحظ بالاهتمام و لم تخصص ملتقيات لدراسة منهجه و أفكاره على غرار ما حظي به رفقاؤه و معاصروه .

ثانيا : الاهتمام بتراث "أحمد توفيق المدني" و فكره السياسي ، و محاولة الكشف عن التنوع و الاختلاف الذي تزخر به الحركة الإصلاحية باعتباره أحد أقطابها.

ثالثا : معرفة الأساليب و الطرق التي سلكها مترجمنا لطرح أفكاره و تجسيد جهوده في الدفاع عن الوطنية و الهوية الحضارية للشعب الجزائري و محاولة فهم خطه النضالي ،و طبيعة علاقاته برواد الحركة الإصلاحية و زعماء الحركات السياسية الوطنية و المغاربية المشهورين ، و مدى نزوعه إلى أسلوب التجديد و العقلانية في نضاله .

رابعا : محاولة معرفة خلفيات و حقيقة الانتقادات الموجهة إليه من قبل بعض المعاصرين للحركة الإصلاحية بالجزائر ،و ذلك بحثا عن الحقيقة و الحياد الموضوعي .

خامسا : تقديم مساهمة متواضعة في مجال الدراسات العلمية التي غطت التاريخ الوطني في مرحلة هامة شهدت أعمق التغيرات محليا و عالميا .

سادسا : التشجيع الكبير الذي وجدته لدى الأستاذ الدكتور"عبد الكريم بوصفصاف" للخوض في مثل هذه المواضيع المتعلقة بسير القيادات و الشخصيات خدمة لتاريخنا و بأقلام وطنية تعكس البعد الحقيقي لمسيرتنا الحضارية.

سابعا : الرغبة الشخصية في البحث عن تراجم الأعلام و الشخصيات.

- إشكالية البحث :

يتناول هذا البحث بالمناقشة والتحليل مسألة تتعلق بخصوصية تجربة "أحمد توفيق المدني" الذي أظهر مقدرة كبيرة على اكتساح ميادين نضالية متنوعة، وحمل فكرا متنورا و تصورا عصريا ضمن إطار مرجعية تقليدية تكوينا و احتكاكا.

إن تشبع المدني بالأفكار القادمة من المشرق و انفتاحه على المؤثرات الوافدة من الغرب و ثراء ثقافته المزدوجة ، ولد لديه روحا عالية للتحاور مع الآخرين ،شكلت عقدة لدى كثير من معاصريه خصوصا من أنصار الحركة الإصلاحية الذين ناضل إلى جانبهم سنوات عديدة قبل أن ينخرط في جمعية العلماء رسميا في مطلع الخمسينيات.

فلا تعارض عنده بين الحرية و اختلاف وجهات النظر ،و لا مانع لديه من التوافق حول الوحدة و مجابهة الاستعمار بغض النظر عن المشارب الإيديولوجية

و لذلك فالأسئلة و الاستفهامات التي تفرض نفسها في هذا السياق هي:

- ما هو الثابت و المتغير في الخط النضالي للمدني ؟
- إلى أي مدى جسَّد التواصل بين الكفاحين الجزائري و التونسي ؟
- ما حقيقة الدور الذي لعبه في مشروع النهضة الوطنية ثقافيا و سياسيا ؟
- ما هي مكانته في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ؟
- ما هي مواقفه من الحركة الاستعمارية ؟ و ما طبيعة خطابه الموجه للمستعمرين ؟
- كيف فهم التاريخ و وظفه لخدمة الوطن ؟ و كيف رد على طروحات مؤرخي المدرسة الكولونيالية ؟ و ما هي الأصداء التي تركتها مؤلفاته ؟.

- كيف كانت رؤيته لحل القضية الوطنية ؟

- ماهي الأبعاد المختلفة لفكر الرجل؟

- لماذا كان محل نقد من بعض المنتسبين إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين؟ و ما سر إقصائه و تهميشه من مسار حركة العلماء ؟

حدود الدراسة:

إنَّ المرحلة التي أتناولها بالدراسة تنحصر بين سنوات 1899 – 1983م و هي المحددة بميلاد "أحمد توفيق المدني" بتونس و وفاته بالجزائر ، و قد جمعت بين فترة الاستعمار و عهد الاستقلال، و ضمت في نفس الوقت الآثار المتنوعة للرجل.

و لذلك فإنَّ مجال الدراسة يغطي معظم فترات القرن العشرين ،الذي كان ثريا بالأحداث المحلية على مستوى القطرين ، و على الصعيد العالمي أيضا، إذ رصد المؤرخون بروز الحركات السياسية الوطنية و انتشار المد القومي والأفكار الإصلاحية و طرح المبادئ الديمقراطية ، و تراجع الاستعمار التقليدي وحصول تغيرات جيوسياسية و تحولات اقتصادية و ثقافية عالمية عميقة تركت آثارها على المنطقة .

- مناهج البحث :

للإلمام بأطراف الموضوع و الإجابة عن التساؤلات المعروضة استخدمت المناهج الآتية:

أولا : المنهج التاريخي الوصفي : و قد طبقته في رصد الأحداث و ترتيبها ترتيبا كرونولوجيا ، و وصفها حسب كل مرحلة من المراحل الواردة في خطة البحث .

ثانيا : المنهج التحليلي : وقد سلكته في دراسة و تحليل الوقائع و آثار الرجل و طلب التفسيرات ، و إستنتاج الحقائق العلمية بكل موضوعية بعيدا عن التطرف في الأحكام أو التأويل الذاتي لمجريات الأحداث .

ثالثا : المنهج المقارن : و قد فرضته بعض القضايا فكان لزاما عليّ عقد بعض المقاربات بين مواقف و أفكار المترجم له و معاصريه.

- صعوبات البحث :

إن الباحثين الأكاديميين يعرفون بلا ريب ما يكابده الباحث في طريقه من صعوبات و عراقيل تتطلب إرادة قوية و صبرا جميلا لتجاوزها ، و يمكنني أن أعرض عددا منها على سبيل الذكر لا الحصر .

أولا : طول الفترة المدروسة و ثراء التجربة النضالية للرجل و تنوع سياقاتها ،مما أفرز صعوبة كبيرة في جمع المادة العلمية المتناثرة في كل اتجاه على الأصعدة الفكرية الإعلامية و السياسية في البلدين تونس و الجزائر،لاسيما إذا علم المرء أن الرجل قد بدأ نضاله في سن مبكرة ، إذ لا يمكن اختصار مسيرة ناهزت السبعين عاما مما لا يفي الرجل حقه بالدراسة على الرغم من تناولي الموضوع في سياقه العام.

ثانيا : تضارب الروايات و الشهادات فيما يخص العديد من القضايا التي كان المترجم له أحد الفاعلين في مجرياتها، و لا سيما ما تعلق بنشأة جمعية العلماء المسلمين ورد الفعل على طروحات "فرحات عباس" الإدماجية سنة 1936م ، و الموقف من اندلاع الثورة والانخراط فيها،و غيرها من نقاط الاختلاف التي جاء بها التيار الذي تزعم حملة الإنتقاد و ضمنها في كتاب "التحريف و التزييف في كتاب حياة كفاح " وذلك ردًا على إصدار المدني لمذكراته" حياة كفاح "و خصوصا الجزء الثاني في نهاية السبعينيات من القرن الماضي(ق 20م) .

فكان لزاما عليّ بذل جهد كبير و تتبع ما ورد في طرح المنتقدين نقطة نقطة ،و البحث عن إجابات مقنعة للقضايا التي أثيرت ،و هو ما تطلب استفراغ للجهد الفكري والطاقة.

ثالثا : التكاليف المادية و استنزاف الوقت في رحلات جمع الشهادات الحية من المعاصرين لنضال الرجل ،و لاسيما رحلة البحث عن عائلته و التردد عليها بالعاصمة، و التي أخذت من وقتي الكثير ، بالإضافة إلى طبيعة العمل الذي أمارسه و الذي يفرض علي تفرغا تاما و حضورا مستمرا.

رابعا : و من العراقيل التي يؤسف لها ما يعانيه الباحث المتردد على المركز الوطني للأرشيف بالجزائر العاصمة من غياب الانفتاح على الباحثين ،

وفرض إجراءات مثبطة للحصول على الوثائق إطلاعا أو نسخا بعرض حجج واهية تضعف روح الإرادة في الباحث .

إنَّ العوامل المذكورة كثيرا ما كادت تثني عزمي لولا التشجيع و الرعاية التي أولاني إياها الأستاذ الدكتور "عبد الكريم بوصفصاف" المشرف على هذا العمل العلمي.

- <u>وصف لأهم مصادر البحث و مراجعه:</u>

تنوعت المصادر و المراجع التي اعتمدتها في إنجاز بحثي هذا و تمايزت في أهميتها حسب علاقاتها بالموضوع المطروق ما بين صحف و مجلات ، و كتب و دراسات ، و قواميس ، و مواقع إنترنت و مقابلات شخصية وغيرها.

<u>المصادر:</u>

أولا– <u>الصحف:</u> و تعتبر أهم المصادر التي تعكس حقيقة المواقف في وقتها و قد كتب الشيخ أحمد توفيق المدني في العشرات منها محررا و مراسلا ، و كانت أقوى بصماته في:

- **الشهاب** : الصحيفة الإصلاحية الباديسية و التي ظهرت في شكلين – أسبوعية – و سبقت تأسيس جمعية العلماء المسلمين و – شهرية – و استمرت من سنة 1929م إلى غاية سنة 1939م ، و قد حصلت على أعدادها الكاملة ،و هي التي صال و جال فيها المدني و تولى الكتابة في ركنها المعروف "الشهر السياسي".

- **البصائر** : الصحيفة الرسمية الناطقة بإسم جمعية العلماء و خاصة سلسلتها الثانية 1947- 1956م، حيث تخصص المدني في ركنها الشهير " منبر السياسة العالمية " الذي شغل حيزا كبيرا من صفحاتها ،واشتملت على مئات المقالات للرجل خاض خلالها ميدان الدفاع عن قضايا المغرب العربي ، و المشرق ، و الصراع مع الصهيونية و محاكمة الاستعمار على العموم .

- **المنار**: الصحيفة المستقلة ذات التوجه الثقافي الديني و التي ظهرت سنة 1951م و أفردت أعدادا لإنشاء الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية و احترامها ، و تتبعت نشاطاتها و حاورت مترجمنا بخصوص قضية الوحدة و الإتحاد بين الجزائريين ، و قد كان أحد مؤسسي الجبهة المذكورة.

- **المجاهد** : صحيفة الثورة اعتبارا من سنة 1956م و قد استفدت من بعض أعدادها لتغطية نشاطاته خلال الثورة التحريرية.

ثانيا - الكتب :

- مذكرات المترجم له : و هي في ثلاثة أجزاء غطت المرحلة الممتدة بين 1905 - 1962م

أ- حياة كفاح : الجزء الأول في تونس 1905 – 1925م ، يعالج مرحلة النشأة و التكوين العلمي و السياسي للشيخ "أحمد توفيق المدني" ، و يسلط الأضواء على أحداث المرحلة ،أي الربع الأول من القرن العشرين بالشقيقة تونس موطن ميلاد الرجل.

ب - حياة كفاح: الجزء الثاني في الجزائر 1925 – 1954م ، و يعرض نشاطات المدني بالجزائر بعد إبعاده إليها سنة 1925م ،حيث يصور جوانب عديدة و يناقش قضايا هامة تخص الواقع السياسي و الحياة الفكرية والثقافية ، و يسجل مواقفه منها و تفاعلاته معها .

ج – حياة كفاح : الجزء الثالث 1954 – 1962م ، و استعرض فيه نضاله خلال الثورة التحريرية الكبرى،فجاء غنيًا بالمادة التاريخية و بالصور ،و سجل على صفحاته تفاصيل كثيرة عن أحداث و تطورات سياسية و عسكرية، و عن مشاكل و صعوبات اعترضت مسيرة الثورة و صراعات و مؤامرات حيكت بين قادتها.

و عموما فإنَّ الأجزاء الثلاثة -التي غطت الفترة 1905-1962- كانت من أهم المصادر التي رافقتني خلال هذا البحث ، إذ هي زبدة المسيرة النضالية للرجل طيلة ما يفوق الخمسين عاما و قد ساعدتني على رسم ملامح الخطة.

- كتاب "التحريف و التزييف في كتاب حياة كفاح " لمؤلفه محمد الطاهر فضلاء ، يمثل حوصلة لحملة الانتقاد التي تعرَّض لها المدني من طرف بعض معاصريه – ممن ينتسبون إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين – بعد صدور مذكراته و لاسيما الجزء الثاني منها، و الذي تطرق إلى قضايا عديدة تخص نشاط المدني في الحركة الإصلاحية و جمعية العلماء ، وقد اشتمل الكتاب على مقالات نشرت بالصحف الوطنية (الشعب،النصر،الجمهورية) سنة 1978م ،و آراء

للأساتذة " محمد الصالح رمضان" ، "حمزة بوكوشة " و الشيوخ: " محمد خير الدين" و " العباس بن الشيخ الحسين".
و الكتاب يقدم وجهة نظر مغايرة،و تفسيرا مناقضا لسير الأحداث و خلفياتها و كان لي بمثابة الدافع القوي للخوض في هذا الموضوع.

- كتاب (مخطوط) " رد أديب على حملة الأكاذيب" و هو عبارة عن مخطوط لم ينشر سابقا ، و قد حصلت عليه بعد جهود كبيرة لدى عائلة الشيخ و أعرضه لأول مرة .

يُعد آخر مؤلف "للمدني" ختم به مسيرته الفكرية،ضمنه ردودا موثقة على طروحات مهاجميه ،و كشف فيه حقائق تؤيد ما ذهب إليه،و أجاب فيه عن جميع النقاط التي وردت في كتاب منتقديه.

- كتاب " كتاب الجزائر" لمؤلفه الشيخ "أحمد توفيق المدني"، عرضنا من خلاله صورة الجزائر الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية و السياسية ، وقد حمل بعض مواقفه و آرائه تجاه تيار الطرقية ، و الدعوة إلى إصلاح نظام التعليم وغيرها من القضايا.

- كتاب " الكفاح القومي و السياسي من خلال مذكرات معاصر " الجزآن الأول و الثالث لمؤلفه "عبد الرحمان بن براهيم بن العقون"، و هو أحد المعاصرين و وظفته في إثارة بعض القضايا المتعلقة بنشاط الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية ، و بيان الشعب الجزائري ،و المواقف من اندلاع الثورة .

- كتاب" عبد الناصر و ثورة الجزائر " لمؤلفه العقيد "فتحي الذيب" ، و قد سلط الأضواء على وقائع الثورة من اتصالات مصرية جزائرية ، و قضايا تتعلق بمشاكل واجهتها الثورة ، و دور "توفيق المدني" في الوفد الخارجي ،و خاصة حادث اختطاف القادة الخمسة ،كما عرض المؤلف تحليلا مُركز جدا لشخصية المدني.

ثالثا- المصادر الشفوية:

إنَّ طبيعة الموضوع فرضت علينا البحث الحثيث عن مصادر شفوية معاصرة لسنوات نضال المدني من أهمها:

- مقابلة شخصية مع الأستاذ "محمد الصالح رمضان" أحد تلامذة جمعية العلماء ،و يمثل جناح المنتقدين لما أورده المدني حيث أفادنا ببعض خفايا الحملة.

- مقابلة شخصية مع الدكتورة "أنيسة بركات درار" و قد احتكت بالمدني طوال عشر سنوات بالمركز الوطني للدراسات التاريخية ، فعرضت مساهماته الرائدة و جوانب من شخصيته .

- مقابلة مع الشيخ "عبد الرحمان شيبان" الرئيس الحالي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين و أحد الذين عرفوا الرجل منذ الخمسينيات بتونس ، و كان في اتصال دائم معه خلال مرحلة الاستقلال .

- مقابلة مع " محمد إسلام المدني" و هو الابن البكر للشيخ "أحمد توفيق المدني" والذي احتفظ بذكريات كبيرة عن والده ، فقد عمل إلى جانبه بوزارة الأوقاف بعد الاستقلال ، و كان يصحبه سنوات الأربعينيات و الخمسينيات خلال زياراته لأقطاب الحركة الإصلاحية آنذاك و أفادني بمعلومات قيِّمة و زودني بوثائق هامة.

- المراجع :

يأتي في طليعة هذه المراجع الآتي :

- كتاب " الإصلاح الإسلامي في الجزائر 1925 إلى 1940م "

- (Le Réformisme Musulman en Algérie de 1925 à 1940 , essai d'histoire religieuse et sociale) لمؤلفه "علي مرّاد"

و يعتبر أهم دراسة جادة للحركة الإصلاحية بعد الاستقلال ، حيث سلط الأضواء على رواد الجمعية و منهم الشيخ "أحمد توفيق المدني" ، و ناقش بتحليل قضايا هامة كالتجنيس.

- كتاب " فرحات عباس جزائر أخرى "-Ferhat Abbas une autre Algérie لمؤلفيه "بنيامين سطورا" و" زكية داود" .

و إذا كان الكتاب مركزا على نشاط فرحات عباس، فقد استفدت منه في الإطلاع على بعض الجوانب من نضال الشيخ "أحمد توفيق المدني" و بعض تطورات الثورة و نشاطاته إلى جانب الشخصية موضوع الكتاب .

- كتاب"جمعية العلماء المسلمين و دورها في تطور الحركة الوطنية 1931-1945" لمؤلفه الدكتور "عبد الكريم بوصفصاف" الذي وظفته فيما يخص مسألة نشأة الجمعية و بعض القضايا المرتبطة بها .

- كتاب "تاريخ الجزائر الثقافي" الجزء السابع لمؤلفه الدكتور "أبي القاسم سعد الله "و تناول بعض مؤلفات المدني و إن كان باختصار شديد.

- كتاب " النشاط العلمي و الفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900 – 1962م " لمؤلفه "محمد الصالح الجابري".

و عرض لجانب مهم من نشاط المدني بتونس و خاصة الكتابة الصحفية ، و أبرز ردود الأفعال على قرار إبعاده سنة 1925م .

- كتاب " التعليم القومي و الشخصية الجزائرية 1931 – 1956م " لمؤلفه الدكتور"رابح تركي" و هي دراسة تربوية مقارنة ركزت على المؤسسات الثقافية لجمعية العلماء ، و قد وظفته في تناول الأوضاع الثقافية بالجزائر المستعمرة .

- رسالة ماجستير بعنوان " الكتابات التاريخية الجزائرية في الفترة 1927 – 1957م من خلال مؤلفات :" مبارك الميلي" و"أحمد توفيق المدني" و"عبد الرحمان الجيلالي" .

قدمها الطالب ميسوم بلقاسم بالمدرسة العليا للأساتذة في جامعة الجزائر (2001 – 2002).

و هي الدراسة الوحيدة حسب اطلاعنا – التي تناولت أكاديميا جانبا هاما من إسهامات المدني و إن غطت فترة قصيرة .

- **المقالات** : اعتمدنا على مجموعة من المقالات أهمها المنشورة بالعدد (18) من مجلة التاريخ ،و هو عدد خاص أفرد للذكرى الأولى لوفاته .

تنبيهات:

أود تنبيه القارئ الكريم إلى أن الرسالة قد تضمنت بعض الرموز باللغتين العربية والفرنسية وهي:

1-بالعربية:

-المختصرات الواردة في التوثيق :

ج: جزء

م: مجلد

ط: طبعة

ش، و ، ن ،ت : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
موفم: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية
-استعملت عبارة " نفس المكان " في حالة الاعتماد على نفس المرجع والصفحة مرتين متتاليتين.

2-بالفرنسية

-المختصرات الواردة في التوثيق:

A . N .T : Archives nationales de tunisie
E.NA .L : entreprise nationale du livre
O.P.U : office des publications universitaires
S.N.E.D : Société nationale d'édition et de distribution

- في حالة الاعتماد على المراجع الأجنبية، استعملت العبارات الاتية:
- Op-cit : بمعنى المرجع السابق .
- Ibid : بمعنى المرجع نفسه .
- Loc-cit: بمعنى نفس المكان .

خطة البحث :

تبعا للمادة الخبرية التي حصلنا عليها قسمنا هذا الموضوع إلى مقدمة و ستة فصول و خاتمة و ملاحق ، و قوائم للبيبليوغرافيا ، و فهارس للأعلام و الأماكن و الموضوعات.

تطرقنا في المقدمة إلى التعريف بالموضوع ، و أسباب اختياره ، الإشكالية و الاستفهامات المراد مناقشتها ، و المناهج الموظفة في الدراسة ،دون إغفال ذكر الصعوبات المعترضة ،و عرضنا في الأخير وصفا لأهم مصادر البحث ومراجعه.

-الفصل الأول:بيئتا الرجل تونس و الجزائر : و قسمته إلى أربعة مباحث.

المبحث الأول : الحياة السياسية بالقطرين : و يتناول الحالة السياسية بالبلدين الخاضعين لاستعمار مشترك ،و إن إختلفت المسميات (إحتلال، حماية) و رصد التغيرات الحاصلة خاصة في النصف الأول من القرن العشرين ، و تأثيرات ذلك على التطورات اللاحقة .

المبحث الثاني :الحياة الاقتصادية بالقطرين: و يدرس الأوضاع الاقتصادية التي عاش في ظلها الشعبان الشقيقان،و استعراض أساليب الاستغلال و التدمير

المبرمج ،و معارضة كل أشكال التصنيع أو تطوير الفلاحة التي تخدم أصحاب الأرض الشرعيين ، و تأثيرات ذلك على هؤلاء.

المبحث الثالث : **<u>الحياة الثقافية بالقطرين</u>** : و خصص لكشف مرتكزات السياسة الاستعمارية في تجهيل الأهالي في مستعمرتيها و لا سيما الجزائر و محاولات نشر قيم و عادات غريبة عن أصالة السكان،و فضح الإدعاءات الزائفة المُرَّوجة من الأبواق الدعائية حول نشر الحضارة و التمدن ، و كيف أثر ذلك على الفكر الديني و العلمي المحلي .

المبحث الرابع : **<u>الحياة الاجتماعية بالقطرين</u>** : و عالج صور المعاناة الاجتماعية ،و أشكال البؤس و الحرمان ، و تدني المستوى المعيشي و انعكاسات ذلك.

-الفصل الثاني:<u>أحمد توفيق المدني الزمان و الموطن الأول</u> : وقسمته إلى أربعة مباحث :

المبحث الأول : **<u>المولد و النشأة</u>** : تعرضت فيه لمولده بتونس و نسبه و أصل عائلته ،و نشأته الأسرية و الاجتماعية .

المبحث الثاني : **<u>تعلمه</u>** : و تناولت فيه المغذيات المتنوعة لفكره ، و نوعية التعليم الذي تلقاه في المؤسسات العلمية التقليدية و العصرية ، و الحدود التي توقف عندها و جنوحه للعصامية .

المبحث الثالث : **<u>إسهاماته الأول في الفكر و السياسة</u>** : و تطرقت فيه إلى بدايات تجربته الصحفية بنشر المقالات ، ثم الاهتمام بتأليف الكتب ،و دخوله معترك النضال السياسي الذي اقتحمه شابا يافعا ، و تصادمه مع الإدارة الاستعمارية مما قاده إلى السجن ، و تأثير ذلك على مساره الفكري و السياسي حيث ازداد حيوية و تهيكلا حزبيا .

المبحث الرابع:<u>الإبعاد من تونس إلى الجزائر و ردود الفعل</u> : درست فيه خلفيات قرار الإبعاد الذي تعرض له ، و كيف تعامل معه ، و موجة الاستنكار و الاحتجاج الشعبي و الإعلامي على تصرف الإدارة الفرنسية .

الفصل الثالث : **<u>إسهامه في النهضة الثقافية بالجزائر 1925 – 1954م</u>** : و قسمته إلى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول :نشاطه الصحفي: تعرضت فيه إلى تجربته القلمية على أعمدة الصحف المختلفة و خصوصا "الشهاب" و " البصائر " و بدرجة أقل صحف أخرى كالإصلاح ، و حقيقة الحركية التي أحدثها في عالم الكلمة المكتوبة

المبحث الثاني : أعماله التاريخية : تتبعت في هذا البحث سلسلة مؤلفاته التي كانت في طليعة انتاجات المنشطين الآخرين للحركة الإصلاحية ، فعرضت بطاقات توصيفية لها ، وأوردت الأصداء التي خلفتها، و كيف ساهمت في بعث الذاكرة الجماعية للجزائريين .

المبحث الثالث : نشاطه الجمعوي والأدبي: و تناولت فيه دعواته لإحياء العمل المسرحي بالجزائر ، و ما عرضه للجمهور من رسائل سياسية عبر مسرحية "حنبعل" ، ثم مساهمته القوية في تأسيس نادي الترقي و الدور الذي لعبه في الحياة الثقافية الوطنية ،كما عرضت لنشاطه الخيري.

الفصل الرابع : نشاطه السياسي في الجزائر 1925 – 1954م: و يحتوي على أربعة مباحث:

المبحث الأول:إسهاماته السياسية في الحياة الوطنية : و أبرزت فيه مشاركاته المتعددة و حركيته السياسية و تفاعله الإيجابي مع المبادرات ، و ركزت على بيان الشعب الجزائري 1943م، و إنشاء الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية و دوره فيها ، و حللت خطابه الموجه للمستعمرين .

المبحث الثاني : المدني و القضايا العربية : رصدت فيه مواقف المدني من القضايا المغاربية،و مساندته المطلقة لحقوق شعوب المنطقة في التحرر ، و كذا دعمه للقضية الفلسطينية باعتبارها القضية المحورية للعرب و المسلمين و تشبعه بالفكر الوحدوي.

المبحث الثالث : دوره في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: و عالجت فيه مساهمته في تأسيس الجمعية و وضع قانونها الأساسي الأول ، و علاقاته بروادها ثم انخراطه فيها، و الوظائف التي تقلدها في إطارها .

المبحث الرابع : موقفه من قضايا عصره : و سجلت فيه مواقفه من بعض القضايا كالطرقية ، و الاحتفالات المئوية الفرنسية ، و المسألة البربرية و ظاهرة التجنيس.

الفصل الخامس: **أحمد توفيق المدني و ثورة الفاتح من نوفمبر 1954م :**
و يضم ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : موقفه من اندلاع الثورة 1954 – 1956م : و يعالج موقفه الشخصي من إندلاع الثورة وفي إطار جمعية العلماء .

المبحث الثاني : مهماته خلال الثورة 1956 – 1958م : و يتناول كيفيات التحاقه بالوفد الخارجي للثورة بالقاهرة ، و المهام التي باشرها،و النشاط الدعائي الذي قام به لصالح الثورة .

المبحث الثالث : نشاطه السياسي و الثقافي ضمن الحكومة المؤقتة 1958 – 1962م : و خصصته لاستعراض دوره ضمن الحكومة المؤقتة بصفته وزيرا للثقافة ، ثم ممثلا دبلوماسيا لدى الجامعة العربية ، و كيف خدم القضية الوطنية من هذه المواقع ؟ و كيف تفاعل مع الصراعات التي عاشتها قيادات الثورة ؟

الفصل السادس : أحمد توفيق المدني و الجزائر المستقلة 1962 – 1983 م :
وقسمته إلى خمسة مباحث:

المبحث الأول : وظائفه الرسمية في أجهزة الدولة : تطرقت فيه إلى المسؤوليات التي تولاها بصفته رجل دولة كوزير للأوقاف، و سفير في عديد البلدان ، ليكمل مشواره كمستشار بالمركز الوطني للدراسات التاريخية ، مستعرضا ما قدَّمه من خدمات و تضحيات .

المبحث الثاني : موقفه من القضايا الوطنية الكبرى : و تناولت فيه قضيتين هامتين شكلتا محور نقاش و جدال لا يزال مطروحا إلى اليوم ، وهما انتهاج سياسة التعريب ،و تطبيق النهج الاشتراكي.

المبحث الثالث : مذكرات حياة كفاح و ردود الفعل الوطنية : لقد أفردت هذا المبحث لعرض حملة الانتقاد التي تعرض لها بعد صدور مذكراته و تحليل طبيعتها و خلفياتها.

المبحث الرابع : رد على رد : يتناول ردود الشيخ أحمد توفيق المدني على تلك الحملة التي ضمها كتاب لا يزال مخطوطا ، عالج فيه مواطن الانتقاد ، مقدما الشواهد و الحجج المؤيدة لما أورده .

المبحث الخامس : صـــدى وفاتـــه : و تعرضت فيه لظروف مرضه و وفاته و تشييع جنازته ،و الأصداء التي خلفتها على الساحة الوطنية.

-و أنهيت البحث بخاتمة تتضمن النتائج المستخلصة من هذه الدراسة - التي اعتبرها إسهاما متواضعا و حافزا للباحثين - و دعمته بملاحق هامة و متنوعة،ووضعت في الأخير قائمة بيبليوغرافية و مجموعة من الفهارس التوضيحية ووضعت فهرسا للموضوعات.

عبد القادر خليفي

أولاد دراج – المسيلة

16 أفريل 2007

الفصل الأول

بيئتا الرجل تونس و الجزائر

المبحث الأول: الحياة السياسية بالقطرين

المبحث الثاني: الحياة الاقتصادية بالقطرين

المبحث الثالث : الحياة الثقافية بالقطرين

المبحث الرابع : الحياة الاجتماعية بالقطرين

يسلط هذا الفصل الأضواء على مختلف البيئات السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية بالبلدين تونس و الجزائر ، و لا سيما التطورات الحاصلة خلال النصف الأول من القرن العشرين ، على اعتبار أن المترجم له عاش بالوسطين و تفاعل معهما بدرجات متفاوتة ،مع إفراد الجزائر بلمحة عن واقع الحال في فترة الاستقلال.

و إنَّ معرفة مختلف التحولات المحلية ذات الارتباط بالتغيرات العالمية في المفاهيم و الأفكار و الخريطة الجيوسياسية ضمن شبكة العلاقات بين المستعمَرين و المستعمِرين يساهم في إعطاء تفسيرات لحركية النشاط السياسي بالقطرين ، و يقدم بلا ريب إجابات تعلل الأحداث التي عاشتها المنطقة ، و تعرض صورة لملامح الفكر السياسي و المشروع الحضاري الذي نما بهذا المجال الجغرافي لمنطقة المغرب العربي في مواجهة هجمة حضارية كولونيالية مدمِّرة .

فكيف كانت الأوضاع بالبلدين ؟ و ماهي تأثيرات ذلك على التوجهات الفكرية و السياسية بالبلدين ؟.

المبحث الأول : الحياة السياسية بالقطرين

أولا : تونس

في إطار الهجمة الاستعمارية الأوروبية تمكنت فرنسا من احتلال الجزائر سنة 1830 فأصبحت جارة لتونس ، فأعْتُبِرَتْ هذه الأخيرة بمثابة قاعدة لانطلاق حركة ثورية قد تهدد وجودها بالجزائر[1]، لذلك قرر ساستها وجوب السعي لإضافة المملكة التونسية التي شكلت منطقة نفوذ[2]،و شُرع في التخطيط لاحتلالها و ساعد في ذلك ما كانت عليه البلاد التونسية من تدهور و تأخر في نظام حكمها ليكتمل المشروع بإحكام السيطرة عليها و فرض ما أصطلِحَ عليه بنظام الحماية[*].

يستند نظام الحماية الفرنسية بتونس على معاهدة " **باردو** " الموقعة في 12 ماي 1881 التي جاء في فصلها الرابع-أن فرنسا يمثلها بتونس مقيم عام،و يكون الواسطة بينها و بين الحكومة التونسية ،على أن يتولى الفرنسيون إدارة العلائق الخارجية للتونسيين.

وبمقتضى إتفاقية "المرسى" في 08 جوان 1883 إلتزمت الحكومة التونسية بإجراء الإصلاحات الداخلية من إدارية و عدلية و مالية التي تراها فرنسا مناسبة،و منح الباي حق الولاية على الرعايا التونسيين و إدارة شؤونهم الدّاخلية [3]، و هذه الاتفاقية ذكرت لفظة الحماية لأول مرة ، و لم تتولد رغبة في تمكين التونسيين من استقلال أكثر مما هو متاح لشعوب المستعمرات ،بل عن داعي تجنب مضاعفات دولية ، و اعْتبِرَ الأمر صيغة مؤقتة تمكن بدون أدنى مصادمة من الإلحاق النهائي الذي كان البرلمانيون الفرنسيون من الجزائر يطالبون به بكل إلحاح[4].

---

[1]- البشير بن الحاج عثمان الشريف: أضواء على تاريخ تونس الحديث 1881 – 1924: د. ب . ل . ن ،تونس :1981 ،ص 5.
[2] -محمد الفاضل بن عاشور : الحركة الأدبية و الفكرية في تونس: ط3 ، الدار التونسية للنشر، تونس :1983 ،ص 23.
[3] -حسن حسني عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس: ط3 ، دار الكتب العربية الشرقية ، تونس: 1953 ،ص170.
[4] - شارل آندري جوليان : إفريقيا الشمالية تسير (القوميات الإسلامية و السيادة الفرنسية) ترجمة المنجي سليم و آخرون – الدار التونسية للنشر ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، تونس :1976 ،ص 61.
[*]- الحماية : Le Protectorat : نظام إستعماري ظهر بعد مؤتمر برلين 1878 يجعل دولة تحت وصاية دولة أجنبية.

و من جانبها نشأت الحركة الوطنية التونسية في الأعوام التي أعقبت انتصاب الحماية و تصدت الطبقة المثقفة بالاحتجاج على إقصائها من الميدان العام،فأستخْدِمَ الشبان التونسيون (Les Jeunes Tunisiens) الذين زاولوا تعليمهم في فرنسا ثقافتهم لإثبات وضعية بلادهم الخاصة ، و إثبات تضامنها مع الأقطار الإسلامية قاطبة[1] .

و ازداد التجاوب بين التونسيين و بين إخوانهم في المشرق العربي ، و خاصة بفعل تأثيرات الحركة السلفية و نشاط " جمال الدين الأفغاني"و"محمد عبده" ، فكان أن تأثرت تونس أكثر من أي إقليم آخر في شمال إفريقيا[2].

مع مطلع القرن العشرين تأسست حركة الشباب التونسي في شهر فيفري 1907 على يد "علي باش حانبه" ، و كان "عبد العزيز الثعالبي" من المنشطين البارزين فيها ، حيث عمل على إصدار نشرية عربية هي جريدة "**التونسي**" و قد كان للجريدة موقف حازم من قضية استعمال اللغة التونسية العامية بَدَلَ اللغة العربية[3].

كما شهدت تونس حركات احتجاجية و مطلبية ، ومن ذلك ما طرحه حزب "التقدم التونسي" الذي دعا إلى ضرورة مشاركة التونسيين في حكم بلادهم ، دون أن يمس ذلك أساس نظام الحماية ، و قد تزعم "علي باش حانبه " و" أحمد الصافي " المؤتمر الشعبي لمناهضة تجنيس اليهود ، و توسيع دائرة حقوقهم و الذي أدى إلى مقاطعة اليهود اقتصاديًا و أدبيًا [4] .

وكان للحركة الوطنية دور مُهم في الوقوف ضد الغزو الإيطالي لليبيا سنة 1911، وتحريض المواطنين على التصدي لانتهاك فرنسا حُرْمَة مقبرة "الزلاج" في 07 نوفمبر 1911 خلال محاولة مد خط "للترام الكهربائي" ، مما خلف ردود فعل غاضبة واجهتها الشرطة الفرنسية بعنف[5] .

---

[1] - شارل آندري جوليان : إفريقيا الشمالية تسير،المرجع السابق ص ص 88–89 .
[2] - جلال يحي : العالم العربي الحديث و المعاصر– ج2 – المكتب الجامعي الحديث،الإسكندرية، مصر:1998، ص 695
[3] - زهير الذوادي : الوطنية و هاجس التاريخ في فكر عبد العزيز الثعالبي ، سراس للنشر، تونس :1995 ،ص 07 .
[4] - الطاهر عبد الله : الحركة الوطنية التونسية – دار المعارف للطباعة و النشر ، تونس :1990 ،ص ص 40 – 45 .
[5] - جمال هاشم الذويب ، محمد حسين الزبيدي : الموجز في التاريخ العربي: منشورات الجامعة المفتوحة ، طرابلس ، ليبيا :1997 ،ص 376 .

وباندلاع الحرب العالمية الأولى أعلنت حالة الحصار و الأحكام العرفية العسكرية في البلاد التونسية ، فأغلقت النوادي و مُنِعَتْ الاجتماعات،و توقف كل نشاط وطني بسبب سجن الزعماء أو إبعادهم ، و مع ذلك فإن المقاومة العسكرية لم تخمد كليًا،ففي الجنوب كانت المجموعات الجهادية تنتقل بسهولة عبر الحدود مع ليبيا ،و في الصحراء الجزائرية حيث التمرد يكاد يكون مستمرًا ، في حين لم تصدر بالمناطق الشمالية أية حركة معادية أثناء هذه الحرب[1].

لقد ألجمت الإجراءات القمعية الاستعمارية نشاط النخبة التونسية المنضوية تحت لواء "الحزب التونسي"،و تعرضت فصائل المقاومة الشعبية المسلحة في الجنوب للهزيمة، و انتقل ثقل العمل السياسي الوطني نهائيًا إلى المدن و إلى الأوساط الاجتماعية الميسورة.

و كان تطور الأوضاع الدولية مثقلا بالأحداث التي غذت جرأة المناضلين الوطنيين كي يُحَدِّدُوا مطالبهم الجديدة للحكومة الفرنسية [2] ، خاصة و أن العالم قد تطلع إلى تحديد أوضاعه على قاعدة السِلم و حُرِّيَةِ الشعوب التي نادى بها الرئيس الأمريكي "وودرولسن" وانعقد عليها مؤتمر "فرساي" شهر أفريل 1919 [3].

أمام هذا الوضع قررت النخبة التونسية إيفاد"أحمد السقا " إلى مؤتمر الصلح ليعمل على نشر القضية التونسية و هذا أواخر سنة 1918 ،ثم لحق به في شهر جوان 1919 الشيخ عبد العزيز الثعالبي[4]،حيث نشر كتابه " تونس الشهيدة" الذي ظهر في 29 ديسمبر 1919 و جرى توزيعه على أعضاء البرلمان الفرنسي ، وأرْسَلتْ نسخا منه إلى إدارات الصحف الكبرى بفرنسا و عِدَةِ بلدان أوروبية كإيطاليا و إسبانيا و سويسرا و بريطانيا و عدد من البلدان العربية و الإسلامية ، وقد تَسَرَّبَ الكتاب إلى الجزائر و تونس رغم المراقبة الإدارية المشدَّدَةِ [5].

---

1 - شارل آندري جوليان : إفريقيا الشمالية تسير(القوميات الإسلامية و السيادة الفرنسية)،المرجع السابق،ص 61.
2 - زهير الذوادي : المرجع السابق ، ص34.
3 - محمد الفاضل بن عاشور : المصدر السابق ، ص 134 .
4 - علال الفاسي : المغرب العربي منذ الحرب العالمية الأولى ، المطبعة الفنية الحديثة ، مصر: 1971 ،ص 100 .
5 - زهير الذوادي : المرجع السابق ، ص37 .

لقد شكل هذا الكتاب لحظة مهمة في تاريخ الحركة الوطنية التونسية ، حيث لخص هُمُومَهَا و مَطَالِبَهَا بشكل متكامل ،و جاء محاولة لإثارة الرأي العام الأوروبي عُمُومًا والفرنسي بشكل خاص اتجاه القضية التونسية ، خاصة بعد خيبة الأمل في مؤتمر الصلح.

وكان من نتائج هذا السعي **أن** رفعت حالة الحصار،و ألغي قرار تعطيل الصحف في شهر مارس 1920 ،فعادت الصحف المحتجبة و صدرت صحف كثيرة جديدة تلاقت كلها في المنهج،و دعت إلى التكتل الاجتماعي ،و الإقدام على المطالبة بالحقوق[1].

و في غمرة الانفتاح انبعث الحزب الحر الدستوري التونسي في 14 مارس 1920 من طرف أنصار "عبد العزيز الثعالبي"، و أرسل وفدًا إلى باريس في شهر جوان من السنة نفسها لتقديم جملة من المطالب قابلتها فرنسا بالرفض،بل و ألصقت بزعيمه سلسلة من التهم قادت إلى سجنه ، و إلى خروجه من تونس.

و الواقع أن الفضل يعود للدستوريين في إنشاء أول حزب سياسي جماهيري مهيكل أظهر قدرة على تجنيد الشعب في العديد من المناسبات.

إلا أن هذا الحزب أخذت تحيط به المشاكل،وتقلصت إمكانات دوره التاريخي و انقسم إلى جناحين متصارعين في عام 1934 ، وتفجرا الصراع بينهما حول قضية الإصلاحات[2]،لترَجَّحَ الكفة في نهاية المطاف إلى التيار الجديد بزعامة"الحبيب بورقيبة " الذي تبَنى سياسة المراحل المعروفة بـــ"خذ و طالب" إلى غاية التتويج بالاستقلال الذي كان سنة 1956.

ثانيًا :الجزائر

خضعت الجزائر للاحتلال الفرنسي بعد توقيع معاهدة الاستسلام في 05 جويلية 1830 ، و لم يمض وقت طويل حتى اعْتبِرَتْ جزءًا لا يتجزأ من الممتلكات الفرنسية ، وفقا للمرسوم الملكي الصادر في 22 جويلية 1834،و الذي دُعِمَ بدستور 1848 الذي

---

[1] - محمد الفاضل بن عاشور: المصدر السابق ، ص ص 134- 136.
[2] - زهير الذوادي: المرجع السابق ، ص ص 09 – 13.

جاء في مادته 109 أنَّ الجزائر أرض فرنسية[1] ، ليفسح المجال لانطلاق أكبر مشروع استعماري استيطاني في القارة الإفريقية.

و خلال السبعين سنة التي أعقبت الدخول الفرنسي عاشت البلاد على وقع المواجهات و الانتفاضات الشعبية بقيادة زعامات وطنية مخلصة كبحت الاندفاع الفرنسي في مختلف الاتجاهات ، حيث لم يَتسَنَّ للقوات الغازية بسط نفوذها على كامل التراب الوطني إلا مع أواخر العقد الثاني من القرن العشرين ، و أظهرت شدة المقاومة الوطنية أنَّ احتلال دار الجهاد لا يمثل نزهة في شمال إفريقيا.

و اعتبارًا من صدور قانون 19 ديسمبر 1900 الذي منح الحكم الذاتي المالي للمستوطنين فاستقلوا بميزانية الجزائر عن الميزانية العامة لفرنسا ، فبسطوا سيطرتهم على كلِّ السلطات المالية و الاجتماعية الخاصة بالجزائر و تحكموا في رقاب الأهالي[2] .

ولم يكن الجزائريون في مطالع القرن العشرين معزولين عن الأحداث العالمية،فقد تأثروا بأفكار الجامعة الإسلامية في الشرق،و الفكر السياسي الاشتراكي في أوروبا و إفرازات عالم ما بعد الحرب الكونية الأولى[3].

وأنَّ اليقظة السياسية قد أخذت تنمو و تتشكَّل،و زادت الأفكار المعادية لفرنسا والتي لم تأت من الفئة المحافظة المثقفة باللغة العربية ، إنَّما كانت كذلك بسبب الثقافة الفرنسية التي تلقاها عدد من الجزائريين في المدارس الفرنسية اللائكية[4].

ومع بداية القرن العشرين تغير أسلوب المواجهة ، فقد استعملت الجزائر الجديدة (الفتاة) طريقة العرائض و الوفود و الإضرابات،و صخب الشوارع ، وإن هذا التكتيك

---

[1] -Ageron, Charles Robert : Histoire de L'Algerie Contemporaine , PUF , Paris:1977,pp 8-9.

[2]- أبو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية 1900 – 1930 ، ج2 ، ط4 ، دار الغرب الإسلامي ،بيروت ، لبنان : 1992،ص 106.

[3]-المرجع نفسه،ص 100 .

[4]- Ageron, Charles Robert : Les Algeriens Musulmans et La France 1871- 1919 , T2, PUF , Paris:1968, p 1025.

الجديد و الذي رافقته بعض الثورات المتجددة قد جعل الجزائر تبدو باستمرار في حالة غليان و عدم استقرار[1].

كان رد فعل السلطات الفرنسية على مشاعر الجزائريين القومية عنيفا فمنذ سنة 1906 حاول منشور " شارل جونار CH-Jounart" أن يضع حدًا لكل محاولة ثورية بإعطاء كل الصلاحيات للرسميين،بأن يتخذوا إجراءات مناسبة ضد كل دعاية قومية في الجزائر،و في الإطار نفسه أصدرت السلطات سنة 1908 قرارا يقضي بحظر الحج إلى مكة،كما حاولت أن تحول دون وصول الثورة التركية إلى الجزائر،و في العهد نفسه دعا أحد الكتاب الفرنسيين إلى تشجيع اللهجة البربرية قصد تمزيق وحدة السُّكان حتى لا يتأثروا جميعًا بأفكار الجامعة الإسلامية [2].

و برز في الجزائر في هذه المرحلة كتلتان متمايزتان تصوران بوضوح التباين الاجتماعي و الثقافي و الاقتصادي ،أولاهما كتلة المحافظين التي تتشكل في الغالب من العلماء، ورجال الدين، وزعماء الطرق الصوفية،و هؤلاء لم يكونوا مندمجين في تنظيم واضح،و لكن أفكارهم و اتجاهاتهم كانت واضحة،و قد طالبوا بالمساواة،و أغلبهم انغمس في الغموض الديني و السلبية[3]،و ثانيهما النخبة التي وصفت بأنها جماعة تحسن اللغتين فأضحت مشتتة بين حضارتين عربية و فرنسية[4].

تعتبر محطة الحرب العالمية الأولى (1914- 1918) منعرجًا هامًا في الجزائر ، حيث أعطت دفعًا لانطلاق العمل السياسي نتيجة للتغيرات التي حدثت في فرنسا نفسها ، و تلقى المجندون في الجيش الفرنسي وُعودًا بمنحهم حق المواطنة[5].

---

[1]- أبو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية 1900 – 1930 ، ج2 ، ط4 ، المرجع السابق ، ص 102 .
[2] -عيسى قرقب :الإمام إبراهيم بيوض رائد الحركة الإصلاحية في الجنوب الجزائري 1920- 1981، أطروحة دكتوراه قسم التاريخ ، جامعة منتوري قسنطينة: 1996 ص 13.
[3]- Collot (C) , Henry (JR) :Le Mouvement National Algerien 1912-1954, ed, L' harmattan , et OPU , Paris , Alger:1978, p 23.
[4] -Loc-Cit .
[5] - Ageron Charles Robert : Les Algeriens Musulmans et La France 1871- 1919 ,op-cit , pp 1190-1191.

و يرى الدكتور "أبو القاسم سعد الله" أن الحركة الوطنية خلال الحرب العالمية الأولى قد حققت خمسة أهداف رئيسية هي : أولا- إنهاء فكرة إخلاص الجزائريين لفرنسا ورضاهم بها – ثانيًا- نقل القضية الوطنية إلى المسرح العالمي – ثالثا- نشطت فكرة التعاون بين الأهالي و بين العمال و الجنود – رابعًا- إرغام فرنسا على إدخال إصلاحات والتي تضَمَنهَا قانون 1919 – خامسًا- تحقيق التعاون بين الجزائريين في الداخل والخارج[1].

و الظاهر أن المشاريع الإصلاحية الفرنسية كانت واعدة في وقت انشغال فرنسا بتطورات الحرب و التي كان لها تأثير ملموس في تفتح الذهنية الوطنية الجزائرية، وترقية المستوى الفكري والسياسي للشعب ، و زاد من تطلعه ظهور أفكار جديدة على المسرح العالمي جسَّدها إعلان الرئيس الأمريكي "وودر ولسن W. Wilson" عن المبادئ الأربعة عشر، و عن مشروع إنشاء العصبة الأممية لتكون منبرًا للشعوب لتقرير مصيرها.

إن معطيات عالم ما بعد الحرب العالمية الأولى كانت بارقة أمل للجزائريين، لذلك تشكل وفد برئاسة "الأمير خالد" سافر إلى باريس و طرق باب" فرساي Versailles" ليطالب مؤتمر الصلح و يحاول إقناع المنتصرين بإدخال الجزائر في حماية عصبة الأمم و لكن رغم الفشل في تحقيق الهدف فإن هذه المحاولة كانت سابقة تبعتها حركة كفاح قوية[2] .

لقد كانت الأفكار والمطالب التي طرحها "الأمير خالد" بذورًا و إرهاصات للفكرة الوطنية الاستقلالية التي تظهر فيما بعد بأكثر وضوح من خلال العمل النضالي الذي قام به العمال الجزائريون و المغاربة و التونسيون في فرنسا خلال العشرينيات من القرن الماضي[3]، فظهرت شخصية "مصالي الحاج" الذي قاد تنظيم " نجم شمال إفريقيا" الذي

---

[1] -أبو القاسم سعد الله :الحركة الوطنية الجزائرية 1900 – 1930 : ج2 ، ط4 ، المرجع السابق ، ص321.
[2] - خير الدين شترة : مساهمات جزائرية في الحياة السياسية والثقافية التونسية من مطلع القرن العشرين إلى سنة 1939،مذكرة ماجستير ،قسم التاريخ ،جامعة الامير عبد القادر للعلوم الاسلامية،قسنطينة :2002،ص ص 21-22.
[3] - يوسف مناصرية: الإتجاه الثوري في الحركة الوطنية ما بين الحربين العالميتين ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر: 1988 ،ص 63 .

تأسس في شهر مارس 1926 ، و تحول إلى حركة وطنية تناضل من اجل استقلال الجزائر و الثورة على الواقع الاجتماعي، و تطور فكر العمال الجزائريين في فرنسا من مجرد ممارسي نشاط تجاري محدود و بسيط إلى عمال ذوي مطالب اجتماعية وسياسية[1].

و الواقع أن فترة ما بين الحربين العالميتين كانت حافلة بالنشاطات السياسية سواء على مستوى الدولة المستعمرة أم الإقليم المحتل،حيث عرفت الساحة بعض المناضلين الشيوعيين و الإشتراكيين الفرنسيين الذين حملوا أفكارًا تدافع عن الطبقة الكادحة و غيرها و التي نالت إعجاب بعض الأهالي فانظموا إلى الحزب الشيوعي الفرنسي،و لم يستقلوا بحزب جزائري إلا في الثلاثينيات [2].

هذه الثلاثينيات التي سجلت قيام الفرنسيين بالاحتفالات المئوية المُخلدَة لذكرى الاحتلال و التي دامت أكثر من ستة أشهر،و أنفقت خلالها ملايين الفرنكات ،و رافقتها حملة دعائية ضخمة كان لها وقعها السيئ في نفوس الأهالي ،إلا أنَّها من ناحية أخرى كانت بمثابة سور ضرب بين مَاضٍ شعر فيه الجزائريون بالإحتقار و الذلِ ،و مستقبل أحَسُّوا فيه بشخصيتهم المتميزة [3].

و كان قادة الاتجاه الإصلاحي من أبرز الذين تصدوا للاستفزاز الفرنسي ،و قاده الإمام"عبد الحميد بن باديس " و جمع من الرواد المصلحين كالشيوخ:"البشير الإبراهيمي" و"مبارك الميلي " و " أحمد توفيق المدني " و "العربي التبسي " و أضرابهم ، و لعب هذا الاتجاه دورًا أكثر فاعلية خاصة على المستويين الثقافي و الاجتماعي من خلال ترسيخ قيم الشخصية العربية الإسلامية للجزائريين[4].

و شكلت جمعية العلماء المسلمين التي تأسست في 05 ماي 1931 هيكله التنظيمي ، و هي حركة إصلاحية دينية اجتماعية كرَّست جهودها لمقاومة الاحتلال بصيغ جديدة

---

[1] - عبد الحميد زوزو: "دور الهجرة في الحركة الوطنية" ، المجلة التاريخية المغربية ، العدد 05 ، جانفي 1976 ،ص 44

[2] - أبو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية 1900 – 1930 ،ج2 ، ط4 ، المرجع السابق ،ص 294 .

[3]- عايدة حباطي :التجنس و موقف الجزائريين منه 1919 – 1939 ، مذكرة ماجستير ، قسم التاريخ ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، قسنطينة :2004 ، ص 60 .

[4]- أبو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية1900 – 1930 ، ج2 ،ط4 ، المرجع السابق ،ص 294 .

تتماشى مع الصحوة الإسلامية و المَدْ الوَطنِي لدى الشعوب ، و ظهورها كان حتميًا أمام ذلك الفراغ الوطني الإسلامي[1].

و شهدت مرحلة الثلاثينيات تطورات هامة في معسكر الإستعمار ، و ذلك بنجاح الجبهة الشعبية في زمام قيادة الحكم الفرنسي ،و رافق ذلك التحول بث بعض الحريات الديمقراطية في المستعمرات،مما خلق وضعًا آخر في الجزائر،فانتعشت الحركة السياسية و تداولت الأفكار و قامت الإضرابات إلى غير ذلك من التغيرات التي تركت الجماهير حائرة في هذا الجو الذي لم تكن تنتظره[2].

و لعلَّ أبْرَزَ المَحَطات عقد المؤتمر الإسلامي الجزائري في شهر جوان 1936 ، و هو محاولة لا سابق لها،حيث اجتمع ممثلون عن جميع الهيئات و الأحزاب و المتنورين صادقوا في نهاية مؤتمرهم على ميثاق رغبات قدِّمَ للسلطات الفرنسية [3]،غير أن مصيره كان الإخفاق من الناحية السياسية ، لكِنَّهُ شكل مُلتقى وحدة وطنية،و كان أيضًا نقطة انعطاف كبيرة في تاريخ النضال الجزائري[4]،إذا غضضنا الطرف عن بعض الانتقادات الموجهة إليه.

و وسط أجواء التجاذبات السياسية داخل الجزائر المستعمرة ، وعلى مستوى فرنسا نفسها اندلعت الحرب العالمية الثانية (1939- 1945)،فشَّكلت فترة مخاض سياسي بالنسبة للحركة الوطنية و مرحلة انتقالية لها، ذلك أن عهد سيطرة المعمرين و حكم فرنسا الديمقراطية القوِّية قد وَلَّى ، فالجزائر أضحت مسرحًا لدِعَايَةِ قوِّيَةٍ من لدن "المحور" و "الحلفاء" على حَدٍ سَوَاء[5].

---

[1] -أبو القاسم سعد الله : أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر ، ج3 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت: 1990 ،ص 23 .

[2] -محمد قنانش ، محفوظ قداش : نجم الشمال الإفريقي 1926 – 1937وثائق و شهادات لدراسة تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر :1984 ،ص 110 .

[3] - شارل آندري جوليان: إفريقيا الشمالية تسير، المرجع السابق ،ص 153 .

[4] -أنيسة بركات : "الحركات السياسية في الجزائر سنة 1936 "، مجلة التاريخ: العدد 10 ،الجزائر : النصف الأول من سنة 1981 ص 62 .

[5]- أبو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية 1930 – 1945 ،ج3 ، ط1 ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر: 1986 ،ص 179 .

و يُعَدُ "بيان الشعب الجزائري" المعروض في شهر فيفري 1943 أبرز أنشطة الحركة الوطنية ، إذ تَضَمَن جملة من المطالب اتجاه فرنسا، شكلت أرضية اتفاق بين الأجنحة المختلفة ، والذي عَدَّهُ المؤرخون فاتحة عهد جديد ، و باستثناء هذه المحاولة السياسية للتكتل لم يكن للجزائريين أي نشاط آخر ، وهذا طبيعي فالعناصر النشطة كانت إما في السجون أو المعتقلات[1]،تماشيًا مع الظروف الاستثنائية خلال الحرب.

و مهما يكن ، فإنَّ فترة الحرب كانت محطة طرح خلالها الجزائريون تصورات لِمُسْتَقبلِهِمْ ، رغم أنَّهم لم يحصلوا على ما كانوا يريدون لنقاط ضعف في صفوفهم، وبنهايتها أصبحت الحركة الوطنية أكثر صلابة و أرفع وعيًا و أعمق تَجْرُبَة[2]، فدخلت مع الفرنسيين عَهْدًا من التحَدِي و المواجهة لم تعرفه من قبل،و الذي انتهى بمأساة 08 ماي 1945.

لقد وصفت هذه المأساة التي شكلت القطيعة بين الفرنسيين و الجزائريين من قبل الشيخ "البشير الإبراهيمي " بقوله:"[3] (لو أنَّ تاريخ فرنسا كتب من أقلام من نور ، ثم كتب في آخره هذا الفصل المخزي بعنوان مذابح سطيف و قالمة و خراطة لطمس هذا الفصل ذلك التاريخ كله)،و هو ما يعكس شدة الفظاعة و الوحشية.

و على أية حال اعْتبِرَتْ أحداث الثامن ماي 1945 الحد الفاصل بين ما كان يراود بعض الجزائريين في الحركة الوطنية من أمل في نيل الاستقلال بطرق الكفاح السياسي و الدبلوماسي،و بين بعض الذين آمنوا بأن أسلوب الكفاح المسَّلح هو الطريقة الوحيدة للاستقلال [4].

شهدت الفترة الفاصلة ما بين الثامن ماي 1945،و الفاتح نوفمبر 1954 محاولات السُّلطاتْ الاستعمارية إيجاد حل لمستقبل الجزائر السياسي تحت ضغط الحركة الوطنية ، غير أن هذه المحاولات كقانون 20 سبتمبر 1947 ظلت على ما كانت عليه قبل الحرب

[1] -محمد الطيب العلوي : مظاهر المقاومة الجزائرية من عام 1830 حتى ثورة أول نوفمبر 1954 ، دار البعث للطباعة و النشر ، قسنطينة :1985 ،ص ص 204 - 205 .
[2] -أبو القاسم سعد الله:الحركة الوطنية الجزائرية 1930 – 1945 ، ج3 ، المرجع السابق ،ص 220.
[3] - محمد لحسن زغيدي : " مجازر 8 ماي 1945 " ، مجلة الذاكرة ، العدد 02 ،الجزائر: ربيع 1995 ،ص 36 .
[4] - محمد لحسن زغيدي : المرجع السابق،ص 37 .

العالمية الثانية ، تدور في حلقة سياسة الإدماج التي عفا عليها الزمن ، و تجاوزتها الأحداث مما ساعد على بلورة كل الجهود الوطنية نحو هدف واحد هو تحطيم النظام الاستعماري مهما كان الثمن ، الشيئ الذي تمكنَّت منه ثورة نوفمبر 1954[1] ،وذلك بعد أزيد من سبع سنوات و نصف من المواجهة العنيفة عسكريًا و إعلاميًا، تحت قيادة جبهة التحرير الوطني ،و التفاف فئات الشعب لإيمانها بأن ما أخِذ بالقوَّة لا يمكن استرداده بغيرها ، فكان النصر حليف الشعب الجزائري الذي دفع ثمنا باهضًا ، مليونا و نصف مليون من الشهداء لطرد أعتى قوَّة استعمارية استيطانية في القرن العشرين.

أما بعد الاستقلال فقد تميَّزت الأوضاع السياسية بمواجهة مخلفات الحرب التحريرية و وضع أسس الجمهورية الجزائرية على المستويين الدَّاخلي و الدُّوَلي ، فكان على الحكومة مواجهة قيود اتفاقية ايفيان بغرض استكمال السيادة الوطنية ، و كان عليها التَمَوْقعْ على الساحة العالمية،فبادرت إلى الهيئات الدولية و المنظمات الإقليمية ، بحيث أصبحت عُضْوًا نشِطا في هيئة الأمم المتحدة منذ 08 أكتوبر 1962 [2]، و جامعة الدول العربية بداية من 08 أوت 1962 و منظمة الوحدة الإفريقية سنة 1963 .

إن حِدَّة المشاكل الدَّاخلية في السنوات الأولى للاستقلال قادت إلى حركة 19 جوان 1965 بقيادة "هواري بومدين"،و التي أطاحت بنظام الرئيس " أحمد بن بلة " فرفع القائد الجديد فكرة العودة إلى المنبع كنوع من رد الفعل ضد الابتعاد عن مبادئ ثورة نوفمبر ، و تحدث عن "بناء دولة لا تزول بزوال الرجال و الحكومات"[3]،و قد دعيت هذه الحركة بالتصحيح الثوري، و أصبحت عيدًا وطنِيًا يحتفل به سَنِويًا[*] .

وبالتوازي مع التغيرات التي مست هرم السلطة استطاع " هواري بومدين " و في ظرف عامين أن يكسب ميول الشعب الجزائري بمواقفه المشَّرفة إلى جانب القضية الفلسطينية خلال حرب 1967 و قولته المشهورة " نحن مع فلسطين ظالمة أو مظلومة" .

---

[1] - رابح تركي:التعليم القومي و الشخصية الجزائرية 1931– 1956، ط2،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر ، 1981:
ص ص 79 – 84 .

[2]- جودي الأخضر بو الطمين : مسيرة الثورة الجزائرية من خلال مواثيقها ،ط1، دار البعث ، قسنطينة :1993 ،ص 115

[3]- محمد الميلي : مواقف جزائرية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ط1 ،الجزائر :1984 ،ص 308 .

وعلى المستوى الداخلي شرع في إرساء المؤسسات الشعبية بتنصيب المجالس المحلية منذ فبراير 1967 ، و قد خاض النظام عَدَدًا من المعارك على عدة جَبَهَاتْ تتمحور حول استرجاع الثروات الوطنية ،و تحقيق تنمية اقتصادية و اجتماعية و ثقافية سريعة[1].

و في عام 1976 تمت المصادقة على الميثاق الوطني في استفتاء شعبي اختار الاشتراكية نهجًا اقتصاديًا للبلاد[2]، استمر بتقلباته إلى نهاية الثمانينيات.

---

[1]- المرجع نفسه ص 174 .

[2] - شارل روبير أجيرون : تاريخ الجزائر المعاصرة ، ترجمة عيسى عصفور ، ط 1 ، منشورات عويدات ،1983 ، ص 199 .

*-ألغي الاحتفال به اعتيارا من سنة 2006 بقرار من الرئيس عبد العزيز بوتفليقة

المبحث الثاني: الحياة الاقتصادية بالقطرين

أولا : تونس.

إن وقوع تونس تحت نظام الحماية كشكل مقنع من أشكال الإستعمار صاحبه استحواذ و سيطرة على مصادر الثروات ، كانت له انعكاسات سلبية على أصحاب الأرض الشرعيين و نرى صور ذلك باستعراض حالة القطاعات المختلفة.

- الفلاحة:

لإعطاء صورة عامة عن الحالة نورد ما قاله "آلابيتيت" و هو مقيم عام فرنسي في تونس في بداية القرن العشرين يصف المحمية التونسية: [(1)] (بلاد يفترش الفلاحون فيها الأرض ، و يخربشون أديمها بمحاريث خشبية ، و لا تتجاوز كنوزهم بعض الخرفان ، و رغم ذلك يدفعون الأداء الفردي ، و هي ضريبة لا يمكن إلا أن يثور عليها أكثر الفلاحين الفرنسيين ثروة).

لقد بنيت الاستراتيجية الكولونيالية على مصادرة الأراضي و تهجير أصحابها ، فكان إنتزاع الأراضي وفقا لقانون سمح بتحويل الأملاك العامَّة إلى أملاك للمستوطنين و هو القانون العقاري الصادر سنة 1885،و قانون 1890،و هذه السياسة القائمة على الاستيلاء ،و نهب أكبر مساحة من الأراضي تدخل في إطار المنافسة الفرنسية الإيطالية ، إذ ترمي إلى تركيز جالية فرنسية هامة بالبلاد التونسية، لمناهضة أطماع إيطاليا في تونس و التي لم تتوقف بعد انتصاب نظام الحماية [(2)].

فالملاحظ أنه و منذ البداية الأولى للاحتلال كانت القوانين تصدر من طرف الدولة المستعمرة لصالح الفلاحين الفرنسيين ،فتكونت برجوازية فلاحية كبيرة ، تتشكل كُلهَا من المعمِّرينْ الفرنسيين ،أو من الأوروبيين و خاصة من الإيطاليين الذين يأتون في الدرجة

---

[1] - مصطفى فاسي: البطل في القصة التونسية حتى الإستقلال ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر: 1985 ،ص 16 .

[2] - علي محجوبي : جذور الحركة الوطنية التونسية 1904 – 1934 ، تعريب عبد الحميد الشابي ، ط1 ، المجمع التونسي للعلوم و الآداب و الفنون، تونس: 1999 ،ص 40.

الثانية، هذه البرجوازية امتلكت آلاف الهكتارات ، فالفرنسيون وحدهم كانوا يستغلون أكثر من 700000 هكتار سنة 1914، بينما كان الأوروبيون الآخرون يمتلكون 134000 هكتار،و هكذا إستمرت عمليات الاغتصاب في الثلث الأوَّل من القرن العشرين[1] ، الشيئ الذي ضاعف من ملكيات الأوروبيين ، فقد كان كلٌّ مزارع أوروبي يمتلك 250 هكتارا بينما لا تملك كل أسرة تونسية سوى 6 هكتارات ، هذا دون إغفال استعمال الوسائل المتطورة من طرف المزارعين الأوروبيين ، و فقدانها عند الأهالي مما أفرز إنتاجًا متباينا فمردود الهكتار الواحد من الأراضي لدى الأوروبيين يعطي 11 قنطارًا ، بينما لا يزيد ما ينتجه الفلاح التونسي عن 3 قناطير من الحبوب ، في الوقت الذي كانت اليد الإنتاجية العاملة في هذا القطاع تشَّكل ما نسبته 72% من التونسيين،و هو ما أدى بالكثير منهم إلى أن يشتغلوا عبيدًا عند الأوروبيين بأجور بخسة للغاية [2]، فالمملكة التونسية آنذاك أضحت أرض مليون و نصف مليون من الخماسين[3].

و على صعيد آخر،فإن مصادرة الغابات قد أثّرت في تربية المواشي، التي تراجعت من مُعَدَلْ يفوق المليون و مئة ألف رأس إلى مُعُدَلْ 200 ألف رأس قبيل الحرب العالمية الأولى[4]،و هو ما يشكل إستنزافا مُمَنهَجْا و حقيقيا لثروات الفلاحين و مصدر معيشتهم.

- الصِّناعة :

كانت الصناعة الحديثة في تونس مثل غيرها من القطاعات في يد المستغلين الأوروبيين الذين يمتلكون الوسائل و رؤوس الأموال ، و يحظون بمساعدة الدَّولة ولم يكن يُتاحُ للتونسيين الاشتغال بالصِّناعة إلا بصفة ضيقة ،إذ في كثير من الأحيان يتم جلب اليد العاملة من الخارج[5].

إن النشاط الصناعي للتونسيين كان يقتصر على الصناعات التقليدية و التي لا أهمية لدورها في مجموع النشاط الاقتصادي .

---

1 - مصطفى فاسي:المرجع السابق ،ص 18 .
2 - المرجع نفسه ،ص 19 .
3 - عبد الحميد سلامة :محمد البشروش حياته و آثاره ، الدَّار التونسية للنشر ، تونس :1978 ،ص 17 ،
4 - علي محجوبي:المرجع السابق ،ص 39 .
5 - مصطفى فاسي:المرجع السابق، ص 20 .

و يشير "الطاهر الحداد " إلى طغيان المواد المُصَنَعَة حديثًا في أوروبا، أو في المعامل الأجنبية في تونس ، حتى أنَّها أثرت تأثيرًا قويًا في كساد الصِّناعة المحلية[1].

أما ثروات البلاد المعدنية كالفسفاط و الحديد و الرصاص، فقد أصبحت في حيازة الشركات التي رصدت أموالا طائلة لاستغلالها[2].

ثانيًا : الجزائر

اتسم الوضع الاقتصادي في الجزائر المستعمرة بالتدهور الكبير ،حتى وصفت الجزائر في العقود الخمسة الأولى من القرن العشرين بأنها مملكة للبؤس إذ يقول "جاك مادول Jeaques Madoul"[3]:(إذا غضضنا النظر عن المحلات التجارية الفاخرة ، و عن القرى النظيفة الأنيقة التي ما عمَّرها الأوروبيون إلا لأنفسهم،و عن الطرق المعبدة، والمزارع الفرنسية المزدهرة ، أحسسنا أننا نخطو أوّل خطوة إلى مملكة البؤس).

إن هذا الاختلال في الوضعية الاقتصادية كان بسبب استحواذ الاحتلال على معظم مصادر الثروة القومية في كلِّ الميادين الزراعية و الصناعية و التجارية.

- **الزرَّاعة:**

أعلن قادة الاحتلال منذ سقوط الجزائر بأنَّ نزع ملكيات الأهالي هو الشرط الأوّل الذي لا مناص منه لاستيطان الفرنسيين[4]، و لتحقيق ذلك صدرت سلسلة تشريعات متتالية ،أدَتْ إلى الاستحواذ على معظم الأراضي الخصبة التي كانت بحوزة الريفيين ، وبغض النظر عن تعدد طرق الاستيلاء فإنَّ النتيجة كانت واحدة ، إذ تقلصت أراضي الفلاحين الجزائريين ،و طردوا من السهول المنتجة إلى الهضاب الجافة ، حيث الزراعة أكثر مشقة و أقل إيرادًا[5] .

---

[1] - مصطفى فاسي ،المرجع السابق، ص 20.
[2] - محمد رحاي : الأبعاد الثقافية و السياسية في حركتي عبد العزيز الثعالبي و علال الفاسي، دراسة تاريخية و فكرية مقارنة، مذكرة ماجستير ، قسم التاريخ ، جامعة منتوري ، قسنطينة :2005 ،ص 27 .
[3] - رابح تركي : التعليم القومي و الشخصية الجزائرية 1931 – 1956 ، المرجع السابق،ص ص 84 – 85 .
[4] -فرحات عباس : حرب الجزائر و ثورتها - ليل الإستعماوترجمة أبو بكر رحال ، مطبعة فضالة ،المحمدية ،المغرب: ،بلا تاريخ ، ص74.
[5] -محمد السويدي : التسيير الذاتي في التجربة الجزائرية و في التجارب العالمية، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر :1986

و تكاد تكون الفلاحة المورد الطبيعي الوحيد لسكان القطر الجزائري على الإطلاق ، و تتكون الأرض الفلاحية بالمعنى الصحيح من نحو عشرين مليون هكتار،تتوزع وفق الجدول الآتي[1]:

- أراضي المعمرين و هي أخصب الأراضي و أجودها
- أراضي الجزائريين أغلبها من الأراضي الفقيرة الجدباء

طبيعة الملكية	مساحة الأرض بالهكتار
الدولة	5000,000
البلديات	4000,000
المعمِّرون	2500,000
الجزائريون	8500,000

- هذا و يجد المستعمرون إعانات مالية كبيرة من الدولة والبنوك الكبرى و الشركات العظيمة في حين لا يجد الجزائريون المسلمون أية إعانات.

و في الوقت الذي كانت نسبة 72% من الجزائريين يعيشون على الفلاحة ، متوسط ملكية الفلاح الجزائري هو 14 هكتارًا،كان بالمقابل 16% من الأوروبيين فقط يعيشون على الفلاحة و متوسط ملكية الفرد منهم 109 هكتارات حتى مطلع القرن العشرين[2].

و بتتبع تطور ملكية الأراضي من طرف الأوروبيين بين سنوات 1900 – 1951 التي يظهرها الجدول:

السنة	المساحة بالهكتار	السنة	المساحة بالهكتار
1900	1682000	1940	2720000
1930	2364000	1951	2727000

---

[1]- أحمد توفيق المدني : جغرافية القطر الجزائري ، ط2 ، المطبعة العربية بالجزائر: 1952 ،ص 58.

[2]- عمار بوحوش: التاريخ السياسي منذ البداية و لغاية 1962 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان :1997 ،ص 37 ص 122 .

يبرز بوضوح التوسع المستمر حيث أدت تلك القوانين إلى هدم البناء الزراعي الجماعي في الرِّيف الجزائري ، فأصبح الفلاحون مجرد خماسين مما تسبب في تفكك الوحدة الاقتصادية العائلية و التضامن الاجتماعي في الرِّيف ، فالجزائري أضحى يملك 11 هكتارًا في المتوسط ، بينما ارتفع نصيب المعمِّر الأوروبي إلى 124 هكتارًا أي أكثر من عشرة أضعاف الجزائري[1].

و من جانب آخر ،فقد رافق عملية الاستيلاء على الأراضي زيادة حدة الاستيطان ، حيث تم بناء 972 قرية استيطانية في سنة 1934 نصِّبَ فيها 150500 مُستدمِر[2].

لقد أوضحت "الشهاب"حالة الأهالي بأنَّها أقرب لليأس منها للرجاء ، و أنَّ الكثير من أهل البادية و القرى الصَّغيرة لم يعودوا يتحصلون على ما يسد الرمق ، حتى صار شبح المجاعة الرهيب يهددهم ،و بقي الأهالي ضحية لكلِّ الهزات الاقتصادية ، ليس فقط على مستوى المردود الزراعي، بل حتى الثروة الحيوانية تأثرت ، فالجزائر التي كانت تعْرَف بـــ "بلد الخروف" غاب عنها هذا الوصف بعد مُدَّةٍ قصيرة لتناقص عددها الإجمالي[3]،فقد شهدت انخفاضًا مستمرًا فالأغنام بعدما وصل عددها سنة 1910 إلى 8,9 مليون رأس إنخفض إلى 5,3 مليون رأس في العام 1930 ، ثمَّ أصبح في حدود 4,8 مليون رأس بين سنوات 1941 – 1948[4].

أما الأبقار التي كانت أكثر من مليون رأس سنة 1887 نزلت إلى 0,792 مليون رأس سنة 1937 بينما كان الأهالي بعيدين تقريبا عن الثروة البحرية،فاقتصرت عملية الصيد البحري على الإيطاليين و الإسبان[5].

وقد كان لظروف الحرب العالمية الثانية نتائج كارثية ، حيث أصبحت المواد الغذائية مقننة بدقة ،و ما توَفرَ من إنتاج أرسل إلى الجبهات الحربية فأفرغت مخازن البلاد

1- محمد السويدي : المرجع السابق ، ص ص 123 – 124 .
2 -عبد الحميد زوزو : دور المهاجرين الجزائريين في الحركة الوطنية بين الحربين ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر : بلا تاريخ ،ص 39 .
3 -عايدة حباطي :المرجع السابق ،ص 67 .
4 -محمد السويدي : المرجع السابق ،ص 125 .
5 -عايدة حباطي : المرجع السابق، ص 67 .

وانتشرت السُّوق السوداء[1]،و بتجنيد الفلاحين حرمت عِدّة عائلات من أفرادها ، وخلال عام 1954 كان معدَّل مدخول الفلاح الجزائري لا يتجاوز 22 ألف فرنك قديم ، بينما فاق معدَّل دخل الأوروبي 870 ألف فرنك قديم ،و هو ما جعل الأغلبية الساحقة تعيش الفقر و البطالة[2].

ثم إن عملية مصادرة الأراضي تبعها تحويل في طبيعة الإنتاج ، حيث تحوَّلت المساحات المخصصة للحبوب لزراعة الكروم ،و توسعت هذه الزراعة التي دخلت الجزائر عام 1875 فبلغت مساحتها سنة 1957 حوالي 400 ألف هكتار ، تدر أرباحًا كثيرة ،فالهكتار الواحد يصل مردوده إلى 140 ألف هكتولتر سنويًا ، أي ما يعادل 90 ألف فرنك،في حين لن يجلب نفس الهكتار من الحبوب أكثر من 12 ألف فرنك ، و هو ما أدى بالجزائر إلى استيراد الحبوب سنوات الاستقلال بعدما كانت تصدِّرها [3].

أما خلال مرحلة الاستقلال فقد حظي القطاع الزراعي بإهتمام خاص من لدن السُّلطات من خلال انتهاج نظام التسيير الذاتي ، و قد بلغ عدد الفلاحين سنة 1967 مليونين و نصف المليون موزعين على 2080 وحدة ، تتربع على مساحة 2300,000 هكتار و قد ركزَّت الحكومة على الإصلاح الزراعي و مكننة الزراعة و تطويرها[4].

و جرى تجنيد الدَّولة للفلاحين فيما عرف بالثورة الزراعية اعتبارًا من 08 نوفمبر 1971 و التي رفعت شعار " الأرض لمن يخدمها " حيث تم إنشاء 5261 تعاونية وجرى تلقين المزارعين الأساليب الحديثة للنهوض بالقطاع[5].

و الحقيقة أنَّه وبالرغم من ذلك ولأسباب مختلفة ، فإنَّ الجزائر كانت تستورد في نهاية السبعينيات نحوا من ثلثي(2/3) احتياجاتها من الحبوب ،بحيث أن المحاصيل الزراعية الجزائرية كما هو الشأن في كلِّ البلدان المتوسطية تتوقف على التقلبات المُناخِيَة

---

[1] -أبو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية 1930 – 1945 ، ج3 ، المرجع السابق، ص 184 .
[2]- رابح تركي : التعليم القومي و الشخصية الجزائرية 1931 – 1956 ، المرجع السابق ،ص 32 .
[3]- أحمد توفيق المدني : هذه هي الجزائر ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة :1956 ، ص 112 .
[4]- جودي الأخضر بو الطمين : المرجع السابق ،ص 116.
[5] - شارل روبير أجيرون :المرجع السابق ،ص 203 .

فمثلا أنتجت الجزائر في سنة 1976 حوالي (30) مليون قنطار من الحبوب ، و (13) مليون قنطار سنة 1977،بينما أنتجت في عام 1978 نحوا من (17) مليون قنطار[1].

ولقد عانت الأراضي من زحف الإسمنت ، كما أن التخطيط لإقامة الصناعات لم يأخذ دائمًا في الاعتبار مواقع الفلاحة ، فقد حدث و أن أقيمت مصانع في مناطق زراعية خصبة[2].

ومع التحولات الاقتصادية العالمية بداية من مطلع الثمانينيات ،تم التخلي عن الثورة الزراعية ،و ظهرت تجربة المستثمرات الفلاحية ،و رفع شعار جديد "الأرض لمن يستصلحها" إلا أنَّ الجزائر لم تتخلص بعد من التبعية الغذائية.

-الصِّناعة :

لقد حارب الاحتلال تصنيع الجزائر بكلِّ قوَّة حتى تبقى سوقا مفتوحة للصناعة الفرنسية بدون قيود ، و بلا حدود ، و تبرز سياسة الاحتلال المناهضة لتطوير الحقل الصِّناعي في الجزائر من خلال ما وضَّحه مدير الشؤون الاقتصادية سنة 1944 حين قال:[3](ليس علينا الشروع في تصنيع الجزائر،فإن ذلك من شأنه أن يضعفنا و يجعلنا في موقف عدائي بالنسبة للصناعة الفرنسية).

لذلك عمد الاستعمار إلى الابتعاد عن أي صناعة في الجزائر خوفا من مزاحمة مصانع فرنسا ،فالتصنيع يغيِّر حتمًا سوق اليد العاملة الجزائرية بإغراء العمال الجزائريين على الاتجاه للعمل الصِّناعي ذي الأجر المرتفع ، و يزهدهم في العمل الفلاحي عند المستعمرين مقابل الأجور المنخفضة ،و هذا ليس من مصلحة الإدارة[4].

و الواقع أنَّ الصِّناعة كانت ضعيفة جدًّا بأرض الجزائر حسب أحمد توفيق المدني، سواءً في ذلك الصناعة الأوروبية أم بقايا الصناعة الأهلية التي تشمل صناعة الزرابي

---

[1] - محمد الميلي : المرجع السابق ،ص 248 .
[2] - نفس المكان .
[3] - رابح تركي : التعليم القومي و الشخصية الجزائرية 1931 – 1956 ،المرجع السابق، ص 87.
[4] -آلان سافاري : ثورة الجزائر ، ترجمة نخلة طلاس مطابع إدارة الشؤون العامَّة و التوجيه المعنوي ،بلا مكان، 1961 ص 14 .

والثياب الصوفية من برانس و حيّاك و غيرها[1]، و هي لا تستطيع مزاحمة الإنتاج الأوروبي ، زيادة على معامل الزيت و الصابون والتبغ ، و صناعة الخمور ، و قد وجد فرق هائل بين ما يملكه الجزائريون و ما لدى الفرنسيين من وسائل متطوِّرة ففي سنة 1951 كانت الأغلبية الساحقة من المزارعين الجزائريين يستعملون المحاريث الخشبية ، بينما تقابلها الآلات الحديثة عند الأوروبيين[2].

و الملاحظ أنَّ الأوروبيين قد سيطروا على المؤسسات التي تقدِّم دعْمًا للصناعات الخفيفة ، ففي سنة 1954 نجد أنَّ 92 % من القروض ذهبت إلى المؤسسات الأوروبية ، بينما كان نصيب المؤسسات الجزائرية 08 % و هو ما يظهر بجلاء أن فرنسا كانت حريصة على أن لا تكون الجزائر بلدًا صناعِيًا[3].

و من الأمثلة الحقيقية الموضحة لسياسة محاربة تصنيع الجزائر ، المخصصات المالية المستثمرة في الجزائر،و التي بلغت سنة 1940 ما قيمته (149) مليار فرنك قديم ، خصص منها للصناعة (1,014) مليار فرنك قديم[4].

كما تمتع المعمِّرون بالقروض،و احتكروا التجهيزات ،و سيطروا على الميزانية التي كانت تعطي البرجوازيين الجزائريين الفُتات فقط ، فالهوة كانت كبيرة بينهم و بين الأوروبيين،فإذا أخذنا المؤسسات الاقتصادية نجد نصيب (100) ألف مؤسسة جزائرية يصل إلى (33) مليار فرنك قديم ، و في المقابل فإنَّ حِصَّة (65) ألف مؤسسة أوروبية بلغت (375) مليار فرنك قديم ، زيادة على كون 90 % من النشاط التجاري الصناعي بقي في يد الأوروبيين[5].

و هناك عامل مهم زاد في نشاط الصناعة و هو اكتشاف البترول و الغاز في الصَّحراء الجزائرية ، حيث تم استثمار (668) مليار فرنك قديم مقابل التجهيز في

---

[1] -أحمد توفيق المدني : كتاب الجزائر ، ط2 - نشر دار الكتاب ، البليدة ، الجزائر: 1963 ،ص 364 .
[2] -آلان سافاري : المرجع السابق، ص 14 .
[3] -ميسوم بلقاسم : الكتابات التاريخية الجزائرية في الفترة 1927 – 1957 ، من خلال مؤلفات مبارك الميلي و أحمد توفيق المدني و عبد الرحمان الجيلالي ، دراسة تحليلية و نقدية ، مذكرة ماجستير ، قسم التاريخ ، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب و العلوم الإنسانية ، جامعة الجزائر: 2002 ،ص 16 .
[4] -عمار بوحوش : المرجع السابق ،ص 50.
[5]- Mohamed Harbi:La Guerre Commence en Algérie,éd,complexe,Bruxelles:1998,pp 89 – 91 ,

المرحلة الأولى 1953 – 1957،هذه الاستثمارات الكبيرة هي التي جعلت السُّلطات الفرنسية تحرص على إضعاف الصناعة المحلية و عدم فتح الباب للجزائريين ، و إبقاء بلادهم مرتبطة بالاقتصاد الفرنسي[1].

وفي مرحلة الاستقلال فقد كان على الدَّولة الجزائرية تشييد نهضة صناعية من واقع متدهور ، لذلك فقد احتل التصنيع مكان الصَّدارة من بين تلك الأهداف خصوصًا في مرحلة ما بعد 19 جوان 1965،و إطلاق مشروع الثورة الصناعية حيث ما لبث التصنيع أن طغى على غيره من الميادين[2]،و الملاحظ في هذه الحقبة هو تركيز مجهودات الدَّولة على خلق صناعة قوِّية و متنوعة،حيث أولى المخطط الرباعي الأوَّل 1970 – 1973 الصناعات الأساسية أهمِّية بالغة و شرع في تجسيد المشاريع الضخمة ، و من مميِّزاته أيضًا مراعاة مبدأ إحداث نشاط في كلِّ ولاية من ولايات القطر[3].

و الحقيقة التي رصدها الاقتصاديون أن هناك عددًا من المصانع لم تكن تتحرك إلا بنسبة تتراوح بين (10) و(30)% من طاقاتها الإنتاجية،و أنَّ سعر الكلفة مرتفع جدًا والتبعية للخارج عالية ، فالمتعاونون الأمريكان و اليابانيون و الألمان و الفرنسيون والسوفيات و غيرهم يُعَّدون بالآلاف لأن القيادة الجزائرية إختارت أحيانا صناعات ذات تكنولوجيا عالية يصعب على الجزائريين التحكُّم فيها[4] .

و في أواخر السبعينيات طرح الصحفي الفرنسي " دانيال جانكا " بجريدة "العالم Le monde " تساؤلات بعد وفاة الرئيس" هواري بومدين " صاحب المشاريع العملاقة حيث كتب في 03 جانفي 1979 [5]:(سوف يقول المستقبل ما إذا كان الرئيس الراحل قد دفع بلاده أم لا في اتجاه مغامرة تفوق إمكاناتها المادية و البشرية ؟).

- **التجَّارة :**

---

1 -رابح تركي : التعليم القومي و الشخصية الجزائرية 1931 – 1956 ، المرجع السابق ، ص ص 89 – 90 .

2- محمد الميلي : المرجع السابق ،ص 274 .

3- الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية : جهود السنوات العشر 1965 – 1975 ، الطباعة الشعبية للجيش ،بلا تاريخ ،ص 71.

4 - محمد الميلي : المرجع السابق ،ص 248 .

5 - المرجع نفسه : ص 247 .

احتكرت إدارة الاحتلال التجارة ، حيث تصرفت بشكل مطلق في إنتاج القطر الجزائري إذ أنَّ المبادلات التجارية الدَّاخلية و الخارجية بيَدِ الأجانب ، خاصَّة بعد سيطرتهم على المدن .

لقد بلغت قيمة الصادرات سنة 1954 (140) مليار فرنك ،في حين وصلت قيمة الواردات (218) مليار فرنك ، و هذا العجز في الميزان التجاري ناتج عن احتكار فرنسا لمنتجات الجزائر و لسوقها ، و لا تجد تعويضا للنقص من حركة سياحية أو استثمارات الجزائريين في الخارج حتى أنَّ مقدرة الأهالي على الشراء كانت ضعيفة[1].

لم تكن للأهالي مشاركة في حركتي التصدير و الاستيراد إلا بصفة ضئيلة على الرغم من النشاط الهائل للموانئ الجزائرية،غير أنَّ أبناء البلاد لم يكن لهم أيُ دور سِوَى من إشتغل منهم عتالا [2]،و في العشرية التي سبقت ثورة أوّل نوفمبر ،لم يعد في استطاعة أي عاقل الحديث عن تجارة الجزائر الخارجية[3].

بعد استرجاع السِّيادة الوطنية و خلال السنوات الأولى ، كانت معظم العلاقات التجارية قائمة بين الجزائر و فرنسا ، و قد سَعَتْ الحكومة إلى إقامَةِ علاقات مع الدُّول الاشتراكية و خاصة الاتحاد السوفياتي و يوغسلافيا،و جرى تطوير العلاقات مع البلدان الرأسمالية و بشكل أكبر المجموعة الإقتصادية الأوروبية ،التي استحوذت على 70 % من حجم المبادلات ، و امتدت إلى دُوَّل أمريكية في مقدمتها الولايات المُتَّحِدَة الأمريكية بنحو 10 % [4] .

و بحلول الثمانينيات أخذت السُّلطات على عاتقها التحرير التدَّريجي للتجارة الخارجية و العمل على تنويع الشركاء التجاريين.

---

1 - فيليب رفلة : الجزائر ،ط2 ، مؤسسة المطبوعات الحديثة ، القاهرة : بلا تاريخ ،ص 114.
2 - نفس المكان.
3 - محمد العربي الزبيري : تاريخ الجزائر المعاصرة ، ج1 ، منشورات إتحاد الكتاب العرب ، دمشق:1999، ص 18
4 - شارل روبير أجيرون ، المرجع السابق ،ص ص 196 – 197 .

المبحث الثالث : الحياة الثقافية بالقطرين

أولا : تونس

إنَّ الموقع الجغرافي لتونس جعلها في وضع يقرِّبها من المشرق العربي من جهة و من بلدان أوروبا من جهة أخرى ،لذلك فقد كانت الإفرازات الثقافية و الحركات الإصلاحية في بلدان المشرق تنتقل إلى تونس بسرعة عن طريق الوسائل الثقافية المختلفة[1]،و يمكننا تسليط الأضواء على البيئة الثقافية بالبلاد، بمعرفة واقع الحركة التعليمية و النشاط الصحفي.

- **التعليم :**

من أشهر معاقل التعليم في تونس جامع الزيتونة ، مدرسة الصادقية[*] و مدرسة الخلدونية[**].

فجامع الزيتونة يعد إحدى القلاع الحامية للدِّين و التقاليد و السُّنة بإفريقيا الشمالية بأسرها[2] ،و هو يُمَثِلُ التعليم الدَّاخلي في مستواه العالي ، فهذا الجامع العريق الذي يعود تأسيسه إلى ثلاثة عشر قرناً ،إكتسب بمرور الوقت مكانة خاصة في نفوس التونسيين .

و رغم قيامه بدور هام في تكوين نخبة كبيرة من المثقفين و رجال الإصلاح وزعماء الحركة الوطنية ، فإنَّ المصلحين المتنورين بداية من أوائل القرن العشرين أصبحوا يُحِسُّون أنَّ مناهج التدريس و طرقه بالجامع تحتاج إلى إعادة نظر،و من ذلك إصلاحات عام 1912 التي جاءت تتويجًا لنضال الطلبة الزيتونيين،بَدْءًا بتشكيل "جمعية

1- مصطفى فاسي : المرجع السابق ،ص 28 .

2- شارل آندري جوليان : إفريقيا الشمالية تسير ، المرجع السابق، ص ص 87 – 88 .

*- الصادقية : أنشأها خير الدِّين باشا سنة 1876 على عهد الصادق باشا ،و قد كانت تدرس بها لغات عديدة و تباشر التعليم الإبتدائي ثم العالي ،و من خصائصها أن تعول تلامذتها و تؤويهم ليلا بفضل ما أوقف عليها .

** - الخلدونية : كان تأسيسها في عهد المقيم الفرنسي " ريني ميلي " (1894 – 1900) ، أسسها البشير صفر برفقة الشيوخ - سالم بوحاجب و عمر الشيخ و أحمد كريم – و أقيم حفل التأسيس في 15 مارس 1897 و ينقسم التعليم بهذه المدرسة إلى ثلاثة أقسام : إبتدائي ، ثانوي ، عالي .

طلبة الزيتونة " سنة 1907 إلى قيامهم بإضرابات و مظاهرات في الشوارع في شهر مارس 1910 مطالبين الحكومة بتفعيل الإصلاحات .

إنَّ نضال طلبة جامع الزيتونة لم يكن هَيِّنا و لا سَهْلا و ذلك لأن الإستعمار كان يحسب له ألف حساب،فخريج جامع الزيتونة لم يكن رَجُلا مثقفا بقدر ما كان رَجُلا وطنِيًا شديد الإرتباط بالشعب يقف في الصَّف المعادي للاستعمار[1].

أما مدرسة الصادقية و التي أسسها "خير الدِّين التونسي"سنة 1875 ، فقد كانت تدِّرسُ مختلف العلوم الحديثة و اللغات و توصف من -قبل البعض-بأنَها إحدى معاقل القومية التونسية،في حين يرى البعض الآخر أنَّ الدَّارسين فيها من أبناء البرجوازية، وهؤلاء الذين كانوا أكثر ارتباطا بفرنسا و ثقافتها ، و قد شهدت هذه المدرسة أيضًا إصلاحات في هياكلها و برامجها،و من أهَمِّهَا التغييرات التي بادر بها المستشرق "دالماس Dalmas " الذي تولى إدارتها ، حيث قرَّبت تغييراته التعليم بالصادقية من التعليم الثانوي العصري ،و تم ادخال دروس جديدة كالترجمة و القانون الإداري و الفقه الإسلامي .

ولقد حظيت الصادقية باهتمام كبير،إلا أنَّ نسبة التخرج بها ضعيفة ،فخلال سنوات 1893–1905 كان معدَّل التخرج ثلاثة (03) طلاب في كل سنتين ، إذ كان المتخرجون في هذه المدة ثمانية عشر (18) طالبًا فقط ، و قد وصل عدد تلامذة هذه المدرسة سنة1906 إلى 340 تلميذا [2] .

أما مدرسة الخلدونية و التي تأسست بقرار وزاري سنة 1896، كان هدفها النهوض بالعلوم العربية مثل الرياضيات و العلوم و الطب و غيرها، فأقبل عليها الشبان من طلبة جامع الزيتونة إقبالا عظيمًا،و نظرًا لشهرتها فقد كانت تضم طلبة من الجزائر،و المغرب الأقصى أيضًا،و نتيجة لدورها فقد تخَوَّف منها المعمرون تخوفا كبيرًا ،حتى قال عنها المعمِّر " كرفيار " المتحدث باسمهم : [3](إذا ما قدِّر أن تندلع ثورة في البلاد التونسية فإنَّ هيئة أركان حربها تكون قد تخرجت من الخلدونية).

---

[1] مصطفى فاسي : المرجع السابق ،ص ص40 – 42 .
[2] - المرجع نفسه ،ص ص 43 – 44 .
[3]- شارل آندري جوليان: المعمِّرون الفرنسيون و حركة الشباب التونسي، تعريب محمد مزالي و البشير بن سلامة ،

إضافة إلى المدارس الشهيرة الثلاث ، كانت هناك مجموعة من النوادي الأدبية الثقافية التي كانت مسرحًا للمحاضرات ، و المناقشات حيث لعبت دورًا مكملا للمدارس المذكورة و أسهمت في الحفاظ على الشخصية العربية التونسية، و النهوض بالمستوى الثقافي للتونسيين [1] .

و معروف أن فرنسا قد بدأت بعد الاحتلال مباشرة تتخذ الإجراءات اللازمة للحد من توسيع التعليم ،والإقلال من عدد المدارس الموجودة،و قد لاحظ أحد المعمِّرين و هو " كارنيار "،" أنه كلما تعلم الأهالي ازدادوا حقدًا علينا"[2].

و مع بدايات القرن العشرين ، أخذت وضعية التعليم تتأزَّم بسبب وقوف المعمِّرين في وجه أي تعلم و بأية لغة كانت حتى تعليم الكتاتيب ، و نتيجة للسياسة الاستعمارية فقد قلَّ عدد التلاميذ من 4958 تلميذا سنة 1897 إلى 2627 تلميذا عام 1904 ، و هذا بعد ما تم إغلاق عشر (10) مدارس[3].

و كان الكُتَابُ العصري الذي فتحه "خير الدين مصطفى" سنة 1906،أوَّل مدرسة حرَّة للتعليم العربي،و قد فتحت الباب لمدارس أخرى في تونس العاصمة و غيرها من المدن ، و كان لهذه المدارس تأثير في تخَّرج أولئك الذين كان لهم الفضل في ميدان الأدب و الثقافة في المستقبل[4].

الدَّار التونسية للنشر ، بلا تاريخ ، ص 77.
[1]- مصطفى فاسي : المرجع السابق ،ص 50 .
[2] - المرجع نفسه ،ص 37 .
[3]- شارل آندري جوليان : المعمِّرون الفرنسيون و حركة الشباب التونسي ، المرجع السابق، ص 08 .
[4] - مصطفى فاسي : المرجع السابق، ص 39 .

- **الصحافة :**

ظهرت الصحافة التونسية إلى الوجود مع ظهور المطبعة سنة 1860 م، و تعد جريدة "الرائد التونسي" رائدة الصحافة في تونس ، ثم تلتها سنة1886 م جريدة " الزهرة " ثم "الحاضرة "عام 1888 م، و تواصل صدور الصحف في هذه الفترة فكان منها "المبشر" و"المنتظر" و "البصرة" و "سبيل الرشاد" ، و قد عطلت الحكومة الفرنسية جريدة "الزهرة" عام 1896 م بعد مهاجمتها للإدارة و رجالها.

و يُقَسِّمْ بعضهم الصحافة التونسية العربية إلى غاية سنة 1900 م ،إلى شعبية و هي التي تهتم بإنارة الفكر العام ، و سياسية تعمل في خدمة الإدارة ، غير أنَّ حكومة الاحتلال لم تلبث أن أصدرت سنة 1897 م قانونًا يقضي بأن يدفع كل مستفيد من إصدار صحيفة ضمانا ماليًا كبيرًا،و هو ما كان كافيًا لأن يوقف جميع الصحف عَدَا "الحاضرة" التي استطاعت الدفع فتواصل صدورها[1].

ومع مطلع القرن العشرين ، ظهرت طريقة جديدة في النقد الاجتماعي و السياسي، وهي طريقة الصحافة الهزلية ، و هناك من كان يسميها بالفكاهية أو الشعبية بسبب بساطتها دورا كبيرا و قد كان لها بجانب الصحافة الجادة دور كبير في إيقاظ الوعي لدى الإنسان التونسي ، و في نشر الثقافة و تفتح الذهن ، و هي التي هيَّأت الشعب لأحداث عام 1911 م المشهورة و شملها التعطيل هي الأخرى عقب هذه الأحداث[2].

كما لجأ التونسيون في بعض الفترات إلى إصدار الصحف باللغة الفرنسية بسبب ما كانت تتعرض له الصحف العربية من اضطهاد،و كانت تصدر تحت امتياز فرنسي و من هذه الصحف نشير إلى "البريد Le Courrier"سنة 1904 م، "التونسي Le Tunisien" عام 1907 م،و أصدر الحزب الدستوري سنة 1924م جريدة"الليبيرالي Le Liberal"

التي قامت بدور مهم في الدِّفاع عن مختلف القضايا التونسية[3].

---

1 - مصطفى فاسي : المرجع السابق ،ص 51 .
2 - المرجع نفسه ،ص 52 .
3- مصطفى فاسي : المرجع السابق ،ص 56 .

و تعتبر فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى،الفترة الأكثر ازدهارًا في حياة الصحافة التونسية،و كانت عودتها بفضل مساعي"عبد العزيز الثعالبي" الذي سافر إلى فرنسا في شهر جوان 1920 م و نشر كتاب " تونس الشهيدة"،و من جملة المطالب التي عرضها عودة حرِّية الصحافة ، فبرزت جرائد جديدة مثل "الأمة " ، "الاتحاد" ، "لسان الشعب" ، "العصر الجديد" ، "النديم"،و ظهرت مجلات ذات إخراج جيِّد كــ"الفجر" و "البدر" و "العمران" و "المجلة الصادقية" و غيرها،فانتعشت الحياة الفكرية و الثقافية في البلاد[1].

ثانيًا :الجزائر

عزَّز الاحتلال عملية الغزو العسكري بغزو ثقافي و فكري ،بهدف تحطيم الشخصية القومية للشعب الجزائري ، شمل التحرك جميع الاتجاهات كضرب اللغة العربية ، و كسر العادات و التقاليد،و تشويه صورة الإسلام و محاولة القضاء عليه.

فبخصوص الموقف من اللغة العربية،فقد حاول الاستعمار القضاء على معظم مراكزها المتمثلة في المدارس و الجوامع و الزوايا،بحيث حُوِّلَ البعض منها إلى معاهد للثقافة الفرنسية ،و بعضها سَلَمَهُ إلى الهيئات التبشيرية المسيحية التي اتخذته مركزًا لنشاطها في هدم عقيدة الجزائريين ، و البعض الآخر قام بهدمه بدعوى إعادة تخطيط المدن الجزائرية[2].

و لعلَّ أغرب الإجراءات الهادفة إلى القضاء عليها،قانون 08 مارس 1938 الذي اعتبرها أجنبية و هي في عقر دارها ، و شدَّد في منح رخص تعليمها في المدارس الحرَّة بشروط تكاد تكون تعجيزية، لأنَّ فتح مدرسة لتعليم اللغة العربية كان في نظر الفرنسيين أخطر من تشغيل مصنع لإنتاج الأسلحة و الذخائر استعدادًا للثورة[3].

و لما كان التعليم يفتح عيون شعوب المستعمرات ، و يزودها بالطاقات الفكرية والروحية لمواجهة الاحتلال ،فقد عمل الاستعمار على تحطيمه ، و في هذا الشأن يقول

---

[1] - المرجع نفسه ،ص ص 52 – 53 .
[2] - رابح تركي : التعليم القومي و الشخصية الجزائرية 1931 – 1956 ، المرجع السابق، ص 95 .
[3] -الفضيل الورتلاني : الجزائر الثائرة ، دار الهدى ،عين مليلة، الجزائر :1992 ،ص 90 .

السيِّد " تيرمان Tirman" الحاكم العام للجزائر سنة 1886: [(1)](لا يزال يتضح لنا من الاختبار أنَّ الذين نُعلمهم التعليم الراقي،هم الذين يُبْدُونَ لنا الكثير من العداوة).

و يصف "أحمد توفيق المدني" حالة التعليم عند الجزائريين و رغبتهم فيه بالقول:[(2)](أرأيت الشجرة الكبيرة و قد ذبلت أغصانها ، و تناثرت أوراقها من شدّة الظمأ و إشتاقت قطرة ماء ؟ تلك هي أمَّة الجزائر ، و ذلك هو اشتياقها للتعليم...و ناهيك بأمَّة تبلغ درجة الأمِّية فيها نحو 95 % من مجموع أفرادها ، و لها جيش يبلغ نحو السبعمائة ألف من الصبيان لا يجدون إلى التعليم سبيلا) .

و عن المخصصات المالية لتعليم الأهالي فقد كانت ضعيفة ،فالميزانية المرصودة للأهالي سنة 1938 لم تتجاوز الربُع (1/4) مما هو مخصص لتعليم الأوروبيين ، وما لا نسبته 25 % من الاعتمادات المالية المدرجة لسلك الأمن و القمع، فتعليمهم سقط في النسيان ،و لم تهتم به لا البلديات و لا الحكومة العامَّة ، و انجرَّ عن ذلك تردي المستوى الثقافي و التعليمي[(3)].

و تتضح سياسة التعليم في معطيات الجدولين المعروضين المتعلقين بالتعليم الثانوي و الجامعي[(4)].

---

[1]- رابح تركي : التعليم القومي و الشخصية الجزائرية 1931 – 1956 ،المرجع السابق ، ص ص 144 – 145 .

[2] - أحمد توفيق المدني : كتاب الجزائر ، المصدر السابق، ص 273 .

[3] - أحمد مهساس : " التعليم و الثقافة في الجزائر خلال الحقبة الإستعمارية " مجلة الثقافة ، العدد 85 ،الجزائر: 1985 ص 65 .

[4] - رابح تركي : التعليم القومي و الشخصية الجزائرية 1931 – 1956 ، المرجع السابق ،ص 150 .

- **عدد الجزائريين و الأوروبيين في التعليم الثانوي.**

السنوات	عدد التلاميذ الجزائريين		عدد التلاميذ الأوروبيين		المجموع	
	الذكور	الإناث	الذكور	الإناث	عدد الجزائريين	عدد الأوروبيين
1920م	405	40	4346	1764	445	6110
1924م	535	60	4860	1814	595	6674
1928م	642	48	4587	1833	690	6420
1934م	778	85	7316	3533	863	10849
1938م	923	68	8952	4277	991	13229

- **عدد الجزائريين و الأوروبيين في التعليم الجامعي .**

السنوات	عدد الجزائريين	عدد الأوروبيين	السنوات	عدد الجزائريين	عدد الأوروبيين
1920	47	1282	1934	103	2564
1925	66	1486	1938	94	2138
1930	93	1907			

- إنَّ أي تعليق على هذه الأرقام يصبح عديم الجدوى ، فهي ناطقة في حد ذاتها،و قد عبَّر أحمد توفيق المدني فأعطى تصويرًا بليغا للحالة حين قال:[1] **(تعليم المسلمين و هو يسير الهوينى مشية الأعرج الهرم ، فتجد البوادي و القرى عامرة بآلاف الأطفال الذين يذهبون كلّ غرة أكتوبر إلى المدارس فلا يجدون مقاعد لهم ،فيعودون أدراجهم القهقري و قد امتلأت أنفسهم يأسًا و ألما).**

[1]- أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر،المصدر السابق ،ص ص 273 – 274 .

و في إستراتيجية ممنهجة عمل الاستعمار على إبعاد الجزائريين عن أي تكوين تخصصي أو ذي طبيعة منتجة،و الجدول الآتي يعبر عن حجم المشاركة الجزائرية في مجال التعليم التقني و الفلاحي و الصناعي[1].

الفترة	المؤسسات التكوينية	الفرنسيون	الجزائريون	المجموع
1949	المعهد الوطني الصناعي بالحراش	73	02	75
	المدرسة الصناعية بدلس	145	07	152
1950	المعاهد التقنية بمدينة الجزائر	1456	260	1716
	الفرع التقني في الاعداديات العصرية	28	02	30
	المجموع	1702	271	1973

لقد عبَّر "عبد العزيز الثعالبي" عن مرامي السياسة التعليمية الفرنسية بالمنطقة فقال:[2](إنَّ سياسة التعليم الفرنسية لا ترمي إلى إيجاد أيد عاملة ، ولا إلى إيجاد عقول مدَّبرة أو أيْدٍ تنتج الثروة ، أما العقول التي تفهم و تدَّبِر الثروة لأصحابها الحقيقيين ، فهذه يجب أن يضرب حولها نطاق من الجهل).

وتلخيصا لهذه السياسة الثقافية الاستعمارية ،كتب محمد العربي الزبيري يقول[3]:(و في المجال الثقافي فإنَّ الثورة اندلعت عندما كان الإستعمار قد أنهى تقريبًا مهمته الأساسية الخاصة بالمسخ و التشويه و التجهيل).

وبعد إسترجاع السيادة الوطنية سنة 1962 وجدت الدَّولة الجزائرية تَرِكة استعمارية ثقيلة،يأتي في طليعتها النظام التعليمي ببرنامجه و هيكلته التي كانت مهيأة لخدمة الأغراض الاستعمارية ،لذا كان عليها مواجهة هذه المعضلة فتوجب عليها التعجيل بتغيير

1- مصطفى هادف : المشروع العلماني الفرنسي و موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منه ، مذكرة ماجستير ، قسم الدعوة و الإعلام و الإتصال ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، قسنطينة:2001 ،ص 81 .

2 - المرجع نفسه ،ص 82 .

3 - محمد العربي الزبيري : تاريخ الجزائر المعاصرة ،ج1 ، المرجع السابق ،ص 18 .

البرامج الدِّراسية جذريًا لأنَّها امتداد لنظام تعسفي فرض فرنسة التعليم فرضًا كلِيًا ، فإتجه العمل إلى تعريب التعليم و جزأرة الإطارات و المؤسسات التعليمية ، و محتوى التعليم[1]،و التصدي لسد الفراغ الرهيب الذي خلفه المعلمون الفرنسيون والأوروبيون،الذين غادروا بشكل يكاد يكون جماعيًا ، كما أنَّ احتياج الدخول المدرسي الأوّل 1962 – 1963 بلغ إلى عشرين ألف مُعَلِّم على أدنى تقدير[2].

لقد تقرر إجبارية التعليم ،و مجانيته و باللغة الوطنية دون الاستغناء عن اللغات الأجنبية ، حيث أعطت الدَّولة اهتمَامًا بَالِغا للتربية الوطنية ، ففي سنة 1964 خصصت لها ما نسبته 19,2 % من الميزانية ، و ارتفع عدد المتعلمين عام 1966 إلى أكثر من مليون و نصف المليون، و عدد الطلاب الجامعيين إلى 10 آلاف طالب[3] .

و الحقيقة أنَّ الجزائر قد خطت خطوات كبيرة على الصَّعِيد الكمي في قطاع التعليم على كلِّ المستويات منذ 1962 إلى غاية منتصف الثمانينات ، حيث أنَّ نسبة الأمِّية تراجعت إلى ما يقارب النصف بعدما كانت تتراوح بين 80 % إلى 90 % من مجموع السُّكان ، و هذا يَدُلُ على العمل الكبير الذي قامت به الدَّولة رغم العوائق المادية و المعنوية [4].

إنَّ إحتياجات السُّكان و مطالبهم تتزايد باستمرار ، لذلك فالحاجة المستقبلية إلى التربية و التكوين ستظهر أكثر ، علمًا أنَّ ضمان التعليم أصبح مكسَبًا يتمَتَّع به الجميع[5].

---

[1]- الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية : المرجع السابق، ص236.

[2]- لوصيف سفيان : التحولات الثقافية في الجزائر1962- 1978 التربية و التعليم نموذجا ، مذكرة ماجستير ، قسم التاريخ ، جامعة منتوري ، قسنطينة :2006 ،ص ص45 – 46 .

[3]- جودي الأخضر بوالطمين : المرجع السابق، ص 118 .

[4]- سليم زنير: التطور الثقافي في الجزائر ، دراسة في النصوص و المؤسسات 1962 - 1986 ، مذكرة ماجستير ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، قسنطينة: 2001 ،ص 160 .

[5] -عبد الحميد الإبراهيمي :تأملات حول التجربة الجزائرية في التنمية ا لاقتصادية و الاجتماعية "، مجلة الثقافة ، العدد 83 ، الجزائر: سبتمبر، أكتوبر، 1984 ،ص 17 .

المبحث الرابع : الحياة الاجتماعية بالقطرين

أولا : تونس

بعد وقوع البلاد تحت النظام الاستعماري، توافد الأوروبيون بكثرة و قُدِّرَ عددهم سنة 1911 بـــ 148476 نسمة ، و بدخول الرأسمال الأجنبي تحولت ثروات البلاد إلى هؤلاء الأجانب على حساب السكان التونسيين[1] ، فالوضعية الاستعمارية بتونس أفرزت تناقضات بين طبقات المجتمع من خلال التفاوت الكبير في التَمَلك و رؤوس الأموال ، فبرزت طبقة برجوازية تنتمي إلى المستعمر شكَّلت الطبقة الممتازة و المتميِّزة في المجتمع أطلق عليها بعض المؤرخين تسمية "المتفوقين" يضَافُ إليها مجموعة من التونسيين استفادوا من الوضع الاستعماري لكنَّهم فئة قليلة[2].

وضمت ممتلكات المعمِّرين بحلول عام 1914 نحو 560 ألف هكتار ، و ارتفع عددهم من 40 شخصا في آخر سنة 1885 إلى 1274 سنة 1911[3].

و قد وصف "الطاهر الحداد" حياة الشعب التونسي بالقول:[4] (ما أخطر و أتعس الحياة التي نقطعها اليوم... فلا ترى إلا وجوهًا مُصْفَّرةً تعلوها كآبة خرساء ... و ثيابًا بالية و مُرَقعة بكل الألوان ، و أكثرهم متسولون).

هذا وإلى جانب المعمِّرين كان التفوق للتجار الذين يمثلهم المجلس الاستشاري المحدث سنة 1896 ،الذي يمثل أساسًا مصالح هؤلاء مجتمعين ، و يُكِرسُ تفوقهم بالبلاد التونسية و جعلوا من هذه المؤسسة جمعية مصالح تعمل على حفظ الامتيازات كما مارسوا ضغوطات على الحكومة الفرنسية عن طريق الشركات.

---

[1]- محمد رحاي : المرجع السابق، ص 29 .
[2]- مصطفى فاسي : المرجع السابق ،ص 26 .
[3]- محمد رحاي : المرجع السابق ،ص 29 .
[4]- مصطفى فاسي : المرجع السابق ،ص 26 .

و يمثل الجالية الفرنسية أيضًا فئة الموظفين،و كان عدد هذه الفئة معتبرًا بالبلاد التونسية فكانت تتزايد باستمرار،إذ بلغ عددهم في عام 1885 نحو (300) موظف ، وارتفع ليصل إلى 4620 موظفا في عام 1911 .

إنَّ الامتيازات الممنوحة للجالية الأوروبية تسببت في تدهور الحياة الاجتماعية لدى السُّكان التونسيين و أسهمت في إفقارهم ، كما أضرت هذه السياسة بالبرجوازية العقارية التي شكلت إحدى القواعد ،حيث توفر لها الإطارات الإدارية و القضاة و العلماء والمدَّرسين ، و هنالك كذلك صغار الفلاحين[1].

و الواقع أنَّ هذه السياسة الفرنسية جعلت السكان طبقة كادحة،و يدًا عاملة رخيصة لكثير من القطاعات كالفلاحة و المناجم و النقل، شأنهم في ذلك شأن العبيد في العهد الإقطاعي،و في هذا الإطار نصَّ أمر 04 أفريل 1884 على أن كل من يرفض القيام بعمل التزم به مثل الخمَّاس و العامل في فترة التدريب يعاقب بالسجن من قِبَلْ المحكمة الزجرية إلى أن يقبل الوفاء بالتزاماته[2].

و الدَّارس للوضع الاجتماعي يلحظ الفارق الواضح بين المجتمعين التونسي والمعمِّرين ، إذ أنَّ التونسيين الذين يمثلون 97 % لا يستفيدون سوى من 25 % من عدد المدارس [3].

ساد في المجتمع مظاهر الفساد و الانحلال و تدهور الأوضاع الصحية ، فأغلب المواطنين لا يجدون مستشفيات و مستوصفات لعلاج ما يعتريهم كلَّ يوم من الأمراض الخطيرة ،و كانت الدِّيار ملأى بالمربيات و العوانس،و جميعهن في جهل عميق ، فأصبحت المرأة عرضة للمساومات فيما يخص الطلاق و الزواج[4].

و لعلَّ أبرز القضايا الاجتماعية التي أثارت الجدال و النقاش على صفحات الصحف و في المنابر وضعية المرأة فيما يتعلق بتعليمها و إرتدائها الحجاب ، و كانت دعوة

1- محمد رحاي : المرجع السابق ،ص 29 .
2 - علي محجوبي : المرجع السابق ،ص 65 .
3 - عبد العزيز الثعالبي : تونس الشهيدة ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان :1984 ،ص 269 .
4 - عبد الحميد سلامة : المرجع السابق ،ص ص 18 – 19 .

"قاسم أمين" لتحرير المرأة قد وصلت تونس منذ أوائل القرن العشرين ، و قد قوي إهتمام الطبقة النيِّرة في المجتمع التونسي بالحركات النسوية في الشرق و الغرب.

و من بين الجرائد و المجلات التي اهتمت بقضايا المرأة جريدة "الصواب"و"العالم الأدبي"، و "النهضة"، و "لسان الشعب" و "البدر" وغيرها ، و وسط تلك التفاعلات ألَّف "الطاهر حداد" كتابًا بعنوان "إمرأتنا في الشريعة و المجتمع" الذي أثار ضجة كبرى عند نشره لآرائه الجريئة ، و وقع سجال بين المحافظين المعارضين لتعليم المرأة، وخروجها إلى ميدان العمل ، و بين المتنَّورين المطالبين بإقحامها الميدان و تخليها عن الحجاب(1).

و من البؤس الذي عاناه العمَّال الحرمان من الحق النقابي ، فالعامل إما أن يقبل بوضعه البائس و إلا واجه السجن و العقوبة ، كما كان هناك التمييز على مستوى الأجور و إسناد الوظائف و كذا ما يتعلق بأداء الأعباء الجبائية و الضريبية(2).

و هكذا ازداد تفاقم المشاكل الاجتماعية بازدياد عدد السُّكان، فإنتشرت البطالة، وسيطر على الناس عقلية ساذجة تعتقد في بَرَكةِ الأولياء الصالحين ،و شعوذة الدجالين(3).

و إجمالا فإنَّ السياسة الفرنسية أنتجت تقسيمًا اجتماعيًا عبَّر عنه الشيخ "عبد العزيز الثعالبي " بالجنس الأعلى و الجنس الأسفل ، فالجنس الأعلى يمثل الطبقة المسيطرة ، أما الجنس الأسفل فيمثل الطبقة المغلوبة على أمرها والمحرومة من جميع الحقوق(4).

1- أحمد خالد : أضواء من البيئة التونسية على الطاهر حداد و نضال جيل ، الدّار التونسية للنشر ، 1979 ،ص ص 230 – 247.

2 - علي محجوبي : المرجع السابق، ص 65 .

3 - عبد الحميد سلامة : المرجع السابق ،ص 19 .

4 - عبد العزيز الثعالبي : المصدر السابق، ص 269 .

ثانيًا: الجزائر

أدى الاستعمار الفرنسي إلى انقسام المجتمع الجزائري إلى فئتين، الأولى وتضم العناصر الأوروبية المتمتعة بحماية الإدارة بحيث احتلت المراكز الممتازة و تكوَّن منها الإقطاعيون بالريف لاستحواذهم على مساحات شاسعة ، كما تكوَّن الرأسماليون بالمدن ، و تتميز هذه الفئة بالتعصُّب ،و الكره للجزائريين كونهم يُشكِلون خطرًا على مستقبلها ، و رغم التباين الجنسي (مختلف الجنسيات الأوروبية) و التنافس الاقتصادي فيما بين عناصر الفئة الأوروبية إلا أنَّ لها موقفا واحدًا في مواجهة الجزائريين و هو العمل على حرمانهم من كلِّ تطور اجتماعي أو اقتصادي أو ثقافي يؤدي بهم إلى الترقية[1].

و الثانية تتشكل من أصحاب البلاد الشرعيين الذين تحولوا إلى فئة مسحوقة و مُشرَّدَة و يمكننا أن نرصد الواقع الاجتماعي بالنظر إلى الجوانب الآتية :

التشغيل:

لقد حُرِمَ الأهالي من مناصب الشغل ، و إن حالف بعضهم الحظ في الحصول على ذلك فالأجر منخفض جدا، و كان التزايد السريع في عدد العاطلين عن العمل بعد الحرب العالمية الثانية محور المشاكل ، فمستوى الأجور في كل من حقلي الزراعة و الصناعة منخفض ، و في المقابل كثرة عدد ساعات العمل ، و سوء الأوضاع ، و وجود العمل لجزء من السنة فقط[2].

و مما ساعد على تردي وضع الجزائريين من الناحية الاجتماعية، هو إبعادهم عن الوظائف الإدارية في البلاد، حتى أصبحوا يشكلون في قطاع الموظفين و التعليم ما نسبته 07 % فقط ، فضلا على إغلاق الوظائف العليا و المتوسطة في وجوههم إغلاقا كاملا[3].

---

[1] - ميسوم بلقاسم : المرجع السابق ،ص 18 .
[2] - جوان غيليسبي : الجزائر الثائرة ، ترجمة خيري حماد ، ط1 ، دار الطليعة ، بيروت ، لبنان :1961 ،ص 50 .
[3] - رابح تركي:التعليم القومي و الشخصية الجزائرية 1931 – 1956 ، المرجع السابق ،ص 92 .

و الملاحظ أنَّ أغلبية الجزائريين كانوا عُمالا لا مُلاكا ، و بأجور منخفضة جدًا مما جعل القدرة الشرائية ضعيفة ، و لا تكفي تلك الأجور إلا للعيش بَدَلَ الموت[1]، فالمرتبات لا تتناسب مع الجهد المبذول، حيث تتراوح بين 4- 8 فرنكات خلال سنوات 1920 – 1935 ، ثم أصبحت تتراوح بين 8 – 12 فرنكا خلال سنوات 1935– 1942 و هي أجور لا تسد الرمق للأسرة خاصة مع غلاء المعيشة ،حيث بلغ ثمن الكيلوغرام من الخبز 2,4 فرنك قديم ، واللتر من الزيت 04 فرنكات[2].

و قد جاء في دراسة مالية لخبير فرنسي نشرت سنة 1955 أنَّ متوسط دخل الأغلبية الساحقة من الجزائريين لا يتعدى 45 دولارًا في السنة ، أما الأوروبيون فلم يكن من بينهم من له دخل أقل من 240 دولارًا في السنة[3] .

في عام 1948 نشرت المنظمة العالمية للتغذية و الزراعة (الفاو،F.A.O) إحصاءًا تبّيَن منه أنَّ متوسط ما يناله الفرد الجزائري هو (443) حريرة ، و هذا يعني إستهلاكا ضعيف تحصل عليه الأكثرية من السكان الممثلة في أبناء الريف[4].

لقد وصفت المنظمات الدولية مستوى الحالة المعيشية للجزائريين خلال النصف الأول من القرن العشرين عمومًا بأنها تعتبر أحط مستوى في العالم كله[5].

و هذه الوضعية أفرزت بروز ظاهرة الهجرة إلى فرنسا،و هذه الهجرة ليست ناتجة عن ميل فطري لدى السكان للترحال، و لا عن عوامل حضارية تأثر بها السكان الجزائريون ففضلوا الوسط الحضاري الفرنسي على وسطهم الجزائري كما يدَّعي بعض الكتاب الغربيين،و التي لخَّصها أحدهم بأنَّها هجرة الجوع[6]،و مع ذلك فقد عمدت فرنسا

---

[1] - أحمد توفيق المدني : هذه هي الجزائر ، المصدر السابق ،ص 131.
[2] - فرحات عباس : حرب الجزائر و ثورتها - ليل الإستعمار ، المصدر السابق، ص 115 .
[3] - محمد السويدي : المرجع السابق ، ص ص 130 – 131.
[4] - هنري كلود و آخرون : الإستعمار الفرنسي في المغرب العربي ، ترجمة محمد عيتاني ، دار المعارف ، بيروت: بلا تاريخ ،ص 119.
[5] - رابح تركي : التعليم القومي و الشخصية الجزائرية 1931 – 1956 ، المرجع السابق ،ص 91 .
[6] - محمد السويدي : المرجع السابق ،ص 135 .

إلى التضييق على الجزائريين المهاجرين من خلال عدّة مراسيم إشترطت فيها شروطا مختلفة : صحية،أخلاقية،و أداء للخدمة العسكرية[1].

ديمغرافية السُّكان :

إنَّ نمو سكان الجزائر يعتبر من الظواهر الجديرة بالتتبع ، و الجدول الآتي يوضح تطوُّر عدد السكان الجزائريين في النصف الأول من القرن العشرين[2].

السنوات	عدد السكان الجزائريين	عدد السكان الأوروبيين
1921	4923186	791370
1926	5150756	833359
1936	6201144	946013
1948	7679078	922272
1953	8232000	1019000

بلغ معدّل النمو السكاني قبل العام 1914 (0,72 %) ، ليتجاوز (2,85 %) سنة 1954 و هي السنة التي بلغ خلالها عدد الجزائريين 8,450,000 نسمة.

وعلى صعيد النظام الاجتماعي ، فقد عرفت الجزائر خاصة بعد الحرب العالمية الأولى تحولا كبيرًا تمثل في أفول نجم العائلات الكبرى التي تعيش على موارد الأرض، والحرف التقليدية وارتفعت على أنقاضها طبقة جديدة من الأثرياء الجدد تعتمد على التجارة[3].

و بالنسبة للواجهة الأخلاقية فسجّل انتشار الفاحشة كشيوع شرب الخمر ، و زيادة عدد الحانات بحيث أن السلطات الإستعمارية كانت تتساهل في منح ترخيص فتح حانة أكثر مما تتساهل في فتح مدرسة[4].

---

1 - عبد د الحميد د زوزو : الهجـ رة و دورهـ ا فـ ي الحركـ ة الوطنيـ ة الجزائريـ ة بـ ين الحـ ربين 1919 – 1939 ،ط2، المرجع السابق، ص 46 .

2 - محمد العربي الزبيري : تاريخ الجزائر المعاصرة ، ج1،المرجع السابق ،ص 28 .

3 - يحي بوعزيزالجالة الإقتصادية و الإجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري خلال القرن التاسع عشر " مجلة الثقافة ، العدد 08 ، الجزائر:1984 ،ص 176 .

4 - فرحات عباس : حرب الجزائر و ثورتها – ليل الإستعمار ، المصدر السابق ،ص 116 .

أما وضعية المرأة المسلمة فوصفت بالمتدهورة لا سيما فيما يتعلق بالمستوى الثقافي إلا أنَّها امتازت بخلال كريمة ، و حافظت على التقاليد و العادات الموروثة، و يقول "أحمد توفيق المدني" [1]:(أنَّها على مستوى كامل القطر الجزائري تتحجب في المدن ، أما في البادية فقلَّمَا تجد للحجاب وجودًا ، و هنالك ترى المرأة تعمل مع زوجها ، و قد تضطر إلى النزوح إلى المدينة و العمل بصفة خادمة في المنازل الأوروبية و الإسرائيلية) وخلص إلى أنَّ أغلبية النساء تقاسين آلام الفاقة و الاحتياج.

الصحة:

و فيما يتعلق بالأوضاع الصحية فهي الأخرى اتسمت بالتدهور ، فإذا كان معدل عمر الأوروبي في الجزائر يصل إلى 72 سنة فإنَّ ذلك لا يتجاوز 50 سنة عند الجزائريين، و هذا لانتشار الأمراض ،فعلى سبيل المثال تجاوز عدد المصابين بمرض السل 400,000 شخص خلال سنة1957 ، و أنَّ المنشآت الصحية الخاصة بهذا المرض لم يتعد عددها 28 مستوصفا بينما فاقت في فرنسا 900 مستوصف، علاوة على انعدم التواجد الطبي بالقرى ،فلا تجد طبيبا أو قابلة[2].

هذا ولقد دلت التقارير العسكرية دلالة قطعية على سوء الحالة الصحية بصفة مزعجة في مختلف الأوساط الإسلامية ، فقد لبى دعوة السلطة العسكرية في مدينة الجزائر عام 1927 عدد بلغ 18607 من الشبان،فوجدت تلك السلطة أنَّ 8228 منهم لا يليقون للخدمة العسكرية بسبب حالتهم الصحية[3].

الحالة النفسية:عرض "أحمد توفيق المدني" بشكل ممتاز الحالة النفسية للجزائريين من جرَّاء الصعوبات المتعددة الأوجه حيث قال[4]:(إنَّ الشعب الذي يقاسي الآلام و يصادم في كلِّ أدوار حياته مصاعب العيش لا يستطيع أن يغني،و لا يجد إلا الانبساط سبيلا، فالموسيقى الجزائرية لم تتطور أصْلا ،و لم تحظ بأي خطوة إلى الأمام،و تكاد المداعبات

---

[1] - أحمد توفيق المدني : كتاب الجزائر ، المصدر السابق ،ص ص338 – 339 .
[2] - أحمد توفيق المدني : هذه هي الجزائر ، المصدر السابق، ص 135 .
[3] - أحمد توفيق المدني : كتاب الجزائر ، المصدر السابق، ص 336 .
[4] - المصدر نفسه،ص 339 .

الطريفة و النكات الحلوة تنعدم من الأوساط الجزائرية عامّة ، حيث أصبحت الطباع غليظة و الأنفس منقبضة و المعاملات بين النّاس تقع بصفة جافة).

ومن خلال استعراضنا للمعطيات التي تصف وضعية الأهالي اتضح أنَّ الجزائر كان لها وجهان مختلفان أشد الإختلاف كما أراد الاستعمار:أوروبي يعيش في النعيم و جزائري توالت عليه المصائب فكان لا بد من حدوث انفجار.

أما بعد الاستقلال ، فقد غادرت الجالية الأوروبية الجزائر جملة و تفصيلا ، و قد كان عددها مليونا و مئة ألف معمِّر أوروبي يقطنون التراب الجزائري ، ففي ظرف ثمانية أشهر غادر الجزائر ثمانمئة ألف أوروبي دون أي عنف من الجزائريين إتجاههم، وبمغادرة هؤلاء بما فيهم الإداريون و الاقتصاديون بقيت البلاد خاوية من كلِّ إطار، و بقي الاقتصاد الجزائري مخربًا [1] .

وكان على الحكومة مواجهة الوضع المقلق غداة الاستقلال ، ففي عام 1963 بلغ عدد العاطلين عن العمل مليونين[2] ، و رافق ذلك زيادة ديمغرافية كبيرة بلغت 3,2 % سنويًا و هي من أعلى النسب في العالم ،حتى أنَّ الظاهرة دعيت بالانفجار السكاني ، و برزت بقوة الهجرة من الريف إلى المدينة و التي انعكست سلبًا و ألقت بظلالها على الإطار العام لحياة الفرد ، فانتشرت الأكواخ القصديرية بالمدن و ضواحيها فكان -حسب أحد التقارير الصحفية- أنَّ تكدُّس 94 % من السكان في مساحة لا تتجاوز 13,5 % من مجموع التراب الوطني[3].

و قد تصدت الدَّولة لإيجاد الحلول لمختلف المشاكل، و على رأسها موضوع الهجرة صوب فرنسا الذي كان محل مفاوضات عديدة و تجاذبات جزائرية فرنسية ،و انتهى بقرار الجزائر وقف الهجرة في أوت 1973 من جانب انفرادي [4].

---

1 - الزبير سيف الإسلام : الإعلام و التنمية في الوطن العربي ، ط2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر: 1986 ،ص ص 50 – 51 .

2 - شارل روبير آجيرون : المرجع السابق ،ص 395 .

3 - محمد الميلي : المرجع السابق ،ص 249 .

4 - المرجع نفسه، ص ص 220 – 222 .

و أعطيت أبعاد هامَّة للصحة العمومية فجرى اعتماد مبدأ مجانية العلاج بداية من العام 1974 [1]،و إيجاد فرص للتشغيل، و محاولة القضاء على البطالة ، و تحسين المستوى العام للمعيشة ، حتى أنَّ شعار مطلع الثمانينيات كان "من أجل حياة أفضل".

[1]- الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية : المرجع السابق ،ص ص 264 – 268 .

خاتمة:

من خلال ما سبق عرضه و مناقشته في هذا الفصل يمكن أن نستخلص النتائج الآتية :

أولا : اشتراك القطرين تونس و الجزائر في الخضوع لسيطرة استعمارية فرنسية ألغت السيادة الوطنية للبلدين ، و حوّلت الشعبين المتأصلين إلى رعايا و مواطنين من الدرجة الثانية ،و سنت في حقهم قوانين القرون الوسطى.

ثانيا : شكّل مطلع القرن العشرين مُنعرجا هاما و تحولا في أساليب الكفاح بتسجيل يقظة سياسية وطنية لدى مثقفي و متنوري القطرين ، خدمتها مؤثرات قادمة من المشرق و من العالم الغربي ،تتلخص في أفكار الحركة الإصلاحية ، و تأثيرات المواجهة العالمية الأولى (1914 – 1918) و الثانية (1939 – 1945)، و ما رافقهما وأعقبهما من حديث عن الحريات ،و مبادئ تقرير المصير ، مما رفع من مستويات الوعي الوطني بظهور أحزاب و جمعيات ،تراوحت مطالبها بين تحسين الأحوال و فك الارتباط بالدولة المستعمِرة .

ثالثا : إن غزو الدخيل الواحد أدى إلى تدهور الأوضاع الاقتصادية بفعل المصادرة و الاستغلال الممنهج ، و معارضة الكولون المستأثرين بالخيرات في البلدين لكل مشروع تنموي من شأنه تحسين أوضاع أصحاب الأرض الشرعيين ، و هو ما أسهم في تحقيق التفاعل بين القطرين، و في تحديد اتجاه الحركتين الوطنيتين .

رابعا:أفرز استيطان القادمين من وراء البحر بالبلدين و لا سيما بالجزائر مشاكل لا حصر لها انعكست سلبياتها على المواطنين التونسيين و الجزائريين الذين أُبعدوا عن الوظائف الإدارية ، و حُرموا الاستفادة من خدمات المرافق الصحية فتدنت مستويات معيشتهم إلى الحضيض ، و تحولوا من سادة إلى عبيد مما غرس في نفسياتهم الرغبة في التحرر .

خامسا : لقد رام المشروع الاستعماري تحطيم أسس الثقافة المحلية ،و القضاء على مقومات الشخصية الوطنية المتمثلة في اللغة العربية و الدين الإسلامي، و ذلك بإحلال ثقافة دخيلة تقوم على نشر اللغة الفرنسية في أوساط محدودة و الدعاية للديانة المسيحية و تشويه مبرمج لتاريخ المنطقة و أصالتها ، مما كان له رد فعل قوي نتيجة الإحساس بوحدة الهوية المُعرضة للتدمير، فتولّد الوعي بضرورة المواجهة المنسقة و الجماعية.

سادسا : ورثت المنطقة بعد استعادة السيادة المسلوبة في منتصف الخمسينيات (تونس) و أوائل الستينيات (الجزائر) تركة ثقيلة و حقلا من الألغام التي زرعها الاستعمار من تشكيك في الانتماء ، و تفرقة عنصرية لأبناء الشعب الواحد ، و مشاكل حدودية شكّلت تحديات حقيقية لعملية التنمية التي لا تزال تشق طريقها.

الفصل الثاني
أحمد توفيق المدني الزمان و الموطن الأول

المبحث الأول : المولد و النشأة

المبحث الثاني : تعلمه

المبحث الثالث : إسهاماته الأول في الفكر و السياسة

المبحث الرابع : الإبعاد من تونس إلى الجزائر و ردود الفعل

يتناول هذا الفصل المرحلة الأولى من حياة "أحمد توفيق المدني" الممتدة من مولده سنة 1899م إلى غاية إبعاده إلى الجزائر سنة 1925م و ذلك بالتطرق إلى خصائص مرحلة الشباب التي عاشها بمسقط رأسه تونس التي كانت ملاذا لكثير من الجزائريين فرارا من السياسة الاستعمارية ، قبل أن تقع هي الأخرى فريسة للاحتلال .

حيث سأتطرق إلى مولده و نسبه و مراحل طفولته ، و خصائص الوسط العائلي و الاجتماعي الذي تربى و نشأ فيه ، و محاولة التعرف على مختلف المؤثرات التي ساهمت في بناء و تكوين شخصيته و توجيهها الاتجاه التي سارت عليه .

ثم سأعرض مرحلة التعليم التي تميزت بالمزاوجة بين التعليم التقليدي في الكتاب ، وما تقدمه المدارس العصرية كالخلدونية ،و طبيعة المنهج الذي اختاره مترجمنا خاصة إذا علمنا أنَّ الرجل تكوَّن بعصامية نادرة ، و ترك مقاعد الدراسة بالزيتونة مفرطا في غاية الذات لصالح غاية الوطن ،حين التحق بالعمل السياسي ضمن الحزب الدستوري الحر .

كما سأعرِّج على البدايات الأولى لنشاطه الفكري ،بعرض أولى محاولاته الصحفية و التأليفية في فترة هامة شهدت وصول مؤثرات عديدة من الشرق و الغرب ، و إبراز احتكاكه بشخصيات أدبية و فكرية لها باع طويل في الحياة الثقافية التونسية ، و التأثيرات البارزة التي تركتها في مسيرته اللاحقة .

و كذا انطلاقته السياسية بمعرفة خطه النضالي الثوري و حركيته المعادية للاستعمار ، و التي قادته إلى ولوج السجن شابا في السادسة عشر من عمره ، و إلى إبعاده في سن الخامسة و العشرين ، فأضحى رمزا يقلق الإدارة الاستعمارية .

و أختم هذا الفصل بالتطرق إلى الأصداء و ردود الفعل التي خلفها قرار الإبعاد إلى الجزائر ،بما يعكس المكانة التي حظي بها في الأوساط الشعبية و النخبوية التونسية .

المبحث الأول : المولد والنشأة

في إحدى الديار العربية التي يرجع بناؤها إلى العصر الحفصي الأخير بنهج الناعورة رقم 04 في تونس العاصمة(1)، ولد "أحمد توفيق بن محمد بن أحمد المدني" يوم 16 جوان(*) 1899(2)، من أبوين جزائريين لاجئين إلى تونس(3) بعد وقوع الجزائر في قبضة السيطرة الاستعمارية الفرنسية وما تلاها من سياسة جهنمية ضد الجزائريين.

إن عائلة المدني، عائلة جزائرية اسمها الأصلي عائلة بن عمر"Ben Omar " نسبة إلى أحد الأجداد ، والذي يأخذ اسمه الحي المعروف في وقتنا الحاضر بحي"بن عمر" بمدينة القبة بالجزائر العاصمة،وهي من عرب الأندلس(4)الذين نزحوا بعد سقوط غرناطة في عام 1492 م.

أما والده فهو محمد بن أحمد المدني بن عمر القبي نسبة إلى مدينة القبة ، الغرناطي نسبة إلى غرناطة بأسبانيا(5)،ولد بالجزائر العاصمة سنة 1852 ، ودرس بالجامع الكبير

1- أحمد توفيق المدني ، حياة كفاح ، ج1 ، ط2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر: 1988 ، ص 13

2 -Ali Merad: le reformisme musulman en Algerie de 1925 à 1940,essai d'histoire religieuse et sociale , (mouton .co) Paris :1967, P116.

3- عبد الكريم بوصفصاف وآخرون: معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين ،ج2 ، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفة ، جامعة قسنطينة :2004 ، ص 303 .

4- محمد إسلام المدني : مقابلة شخصية ، مقر إقامته بالأبيار العاصمة : 02 جويلية 2006 .

5- محمد حسن فضلاء : من أعلام الإصلاح في الجزائر ، ج1 ، دار هومة ، 2000 ، ص 96 .

*- بخصوص التاريخ الحقيقي للميلاد ، فهو الفاتح نوفمبر 1898 حسبما أكده لي نجله " محمد إسلام المدني " وأن ما ذكره الشيخ أحمد توفيق المدني في مذكراته (حياة كفاح ، ج 1) من ان سنة الميلاد هي 1889 لا يعدو أن يكون سوى خطأ مطبعيا وقد أكد تاريخ 01 نوفمبر 1898 كل منحمد الطاهر عدواني في مقاله بمجلة التاريخ العدد 18 الذي كان تحت عنوان "كلمة التأبين بمناسبة الأربعين ص 166 " وأنيسة بركات في مقالها حياة في سبيل العلم والجهاد " ص 28 بنفس العدد من المجلة المذكورة .

أما رابح خدوسي في مؤلفه "موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين " فقد ذكر أن أحمد توفيق المدني ، ولد في 1899/10/01 وهو ما جاء أيضا عند :

Barkat Djamila ,et autres : Encyclopédie des savants et des hommes de lettres Algériens P165 وهذا خطأ .

في حين لم يحدد أبو القاسم سعد الله التاريخ بالتحديد ، حيث ذكر أنه ولد في أواخر القرن التاسع عشر (1899)، كما جاء في تاريخ الجزائر الثقافي ، ج7 ، ص 418 .

وقد اعتمدنا التاريخ الرسمي المدون في شهادة الميلاد كمر جع للميلاد،وهذا التاريخ اعتمد بعد إلقاء القبض على المدني سنة 1915 و إيداعه السجن ، و ذلك لتفادي محاكمته عسكريا ، حيث استخرجت له هذه الوثيقة لدى شيخ بلدية تونس ، والتي بموجبها تم تخفيض سنه.

- أنظر شهادة ميلاد المعني في الملحق رقم 01

وجامع الزيتونة ،وكان تاجرا غنيا فنشأ مترجمنا في منزل فخم وأسرة ثرية[1] ، وكان جد والده أمين الأمناء ، أي شيخ بلدية العاصمة [2]، ومن السادة الأشراف[3].

أما والدته فهي " عائشة بنت عمر بويراز" ابن المجاهد الكبير "مصطفى بويراز"، الذي كان قائد فريق الفرسان الجزائريين في معركة أسطاولي الشهيرة[4]، ولدت بتونس خلال عام 1877 من عائلة "ابن غشام"، وهي إحدى كبريات العائلات التونسية[5]، وعائلة بويراز تركية تماما من الاتراك الجدد ،الذين قدموا من تركيا في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي إلى الجزائر واستقروا بها[6].

والحقيقة أن عائلة مترجمنا بفرعيها (المدني وبويراز)من العائلات التي شردها الاستعمار الفرنسي في أعقاب ثورة المقراني والشيخ الحداد سنة1871،فاختارت الهجرة خارج البلاد إلى البلدان الشقيقة والصديقة ، فكانت تونس مقصدا لها ، عوضا عن بلدها الأصلي الجزائر[7]، وفي خلال رحلة الهجرة والتوجه إلى تونس حدث التعارف والتقارب بين العائلتين[8]، ولما لحق الاستعمار الفرنسي بهم في بلد اللجوء ، فروا هاربين من ظلم فرنسا، إلى حيث ينشدون السلام والأمن في استانبول ، عاصمة الخلافة الإسلامية آنذاك[9]، حيث أن جميع أفراد عائلة بويراز عادوا إلى تركيا بعد سنة 1909 عدا والدة مترجمنا[10].

1- محمد الصديق الصالح : شخصيات فكرية وأدبية ، ط1، دار الأمة للطباعة والنشر ، الجزائر: 2002 ،ص 319 .
- أنظر أيضا أبو عمران الشيخ وآخرون : معجم مشاهير المغاربة ، ص 483 - رابح خدوسي : موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين ،ص 69.
Barkat Djamila ,et autres : Encyclopédie des savants et des hommes de lettres Algeriens, P165

2- مدني بشير:" أحمد توفيق المدني معلم من معالم المدرسة التاريخية الجزائرية " المدرسة التاريخية الجزائرية ، ط1،وسام براس للإعلام والنشر والإشهار،الجزائر:1998،ص 134.

3- أحمد توفيق المدني : حياة كفاح ، ج1 ، المصدر السابق ، ص 13.

4- مدني بشير : المرجع السابق ص 135 ، أنظر أيضا ، أحمد توفيق المدني ، حياة كفاح ، ج1 ، ص 14 .

5- محمد إسلام المدني: مقابلة شخصية ، مقر إقامته بالأبيار ،العاصمة :2 جويلية 2006 .

6- أكمل الدين أحسن أوغلي :"هذا ما حدثني به المدني صفحات مجهولة من حياة المغفور له أحمد توفيق المدني " مجلة التاريخ ، العدد 18 ، الجزائر :النصف الأول من سنة 1985 ، ص 36 .

7- الجابري محمد الصالح :"رحم الله أحمد توفيق المدني " ، مجلة الحياة الثقافية ،العدد 28-29 ، تونس: 1983 ، ص 03

8-محمد إسلام المدني : مقابلة شخصية ، مقر إقامته بالأبيار،العاصمة: 02 جويلية 2006 .

9-أكمل الدين أحسن أوغلي : المرجع السابق ، ص 36 .

10- محمد إسلام المدني:مقابلة شخصية،مقر إقامته الأبيار،العاصمة:02 جويلية 2006.

وتعد عائلة جده لأمه " عمر بويراز " ، عائلة ثورية، فخاله"محمد بويراز " كان من رجال الثورة الإسلامية الوطنية في تونس أثناء الاحتلال الفرنسي،كما أن خاله " الحبيب بويراز " كان له دور أيضا في الثورة الكمالية مع مصطفى كمال باشا"[1]،فالمدني إذن سليل عائلتين من ابرز العائلات الجزائرية المجاهدة المهاجرة [2].

عاش "أحمد توفيق المدني" في أسرة متكونة من أربعة إخوة:ثلاثة ذكور وهم"الهادي[*]" و" أحسن "،و"محمد علي"، وبنت واحدة تدعى "خديجة"[3].

وقد أورد مترجمنا في مذكراته ، خلفيات تسميته باسم "توفيق"، إذ هو في الأصل " أحمد المدني " ، فذكر أن هذه التسمية أطلقت عليه أيام حرب طرابلس سنة 1911 م ، عندما التقى القائد العام للجيش العثماني بليبيا "فتحي بك"، وهذا في إحدى الجلسات الخاصة أقامها السيد " المختار كاهية " ، حيث استرعى انتباه القائد بحيويته وذكائه رغم صغر سنه فسأله عن اسمه ، ثم دعاه منذ تلك اللحظة فقال له "أنت أحمد توفيق-توفيق"، فشاع الاسم[4] ،واشتهر وعرف به الرجل ، وهذه الأسماء مشهورة لدى الأتراك ، وحسب الكاتب "إحسان حقي" ، فإن الأشخاص الأتراك ، أو من هم من أصل تركي يسمون أولادهم : عثمان ، وأدهم ،ونور الدين ، وتوفيق، ومراد[5].

نشأ مترجمنا وسط جو عائلي إسلامي الروح ، إذ تربى في أسرة كريمة ، ذات أخلاق عالية ،عملت منذ الوهلة الأولى على حسن تربيته ، ومراقبة محيطه ،وقد روى بنفسه في مذكراته قائلا:[6] (كانت الحياة في منزل فخم حياة ناعمة سعيدة...لم أكن ألعب مع الأطفال ، وأنا أسمع من وراء أبواب المنزل لغطهم وصراخهم ، وما يقولونه من بذئ الكلام الذي لم أكن أفقه له معنى وأسأل أمي عنه فتراوغ في الجواب، وتقول لي إياك أن تختلط بهم ... وكانت الأم تجتهد في تعليمي سورا من القرآن ،وبعض الأحاديث

1- أكمل الدين أحسن أوغلي : المرجع السابق ، ص ص 36-37 .
2- أحمد توفيق المدني : حياة كفاح ، ج1 ، المصدر السابق ،ص13.
3- محمد إسلام المدني :مقابلة شخصية، مقر إقامته الأبيار،العاصمة:02 جويلية 2006.
4- أحمد توفيق المدني : حياة كفاح ، ج1 ، المصدر السابق ،ص41.
5-إحسان حقي : الجزائر العربية أرض الكفاح المجيد، ط 1، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان : 1961 ، ص 213.
6- أحمد توفيق المدني : حياة كفاح ، ج1 ، المصدر السابق ، ص ص17-18.
*- الهادي المدني ، قاضيا ، وشاعرا شهيرا بتونس، يعد أحد أعلام الثقافة القومية العربية.

النبوية...وما كان حديثها معي إلا عن الحرام،وهو كل خبيث من القول أو العمل ، والحلال، وهو العمل الصالح الطيب).

فوالدته كانت على جانب معتبر من الثقافة الإسلامية، كما كانت لها عناية بالقرآن والحديث حفظا وفقها ، وقد كانت لا تدخر جهدا في رعاية أولادها، وتربيتهم تربية مثالية تقوم على العقيدة الصحيحة ، والأخلاق الكريمة ، والسلوك الحسن ، حيث كانت حذرة جدا عليهم من مخالطة الوسط الاجتماعي ، وما ينجر عنها من انحراف ، خاصة إذا كان المختلط بهم ممن لا أخلاق لهم[1].

أما والده ، فقد كانت به بقية من كبار علماء الجزائر، وقد درس بالجامع الأعظم "الزيتونة"،وكان يصحبه معه للصلاة، ويحادثه في الحكم والإرشاد ، ويحكي له جرائم الاستعمار بالجزائر[2]،كما نهل من منهل جده "عمر بويراز"،وأخذ من ينابيع ثقافته الدينية والاجتماعية الواسعة[3]،حيث تعلم عنده دروسا في الدين والأخلاق والسيرة النبوية، دون إغفال الحديث عن واقع المسلمين عامة ، ومسلمي تونس والجزائر تحت ظروف الاحتلال الفرنسي،وفي هذا الصدد يقول المدني:[4](كانت دار جدي مدرسة حقيقية ، سامية الأهداف...كنا نحيط به رجالا ونساء وصبيانا، فيلقي علينا كل ليلة دروسا في الدين والأخلاق ، وسيرة النبي (ص) ، ثم يعرج كل يوم على ذكر الاحتلال الفرنسي بالجزائر ومآسيه وفظائعه إلى أن يستفز شعورنا ، وإلى أن تسيل دموعنا ، ويقول لنا كلمة:إن هذه الدموع هي خميرة المستقبل).

وشكل بيت خاله "محمد بويراز" المدرسة التي أنارت فكره ، وأيقظت إحساسه الوطني بما كان يبثه فيه من أفكار حول الحرية ، ورفض حياة الذل والعبودية،والنقمة على المستعمر[5]، وحتى عندما كان خاله " الحبيب بويراز " بالمدرسة العسكرية باستانبول فقد

---

[1]-الصديق محمد الصالح : أعلام من المغرب العربي، ج3 ، موفم للنشر ، الجزائر : 2000، ص 1113 .
[2]-أبو عمران الشيخ وآخرون : معجم مشاهير المغاربة ، المؤسسة الجزائرية للطباعة ، جامعة الجزائر:1995،ص 483 .
[3]-فكري طوناالوثائق العثمانية وأهميتها عند الشيخ أحمد توفيق المدني لتدوين وكتابة التاريخ الجزائري الحديث، " مجلة التاريخ، العدد 18 ،الجزائر: النصف الأول من سنة 1985 ، ص 57 .
[4]- أحمد توفيق المدني : حياة كفاح ، ج1 ،المصدر السابق ، ص21-22
[5]-الصديق محمد الصالح : أعلام من المغرب العربي، المرجع السابق، ص 1113 .

ظل على تواصل دائم بابن أخته ، وشكل أفضل قناة تمد الشاب -المتلهف لمعرفة أخبار الدولة العلية -بالوثائق التي كان مغرما بجمعها لأنها تستجيب إلى ميولاته[1].

وقد اصطدم مترجمنا من جانب آخر بالمستوى الحياتي الراقي في شقه المادي، والمتدني في مستواه الروحي والأخلاقي ، والبعيد عن معاناة وآلام الشعوب الإسلامية المستعمرة ، وهذا في منزل خال أمه ، الذي اعتبره انعكاسا للوسط التونسي[2].

والواقع أن "أحمد توفيق المدني" نشأ وشب في وقت كانت الجروح كلها لم تزل تنزف فمن الطبيعي أن يكون قد رضع وهو بعد طفل في المهد ،قيم الوطنية والثورة والإباء، ومن المعقول أن يكون إحساسه بالمحنة من القوة ، بحيث لا يضاهيه إحساس ، فلقد ولد فيه وعاش من أجله[3] ،حيث أصبح بسبب كل هذه العوامل المذكورة معدا نفسيا ، وروحيا وفكريا ، لخوض المعركة الفكرية ، والتسلح بالأسلحة العقائدية ،والتحصن بحصانة الثقافة الإسلامية ، بالانتساب إلى المدارس الموجودة آنذاك بتونس[4].

وبحلول العام 1915 وأثناء أحداث الحرب العالمية الأولى ، وما صاحبها من أجواء الحصار والمراقبة ،اعتقل "أحمد توفيق المدني" بتهمة التحريض ضد فرنسا ، ليمكث في سجنه حتى نهاية هذه الحرب ليطلق سراحه في أواخر عام 1918، ونتيجة لثوريته ونشاطاته السياسية، وكتاباته الصحفية ،تم إبعاده إلى الجزائر سنة 1925، حيث استقر بمدينة الجزائر العاصمة لدى بنات عمه من عائلة المدني ، وكن متزوجات من عائلتي "الموهوب[*]بن علي"و"بوركايب[**]"،وهما من العائلات المعروفة ذات الأصول التركية[5].

لقد أتم الرجل نصف دينه ، فكان زواجه بطريقة تقليدية ، لعبت عائلته الكبرى (بنات عمه) دورا بارزا في ربطه بقرينته "زكية بنت الزبير بن الأمين"،وهي عائلة

---

[1]-التليلي العجيلي : مذكرات أحمد توفيق المدني على ضوء الوثائق الأرشيفية،اعتقاله سنة 1915 نموذجا " مقال غير منشور ، ص 10.

[2]-- أحمد توفيق المدني: حياة كفاح، ج1 ، المصدر السابق ، ص25.

[3]-محمد الطاهر عدواني :"كلمة التأبين بمناسبة الأربعين "، مجلة التاريخ ، العدد 18 ،الجزائر :النصف الأول من سنة 1985 ، ص 166 .

[4]-فكري طونا : المرجع السابق ، ص 57 .

[5]- محمد إسلام المدني : مقابلة شخصية ، مقر إقامته الأبيار ، العاصمة : 02 جويلية 2006 .

*- عائلة الموهوب : إسمها الأصلي " تشبتشي براهم " حسب محمد إسلام المدني.

**- عائلة بوركايب : لفظ بوركايب تعني الفرسان ، أو راكبي الأحصنة.

مصاهرة لعائلة المدني ، ذات أصول عربية أندلسية،وهناك تعارف بين العائلتين منذ زمن أقيم حفل الزفاف في يوم الثامن من شهر ماي 1929م، عندما تعدى عتبة الثلاثين سنة، وهي تعتبر سنا متأخرة إذا ما قورن بزواج أترابه في ذلك الزمان،ووصف مترجمنا حياته الزوجية بأنها كانت بحرا من السعادة ، ونموذجا للحب والاستقرار،مما كان له عظيم الأثر على نجاحاته ومشاريعه[1].

أثمر هذا الزواج أربعة أبناء: ثلاث بنات وهن "سليمة"،"حسيبة"،و"فيروز"و إبنا وحيدا هو "محمد إسلام"[*]،لا يزالون جميعا على قيد الحياة [2].

ومما يجدر التذكير به أن الشيخ "أحمد توفيق المدني" قد ترك أسرته قسرا، نتيجة إبعاده فكان وحيدا بالجزائر،وقد ذكر في مذكراته بأن كان يعيش عيش اللاجئين في العام الأول والثاني لإبعاده،فقد حرم أجواء الحياة العائلية،وكان يتحتم عليه تدبر أموره المادية، والتي اعتمدت أساسا على ما يتقاضاه شهريا من جريدة النجاح" مقابل تحرير المقالات في السياسة الخارجية ممضاة باسم "الخبير"،هذا علاوة على بعض الإعانات الممنوحة له من الحزب الدستوري ، وكذا من والده ، والتي قدر مجموعها ما لا يتعدى الألفي فرنك قديم ، غطى بها بعضا من الديون المترتبة عليه[3].

ولقد ولج مترجمنا عالم التجارة لتغطية حاجاته من خلال فتحه لدكان بقلب العاصمة الجزائر بشارع بوتان رقم 04،دعاه"المستودع التونسي"خصصه لعرض وبيع البضائع التونسية كالشاشية،وتم ذلك باقتراح من صديقين تونسيين هما:"الطاهر المنستيري"و"الصادق المنستيري"،وبقي يزاول النشاط به لمدة سنتين[4].

1- أحمد توفيق المدني: حياة كفاح،ج1، المصدر السابق ،ص ص 143-148.
2- محمد إسلام المدني: مقابلة شخصية ،مقر إقامته الابيار،العاصمة: 02 جويلية 2006.
3- أحمد توفيق المدني: حياة كفاح ،ج1، المصدر السابق ، ص 98.
4- المصدر نفسه، ص 99.

*- محمد إسلام المدنيحدثنا، هو الابن الذكر الوحيد للمرحوم الشيخ أ حمد توفيق المدني، ولد في 19 فيفري 1930 بالعاصمة،وسط أجواء الاحتفالات المئوية الفرنسية ،فأطلق عليه والده اسم "محمد إسلام" تأكيدا لهويته العربية الإسلامية عرف عن قرب رواد الحركة الإصلاحية ،خلال تنقلاته مع أبيه وله حكاياتمشوقة عن الميلي، والطيب العقبي وغ يرهم، وبعد استعادة السيادة الوطنية اشتغل مع والده بوزارة الأوقاف كمدير للإدارة المركزية لمدة عامين،،ثم انتقل إلى وزارة الصحة حيث كان مديرا عاما مكلفا بالمساعدة العامة والسكان على عهد الوزير "تيجاني هدام" ،حاليا متقاعد يتمتع بصحة جيدة وذاكرة قوية (مارس 2007).

وفي شهر أفريل 1928 ، اقترح عليه السيد "عمر الموهوب" صاحب متجر الدخان الشهير بالعاصمة،أن يتولى إدارة مكتبه الواقع بشارع "لاليير"،حيث إستقر به إلى غاية انتدابه من طرف جبهة التحرير الوطني أثناء الثورة للالتحاق بوفدها في القاهرة سنة 1956[1].

والحقيقة أن ظروف الإبعاد،والصعوبات المادية ، ومفارقة الأهل، لم تكن عوائق في وجه إبداعه الفكري والثقافي ،ونشاطه السياسي،بل أعطته دفعا قويا للإنتاج والتأليف و إكتساح المنابر.

[1]- أحمد توفيق المدني: حياة كفاح ،ج1، المصدر السابق ، ص ص 142-143.

المبحث الثاني:تعلمه.

كانت عائلة المدني كغيرها من العائلات العربية الإسلامية،تقوم بتوجيه أبنائها منذ نعومة أظافرهم إلى التعليم القرآني ، ولذلك وعند بلوغه سن الخامسة من عمره، أدخله والده إلى الكتاب (المدرسة القرآنية)،ويصف الشيخ "أحمد توفيق المدني" لحظة الدخول الأولى قائلا:[1](ذهب بي الوالد يوما إلى الكتاب ، وقد بلغت الخامسة ، فهش له المؤدب وبش،وقام له تحية إجلال وتقدير، والصبيان ينظرون مندهشين...أما أنا فقد تركز نظري على ما لست أنساه:مجموعة كبيرة من العصي مخصصة للتأديب).

فتعلم القراءة والكتابة والقرآن،وهيئ تهيئا حسنا للدخول إلى المدرسة القرآنية الأهلية[2]،والتي كانت أول خطوة خطاها في مشواره التعليمي،حيث التحق بها سنة 1909 وقد بلغ سن العاشرة[3]،وكان يشرف على تسيير شؤون هذه المدرسة الشيخ "محمد صفر"،فتلقى على شيوخها مبادئ اللغة العربية،وعلوم الدين والحساب،والكيمياء، والعلوم الطبيعية،ومبادئ اللغة الفرنسية[4].

ويذكر مترجمنا أن هذه المدرسة كانت فسيحة ومنظمة ،بها ما يناهز ثلاثمائة تلميذ وأنه كان في الصف الرابع منها،وسرعان ما استقطب أنظار زملائه لنبوغه وذكائه، وشجاعته الأدبية،حيث كانوا يلتفون من حوله مشكلين حلقة يستمعون ويستمتعون بأحاديثه[5].

لقد كان يروي لزملائه،ما اختزنته ذاكرته من أحاديث أبيه ، جده ، خاله ، عن وجوب العمل للنهوض من حياة الذل والهوان والتخلف،التي كانت تعم مختلف الميادين ، والعمل على تقويم الأخلاق ، والسعي لجمع كلمة المسلمين ، فهو رغم صغر سنه ، كان يتصفح مجلة "العروة الوثقى "التي أصدرها بباريس"جمال الدين الأفغاني" و"محمد عبده " عام 1884،وكذا مجلتي "المؤيد" و"اللواء" لسان الحزب الوطني المصري، والتي كان

1- أحمد توفيق المدني: حياة كفاح ،ج1، المصدر السابق ، ص 18.
2-محمد الحسن فضلاء: من أعلام الإصلاح في الجزائر ،المرجع السابق ،ص 96.
3-محمد بوذينة: مشاهير التونسيين ،ط2،دار سيراس للنشر، تونس: 1992، ص 114.
4-أبو عمران الشيخ وآخرون : المرجع السابق ، ص .483.
5- أحمد توفيق المدني: حياة كفاح ،ج1، المصدر السابق ، ص 28.

خاله" محمد بويراز" يتصفحها للاستزادة في ثقافته،ومعرفة آخر الأخبار التي يشهدها العالم الإسلامي،الواقع تحت سيطرة القوى الاستعمارية الأوروبية آنذاك[1].

وبحلول عام 1913م أنهى "أحمد توفيق المدني" دراسته بالمدرسة القرآنية الأهلية ، فخرج منها متشبعا بعلوم شتى ومختلفة على يد خيرة الأساتذة والشيوخ[2]، وقد كان خطيب هذه المدرسة ، وكاتبها البارز بتوجيه من أستاذه " الشاذلي المورالي"، فأخذ يخطب ويكتب مواضيع يضمنها أفكاره عن حالة الوطن، وعن واقع الإسلام والمسلمين في كافة أنحاء العالم الإسلامي[3].

وفي السنة نفسها التحق بجامع الزيتونة (الجامع الأعظم)،وعن حياته الدراسية والمنهاج الذي اتبعه يروي لنا ذلك قائلا: [4](أما بجامع الزيتونة ، فقد اخترت لنفسي منهاج دراسة خاصا بي لا أتقيد بصف،ولا أشارك في امتحان، كما أطلب العلم لأجل العلم لا لأجل المنصب،فاخترت لنفسي دروسا على أجلة الأساتذة،كالشيخ "النخلي" في التفسير والشيخ "محمد بن يوسف" في البلاغة ،والشيخ "الصادق النيفر "في الفقه،والشيخ" محمد بن القاضي " في النحو والصرف ، والشيخ "محمد بن شعبان " في المنطق والفلسفة، والشيخ "معاوية التميمي " في آداب اللغة العربية).

وقد كان المدني يلازم الدروس عشر ساعات كل يوم دون انقطاع ، تبتدئ بعد صلاة الصبح وتنتهي بعد أداء صلاة العشاء،مع ما يتخلل ذلك من حفظ لمختلف المتون ، كلامية الأفعال ،السلم ، الدرة ، الألفية،وغيرها[5]

كما انتسب إلى المدرسة الخلدونية لتلقي الرياضيات والتاريخ ، والعلوم العصرية[6]، وهي تعد تكميلية للدراسة الزيتونية ،وفي هذه المدرسة تقيد المدني بمنهاج دراسي دقيق ومن أبرز ما نهله بها ، مادة التاريخ على يد الأستاذ الجليل،"حسن حسني عبد الوهاب" المؤرخ الشهير،الذي أخذ عنه الحكمة ، وفصل الخطاب أيضا ، وما لبث أن قويت

---

[1]-الصديق محمد الصالح: ،شخصيات فكرية وأدبية ، المرجع السابق ،ص 319.
[2]- أحمد توفيق المدني: حياة كفاح ،ج1، المصدر السابق ، ص 61.
[3]-محمد بوذينة :المرجع السابق ، ص 114.
[4]- أحمد توفيق المدني: حياة كفاح ،ج1، المصدر السابق ، ص ص 62-63.
[5]-فكري طونا :المرجع السابق ، ص 58.
[6]-محمد الحسن فضلاء: المرجع السابق ،ص 97.

الروابط بينهما،ليقوم الأستاذ بإهداء مجموعة كتبه إلى تلميذه[1]، وقد تأثر كثيرا به ، ويبدو ذلك جليا في التوجه التاريخي لحياته العلمية ،ومما يمكن التنويه به أن كليهما قد وفق لعضوية مجمع اللغة العربية[2].

لقد كان الرجل شغوفا بالمطالعة ، فصار يستعير الكتب لقاء أجر زهيد ، حيث أن سوق الروايات الكبيرة كان يومئذ في رواج،واشتهر الشيخ "علي بو غدير " بدكانه المخصص لبيع وكراء الكتب ، فيأخذ المدني رواية لمدة ثلاثة أيام مقابل دفع 10 سنتيمات واستطاع أن يستثمر وقت فراغه في مطالعة الروايات المعربة عن كبار المؤلفين الأوربيين أمثال "وليام شكسبير" و "ميشال زيفاكو"، وهو ما فتح له نافذة اطلع من خلالها على تفكير العالم الغربي[3].

ولعل أبرز مظاهر الإرادة القوية،والرغبة الجامحة في نهل المعارف ، أن جعل المدني من سنوات سجنه مدرسة طور خلالها ثقافته،وطالع شتى الكتب العلمية، والأدبية والدينية التي وفرها له أصدقاؤه وأهله ، حيث لم يستسلم لرغبة المستعمر في تحطيمه منذ الصغر [4].

وبعد إطلاق سراحه من السجن عام 1918 ، رجع إلى ميدان الدراسة ، فواصلها من جديد بالزيتونة[5] ،لكنه انقطع قبل الوصول إلى نهايتها ، وأخذ الشهادة العالمية من الجامع المعمور،وهذا لانضمامه إلى حركة الكفاح السياسي عقب تأسيس الحزب الدستوري الحر.

---

[1]-محمد بلقراد:" الأستاذ الشيخ أحمد توفيق المدني 1899-1983 لمحات من حياته وأعماله" مجلة التاريخ :العدد 18 الجزائر: النصف الأول من سنة 1985 ، ص 79.
[2]-محمد الطاهر عدواني: المرجع السابق ، ص 167.
[3]- أحمد توفيق المدني: حياة كفاح ،ج1، المصدر السابق ، ص 63-64،أنظر أيضا محمد بلقراد ، المرجع السابق ، ص 80.
[4]-محمد لحسن فضلاء:المرجع السابق ، ص 97.
[5]-فاطمة تازير ،فضيلة نكور:"أحمد توفيق المدني 1899-1983"، مجلة التاريخ ، العدد 18، الجزائر: النصف الأول من سنة 1985، ص 07.

وقد كان موقف الشيخ "حمودة المنستيري" من أمر هذا الانقطاع والتوجه الجديد مطابقا للواقع عندما خاطبه قائلا[1]:(أظن أن أمدها قد انتهى،وفي ساعة كفاح كهذا الكفاح الذي نباشره اليوم تموت غاية الذات ،ولا تعيش إلا غاية الوطن).

والواقع ، وحسب الدكتور " فكري طونا " فإن أي انتقاد ، أو لوم "لأحمد توفيق المدني" على تصرفه هذا بانقطاعه عن الدراسة ، لا يكون في محله ، عندما ننظر إلى الأمور نظرة موضوعية من خلال الظروف والأحداث التي أجبرته على اتخاذ مثل هذا القرار الخطير[2].

ويخلص الدكتور" عمر بن قينة " إلى أن الرجل قد جنح إلى تكوين نفسه بنفسه ، فكان موهبة فذة تكونت ثقافيا بعصامية نادرة ، ثم دخل معترك الحياة الفكرية ، والأدبية من باب السياسة . وشرع في فترة مبكرة يشترك في النشاط السياسي بتونس[3].

1- فكري طونا: المرجع السابق ، ص 59.

2- نفس المكان.

3- عمر بن قينة: "أحمد توفيق المدني المفكر والكاتب المنسي" موقع:
wu – dam .org /book /00/study 00/283-a-k/ind –book 00-sd001-htm. WWW.a

المبحث الثالث : إسهاماته الأول في الفكر والسياسة:

لقد فرض "أحمد توفيق المدني" نفسه على الساحتين الإعلامية والسياسية ، فهو من الشخصيات التي أثرت على مسار الصحافة التونسية ، إلى جانب تأثيرها على الحياة السياسية،حيث ظهر نبوغه منذ نعومة أظافره ، إذ فاق ببعد نظره ، واستقامة فكره أقرانه في المدرسة،واشتهر بالذكاء ، والسلوك الحسن ، مع التمسك بالمبادئ ، وهو ما مكنه من أن يحظى بمنزلة من المحبة والإكبار والتقدير من طرف رفاقه ، وأساتذته .

-أولا : الإسهامات الفكرية :

إن المتتبع للنشاط الفكري "لأحمد توفيق المدني" في مراحل حياته الأولى بتونس، يلحظ بلا شك ذلك التنوع وتلك التجربة الثرية،ما بين العمل الصحفي ، وحركة التأليف والمشاركة في بعث منتديات العلم والفكر.

-النشاط الصحفي : كانت البداية الصحفية لمترجمنا بمطالعته الصحف التونسية في سن العاشرة من عمره ، حيث طالع أعداد "العروة الوثقى[*]" ،و "المؤيد"، و"اللواء" ، وهي تعد اللسان الناطق بتوجهات الحزب الوطني المصري،وهذا في بيئته الأسرية الضيقة على مستوى دار خاله "محمد بويراز"، فكان يتفوق على زملائه بالمدرسة،الذين كانت أكثريتهم تلهج باسمه ، وتردد خصاله، وتتجمع من حوله تستمع إلى أحاديثه عن القضايا السياسية وحال الوطن[1].

وعلى مستوى المدرسة القرآنية الأهلية،فقد كان إلى جانب الاهتمام بالدراسة يقوم رفقة زملائه بتبادل الصحف التونسية،التي كانت تنمو فيها الروح الوطنية الإسلامية مثل صحف "الراشدية "،و"المرشد"،و"المنبر"و"التونسي"،و"الاتحاد الإسلامي" إلى جانب ما تيسر الحصول عليه من صحف مصرية ، وتفاديا للسقوط في المشكل المادي ، تم تبني طريقة تداول الصحف[2].

---

[1]- أحمد توفيق المدني: حياة كفاح ،ج1، المصدر السابق ، ص ص 24-28

[2]-المصدر نفسه ، ص 29.

*-العروة الوثقى: أسسها جمال الدين الافغاني ، ورأس تحريرها محمد عبده، صدر عددها الاول بتاريخ 13 مارس 1884 في باريس ،بلغت جملة أعدادها 18، أعتبرت أول شرارة لإلهاب الشعور بالكراهية للحكم الاجنبي.

والحقيقة أن هذه المرحلة كانت غنية بالنشاط العلمي والفكري ، فقد شهدت ميلاد المدرسة الخلدونية ، وازدهار الصادقية ، وإصلاحات جامع الزيتونة المعمور[1].

لقد كان المدني كثير النشاط في المجال الفكري والثقافي ، فقد كان يراسل جريدة "الفاروق"[*] منذ عام 1914 ، حيث كتب عدة موضوعات انتقادية في جريد الفاروق بوساطة "حسين الجزيري"[**] الذي توطدت علاقته به ، وهو المعروف بعدائه لفرنسا، كما قام بإلصاق منشورات معادية للحلفاء على أبواب المسجد الكبير بتونس وأناشيد "الشاذلي خزندار"[2].

إن علاقته بالتحرير ترجع إلى سن مبكرة ،إذ حرر مقالات أسبوعية بجريدة"الفاروق" وهو في السادسة عشرة من العمر ، بلغت خمسة مقالات ، وهي تعتبر باكورة الجهاد الإجتماعي والسياسي،إذ ضمنها آراءه وأفكاره،حيث كتب مقاله الأول بعنوان"الإدمان أول وزير للموت" صدر في شهر نوفمبر 1914 ، ثم أتبعه بالمقال الثاني " دعوة إلى الواجب أو المرأة التونسية والتعليم " نشر في 04 ديسمبر 1914 ، أما المقال الثالث فكان بتاريخ 18 ديسمبر من السنة نفسها وجاء بعنوان " بين لجج الهواجس " وهو مقال سياسي،في حين صدر مقاله الرابع في 27 ديسمبر 1914 وحمل عنوان " كيف ننقذ وطننا؟"[3].

ويصف المدني بدايته الصحفية بالجريدة المذكورة قائلا[4]:**(وهكذا إبتدأت حياتي الصحفية المبكرة ، وقد لازمتني ستين سنة ، ولا أنسى ما اعتراني من نشوة ، وما وجدته في نفسي من اعتزاز ، عندما جاءنا " الفاروق " في نوفمبر 1914 يحمل بين طياته ذلك المقال، وكنت أنظر إلى اسمي مطبوعا تحت مقالي كأنني ملكت الدنيا وما فيها).**

1-أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي،ج7،المرجع السابق ، ص 418.
2-خير الدين شترة : المرجع السابق ،ص 67.
3- أحمد توفيق المدني: حياة كفاح ،ج1، المصدر السابق ، ص ص 77-79.
4- المصدر نفسه ، ص 69.
*-جريدة الفاروق (1913-1915) جريدة أسبوعية أصدرها عمر بن قدور الجزائري في 18 فبراير 1913 ،وتعد أول جريدة وطنية ترتقي إلى مصاف الجرائد العربية، وكانت اسلامية وطنية محضة ، صدر منها 95 عددا للمزيد أنظر محمد ناصر : الصحف العربية الجزائرية 1847 إلى 1939 .
**-حسين الجزيري (1893-1974) : صحفي وكاتب تونسي درس بالزيتونة ،أصدر سنة 1921 جريدة النديم الأسبوعية له مؤلف (تنبيه الغلام إلى شيم الكرام) ،وله ديوان شعر.

اهتم الشيخ "توفيق المدني"بالكتابة الصحفية ، التي كانت تعنى بقضايا أمته العربية الإسلامية إذ تولى الكتابة،والدفاع والمساندة لكل من قضايا مصر وسوريا وتركيا -وبفضل وقع مقالاته المتصفة بالحماسة الملتهبة- تعرضت الكثير من الجرائد إلى الغلق وتعطيل عملها،إضافة إلى الرقابة العامة، والإجراءات القمعية خلال الحرب العالمية الأولى "1914-1918"[1].

إن الطريق الصحفي الذي اختاره المدني ، كان يهدف إلى نهضة الأمة ، وشحذ هممها للثورة على الأوضاع المزرية التي كانت تعيشها ،وقد التحق الرجل بركب الصحافة التونسية التي استأنفت نشاطها بعد رفع الحظر عنها في فاتح نوفمبر 1920 ، وحينها ازدانت الحياة والآفاق الفكرية والسياسية والأدبية بتونس[2].

وهكذا عادت صحف مثل"، المشير " و"الصواب " ، وعددا كبيرا من الصحف الجديدة والمجلات الراقية "كالفجر"و"البدر"و"المجلة الصادقية"،إلى جانب صحف "الوزير" "النديم"،و"الأمة "،و"العصر الجديد "،"الاتحاد " و"الإرادة "و"إفريقيا "، وغيرها من الصحف التي نشر بها المدني إنتاجه المتعدد الأنماط والفنون ، من شعر ومقالات أدبية وسياسية[3] إختار لها إسم "المنصور"إمضاء مستعارا ، حتى لا يظهر اسمه لدى السلطات الفرنسية التي كانت تتبع حركاته ونشاطه،وتراقبه حتى لا تترك له الفرصة ، ولأمثاله لتقويض دعائم وأسس هذا الكيان الاستعماري الجاثم على صدر هذه الأمة الحرة.

وبعد بروز هذه الصحف العديدة المختلفة المشارب،والتي كانت الوطنية منها في حاجة إلى مقالات الشيخ "أحمد توفيق المدني" الملتهبة،والمتقدة حماسا ، وذودا عن كرامة الوطن السليب ، إتخذ" المنصور "منها منابر يصب عبرها جام غضبه على إدارة الحماية، وأعوانها من المتخاذلين،وأذنابها ، فتجاوزت شهرته وطنه الأصغر إلى العالمين العربي و الإسلامي[4].

1- أحمد توفيق المدني: حياة كفاح ،ج1، المصدر السابق ، ص 164.

2-الجابري محمد الصالح: لنشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962،الدار العربية للكتاب ،الشركة الوطنية للنشر ،الجزائر: 1983، ص 192.

3- نفس المكان .

4-ابن ققصية :عمر،أضواء على الصحافة التونسية 1860-1970 ،دار بوسلامة للطباعة والنشر، تونس: 1972، ص 128.

وبعد الحرب العالمية الأولى، وسعي الثعالبي بباريس لإطلاق الحريات موفدا من الأمة التونسية ، وهي المساعي التي أثمرت فك الصحافة من عقالها ، حيث رفع المقيم العام الجديد "فلاندان" الحجر على الصحافة العربية التونسية ، فعادت الجرائد القديمة إلى الصدور،كما ظهرت صحف جديدة منها السياسة ،و الفكاهية والأدبية،انحازت كلها تقريبا إلى صف المعارضة المتمثل حينذاك في الأستاذ عبد العزيز الثعالبي[*].

ومن بين الصحف التي كان يكتب فيها المدني جريدة "الأمة التونسية،"لصاحبها" الحاج علي بن مصطفى"،حيث تولى تحرير القسمين السياسي والخارجي بها[1].

لقد كانت أولى المبادرات الصحفية للمدني بعد الحرب العالمية الأولى،هي تعريبه لمقال باللغة الفرنسية ،أصدرته المجلة البرلمانية الفرنسية ، وهو مقتبس من كتاب "تونس الشهيدة"، وتولى "الطيب بن عيسى" نشر المقال المعرب في جريدته "المشير"،وكان بعنوان:"الحرية والعدالة والمساواة و إلا الموت كتاب مفتوح إلى كل مناهض للحرية ساع في خنقها"، فتولت السلطة تعطيلها بقرار مؤرخ في 22 مارس 1920.

هذا وقد كثف مترجمنا نشاطه الصحفي لاسيما بعد انخراطه في الحزب الدستوري، حيث أشرف على التحرير والشؤون الإدارية لمجلة "الفجر"،التي أصدرها الحزب الدستوري منذ أوت 1920 وحتى شهر ديسمبر 1921 ، فكان مقر المجلة في نهج أنجلترا مركز اجتماع لقادة الحزب ،وساهمت هذه الدورية في توفير الموارد المالية للحزب ، إلى جانب رسالتها الوطنية في توعية التونسيين[2].

وفي إطار اللجنة التنفيذية للحزب الدستوري ،تكونت لجنة تحرير تقوم بإعداد المقالات الصحفية الوطنية،ونشرها في الصحف الأسبوعية الموالية للحزب،فكان "أحمد توفيق المدني"عضوا في هذه اللجنة ، وساهم بالتالي بمقالاته في جرائد"الأمة "و"الاتحاد"و"العصر الجديد "و"الوزير"و"الصواب "و"إفريقيا"،وعمل من خلال هذه المقالات،

---

[1]-خير الدين شترة: المرجع السابق ، ص ص 124-125.

[2]-محمد حمدان: أعلام الإعلام في تونس، ط1، ش. ت. ف.ر،1991، ص 112.

*-عبد العزيز الثعالبي : (1874-1944): رجل سياسي ومفكر إسلامي تونسي من أصل جزائري ،تنتمي أسرته إلى العلامة عبد الرحمن الثعالبي ،تزعم المقاومة السياسية بتونس ،نشر كتابه الشهير (تونس الشهيدة) باللغة الفرنسية إنتقد فيه بشدة السياسة الاستعمارية ،أسس الحزب الدستوري الحر سنة 1920 ،اعتقلته السلطات الفرنسية ثم غادر تونس سنة 1923 وتجول في المشرق والهند وأندونيسيا وشارك في مؤتمر القدس سنة 1930 .

على فضح نوايا فرنسا التي لم تعمل على تمدين تونس،بل عملت على استغلالها وإلحاقها بممتلكاتها،ودافع عن الخلافة الإسلامية في تركيا،وعلى "سعد زغلول" في مصر ،وعلى مختلف حركات التحرر كما استمات في الدفاع عن حرية الصحافة ، فشن حملة على السلطة عند تعطيلها جريدة " العصر الجديد" عام 1924[1].

ولقد نجح المدني أيضا في تولي رئاسة التحرير في جريدة " الزهرة " اليومية منذ سنة 1924 ،فكتب فصولا حادة عن محاولة الاستيلاء الفرنسي على الأوقاف،وعن حركة التجنيس، وعن المظاهرات النقابية وساهم في الدفاع عن حركة "محمد علي" النقابية ،وفي تقريب هذه الحركة من الحزب الدستوري ،وكان يحرر في هذه الجريدة مقالا يوميا عن السياسة الخارجية يساند فيه حركة التحرير العالمية[2].

والظاهر أن المدني كان يركز اهتماماته على تحرير المقال السياسي ، إن لم نقل قد تخصص في هذا الفن الصحفي ،ويقول "محمد الفاضل بن عاشور[3]:(فإن النثر السياسي الذي يمثله المقال الصحفي،قد تميز بانسجام أغراض هذا المقال مع التوجيه السياسي، حيث كانت المفردات ذات الرنة السياسية المثيرة للتعلق أو المقت ، ونستطيع أن نحصر البارزين الممتازين في هذا النوع من الكتابة الإعلامية،في ستة وهم:"سليمان الجادوي"، "محمد بن الحسين" و"أحمد توفيق المدني" و"محمد المنصف المنستيري "و"محمد محيي الدين القليبي[*]" و"محمد المهدي بن الناصر).

ولقد مثل المدني عنصر الشباب ، ذي المعارف الغربية الواسعة ،والثقافة العربية المتينة،وبرزت قيمته الإنشائية في المقالات التي ينشرها بالصحف بإمضائه المستعار" المنصور"، وهي مقالات تسودها القوة المنطقية ، مع الحماس الخطابي ، ويزينها التعبير المتين،السهل الممتنع المتحري دقة الاستعمال اللغوي ، وكشفت مقالته في منهجها ،

1- محمد حمدان : المرجع السابق ، ص ص 112-113.

2- المرجع نفسه: ص 113.

3- محمد الفاضل بن عاشور: المصدر السابق، ص ص 145-147.

*-محمد محيي الدين القليبي (1899-1954) :من رموز الحركة الوطنية والنضال السياسي والإعلامي بالمغرب العربي خلف الثعالبي بعد رحيله إلى المشرق في إدارة الحزب الدستوري الحر ،سجن في أزمة 1934 ،زار الجزائر في الثلاثينيات وتوفي بدمشق

ومادتها عن أسلوبه العلمي وثقافته الفكرية ، فرفع ذلك قدرة بين أهل العلم والفكر ، ممن لا ينتمي إلى وسطه السياسي[1].

والواقع أن الشيخ "توفيق المدني" قد نشط ثقافيا في محيط كان الصراع اللغوي فيه يختلف عنه في الجزائر، فقد كانت النخبة التونسية غالبا مزدوجة اللغة ،وإن كانت واحدية اللغة ، فإنها لم تكن منغلقة على نفسها ، وقد أدى الصراع اللغوي في تونس إلى انفتاح سياسي ،وكان ذلك في عدة اتجاهات ،وطني محلي،وطني عثماني ،وطني متفرنس[2].

ولئن كان "أحمد توفيق المدني" كشخصية إعلامية بارزة، لم تتحمل المسؤوليات في إدارة الصحف ،ولم تتحصل على امتياز إصدارها، إلا أنها قد فرضت نفسها على الساحة الصحفية ،وتواجدت مقالاتها في أغلب الصحف ، تدفعها جملة من الأسباب،تتعلق بالارتزاق، والدفاع عن القضايا السياسية أو الدينية ،أو الثقافية[3].

والحقيقة أن مترجمنا وإثر إطلاق سراحه من السجن ، قد ولج ميادين متنوعة ، فإلى جانب نضاله السياسي ضمن الحزب الدستوري،ونشاطه الصحفي بمقالاته العديدة،وخطبه بالنوادي، قد افتتح باب التأليف والنشر،فكان أول عمل أصدره "رسالة تونس إزاء جمعية الأمم" وضعها دفاعا عن حق تونس في عضوية جمعية الأمم ، كما كتب "رسالة الحرية ثمرة الجهاد أو تاريخ كفاح إيرلندا"،التي لقيت رواجا ، وأعاد نشرها بصحيفة "المشير" التونسية[4].

لقد جذبته ناحية نبوغه العلمي إلى النشر الثقافي و الأدبي، فأصدر سنة 1922 تقويما سنويا سماه "تقويم المنصور"، وقد تابع إصداره خمس سنين ثابتا على ما لقي من المقاومة الحكومية[5].

1- محمد الفاضل بن عاشور : المصدر السابق ، ص149.
2- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ،ج7، المرجع السابق ، ص 418.
3- محمد حمدان : المرجع السابق ، ص 111.
4- مدني بشير: المرجع السابق ، ص 137.
5- محمد الفاضل بن عاشور : المصدرالسابق ، ص 149.

جمع في هذا التقويم الذي يشبه المجلة البحوث العلمية والجغرافية والتاريخية، والمقالات الأدبية والتاريخية والسياسية، وأصدر تقاويم أخرى بالعنوان نفسه سنوات 1923-1924 ، في حين أصدر المجلدين الرابع والخامس من تقويماته في الجزائر.

وقد كان لهذا المؤلف صداه الطيب،إذ أن جريدة " المنصور" الهندية الأسبوعية، كانت تترجم له ، وتنشر مقالات المدني في تقويمه[1].

وعن ظروف الإصدار ومحتوى المجلد يقول الشيخ "توفيق المدني":[2](عزمت على اقتحام باب التأليف بصفة منظمة متوالية هادفة،فأخرجت سنة 1922 كتابي الأول "تقويم المنصور" في ثلاثمائة وعشرين صفحة، وكان يشمل أبوابا شتى في العلوم والفنون والآداب والسياسة، والتاريخ والجغرافيا،وابتكرت طريقة الإعلان،وطلب الاشتراك من الجمهور نظرا لضيق ذات اليد، فما مر إلا شهر واحد حتى تهافتت علي الاشتراكات من تونس والجزائر والمغرب).

تأسيس المجمع العلمي التونسي:

من أجل النهوض بالواقع العلمي بتونس ، شارك "أحمد توفيق المدني" بمقر نادي قدماء الصادقية رفقة عدد من المناضلين التونسيين في تأسيس "المجمع العلمي التونسي "الذي يهدف إلى إعادة الأمجاد العلمية التونسية[3]حيث شكلت لجنة ضمت زيادة على مترجمنا، مجموعة من أقطاب الفكر وهم "عثمان الكعاك"[*]،"زين العابدين السنوسي"،"الطاهر صفر" "محمد بن حسين"حيث تكفلت بإعداد قانونه الأساسي،وقد لعب توفيق المدني دورا رائدا في إعداده وإخراجه ، وهذه اللجنة التأسيسية ،اختارت مكتبا لإدارة المجمع ضم ثلاثة شخصيات وهم: "زين العابدين السنوسي" و"أحمد توفيق المدني "و"عثمان الكعاك"

1-محمد حمدان : المرجع السابق ، ص 111.
2-أحمد توفيق المدني :حياة كفاح،ج1المصدر السابق ،ص 321.
3- مدني بشير : المرجع السابق ، ص 137
*-عثمان الكعاك:(1903-1976) من ابرز رجالات الفكر في المغرب العربي،عرف كموسوعي بذاكرته العجيبة ،إتقانه للعديد من اللغات ،ترك عددا من المؤلفات منها:-تاريخ المسرح التونسي -الحضارة العربية في حوض البحر المتوسط.

لقد قدم القانون الأساسي للحكومة ، بغرض الموافقة عليه ، فأرسلت نسخة منه إلى الوزير الأكبر للدولة التونسية ،و إلى وكيل الجمهورية العام ، والمراقب المدني بتونس ، وذلك يوم 15 ماي 1924 ، غير أن أمد الانتظار قد طال ، ولم تتصل لجنة المجمع بالمصادقة الحكومية إلى غاية إبعاد الشيخ "توفيق المدني" إلى الجزائر،فركد المشروع[1]ولم يتحقق بعد ذلك.

لقد كان الهدف من تأسيس هذا المجمع يتمثل في:

-التطوير العلمي للغة العربية،بإيجاد الألفاظ العلمية،والتعليمية التي تحتاجها.

-البحث عن آثار التونسيين العلمية والفنية.

-تعميم التعليم وتنشيطه[2].

تأسيس الرابطة القلمية.

وفي إطار المساعي الرامية إلى ترقية النشاط الإعلامي ، وتنظيمه ، سعى المدني إلى جمع الكتاب والصحفيين في إطار تنظيمي باسم "الرابطة القلمية " سنة 1924 .وهذا للدفاع عن حرية القلم والفكر ، ولخدمة الحركة العلمية في تونس .

وكان المدني كاتبا عاما للرابطة ،"ومحي الدين القليبي " و"عثمان الكعاك " كاتبين لها و" زين العابدين السنوسي" أمينا للمال .

وتعد هذه الرابطة ،أولى المحاولات التنظيمية لربط اللحمة بين الكتاب والصحفيين، إلا أنها لم تعمر طويلا،بعد صدور الأمر الفرنسي القاضي بإبعاد أبرز نشطائها "أحمد توفيق المدني" سنة 1925[3] .

وضعت الرابطة مجموعة مبادئ يستوجب احترامها :

---

[1]- أحمد توفيق المدني : حياة كفاح ، ج1 ، المصدر السابق ، ص ص 329 -331

[2]- خير الدين شترة: المرجع السابق ، ص 147 .

[3]- محمد حمدان : المرجع السابق ، ص 113 .

-التزام الكتاب والمفكرين بتوجيه الأقلام إلى خدمة الحركة القومية ، ورفع المستوى العلمي والاجتماعي للشعب.

-التزام الكتاب والمفكرين بالابتعاد عن خدمة الأغراض الشخصية.

-التزام الجميع بالدفاع عن حرية القلم والفكر[1].

-العمل المسرحي:

كان للشيخ "أحمد توفيق المدني" اهتمامات بالجوانب الفنية ،ولا سيما الفن الرابع ،إذ نشط الرجل في ميدان العمل المسرحي ،حيث ترأس فرقة السعادة ، التي تأسست في العام 1924 م وضمت تركيبتها شبابا ينتمون إلى الحزب الدستوري الحر ، وقد تولى إدارتها الممثل " عبد المجيد الأرناؤوط"[2].

إن بروز هذه الفرقة يعكس تبلور المسرح السياسي في الحياة التونسية ، حيث كانت مواضيعها تحارب الاستبداد الاستعماري،ووجود المحتل في البلاد ، وقد مثلت العديد من المسرحيات عبر أنحاء المدن التونسية،وخصوصا العاصمة تونس،ومن أشهر عروضها "نكبة الأندلس"ورواية " صلاح الدين" ورواية "طارق بن زياد "التي منعت عرضها السلطات الاستعمارية الفرنسية[3]، لما تضمنه من أفكار تمجد الحرية،وترفض العبودية والاستسلام.

والحق أن الإنتاجات المتنوعة لهذه الفرقة قد لقيت تجاوبا شعبيا ورواجا كبيرا لدى فئات واسعة في المجتمع التونسي ،الأمر الذي دفع سلطات الحماية إلى ضربها في الصميم عندما قامت بنفي رئيسها المدني إلى الجزائر عام 1925 م [4] .

---

[1]-أحمد توفيق المدني: حياة كفاح ، ج 1 ، المصدر السابق ، ص 331 .
[2]- المصدر نفسه ، ص 333.
[3]-مدني بشير: المرجع السابق ، ص 137 .
[4]موقع : w ww .s q u .edn .om/stu/tht/history. -

ثانيا :الإسهامات السياسية :

لقد تميزت الأجواء السياسية التي ناضل خلالها "أحمد توفيق المدني"،بعدة أحداث على المستويين التونسي،والعربي الإسلامي ، وعلى الساحة الدولية،يتصدرها التغيرات السياسية الحاصلة بالسلطة العثمانية سنة 1909 ،عندما أطيح بالسلطان"عبد الحميد الثاني"، والاحتلال الفرنسي لمدينة فاس المغربية في شهر ماي 1911 م ، والغزو الإيطالي لليبيا في شهر سبتمبر من السنة نفسها،هذا فضلا عن الأحداث الداخلية التي عاشتها تونس كأحداث "الزلاج" في شهر نوفمبر من ذلك العام وبلا شك فإنه قد تفاعل معها رغم صغر سنه حيث كان يطالع الصحف ويتتبع الأخبار السياسية كما مر معنا في الكلام عن نشأته.

ويصف المدني نشاطه أثناء أحداث "الزلاج"[*] قائلا[1]:("كنت من بين الذين يطوفون على الأسواق والمقاهي ، أنادي بأعلى صوتي ، نموت ولا نسلم زلاجنا ، ويتأثر الناس بكلماتي ..كان مجال عملي طوال أيام بين أسواق تونس وبطحاء الحلفاوين).

ويذكر مترجمنا أن " رواية الوطن"و"نشيد صوت الحرية والوطن"، اللتين وردتا إلى المكتبات التونسية في عام 1911 م ،لصاحبهما الشاعر التركي " نامق كمال"، والمترجمين من قبل الكاتب " محي الدين الخياط "، شكلتا أهم المؤثرات الفكرية في توجيه مساره السياسي نحو الواقعية والتخطيط، والمزج بين العاطفة والعقل في حركة النضال[2].

ومما جاء في صوت الحرية:

رأيت زماني عن هدى الحق ناصبا فصنت مقامي و اعتزلت المناصبا
ومن كان إنسانا يعرف نفسه فلا ينزوي عن خدمة الحق جانبا
وما المرء إلا من يمد يمينه لينصر مظلوما ويرحم صاحـــــبا
فليس يضر الدر إن كان ساقطا على الأرض يوما بعدما كان ثاقبا

1-أحمد توفيق المدني : حياة كفاح ، ج 1 ، المصدر السابق ، ص 43 .
2- المصدر نفسه ، ص 59 .
*-الزلاج: مقبرة شهيرة بالعاصمة تونس

ويواصل إلى أن يقول :

فلا تخش من حرب التحرير موطن ولو صبت الدنيا عليك مصائبا [1]

ولقد كان التيار الثوري العنيف يجرف المدني إليه، وهذا منذ صباه، إذ يذكر في مذكراته انه أثناء دراسته بالمدرسة القرآنية الأهلية ، وخلال أيام الجمعة من كل أسبوع، يلتقي أصدقاءه بالمدرسة ، حيث يحتفلون جماعيا بإحراق راية فرنسية ،كان يرسمها مسبقا على ورق ، ويعلقها على عمود حديدي ، وسط ذلك الهتاف بحياة الإسلام ، وسقوط فرنسا وموت رجالها ، وخراب ديارها[2].

ولنا أن نتساءل إلى أين سيقود هذا الاندفاع المدني ؟

عند قيام الإيطاليين باحتلال مدينة طرابلس الليبية في 29 سبتمبر 1911 ، ارتفعت درجة الحماسة لديه وقد وصف شعوره في تلك الآونة بالقول:[3](لا أزال أذكر ذلك اليوم الرهيب ،وهو أسوأ يوم في حياتي ، قلبي يلتهب، دمي يفور، وأعصابي توشك أن تتحطم).

وردا على ذلك ،قام رفقة بعضا من زملائه بالطواف في الأسواق،والحارات والمقاهي ودعوة الناس إلى تقديم يد العون لليبيين، والتبرع بالأموال لصالح"الهلال الأحمر العثماني "حيث تكلف" المنجي البنزرتي" بتسجيل أسماء المتبرعين، في حين أودعت الأموال التي تم جمعها عند "محمد النيفر"[4].

والملاحظ أن المدني استخفّ بالمخاطر، وراح مندفعا صوب الكفاح، خاصة وأن رغبة ملحة في السلوك الثوري كانت تسيطر عليه، لا سيما بعد الأحداث الدموية بمقبرة "الزلاج" ، والتي أدت إلى حصول اتصالات مكثفة بين الشباب الجزائريين والتونسيين،

---

[1]- أحمد توفيق المدني : حياة كفاح ، ج 1 ، المصدر السابق ، ص 60.
[2]- المصدر نفسه،ص ص28-29.
[3]-المصدر نفسه ، ص 36.
[4]- المصدر نفسه ،ص ص 36 .37.

كان هدفها تكوين جمعية تضع أسس "أمة شمال إفريقيا" ولكن المشروع أجهض من طرف السلطات الاستعمارية[1].

وعلى اثر المقاطعة الجماعية لشركة "الترام الكهربائي" في 09 فيفري 1912 ، تيقنت الإدارة الفرنسية، أن عملية المقاطعة لم تكن تلقائية،فقامت بسلسلة من الإجراءات العقابية كان من بينها إصدار قرارات بالنفي ، مما أجبر الوطنيين التونسيين بزعامة "حسن قلاتي" و"عبد العزيز الثعالبي "،ومن ورائهما الشبان المتحمسون ، "كأحمد توفيق المدني" على الدخول في العمل السري[2].

ومع اندلاع الحرب العالمية الأولى "1914-1918" ، وإعلان حالة الحصار والأحكام العرفية في البلاد التونسية بتاريخ 12 أوت 1914،تم إغلاق النوادي،ومنعت الاجتماعات وتوقف كل نشاط وطني[3].

والحقيقة أن هذا التوقف كان ظاهريا،حيث أن نشاط الوطنيين لم ينقطع ، إذ نجد "أحمد توفيق المدني"، يترك الدراسة بجامع الزيتونة ،ويستعد لخطة انتفاضة مغاربية منذ شهر ديسمبر 1914،رفقة مجموعة من الشباب الثوري التونسي وهم: "الصادق الرزقي"[*] "أحمد نجاح " و"محمد النيفر " و"محمد سعيد الخلصي" و"الهادي مزاح" الذين اتفقوا على خطة تركز على النقاط الآتية:

-بث دعاية واسعة لدى الشعب التونسي ضد عملية التجنيد الإجباري.

-العمل على رفع المعنويات في أواسط الشعب ، والتغلب على موجة اليأس.

-الاتصال بقبائل الجنوب "قبائل بني زيد"، والتخطيط معهم للقيام بعمليات ضد الحاميات الفرنسية.

---

[1]- أحمد خالد : المرجع السابق ، ص 06.

[2]- خير الدين شترة : المرجع السابق ،ص 66.

[3]- شارل أندري جوليان : المعمرون الفرنسيون وحركة الشباب التونسي ،المرجع السابق ،ص 139.

*- الصادق الرزقي (1875-1939) تونسي من بنزرت ،درس بالزيتونة و أصدر مجلة (العمران) الاقتصادية سنة 1921 ،ثم جريدة إفريقيا ،ومن مؤلفاته : " الساحرة التونسية" ،" الأغاني التونسية " ،"مسرحية عنتر"

-استغلال حركة الجيش الفرنسي المتجه للجنوب للقيام بمهاجمة الثكنات في قفصه وتحرير الأسرى الألمان.

-العمل على إقناع الطلبة الزيتونيين للانضمام إلى الثورة .

-الاتصال والتنسيق مع القائد التركي "نوري باشا" المستقر بمنطقة "نالوت" الليبية قرب الحدود التونسية.

- إنشاء شفرة خاصة "خط سري"[1].

ثم جاءت مرحلة تنفيذ الخطة والتي تمثلت في القيام بـــ:

-اعتماد النشيد الحماسي للشاعر الوطني "الشاذلي خزندار"، وتوزيعه على فئات الشعب وقد تم ذلك على نطاق واسع.

-تكفل المدني بكتابة مقالات في جريدة "الفاروق" الجزائرية–لتعطل الصحافة بتونس– والتي كان متصلا بها بوساطة "حسين الجزيري"،حيث نشر مقالا حماسيا في يوم 18ديسمبر 1914 بعنوان : "بين لجج الهواجس"[*]،والذي أحدث أثرا كبيرا في الأوساط التونسية،وقد قال عنه المترجم له في مذكراته: [2](و ياليتك عشت معي أيام ديسمبر 1914 لترى كيف يستطيع مقال بسيط ، أن يوقد في الأوساط التونسية شعلة رجاء وأمل)، ومع نفاذ العدد من السوق اضطر باعة الصحف بتونس إلى الاتصال بصاحب الجريدة "عمر بن قدور "لطلب إرسال أعداد أخرى.

- قيام المدني بالاتصال بأحد وجهاء الجنوب وهو "علي فارس"، وهذا في رحاب الزيتونة ،والاتفاق على اللقاء بمدينة قابس،وتنفيذا لذلك أشاع المدني في عائلته وفي الأوساط الزيتونية أنه قرر اعتزال الدراسة،والاشتغال بتجارة التمر،وبالفعل مكنه ذلك من

1-أحمد توفيق المدني : حياة كفاح ، ج 1 ، المصدر السابق ، ص ص 85-87 .

2- المصدر نفسه ، ص 91.

*- أنظر نص المقال في حياة كفاح، ج1 ، ط2 ، ص ص 90 -91 .

الاتصال و الاجتماع بالشخص المذكور ،لمناقشة تفاصيل الخطة، ليعود إلى العاصمة في أوائل جانفي 1915 ، حيث أطلع بقية أفراد المجموعة على ما تم الاتفاق عليه[1].

غير أن هذه الخطة كشفها المستعمر الفرنسي في شهر فيفري 1915 ، وعن هذا النشاط والرقابة الاستعمارية يقول الزعيم "علال الفاسي":[2](في داخل القطر التونسي وبالرغم من حل الحكومة لحزب تونس الفتاة ، فقد ظل رجاله الباقون هناك يعملون في الخفاء وتحت زعامة الشيخ الثعالبي ،وقد كان عملهم ينحصر في توزيع بعض المنشورات والقيام بدعاية عظيمة، وكانت السلطة تتابعهم، متابعة فعالة، فكانوا يجتمعون بمنزل الأمير "محمد الحبيب"، -الذي أصبح بايا- بعد وفاة محمد الناصر" اختفاء على الناس ،هذا وقد اعتقلت السلطة جمعا من أنصارهم،من بينهم الأستاذ "أحمد توفيق المدني"الذي اتهم بتعليق نشرات تحث الجيش على العصيان،في جدران الجامع الأعظم).

وتورد الوثائق الأرشيفية التونسية أن العاصمة تونس شهدت تعليق ملصقات خاصة على جدران جامع الزيتونة،تدعو إلى مناهضة الوجود الفرنسي،ومساندة الخلافة الإسلامية،بدعوة المسلمين إلى توحيد صفوفهم ، وأن حدة لهجة مختلف الملصقات جعلت حكومة الاحتلال تفتح تحقيقا لتحديد الفاعلين[3].

وتبعا لوشاية مجانية من طرف أحد الذين يعرفون "توفيق المدني"،وهو المدعو "محمد بن عبد الله بن صالح الطرابلسي" الذي وجه رسالة إلى الكاتب العام للحكومة التونسية بتاريخ 20 فيفري 1915 جاء فيها قوله:[4](يسرني أن أرسل إليكم...هذه القصيدة المناهضة لفرنسا).

---

[1]- أحمد توفيق المدني : حياة كفاح ، ج 1 ، المصدر السابق ، ص98

[2]- شاوش حباسي :" محطة في مسار الحركة الوطنية التونسية 1914-1920 " ،مجلة الدراسات التاريخية العدد 07 ، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر: 1993 ، ص 144.

[3]- Archives nationales de tunisie (A.N.T) série Mouvement national, carton 16, Dossier 1,document N 57

[4]- A.N.T, série E 550-30 /15-836, "Un Francophile" au secrétaire général du gouvernement tunisien , le 20/02/1915 ,doc N26.

وقد اعترف صاحب الرسالة التي أمضاها بكلمة "محب لفرنسا Francophile"،أن القصيدة من وضع "أحمد توفيق المدني"، فكان أن تم تفتيش منزله،وإيقافه يوم 26 فيفري 1915 ،والزج به مباشرة في السجن المدني بتونس[1].

ويتضح أن اعتقال المدني كان بسبب مناهضته للسياسة الاستعمارية في البلاد ، وقد اعتبرت السلطات الفرنسية عائلة المدني بفرعيها (من جهة الأم،ومن جهة الأب)،معادية لفرنسا،حتى أنهما غادرتا الجزائر إلى تونس حتى لا تبقيا تحت نفوذ السلطة الفرنسية[2].

لقد عكست نقمة المدني على السياسة الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية للاستعمار ، ما كان يعد آنذاك قاسما مشتركا بين كل التونسيين ، الذين رغم عجزهم عن مواجهة الاستعمار وزحزحته، فإنهم عبروا عن مشاعر نقمتهم عليه،وهو ما يتجلى بوضوح في القصيدة[*] التي نسبت للمدني وكانت كما تقدم معنا سببا في اعتقاله.

لقد أوضح المقيم العام أنه بمقتضى أمر 2 أوت 1914 ، الذي أعلن حالة الحصار ، فإنه ينبغي إحالة المدني على المحاكم العسكرية ، أو إبعاده " كعنصر خطير"،غير أن الجنرال قائد الجيوش بالبلاد التونسية ،والذي فوضت إليه المسألة الأمنية بالبلاد منذ اندلاع الحرب ، قدّر أن المدني يمكنه لصغر سنه التمتع بتخفيف العقوبة ، فقرر نظرا لانعدام وجود محتشدات بالبلاد التونسية إبقاءه رهن الإيقاف طيلة الحرب بالسجن المدني بتونس[3]، حيث قضى المدني سنوات الحرب داخل الزنزانة الانفرادية،واستطاع بصبره وإيمانه بعدالة قضيته أن يحول مدة السجن ، إلى ما يشبه فترة تكوينية، إذ أحسن استغلال وقته فتعلم أصول اللغة العربية ، وطالع علوم الدين ، ودرس كتب الفلسفة والاجتماع والسياسة ،وأتقن اللغة الفرنسية، وخالط الصحف والمجلات،فكون لنفسه فكرة اجتماعية رائدة،وأثرى مداركه فامتلك ثقافة سياسية قليلة النظير[4].

1- A.N.T, série E 550-30 /15-836, "Un Francophile" au secrétaire général du gouvernement tunisien , le 20/02/1915 ,doc N26.

2- IBId , Rapport de clapier –commissaire spécial de police , le 02/03/1915 , document N11

3.-I.S.H M. N tunisie 1917-1940 , bobine 39, carton 61 , dossier N 02., le R.G à Ribot-ministre des affaires étrangères le 20/09/1917,folio 46.

4- محمد الطمار :تاريخ الأدب الجزائري ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر : 1981 ،ص 446.
أنظر أيضا .Ali merad : op-cit ,p104.

*- لقد نفى المدني أية صلة له بالقصيدة ،مؤكدا عند استنطاقه أنه قد وجدها ملقاة على حصير ولا يعرف كاتبها ،أنظر نصها في الملحق رقم:02

ومما نظمه المدني من شعر في الزنزانة،والذي دعاه بالنثر المنظوم نورد هذه الأبيات:

دأب الزمان على إذاية الأحرار	ورعاية الأوغاد والأشرار
حتى إذا ما قام منهم سالك	سبل الرشاد يبوء بالأكدار
أو صاح منهم بالصلاح مطالب	يلقى به في السجن والأقذار [(1)]

ورغم تدخل عدة أطراف[(*)] لاعتبارات إنسانية للفت أنظار سلطات الاحتلال إلى ما يمثله اعتقال شاب في مقتبل العمر من أخطار، فإن المدني بقي رهن الاعتقال حتى أواخر أكتوبر 1918[(**)] تاريخ قرار الجنرال "أليكس Alix" قائد جيوش الاحتلال، ووزير الدفاع بالحكومة التونسية إطلاق سراحه[(2)].

ويذكر المدني أن إطلاق سراحه تم بعد أن قدّم والده ضمانا ، وقّعه ثلاثة رجال من كبار القوم وهم :"الطيب بن منصور" و"الحاج محمد المؤدب" و"الحاج بكار غريب " يقضي بتخليه عن ممارسة العمل السياسي[(3)].

فهل استطاعت سلطات الاحتلال ترويض المدني ؟

-تأسيس الحزب الدستوري: بدأت فكرة بعث تنظيم سياسي على قواعد وأهداف مضبوطة تتبلور شيئا فشيئا عند عدد من قدماء حركة الشباب التونسي،وغيرهم ممن لهم رغبة في توحيد جهود الشعب ، ورص صفوفه ، فما إن تنادى هؤلاء الوطنيون

---

[1]- أحمد توفيق المدني: حياة كفاح ،ج1، المصدر السابق ،ص 142.

[2] A.N.T , E 550-30 /15-836, Arrête du 23/10/1918 , du général Alix –commandant la division d'occupation de -tuinisie , ministre de la guerre du gouvernement tunisien , doc N85

[3]-أحمد توفيق المدني : حياة كفاح ،ج1،المصدر السابق ، ص 147.

*- من هذه الأطراف :- راوول شايلي (Raoul chailly) محامي المدني الذي طالب بإطلاق سراح موكله .

- رئيس الرابطة الفرنسية للدفاع عن حقوق الانسان الذي لفت الأنظار إلى ظروف الاعتقال للمدني

- لدميرال ladmiral نقيب عمادة المحامين بالجزائر الذي راسل وزير الخارجية الفرنسية مستفسرا عن اعتقال المدني

**-وحسب المدني فإن تاريخ مغادرته السجن هو غرة نوفمبر 1918 ، وقد يكون ذلك صحيحا ،إذ من الممكن أن يتعطل تطبيق القرار لمدة أسبوع لأسباب إجرائية .

الصادقون إلى تأسيس الحزب الدستوري الحر ، حتى كان "أحمد توفيق المدني" من أبرز مؤسسيه[1].

فعندما وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها ، وارتفعت الحواجز ، وتطلع العالم كله إلى تجديد أوضاعه على قاعدة السلم وحرية الشعوب التي نادى بها الرئيس "وورد ولسن" وانعقد عليها مؤتمر فرساي عام 1919،جرى تجديد السعي إلى بعث معالم النهضة التونسية ، وتطوير العمل السياسي في سبيل التحرير ، ولقد كان الاستعداد للعمل قويا في الطلبة الزيتونيين ، والفكرة الإصلاحية مختمرة فيهم ، يحركها ويغذيها الأساتذة الممتازون "محمد الصادق النيفر"و"الشيخ عثمان بن الخوجة " ،و" الشيخ محمد مناشو" يسندهم الشباب المتطلع للتجديد، ومثّل هؤلاء الشباب كتاب عالجوا الخطابة والكتابة في شؤون السياسة القديمة ، والإصلاح الديني ، والفكري والاجتماعي ،وبرز منهم بصفة مرموقة،زيادة على المترجم له" محيي الدين القليبي " و" زين العابدين السنوسي" و"الطاهر الحداد "و"محمد المهدي بن الناصر"، وغيرهم[2].

إن تأثر التونسيين بالمستجدات السياسية العربية والعالمية ، ليس ضربا من التخمين ، ولا من باب ربط علاقة بلا سند ، بل إن التطورات المتلاحقة دلت على ذلك ، ومنها العريضة التونسية المقدمة إلى مؤتمر الصلح ، التي حملها " عبد العزيز الثعالبي " ، الذي سافر إلى باريس ، في شهر جويلية 1919 ، والتي تضمنت مطالب التونسيين تجاه الساسة الفرنسيين ، والتي أجملها في كتابه "تونس الشهيدة".

وبكلمة موجزة أراد الثعالبي ، أن يعاد إلى مواطنيه،حق إدارة بلادهم،مطالبا بعودة العمل بروح دستور 1861 ، وهو سر اختيار أعضاء الحزب التونسي ، للتسمية الجديدة ، "الحزب الحر الدستوري"[3].

والحقيقة أن "توفيق المدني "ضرب بالتعهدات المقدمة من طرف والده لسلطات الاحتلال عرض الحائط ، وحضر أول اجتماع سياسي في أوائل سنة 1919،بمطبعة

[1]-إبن ققصية عمر: المرجع السابق ، ص 127
[2]- محمد الفاضل بن عاشور:المصدر السابق، ص ص 133-135.
[3]- شاوش حباسي: المرجع السابق ، ص ص 148-150 .

"محمد التليلي " شارك فيه" محمد الرياحي"،"حمودة المنستيري"و" محمد بن عمار"، وهناك تقرر إرسال وفد إلى باريس لإسماع صوت تونس ،وهو الأمر الذي تكفل به عبد العزيز الثعالبي[1].

ولقد دارت اجتماعات متعددة ، واتصالات متكررة ، أفرزت الإعلان عن تأسيس الحزب الدستوري الحر يوم 14 مارس 1920 ، وذلك خلال اجتماع عقد بمنزل "علي كاهية" ، وقد أقسم المؤسسون يمين الإخلاص للحزب ، وانتخبوا هيئة لإدارته ، أطلق عليها اسم "اللجنة التنفيذية"[2] .

وعن بداية نشاط المدني بالحزب الدستوري ،يذكر أنها تعود إلى شهر ماي 1920، عندما عرض عليه الشيخ حمودة المنستيري" فكرة الانضمام إلى الحزب ، وعضوية لجنته التنفيذية العليا بصفته كاتبا له، إلى غاية حصول التنظيم على مقر ، وانتخاب لجنته التنفيذية الثانية ، لمباشرة المهام بصفة علنية.

وقد قام المدني بكتابة عرائض الحزب ، وتوزيعها عبر أرجاء المملكة التونسية ، بغرض إمضائها ،وتوجيهها للحكومة الفرنسية ، ويؤكد مترجمنا أنه حرر منها نسخا بالعربية والفرنسية ، لا تزال محفوظة في وثائق مجلس الأمة الفرنسي لعام 1920، لمن أراد إلقاء نظرة عليها[3].

وخلال جلسة 29 ماي 1921 ، برئاسة الشيخ "عبد العزيز الثعالبي"، وبحضور 50 شخصية،والتي عقدت بمنزل الشيخ حمودة المنستيري "بالمرسى،وبعد عرض أعمال اللجنة التنفيذية الأولى ، دعا الثعالبي إلى وجوب انتخاب "أحمد توفيق المدني" أمينا عاما مساعدا للقلم العربي باللجنة المذكورة، وهو الأمر الذي صادق عليه الحاضرون بالإجماع كما تقرر أيضا تعيين "أحمد الصافي" أمينا عاما للحزب،"والطيب الجميل" أمينا عاما مساعدا للقلم الفرنسي،و"حمودة المنستيري" أمينا للمال ، في حين اختار الثعالبي العضوية فقط تواضعا[4].

[1]- أحمد توفيق المدني: حياة كفاح ، ج1 ، المصدر السابق ، ص 154.
[2]-البشير بن الحاج عثمان الشريف : المرجع السابق ، ص 197 .
[3]- أحمد توفيق المدني:حياة كفاح،ج1،المصدر السابق ،ص ص175-177.
[4]- أحمد توفيق المدني : حياة كفاح،ج1،المصدر السابق ،ص ص193-194.

لما تولى المدني مسؤولية الإشراف على الأعمال الداخلية للحزب ، وأسندت إليه مهمة تحرير مجمل فصول السياسة الخارجية ، في كل الصحف الأسبوعية ، التي يصدرها الحزب الدستوري وكان يوقع مقالاته باسم "المنصور" ، ولقد اشتهرت تلك المقالات،وشاعت بحيث كان الكثير منها،تتناقله صحف الوطن العربي ، ومجلاته ، وصحف بعض الدول الإسلامية كأندونيسيا ودول أجنبية كالهند[1].

وفي هذا الإطار السياسي المنظم ، وفي صلب حركة ذات اتجاهات وطنية إسلامية واضحة ،تكثف نشاط المدني على الصعيدين:الإعلامي والسياسي ، فأشرف على التحرير والشؤون الإدارية بمجلة " الفجر":التي أصدرها الحزب الدستوري منذ أوت 1920، وحتى ديسمبر 1921 ، فكان مقرها مركزا لاجتماع قادة الحزب[2].

والواقع أن نشاط وحيوية المدني ، جعلته يتبوأ مراكز هامة في إدارة الحزب الدستوري ، حيث كان ضمن الوفد الثالث الدستوري الذي ذهب إلى فرنسا في 29 نوفمبر 1924 ، ليفاوض باسم عموم التونسيين والمساهمين في حل القضية الوطنية ، كما كان إلى جانب"عبد الرحمان اليعلاوي" يقوم باتصالات في كل أنحاء تونس،لجلب المنخرطين،والاجتماع بهم ، وتحفيزهم على الثورة ضد الأوضاع الاجتماعية والسياسية[3].

وفي هذا السياق يقول المدني في مذكراته ،أن اللجنة التنفيذية للحزب الدستوري ، قد قررت في شهر سبتمبر 1921 م توسيع دائرة الحزب عبر التراب التونسي ، وذلك بتكوين شعب للحزب ، تترجم أفكار القيادة للقاعدة الشعبية ، وقد بلغ مجموع الشُعب المشكّلة في منتصف عام 1925 ، ما مجموعه 130 شعبة عاملة ، كان المدني يخصص لزيارتها ثلاثة أيام كل أسبوع،حيث وجد صدى قويا وتجاوبا كبيرا لدى الجماهير،لخصه بقوله:[4](عودوا الشعب على الكفاح القوي...تجدوه في الصفوف الأولى متى نفخ في بوق الجهاد).

[1]- محمد الطاهر عدواني : المرجع السابق ، ص 167.
[2]-محمد حمدان : المرجع السابق ، ص 112 .
[3]-محمد صالح الجابري : المرجع السابق ، ص ص 281 -298 .
[4]- أحمد توفيق المدني : حياة كفاح ، ج1 ، المصدر السابق،ص ص228-233.

والحق أن نظرة الشيخ "أحمد توفيق المدني "إلى الكفاح ، كانت على خلاف زملائه في اللجنة التنفيذية ، فقد كان يؤمن بفكرة الضغط الشعبي ، والمظاهرات الكبرى، والتهديد الدائم بالقوة ، فهي الوسائل التي تمكن من استرجاع الحقوق ، في حين كان يرى زملاؤه سلوك طريق المطالبة الهادئة وتجنيد الجماهير ، عبر إقناعها بلغة العقل ، لتحقيق غاياتها واستمر هذا التجاذب في الأسلوبين ،إلى غاية قيام السلطات الفرنسية بإبعاد المدني إلى الجزائر سنة 1925[1].

وفي رأي الكاتب "زهير الذوادي " فإن توفيق المدني رفقة" الطاهر الحداد "و" أحمد الدرعي" ، كانوا يمثلون الشق المتصلب للحزب الدستوري ، والذي وجد نفسه –خاصة مع خروج الشيخ الثعالبي من تونس – معزولا نسبيا عن باقي أعضاء اللجنة التنفيذية [2]

وصفوة القول ، لقد كان للدستوريين فضل إنشاء أول حزب سياسي جماهيري مهيكل بدءا من اللجنة التنفيذية في القمة ، إلى الخلايا المتفرقة بتونس العاصمة ، وسائر مدن البلاد ، وقد اظهر هذا الحزب في بعض المناسبات قدرة على تجنيد الرأي العام ، وعلى تنظيم مظاهرات مشهورة كتلك التي وقعت يوم 15 أفريل 1922 بتونس المرسى ، مساندة للناصر باي" ، أو في يوم 25 مارس 1925 في مراكز متعدد من العمالة التونسية حول مسالة الإصلاحات.

فالحزب الدستوري شكل إذن تحولا في الحياة السياسية التونسية،لكن سرعان ما تكبل وتقلصت إمكانات دوره التاريخي،بحكم العديد من الأسباب السياسية والاجتماعية والأيديولوجية[3].

[1]- المصدر نفسه، ص 201 .
[2]- زهير الذوادي : المرجع السابق ، ص 60.
[3]- المرجع نفسه، ص13.

-تأسيس لجنة الخلافة :

من أهم المساهمات السياسية للمدني ، مبادرته بإنشاء لجنة الخلافة سنة 1922 ، وهذا عقب نهاية الحرب العالمية الأولى ،و إعلان قيام الجمهورية التركية،على أنقاض السلطنة العثمانية ، حيث تطورت السلطنة إلى خلافة ، فوجد دعاة الخلافة الإسلامية من صبغتها الدينية المحضة ذريعة لعملهم[1]،وعن هذه العملية يقول "أحمد توفيق المدني"[2]:(كنت أرى أن الخلافة الإسلامية في اسطنبول هي الأداة لجمع كلمة المسلمين ، خاصة بعد إلغاء الأتراك لنظام السلطنة ، و إعلانهم استقلال الخلافة عن الدولة ، لذلك رأيت خلافا للكثيرين ، إمكانية إنشاء خلافة مجردة عن السلطة المدنية ، تسمح للخليفة بمباشرة سلطانه الديني الروحي في كامل بلاد الإسلام ،دون أدنى تدخل من الدولة التركية ، فيكون قصر الخلافة ، عبارة عن "فاتيكان" إسلامي).

لقد بادر بتكوين " لجنة الخلافة"،والتي ضمت جماعة من ذوي الرأي ،بلغ عددهم عشرة رجال منهم :"محيي الدين القليبي" و"عثمان الكعاك" و"محمد محلي"والحبيب مزيو".

حيث عقدت اللجنة الاجتماع التأسيسي لها بمنزل المدني في شارع الديوان ،و أسندت إليه الرئاسة[3].

كانت اللجنة تعقد اجتماعاتها بمنزل مترجمنا ، الذي هدف اغتنام فرصة حماس الجماهير ، من اجل تحريك الساحة السياسية الراكدة منذ أحداث أفريل 1922 ، وقد كانت هذه اللجنة تعمل باستقلالية عن الحزب الدستوري ، وقامت بمبايعة الخليفة "عبد المجيد".

ولما ألغيت الخلافة في شهر مارس 1924،من طرف "مصطفى كمال اتاتورك"، صعق المسلمون لذلك وأنكروه ، كما استنكره الشعب التونسي ، حيث استمر الأئمة في المساجد يخطبون باسم الخليفة " عبد المجيد " ، وهو مبعد في سويسرا[4].

---

[1]-محمد الفاضل بن عاشور : المصدر السابق ، ص 142 .
[2]- أحمد توفيق المدني : حياة كفاح ، ج1 ، المصدر السابق، ص324
[3]- المصدر نفسه ، ص 326.
[4]-محمد الفاضل بن عاشور : المصدر السابق ، ص ص 142-143 .

وقد سجل المدني موقف اللجنة من مسألة إلغاء الخلافة ، مما كان له الأثر الايجابي في الرأي العام التونسي ، الذي ساند لجنة توفيق المدني ، ورفاقه في استيائهم ، هذا وقامت اللجنة بإرسال برقيات الاحتجاج إلى الكماليين ممثلي الدولة التركية[1].

والواقع أن هذه الحادثة المؤلمة ، قد كان لها تأثير كبير على الساحة السياسية والفكرية بالعالم الإسلامي ، مما جعل المسلمين يتطلعون ويبحثون عن البديل، فقاموا بعقد عدة مؤتمرات للخلافة ، كمؤتمر القاهرة سنة 1926 ، ومؤتمر الهند سنة 1929 ،ومؤتمر القدس سنة 1930 ، وهذا للنظر في أمر الخلافة ، وإيجاد البديل لتجميع المسلمين تحت راية واحدة[2].

والحقيقة أن نظرة مترجمنا للتضامن الإسلامي كانت واقعية ، ويتفق في طرحه مع رؤية العلامة "عبد الحميد بن باديس " للقضية ، ومع ما ذهب إليه " عبد العزيز الثعالبي " ويعرف المدني الجامعة الإسلامية بالقول:[3](لا يريد المسلمون الجامعة الإسلامية لإتخاذها آلة حرب وخراب وتدمير ، بل يريدونها ويسعون إليها ، لتكون لهم وسيلة تعارف و اتصال ، ورقي وعمران ، يريدون جامعة إسلامية أخلاقية ، توطد دعائم التحالف والتآلف بين المسلمين ، حول مركز الخلافة العظمى ، لا جامعة إسلامية حربية، تجعل العالم الإسلامي كله من أقصاه إلى أقصاه إمبراطورية واحدة لا يمكن أن تتألف ولو في عالم الخيال)،وهنا يظهر المدني أكثر واقعية في التحليل، ومسايرا لروح التطورات الحاصلة في المفاهيم والأفكار.

---

[1]- أحمد توفيق المدني : حياة كفاح ، ج1 ، المصدر السابق، ص 326.

[2]-محمد مرغيت: موقف الشهاب من قضايا معاصرة 1925 -1939 ، مذكرة ماجستير ، قسم التاريخ ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، قسنطينة : 2003،ص 40 .

[3]-محمد ناصر : المقالة الصحفية الجزائرية ، نشأتها وتطورها وأعلامها من 1903 إلى 1931 ، م 1 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر : 1978 ، ص 173.

تأسيس جامعة عموم العمالة التونسية:

عرفت البلاد التونسية الحركة النقابية بشكل،أو بآخر منذ بداية العقد الثاني من القرن العشرين،وتأسست أول نقابة قومية تونسية في صيف عام 1924 بقيادة "محمد علي الحامي"[1].

وقد انخرط "توفيق المدني" في جامعة عموم العمال التونسيين"، وكان يمثل الدستوريين رفقة "الطاهر صفر" و"الطاهر الحداد " و" أحمد الدرعي" في هذا التنظيم النقابي،الذي أراده مترجمنا تجمعا عماليا تونسيا خالصا،بعيدا عن وصاية النقابة الفرنسية يدافع عن الشؤون الاجتماعية للأجراء ، ويكون سندا للحركة الدستورية.

والظاهر أن المدني قد أسهم في تدعيم هذه الحركة العمالية ماديا ، من خلال إقناع البرجوازي "حمودة المنستيري " بتقديم إعانة مالية ، حملها المدني إلى " محمد علي الحامي " يوم تأسيس النقابة .

ولقد كان المدني عضوا بارزا في الجلسة التي انعقدت في 01 نوفمبر 1924 ، حيث تولى الكتابة والترجمة للاجتماع التاريخي ،بحضور السيد " ليون جوهو" رئيس جامعة العمال الاشتراكية الفرنسية،التي انفصل عنها العمال التونسيون ، كما حضر في جلسة يوم 22 فيفري 1925.

هذا ،وقد عرفت هذه الحركة نقاشات حادة،وتجاذبات بين التيارين الاشتراكي والشيوعي قصد الالتفاف حولها ، وتواصل الضغط الإداري عليها، نتيجة المطالب العمالية ، التي نظر إليها على أنها نشاط سياسي ، فقامت الإدارة بضرب قيادتها ،وشن حملة اعتقال شملت القبض على رئيسها وبعض رفاقه ، بتهمة التآمر على أمن الدولة[2].

لقد ظل المدني مدافعا عن الطبقة الشغيلة ، داعيا إلى توحيد جهودها ، إلى غاية إبعاده إلى الجزائر .

---

[1]- خير الدين شترة : المرجع السابق ، ص 164.
[2]- أحمد توفيق المدني : حياة كفاح ، ج1 ، المصدر السابق، ص ص 285 -292 .

المبحث الرابع : الإبعاد من تونس إلى الجزائر وردود الفعل

على الرغم مما بذلته الأطراف الجزائرية المنتمية إلى الحزب الدستوري من جهود كبيرة لتمويه أغراضها في خدمة القضية الوطنية الجزائرية،وتوجيه اهتمامها، وتركيزها الظاهري على موالاتها للانتماءات التونسية، إلا أن الاستعمار لم تنطل عليه كل تلك المظاهر،وأخذ يترصد لها ويجمع الحجج المتعلقة بنشاطاتها،و التي جعلته يسدد ضربات قوية للعناصر الجزائرية المنطوية تحت لواء الحزب الدستوري ، حيث عمل على إبعادها وذلك في استراتيجية تفرقة ممنهجة[1] ،ويأتي قرار إبعاد "أحمد توفيق المدني " إلى الجزائر في شهر جوان 1925 ليصب في هذا الاتجاه .

لقد قويت نشاطات المدني ، وتحرك في اتجاهات متعددة بعد إطلاق سراحه من السجن في غرة نوفمبر 1918 ، فقد أخذ منحى خطابه السياسي يتصاعد، عبر فضحه لنوايا فرنسا في تونس ودفاعه عن القضية المصرية ، وعن الخلافة الإسلامية ، وهذا من خلال مقالاته العديدة في الصحف الدستورية ، التي سبقت الإشارة إليها ، وكذا المتعاطفة مع الدستوريين،بالإضافة إلى دوره في الحركة العمالية التونسية،مما جعل السلطات الاستعمارية تتهمه بالانتماء إلى الشيوعية الدولية .

إن النشاط السياسي للشيخ "أحمد توفيق المدني"، لم يقف عند حد الدفاع عن القضايا التونسية ، والاكتفاء بالمشاكل التي تخص الحزب الدستوري وحده ، لكنه بادر إلى التنديد بالحرب التي كانت تشنها فرنسا في هذه الآونة ضد "عبد الكريم الخطابي"[*]،قصد الاستيلاء على الريف المغربي كله، والتهام الأجزاء التي لم يستتب لها فيها الأمر حتى ذلك التاريخ ،مما جعل الكاتب يفضح نواياها، من خلال مقاله في جريدة افريقيا بتاريخ

---

[1]- محمد الصالح الجابري :النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962 ، الدار العربية للكتاب ، 1983 ، ص 271 .

*- عبد الكريم الخطابي : هو محمد بن عبد الكريم الخطابي ، من أسرة عريقة في العلم والوطنية ، كان والده قاضيا على إقليم الريف الأوسط المتمتع بحرية واسعة عن المخزن،تخرج من جامع القرويين بفاس ، التحق بعدها بمدينة مليلـ يا المحتلة من قبل الأسبان وتولى العمل الصحفي في جريدة "تلغراف الريف" ثم مدرسا للغة العربية، وأخيرا قاضي قضاة المسلمين، ألقي عليه القبض خلال الحرب العالمية الأ ولى ، أطلق سراحه سنة 1919 ، تزعم حركة المقاومة في الريف بداية من العام 1920 ، وحقق انتصارات وتحالفت ضد ه القوات الفرنسية والأسبانية واستسلم في شهر ماي 1926 ، ونفته فرنسا إلى جزيرة "لارينيون " بالمحيط الهادي ، وفي العام 1947التحق بمصر ، وتر أس لجنة تحرير المغرب العربي ، توفي سنة 1963

25 ماي 1925 والذي جاء بعنوان " الحقيقة عن حوادث الريف ليحيا الريف حرا مستقلا"، خلص المدني في نهاية تعليقه وتحقيقه في الموضوع ،إلى نصح فرنسا بالإقلاع عن هذه الحرب المدمرة لها،ولماليتها ، معربا عن التعاطف الكامل مع الريفيين[1].

وفي هذا الصدد كتب يقول[2]:(نحن لا نتمنى الحرب،ولا نرضى ضياع الأنفس البشرية ، ولا ننظر إلا بعين الكدر إلى انهيار مالية فرنسا، وهي نفس ماليتنا ، وندرك ما ينجر لنا من المضار المختلفة إن تمددت الحرب ،ولكننا في كل ذلك لا يسعنا إلا أن نحبذ عمل من يسعى لحرية بلاده ، ويجاهد لاستقلال أمته ، ونعطف كل العطف الأخوي الصادق على الشعب الريفي،الذي أصبح عنوان الأمم صاحبة العزيمة القوية ، والإرادة التي لا تنثني ... ولا نريد إلا أن نرى الريف الباسل حيا عاملا سعيدا تحت راية الحرية التامة والاستقلال المفدى بالمهج والأرواح).

وحسب "محمد الصالح الجابري" فإن هذا المقال الشديد اللهجة،هو الذي أفاض الكأس التي كانت تنتظر قطرة واحدة ، فكانت بداية النهاية ، ففرنسا إذا تغاضت عن أعمال الدستوريين ، واهتماماتهم بشؤونهم الداخلية ، فمن غير المعقول أن تغض الطرف عن هذا الاتجاه الجديد ، الذي بدأ يمد أطرافه إلى أبعد من تونس ، ويتدخل في شؤون فرنسا بالمغرب[3].

وهكذا بعد مرور عشرة أيام فقط من صدور المقال ، دعي المدني إلى إدارة محافظة الشرطة بالعاصمة تونس ، حيث أبلغ بقرار الإبعاد* إلى الجزائر يوم 06 جوان 1925 في خطوة مفاجئة له وإن كانت غير مستغربة ،وتم تنفيذ الامر فنقل بسرعة إلى ما وراء الحدود ، ليسلم إلى محافظ شرطة عنابة ومن هنا تبدأ مسيرته بالجزائر[4].

---

[1]- محمد صالح الجابري : النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962، المرجع السابق ،ص ص 288-289 – أنظر أيضا محمد حمدان ، أعلام الإعلام في تونس ، ص 113 – ناهد إبراهيم دسوقي ، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر،ص 166 . .
[2]- المرجع نفسه ،ص 290 .
[3]- نفس المكان .
[4]- أحمد توفيق المدني : حياة كفاح ، ج1 ، المصدر السابق ص ص 335-337.
*-توالت قرارت ابعاد المدني من تونس ،أنظر نموذجا عن ذلك بالملحق رقم : 4

وعن هذا الإبعاد كتب المؤرخ "عبد الرحمان الجيلالي"[*] يقول:[1](عندما ضاق صدر حكومة الاستعمار الفرنسي في تونس بالأستاذ النابغة أحمد توفيق المدني ،هنالك فكرت وقدرت ثم فكرت وصممت على أخذ مسلك الإبعاد من تونس إلى الجزائر،ولم تدر أن موطن آبائه وأجداده كان ينتظره ،فحل به مكرما ومعظما سنة 1925 ...وكانت الجزائر العربية المسلمة يومئذ متطلعة إلى أمثاله... فاحتضنته احتضان الأم الحنون ...فشارك في مختلف ميادين نضالها ،وساحات جهادها).

لقد قوبل قرار إبعاده باضطرابات،ومظاهرات وإضرابات تضامنا معه، "فالمنصور" أو المدني يحظى بعزة في نفوس أبناء الشعب التونسي .

ووصفت مجلة "العرب" حالة الهيجان التي أصابت التونسيين إثر سريان خبر هذا الحادث إذ أصبحت العاصمة تونس يوم 08 جوان 1925[**]،مقفلة احتجاجا على هذا الاستبداد الإداري ، وقد وجدت الصحافة في هذا الأمر مناسبة جديدة للتنديد بهذه السياسة الاستعمارية الجديدة ،والرامية إلى تشتيت وحدة الوطنيين التونسيين والجزائريين، مستنكرة هذا الأسلوب،الذي جعلت منه السلطات الاستعمارية سيفا مسلطا على كل من تربطه صلة قربى بأية جنسية أخرى،غير الجنسية التونسية،ولا سيما أولئك الذين ينتمون إلى أصول جزائرية [2].

كما ثار لهذا القرار ثائرة جريدة "الوزير" لصاحبها "الطيب بن عيسى"،حيث كتب فيها احد العناصر البارزين بالحزب الدستوري ، وهو الشيخ "محيي الدين القليبي" مقالا موقعا باسم " عصام " جاء فيه:[3](لقد أساءت الإدارة إلى الأمة ، أكبر إساءة بمصادرتها في أعز

---

[1]-عبد الرحمان الجيلالي: " مزية الأستاذ أحمد توفيق المدني على تاريخ شمال إفريقيا " مجلة التاريخ العدد 18،الجزائر: النصف الاول من سنة 1985 ، ص 23 .

[2]-محمد صالح الجابري : النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962، المرجع السابق ، ص ص 281-284

[3]-محمد حمدان : المرجع السابق ، ص 114.

*-عبد الرحمان الجيلالي : ولد بمدينة الجزائر سنة 1908 من عائلة متوسطة الحال درس علوم القران وآداب اللغة العربية وفنونها وأخذ عن المشايخ بالعاصمة ومنهم أبو القاسم الحفناوي،تولى التدريس في الثلاثينيات بمدرسة الشبيبة الإسلامية ومدارس أخرى ،كون نفسه بعصامية داخل الوطن،نشط بالاذاعة برنامج دينيا شهيرا للرد على أسئلة المستمعين

**- إن قرار إبعاد المدني إلى الجزائر كان سنة 1925 ، إلا أن محمد الطمار في مؤلفه تاريخ الأدب الجزائري ذكر خطأ أن تاريخ النفي هو عام 1927 وذلك بالصفحة 446.
كما أخطأ في تحديد سنة الإبعاد ، محمد بن رمضان شاوش والغوثي بن حمدان ، في مؤلفهما :إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر ، المجلد الثاني ، الصفحة 723 ، حين ذكرا أن ذلك تم في عام 1920.

عزيز لديها ، وأكرم رجل من أبنائها مما ولد إستياء عظيما بين كافة الطبقات شاهدت درجته عشية الإبعاد وصبيحة اليوم الذي بعده) .

ومن جهتها احتجت مجلة "العرب" بشدة على احتجاز مديرها "زين العابدين السنوسي" الذي ذهب إلى محافظة الشرطة ، ليتساءل عن سبب اعتقال صديقه المدني ، وتساءلت عن جدوى نفي المدني من وطنه تونس ، ومسقط رأسه بادعاء أنه جزائري ، فهل هذا نوع من أنواع التجنيس ، أم نوع من أنواع سياسة الوفاق والاندماج وتبادل الثقة ؟"[1].

لقد قامت الصحافة التونسية بتعداد الأعمال البارزة ، التي قام بها المدني لإحكام التضامن بين القوى الوطنية التونسية ، ورآب الأصداع بين الحزب ،وبين الطبقة الشغيلة وقامت تحث الدستوريين على وجوب الاستعانة به مجددا ، والعمل على إعادته إلى تونس ليقوم بالدور الذي يجب أن يقوم به في سبيل دعم الحزب ،الذي استرجع قوته في هذه المرحلة .

هذا وقد تعرضت الجرائد لذكر فضائل وخصال الرجل ، ونوهت بأعماله،وأشادت بسمعته بين الناس ، ومكانته بين رفاقه من الوطنيين التونسيين[2].

والحقيقة أن الحركة الوطنية التونسية قد ظلت على صلة وطيدة "بأحمد توفيق المدني" وهو في منفاه ، فلا تكاد تمر ذكرى من الذكريات السياسية ، أو تبرز حادثة من الحوادث حتى تذكّر بالاعتداء الذي استهدفه، واستهدف في شخصه الحركتين الوطنيتين التونسية والجزائرية ، وتطالب في هذه المناسبات السلطات الاستعمارية بإعادته إلى الوطن الذي ولد ونشأ فيه ، والتخلي عن اتهاماتها اللامعقولة ،إذ لم يعهد في المواثيق الدولية أن اعتبرت جنسية المقيم في بلد غير بلده جريمة تستوجب العقاب والإبعاد[3]، وهي فضائح تضاف لسجل المستعمر.

---

[1]--خير الدين شترة : المرجع السابق ، ص 181 .

[2]- محمد صالح الجابري : النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962 المرجع السابق ، ص 294.

[3]- المرجع نفسه ، ص 291.

وكانت المناسبات القليلة التي سمح فيها لبعض المبعدين الجزائريين بزيارة أهاليهم بتونس فرصة تقام خلالها الحفلات الخاصة في دور الصحف ، والأندية تكريما لهؤلاء ، ومن ذلك تكريم المدني من طرف مجلة "النديم " بتاريخ 18 فيفري 1928،خلال زيارته لتونس،وتنويه جريدة "الزمان" به في خبر لها متعلق بإحدى زياراته ، معبرة عن ابتهاجها وورد ذلك في عددها ليوم 19 ديسمبر 1931 ، حيث كانت الصحافة إجمالا تبرز اعتزازها بهذا القدوم وتعطيه أبعادا سياسية[1].

ويرى "محمد صالح الجابري" أن أكثر التونسيين ، من غير أعضاء الحزب الدستوري التونسي ، والذين كانوا يعجبون بشخصية المدني ، وكفاحه بين التونسيين ، فوجئوا بهذا الحادث ،لأن معظمهم لم يكن يعرف الأصول الجزائرية لهذا الوطني التونسي ، بل لم يكن معظمهم يفرق بين ما هو جزائري ، وغير جزائري خصوصا في المحن والأزمات[2].

وبعد دخول المدني التراب الجزائري مبعدا ، انتقل من عنابة إلى مدينة قسنطينة ، والتي وجه منها يوم 09 جوان 1925 رسالة عبر جريدة "النجاح"[*] إلى الشعب التونسي يعاهده فيها على الوئام والتضامن ، والبقاء على العهد قائلا[3]:(رمت بي حكومة الاحتلال خارج حدود الوطن بدون حق ولا قانون ،رائمة بذلك إبعادي عن أمة كرست حياتي لخدمتها ، وفكرة سامية بذلت النفس والنفيس في سبيل تحقيقها ، وإخوان أحرار عاهدت الله معهم على السعي في إسعاد الوطن ، إلى أن أبلغ آخر نسمة من الحياة) .

وعن شدة تعلقه بالمبدأ الثوري التحريري يقول:(وإنني أيها الشعب الكريم ، أمد لك من وراء الحدود يد التضامن والوئام ... ولتتيقن أن الرجل الذي عرفته بالأمس ،هو نفسه

---

[1]- محمد صالح الجابري : النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962المرجع السابق ، ص ص 292-293.

[2]- المرجع نفسه، ص 284.

[3]- أحمد توفيق المدني : حياة كفاح ، ج1 ، المصدر السابق، ص ص 276-280.

*- جريدة النجاح :أصدرها الشيخ " عبد الحفيظ بن الهاشمي " بمدينة قسنطينة في سنة 1919 ، وهي أول محاولة لظهور صحافة عربية بعد الحرب العالمية الأولى ، وكان الشيخ عبد الحميد بن باديس " مشاركا في تأسيسها وكتب بها عدة مقالات ، لكنه تخلى عنها فيما بعد لخلاف حول نهجها ، ظهرت أسبوعية ، وإبتداءا " من العام 1930 تحولت الى جريدة يومية ، وهي تعد الجريدة العربية اليومية التي ظهرت في القطر الجزائري قبل الاستقلال ، استمرت في الظهور إلى غاية 1939 لتتوقف خلال الحرب العالمية الثانية ، لتعاود الظهور سنة 1945 ، وتوقفت نهائيا في العام 1956 خلال الثورة التحريرية للمزيد ينظر : محمد ناصر،الصحف العربية الجزائرية من 1847إلى 1939 .

الرجل الذي تعرفه اليوم ، حرا خلقت ، وحرا أحيا ، وحرا أموت)[1].

ويذكر المدني في مذكراته، بأنه لم يكن بمنأى عن أخبار تونس ، حيث كان متين الاتصال باللجنة التنفيذية للحزب الدستوري الحر عن طريق "محيي الدين القليبي" ، وكذا بمختلف قواعد وشُعب الحزب بالمدن التونسية،فكان يتلقى مئات الرسائل شهريا ، قدرها بمتوسط 750 رسالة[2]،حصرها في الفترة الموالية لقرار إبعاده،وهذا أمر طبيعي في نظرنا، بحكم الشبكة الواسعة من العلاقات التي أقامها هناك.

وقد صور المدني أحاسيسه القومية بالقول[3]:(كنت أعمل في تونس بروح جزائرية ، فإذا بي أعمل في الجزائر بروح تونسية ... و اكتشفت أن العمل واحد ،وأن الكفاح واحد وأن جهادنا المشترك ، إنما هو وعاء متصل الأجزاء ، ما صببت في جزء من أجزائه شيئا ، إلا توزع بصفة متعادلة على سائر الأجزاء).

ومن مآثر الشيخ "أحمد توفيق المدني" في خدمة القضية التونسية ، حتى بعد ابعاده إلى الجزائر هو فتحه لمنبر نادي الترقي، وجعله جسرا للتبادل والتزاور، بين السياسيين والمثقفين التونسيين والجزائريين[4]، ومن ذلك زيارة الشاعرين "الشاذلي خزندار" و"الناصر الصدام " والأديب "إبراهيم راجح الأكودي"،وغيرهم .

والظاهر أن مترجمنا كان وثيق الصلة بالحركة الدستورية،وظل دوما على وفائه لخطها ،وعندما اخذ الانشقاق يدب في كيانها، قام بأكثر من محاولة لرأب الصدع بين الجناحين المتصارعين ، ومن ذلك زيارته لتونس في شهر فيفري 1934 ، حيث عرض تصوراته لحل الأزمة،مقترحا برنامجا صلحيا، إلا أن محاولته لم تعرف طريقها إلى النجاح، بسبب عمق الهوة الفاصلة بين التيارين المتنازعين على تزعم وقيادة الحزب الدستوري[5].

---

[1]- أحمد توفيق المدني : حياة كفاح ، ج1 ، المصدر السابق ، ص 339.
[2]- المصدر نفسه، ص 97.
[3]- نفس المكان .
[4]-محمد صالح الجابري : النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962، المرجع السابق ، ص 296 .
[5]-زهير الذوادي : المرجع السابق ، ص 50 .

والحق أن "المدني" لم يدخر جهدا في مجابهة الاستعمار الفرنسي الذي كان يراه الخصم اللدود للشعبين الجزائري والتونسي معا ، وبذل مساعيه لتقوية الحركة الوطنية، ورصّ صفوفها، وتوحيد كلمتها ، ولذلك فقد قال عنه "محمد الصالح الجابري"[1]:(بأن شخصيته مثلث نموذج المحارب المغربي ، الذي ساهم في محاربة الاستعمار على كل الجبهات ، فكافح مع التونسيين،وأبعد مع الجزائريين ، وكان السبب في إبعاده دفاعه عن الريفيين المغاربة).

وهكذا بقي "توفيق المدني" في الذاكرة التونسية رمزا للوطنية ، ولوحدة شعوب منطقة المغرب العربي ، فالرجل دافع عن تونس ، بنفس الحماس الذي دافع به عن المغرب والجزائر[2].

[1]- محمد صالح الجابري : النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962، المرجع السابق ، ص ص 294-296

[2]-محمد حمدان : المرجع السابق ، ص 114.

خاتمة:

يمكننا في ختام هذا الفصل أن نخرج بالنتائج الآتية:

أولا : البيئة المحافظة والشريفة ذات الباع الطويل في العلم و الجهاد و الميراث الأدبي و الثوري ، و تمتع أسرته بوضع مادي ميسور ،ساهمت في النشأة الفكرية و الثقافية الطبيعية المناسبة له ، و كانت أمه هي المدرسة الأولى التي أخذ منها مبادئ العلم و المعرفة .

ثانيا :التحاقه بالكُتّاب القرآني ،الذي أنشأه جماعة من فضلاء تونس ،و أسندوا إدارته للشيخ الفاضل "محمد الصغير" أحد المشايخ و العلماء التونسيين مع مطلع القرن العشرين ، حيث لــُقـِّـن فيه علوما متعددة : قرآنية ، ولغوية،و عصرية فتحت ذهنه، و فتــَّقت عبقريته،و صقلت موهبته الفكرية ،و تدعَمَ ذلك بعد انخراطه في المدرسة الخلدونية و بجامع الزيتونة مركز الإشعاع آنذاك .

ثالثا : تحويله سنوات السجن إلى مدرسة ،مَكــَّنت الرجل من مطالعات واسعة شملت فنون الأدب و اللغة و الفلسفة و التاريخ ، و أدبيات فرنسية ،أثــْرت ثقافته،مما ساعده على سرعة الاندماج في الوسط الفكري السياسي النامي بعد الحرب العالمية الأولى بتونس.

رابعا : انخراطه المبكر ضمن العمل الصحفي، والنشاط السياسي الوطني مما ساعده على مخالطة نخبة المجتمع و مثقفيه ، فأكسبه ذلك تجربة قوَّمت مساره الثقافي، و مكَّنته من النبوغ و العطاء المبكر .

خامسا : اقتحامه عالم الكتابة الصحفية و التأليف العلمي التاريخي و هو في سن العشرين ،أكسبه جرأة و شجاعة أدبية صقلت فكره و موهبته ، و أدخلته عالم المثقفين الكبار ،المنشغلين بقضايا الأمة و همومها في النهضة و الحضارة .

سادسا : استطاع المدني أن يتبوأ مكانة مرموقة ضمن التيار السياسي التونسي باعتلائه مناصب قيادية عليا في هيكل الحزب الدستوري الحر ، و أن يكسب شعبية كبيرة عند عوام التونسيين ،الذين لم يكن كثير منهم يعرف الأصول الجزائرية لهذا الوطني الغيور على القيم الحضارية لأمته ، و يظهر ذلك في موجة الاحتجاج و التنديد الصارخ إعلاميا و شعبيا على قرار إبعاده في شهر جوان 1925.

الفصل الثالث

إسهامه في النهضة الثقافية بالجزائر 1925 – 1954م

المبحث الأول : نشاطه الصحفي

المبحث الثاني : أعماله التاريخية

المبحث الثالث : نشاطه الجمعوي والأدبي

يلاحظ الدارس لتاريخ الجزائر المعاصرة أنَّ الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الأولى ،قد شهدت استفاقة و نهضة ثقافية ،و حركة إصلاحية تجلت في ظهور العديد من الصحف ذات التوجهات المختلفة ، و تأسيس النوادي و عودة الكثير من الأقطاب من منابع العلم في الزيتونة و الأزهر و الحجاز ، و الذين نشَّطوا الحياة الثقافية ، و بعثوا بقوة المشروع الحضاري للشعب الجزائري الذي نزل عليه الستار الاستعماري لعشرات السنين .

فكان أحمد توفيق المدني من الرجالات البارزين ،و من الأقلام التي تشهد لها أعمدة الصحف بالحضور ، و خاصة ذات الاتجاه الإصلاحي كالشهاب و البصائر و الإصلاح و غيرها من الجرائد و المجلات الجزائرية و التونسية.

و لذلك سنتتبع نشاطه الصحفي و مميزات أسلوبه ، و مكانته بين معاصريه ممن تحمَّلوا عبء الرسالة الإعلامية في ظروف صعبة .

فماهو المستوى الذي بلغته كتاباته ؟ و ماهي حدود الأفكار التي طرحها والقضايا التي عالجها ؟.

كما سنعالج الدفعة القوية التي أعطاها للمدرسة التاريخية الوطنية رفقة مبارك الميلي التي بدأت ملامحها في أواخر العشرينيات بإبراز أعماله التاريخية التي أغنت المكتبة الوطنية ، و عبرت عن خصوصية الشخصية الجزائرية غير القابلة للذوبان في المخطط الكولونيالي.

و سأبين دور الرجل في بعث أحد أهم المنتديات الثقافية نادي الترقي بالعاصمة ،والذي كان نقطة إشعاع ، انطلقت منها الكثير من المشاريع و لعلَّ أبرزها ميلاد جمعية العلماء المسلمين سنة 1931م.

و لا يمكن بأي حال إغفال جانب هام من الحركية النضالية للمدني على المستوى الجمعوي و الفني و التي جسدت شمولية نظرته للمواجهة مع المستعمر .

شهدت الجزائر مطلع القرن العشرين استفاقة و نهضة ثقافية بفعل عوامل داخلية وخارجية ،أثرت على أفكار المثقفين الجزائريين ،كتأثيرات الحرب العالمية الأولى، والأفكار الجديدة و تسرُّب الأفكار الإصلاحية من الشرق ، و عودة أبناء الجزائر المخلصين من الحجاز ، و من تونس بعد تشبعهم بالأفكار الحديثة .

وهكذا شاهد الجزائريون حركة فكرية،و نهضة عامة شملت كل ميادين الحياة تقريبًا، كان أهمها الصحافة و التأليف و الجمعيات و النوادي[(1)].

لقد كان من حظ الجزائر أن لمعت فيها نخبة من الصحافيين ،و العلماء المتنورين، ثاروا على الأوضاع الاجتماعية،و حاربوا البدع و الخرافات ،التي أستخدمت لاستعباد الجماهير الشعبية واستغلالها من طرف الاحتلال،و جماعات محلية ذات مصالح مرتبطة به جعلت عامة الجزائريين في عزلة عن التأثيرات الحضارية ،و التيارات الفكرية الحديثة، فكان بعض هؤلاء العلماء في عهد النهضة الجزائرية مؤلّفا، و بعضهم صحفيًا ، بينما كان الآخرون منهم مدرسين و معلمين على الطرق التربوية المستجدة ، فكانوا بمثابة الضوء الأخضر نحو حركة الإصلاح الديني و الاجتماعي[(2)].

و هكذا كان للصحافة الوطنية ،و إحياء التراث العربي ،و نشر الأعمال التاريخية وإنشاء النوادي الثقافية ،أثر بالغ الأهمية في إيقاظ الجماهير من رقدتها الطويلة حتى وُصفت هذه الفترة بفترة الصحوة الثقافية بالجزائر،و هذا حسب وثائق الاحتلال الفرنسي[(3)].

وعليه فما مكانة المدني في الحياة الثقافية الجزائرية خلال الربع الثاني من القرن العشرين ؟ لقد وصف المدني حالة الجزائر الفكرية في هذه الفترة قائلا[(4)]:(إن خلافا هائلا حول المناهج و الأهداف موجود بين الشبان الجزائريين المتناقضي الثقافة (عربية، فرنسية)،كما أنَّ فرنسا كونت حول سلطانها الاستعماري الفظيع،سياجًا مؤلفا من شيوخ الطرق الصوفية...ورجال الدين الرسميين... إضافة إلى أنَّ الجهل الأسود ،و الفقر المدقع،و الظلم الشنيع و الإهمال الفادح قد حط بكلكله على الشعب في كامل البلاد).

---

[1] عبد الكريم بو صفصاف :جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و دورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931 – 1945 ، ط1،دار البعث للطباعة و النشر، قسنطينة :1981 ،ص 61 .

[2] المرجع نفسه، ص ص 66 – 67 .

[3] عمار هلال : النوادي الثقافية التي كانت تنشط قبيل الحرب العالمية الثانية ،مجلة الدراسات التاريخية ،العدد 07 ،معهد التاريخ ، جامعة الجزائر : 1993 ،ص 128 .

[4] -أحمد توفيق المدني : حياة كفاح ، ج2 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر :1983 ،ص ص 15 – 16 .

المبحث الأول : نشاطه الصحفي

كانت الصحافة إحدى أهم الوسائل التي استعملها الجزائريون في نشاطهم السياسي وحركتهم الإصلاحية، و يقول الدكتور"أبو القاسم سعد الله"[1]:(أنَّ عبارة الصحافة الوطنية في العهد الاستعماري تعني الصحافة المعبرة عن الاتجاهات الوطنية ،سواءً منها المتطرفة، أم المعتدلة،و سواءً باللغة العربية ،أم باللغة الفرنسية).

لقد ظهرت الصحافة الوطنية الجزائرية في مطلع القرن العشرين ضعيفة الإخراج ركيكة الأسلوب ،لكنها اهتمت بالقضايا الوطنية ، فكانت صحافة نضال مستمر ضد الفساد و الاضطهاد ، و القوانين الاستثنائية الظالمة [2].

و الملاحظ أنَّ مستوى الكتابة كان متخلفا بشكل عام ،و مليئا بالأخطاء في اللغة والأسلوب ، حيث لم تسلم من ذلك إلا صحافة جمعية العلماء ،التي كانت جرائدها أكثر دقة وعناية من ناحية الأسلوب و اللغة[3].

و لما كان القانون يجيز حق إصدار الصحف ،ظهرت عدة جرائد تحمل وجهات نظر الحركة الإصلاحية ،و مبادئها،و تنشر دعوتها،استخدمتها سلاحًا خطيرًا ضد خصومها من الإدارة الاستعمارية،و رجال الطرقية، و ضد كل من أصبح يسير في ركاب المحتلين[4].

و لعلَّ أبرز الصحف التي مثلت التيار الوطني الاصلاحي، نجد "الشهاب "و"البصائر" و"الإصلاح"،و هي الصحف التي تجند الكثير من العلماء و المصلحين للكتابة فيها .

و يُعد "أحمد توفيق المدني" واحدًا من الذين تركوا بصماتهم جلية على أعمدتها ، و الواقع أنَّ النشاط و الحس الصحفي لمترجمنا ليس جديدًا ،بل يعود إلى المراحل الأولى لشبابه ، و تشاء الظروف أن ينشر أولى مقالاته بإحدى صحف الجزائر،و عمره 15 سنة كما مر معنا ،و من ثمة تحركت أحاسيسه الوطنية بتونس ،التي كتب في الكثير من صحفها

---

1 أبو القاسم سعد الله :أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر ، ج3 ، ط1 ، المرجع السابق ،ص 87 .

2 الزبير سيف الإسلام : تاريخ الصحافة في الجزائر ، ج4 ، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر:1985 ،ص ص 94 – 95.

3 عواطف عبد الرحمان:الصحافة العربية في الجزائر 1954 – 1962، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر:1985 ،ص 33

4 عبد الكريم بو صفصاف : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و دورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية ، 1931 – 1945 ، المرجع السابق ، ص 140 .

الحزبية أو المستقلة ،قبل أن يتم إبعاده حاملا معه قلمه السيَّال ، و فكره الناضج ، و خبرته الصحفية التي أحسن توظيفها في موطنه الأصلي ، و خدم بها موطن ولادته الذي لم تنقطع أواصر الاتصال به .

و لا نخال المدني إلا مُتشبعًا بأهمية و قيمة العمل الصحفي،مُرددًا ما نظمه "أبو اليقظان":(*)(1)

إنَّ الصحافة للشعوب حياة و الشعب من غير اللسان موات

و الحق أنَّ إيمان المدني برسالة الصحافة ،و دورها الجهادي ،و خدمتها لتطلعات الشعب كان عميقا ، و يبرز ذلك جليًا في قوله:(2)(... و إني لأعتبر نفسي مُجرمًا ،إذا أنا عمَّرت بياض صحيفة بكلام لا يكون من ورائه أيُ نفع للشعب و البلاد).

و نظرًا للظروف الصعبة التي كان كُتَّاب الجرائد و المجلات ،يتعرضون لها من قبل الاستعمار الفرنسي ،الذي كان دائم المراقبة لهذا النشاط ، فقد كانوا يلجأون إلى التوقيع بإمضاءات مستعارة ،تقيَّة و حذرًا من الإجراءات و العقوبات التي تستخدمها الإدارة ضدهم إما بالسجن أو حجز الجرائد و منعها من الصدور كما حصل لعشرات الجرائد العربية، هذا و قد بقيت الكثير من الإمضاءات مجهولة ، مما أدى إلى جهل الكثير من المقالات و أصحابها(3).

و بخصوص الشيخ "أحمد توفيق المدني" فالملاحظ أن إمضاءاته كانت متنوعة ،و لعلَّ أشهرها "المنصور" و "أبو محمد "،كما وقّع عديد المقالات في صحف مختلفة بأسماء "الخبير" و " نفريت " و " أ. ت.م ".

1- محمد ناصر: أبو اليقظان و جهاد الكلمة ، ط2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب:1983، ص 20 .

2 أحمد توفيق المدني: "كلمة أخيرة "، الشهاب ، العدد 100 ، 09 جوان، 1927، ص 8 .

3 محمد مرغيت : المرجع السابق ، ص ص 221 – 222 .

*-أبو اليقظان إبراهيم بن الحاج عيسى بن يحي ،ولد بالـ قرارة بغرداية سنة 1888 ،تعلم بمسقط رأسه ثم بغرداية ،ليواصل دراسته بجامع الزيتونة ،حيث تولى الاشراف هناك على شؤون الطلبة المغاربة ،إنضم إلى الحزب الدستوري،عاد الى مسقط رأسه سنة 1925 حيث أنشأ معهدا عصريا للتعليم باللغة العربية (معهد الحياة)، أنشأ عدة جرائد منها:ميزاب –وادي ميزاب –شارك في تأسيس جمعية العلماء ومن أهم جرائده الامة التي استمرت من سنة 1933 إلى سنة 1939، وقد امتازت مواقفه بالمحافظة على الشخصية الوطنية ورفض السياسية الاستعمارية ،توفي سنة 1973.

المدني و الشهاب :

لقد كانت الشهاب قبلته فكان المحرر السياسي لها[*] باعتباره من رجال السياسة،الذين تربوا في أحضان الحزب الدستوري التونسي[1]، و عن بدايات مشاركته في الشهاب ، ذكر المدني ذلك قائلا[2]:(تعهدت لابن باديس و أصحابه، أن أحرر لهم مقالا لكل عدد من الشهاب الأسبوعي، يتناول السياسة الخارجية ، كما اتفقنا على أن يكون مقالي خلوا من كل إمضاء حتى لا تتخذ الإدارة من ذلك ذريعة لإلحاق الأذى بالشهاب ، بدعوى أنني من رجال اللجنة التنفيذية بالحزب الدستوري التونسي)

والظاهر أنَّ جريدة الشهاب قد تميزت بمرونة سياسية و هو ما ساعدها على الاستمرار في الصدور إلى غاية عام 1939م،و كان من كُتابها "توفيق المدني" الذي اختصَّ بالكتابة عن المجتمع الجزائري ،و الشهر السياسي[3]،و هو ما يؤكده أحد المعاصرين الذي قال بأنَّ المدني كان يحرر بالشهاب فصلا بعنوان[4]:(في المجتمع الجزائري " غالبا ، و يحرر فصل "الشهر السياسي" دائمًا في حين كان "عبد الحميد بن باديس" يحرر القسم الديني والقسم العلمي).

والحق أن ركن الشهر السياسي كان ركنا سياسيا محضا، يجعل قراء الشهاب على اطلاع بمجريات الأحداث العالمية خلال شهر ، و قد انقسم هذا الركن فيما بعد إلى عنوانين هما : "في الشمال الإفريقي"و"الشهر السياسي في عالمي الشرق الغرب"[5].

1- فاطمة تازير ، فضيلة تكور : المرجع السابق ،ص 07 .

2- أحمد توفيق المدني : "عبد الحميد بن باديس العظيم "، الأصالة ، العدد 44 ،الجزائر: أفريل 1977، ص 67 .

3 -عبد الكريم بوصفصاف : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و دورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931 – 1945 ، المرجع السابق ، ص 140 .

4 حمزة بو كوشة : "مع عبد الحميد بن باديس في ذاكره" ، مجلة المعرفة ، العدد 10 ،الجزائر: أفريل 1964 ، ص 15 .

5 محمد ناصر:الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1939 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر:1980،ص 59

*يذهب محمد الطاهر فضلاء إلى أن توفيق المدني لم تكن له مساهمة قط في الكتابة في الشهاب الأسبوعي و ليس له و لو كلمة واحدة لا في الركن السياسي و لا حتى في صفحة إعلانات ، و هي دعوة إنفرد بها المذكور ، بل أكدت نقيضها كل الدراسات التي تناولت العمل الصحفي لدى الجمعية ، و ربما كان فضلاء يجهل الإسم المستعار الذي يكتب به المدني و هو " المنصور " .

للمزيد أنظر - محمد الطاهر فضلاء :التحريف و التزييف في كتاب حياة كفاح ، ط 1 ، دار البعث ، قسنطينة 1982 ص ص 49 – 51 .

و عن نشاطه بالشهاب يقول المدني[1]:(صلت و جلت في الشهاب صولات عميقة، وجولات عريقة منذ الشهاب الأسبوعي إلى نهاية الشهاب الشهري ، و ما كنت أكتب في الشهاب إخباريًا ،إنما كنت أكتب توجيهيًا... كنت أفكر في الجزائر،أقول لها من طرف خفي إياك أعني ، فأسمعي يا جارة).

و الحق أنَّ الشيخ "أحمد توفيق المدني" كان يتعمّد الاتخاذ من المناسبات فرصة ذهبية يستغلها بذكاء، فيُحدث الأمة الجزائرية عن مهر الحرية ، و ثمن الاستقلال ، و يغرس في نفوس مواطنيه المبادئ التي تعتنقها الحركة الاستقلالية ،و يكاد يكون بعضها صرخة مُدوية تهيب بالشعب الجزائري ليُطالب بحريته ، و يعمل جادًا في سبيل الحصول عليها[2].

إن الأسلوب المعتمد على توجيه الخطاب بطريقة غير مباشرة إلى الاستعمار،يُعد من الحيل التي يلجأ إليها كُتاب الصحافة المحرومون من حرية الكلمة ،ليُفلتوا بها من عين الرقيب ، و يتخذونه موقعًا حصينا لتوجيه ضربات إلى صدر العدو،و دون أن ينال منهم[3].

و من بين تلك الصياغات ،نورد هذه الفقرة التي علّق بها المدني[*]على فشل محادثات الوفدين المصري و الفلسطيني مع المسؤولين الانجليز، في مفاوضاتهما الرامية لنيل الإستقلال ، فكتب يقول[4]:(قلبِ صفحات التاريخ العالمي،و أنظر في ذلك السجل الأمين، هل تجدن أمة غلبت على أمرها ،و نكبت بالاحتلال... ثم نالت حريتها منحة من الغاصب ، و تنازلا من المستبد ،و منَّة من المستعبد؟ اللهم كلا،فما عهدنا حرية تعطى ،إنما عهدنا الحرية تؤخذ،و ما علمنا الاستقلال يمنح ويوهب ،إنما علمنا الاستقلال ينال بالجهاد... وما رأينا التاريخ يسجل بين دفتي حوادثه خيبة للمجاهد ،إنما رأيناه يُسجل خيبات للمستجدي).

---

[1] أحمد توفيق المدني : حياة كفاح ، ج2 ، المصدر السابق ، ص 275 .
[2] محمد ناصر: المقالة الصحفية الجزائرية نشأتها و و تطورها و أعلامها من 1903 إلى 1931 ، المرجع السابق ، ص 417 .
[3] المرجع نفسه ، ص 416 .
[4] الشهاب : ج5 ، م6 ، جوان ،1930 .
لقد نسب الشيخ عبد الرحمان شيبان هذا المقال إلى عبد الحميد بن باديس ،و الحقيقة أنَّ صاحب هذا المقال هو أحمد توفيق المدني الذي يحرر ركن نظرة عالمية .
للمزيد أنظر - عبد الرحمان شيبان :مقدمة مجلة الشهاب ، ط 1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان : 2000 ص ص 94 – 95 .

لقد عبَّر المدني عن هذه المشاعر في أكثر من مرة ، و كادت هذه المعاني أن تكون لازمة يفتتح بها كل مقالاته السياسية بحسب رأي أحد الكتاب[1].

و تعليقا على توقف الشهاب عشية اندلاع الحرب العالمية الثانية (39- 1945) كتب المدني في مذكراته يقول[2]:(و هكذا فقدت الآلة الصالحة التي كنت أستعملها في حقل الوطنية و السياسة ،فقدت أبواب الشهاب التي كانت وسيلتي للاتصال المباشر مع الشعب ،ومع الطبقة الواعية فيه).

المدني و البصائر :

تعد **البصائر**[*] من أهم جرائد الجمعية و خاصة في سلسلتها الثانية التي ظهرت في عام 1947م،و يُخيل إلى الباحث في الصحافة العربية بالجزائر و في تاريخ تطورها ،أنَّ كتاب البصائر من الناحية الأدبية أقوى تعبيرًا ، و أجمل تصويرًا ، و أغزر مادة من كتاب الشهاب ،التي كان يغلب عليها الطابع الديني و الفكري[3].

و حسب الدكتور "عبد المالك مرتاض" فإنَّ "أحمد توفيق المدني" يُشكل القطب الثاني في البصائر بعد "البشير الإبراهيمي"، حيث كان يكتب في البصائر أسبوعيًا ، و يُشرف على تحرير الركن الشهير " منبر السياسة العالمية"، و كان لهذا المنبر أنصاره الكثيرون من القراء الذين يتابعون باهتمام كبير ما يعرضه، و يصف درجة التعلق بالركن قائلا[4]:(فقد كنت أعرف أحد حفاظ القرآن المستتيرين المولعين بالقضايا السياسية ، أنه كان يجوب الجبال و الوهاد،قاطعا نحو خمسة عشر كيلومتر من أجل أن يشتري البصائر ،ليقرأ فيها منبر السياسة العالمية).

---

[1] محمد ناصر : المقالة الصحفية الجزائرية نشأتها و تطورها وأعلامها من 1903-1931 ، المرجع السابق ، ص 394 .

[2] أحمد توفيق المدني : حياة كفاح ، ج2 ، المصدر السابق ، ص 274 .

[3] عبد المالك مرتاض : نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925 – 1954 ، النهضة الفكرية – النهضة الصحفية و الأدبية – النهضة التاريخية ، ط2 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر :1983 ،ص ص 110 –111.

[4] المرجع نفسه، ص 111 .

[*] البصائر : تعد الصحيفة الرابعة التي تصدرها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، و من أكبر الصحف العربية شهرة و إنتشارًا ، ظهرت في سلسلتين : الأولى 1935 – 1939 و الثانية 1947 – 1956 ، شعارها الآية الكريمة " قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه و من عمى فعليها و ما أنا عليكم بحفيظ " ، و من الذين تولوا رئاسة تحريرها : الطيب العقبي ، البشير الإبراهيمي ، أحمد توفيق المدني

و يرى الاستاذ "عبد الرحمان شيبان" أنَّ البصائر قد عرفت في عهده إزدهارًا كبيرًا بما يكتبه في الافتتاحيات، و في ركنه الشهير و من خلال التحرير العام للجريدة [1].

و من جهته يذهب الدكتور" أبو القاسم سعد الله"، إلى أنَّ الخطاب السياسي الذي جسَّده "توفيق المدني" بالبصائر قد جاوز في طرحه رواد الحركة الإصلاحية "كعبد الحميد بن باديس"،و" البشير الإبراهيمي"،فالمدني ومن خلال كتاباته بالبصائر في سلسلتها الثانية ،قد عالج قضايا العصر بقلم سياسي وهو في ذلك كان معاكسا للإبراهيمي الذي ركن إلى الأسلوب الأدبي[2].

و فيما يتعلق بأركان البصائر نفسها ،فقد طوَّرها المدني خصوصا بعد التحاقه رسميًا بالجمعية و تولي الأمانة العامة سنة 1951م .

و إذا كان الشائع أنَّ جمعية العلماء بعيدة عن السياسة ،فإنَّ البصائر بيَّنت أنها خاضت كل الميادين بما فيها السياسية ،و لكن بلغتها و طريقتها ، فلم تغب أحداث المغرب العربي و العالم الإسلامي ،و لا الصراع بين المعسكرين عن صفحاتها ، كما رصدت تجاوزات الإستعمار محليًا ،و في كل مكان من أصقاع الأرض[3].

إن غياب معالجة القضايا الجزائرية كان أمرًا ملفتا في مسيرة البصائر،و يُعتقد أنَّ سبب ذلك يعود إلى تفويت الفرصة على الاستعمار ،حتى لا يوقف استمرار الجريدة ، و بالتالي عدم بلوغ الهدف المنشود من إنشائها ، و خدمة قضايا البلدان العربية الأخرى ،مع أنها ظلت تتداول مفردات الحرية ، و الاستقلال ، و مسميات الاستعمار ، و الطغيان ،و تبلغ رسالتها بالأسلوب المباشر ،أو الرمزية أحيانا تحت غطاء تقديم الحقائق المجردة كما هو الحال في مجريات الثورة الجزائرية [4].

---

[1] عبد الرحمان شيبان : مقابلة شخصية ، مقر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، حسين داي، الجزائر:02 جويلية 2006

[2] أبو القاسم سعد الله : مقابلة شخصية، المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954 ، الأبيار ، العاصمة: 29 جوان 2006 .

[3] حميدي أبو بكر الصديق : القضايا العربية من خلال جريدة البصائر – السلسلة الثانية 1947 – 1956، مذكرة ماجستير ، قسم التاريخ ، المدرسة العليا للأساتذة للآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الجزائر :2004 ،ص 16 .

[4] المرجع نفسه ، ص ص 12 - 13 .

و الحقيقة أنَّ إهتمامات الجريدة كانت تتجاوب مع القضايا الراهنة للأمة ، و عن غياب القضايا الجزائرية المعالجة في ركن منبر السياسة العالمية، نشرت البصائر ،مقالا تساءل كاتبه [*] عن خلفيات هذا الغياب ،موجها خطابه إلى محرر الركن "أحمد توفيق المدني" تحت عنوان "إلى أبي محمد".

و قد رد المدني معتبرا ذلك بأنه حملة شعواء و منكرة ،هدفها محاولة النيل من شرفه السياسي ، و الطعن في عرضه الصحفي،و أنَّ الأمر لا يعدو كونه تقسيما للعمل من قبل الرئيس ،الذي أسند إليه القسم الخارجي حيث قال:[1](و ممن أخاف أيها السادة ؟ أ أخاف وأرهب إدارة استعمارية ظالمة و غاشمة ، هي إدارة احتلال أجنبي ،يعتمد على قوة الحراب وسواعد الجنود؟ أم أخاف حكومة هي الاستعمار العاتي المجسم و ليس لها في برامجها إلا القضاء على البقية الباقية من آثار الإسلام و المسلمين في هذه الأقطار ؟ ... كلا و الله ليس بيني و بين هذه الإدارة،و هذه الحكومة وهذا النظام ،إلا الحرب والكفاح و النضال ...).

و الواقع أنَّ المدني كان قد أوضح خطه السياسي بالبصائر منذ سنة 1947م ،حيث قال[2]: (إذا ما أمسك – أبو محمد – بقلمه و أخذ يسطر فوق القرطاس كلماته ،فإنه لا يضع أمامه إلا الحقائق الناصعة،يستجلي أسرارها،و يسبر أغوارها... و لا يحّكم فيها إلا فكره و ضميره،غير خاضع لأي تأثير أجنبي ،حزبيا كان أو دوليا،أو عاطفيا).

و أضاف يقول:[3](كما لا يخاف محرر هذا القسم طائلة أي مستعمر ظالم،و أي متسلط غاشم و أي مستعبد للشعوب قاهر للأمم ،فقلمه وقف على مقاومة كل استعمار، و محاربة كل تسلط و نصرة كل مظلوم ، و خدمة كل شعب يجاهد في سبيل حريته و استقلاله).

و بعد أن رسم خطة التحرير بالصحيفة، و أبرز شعاره و أهدافه ،أكد على حرية الكتابة، و استقلالية الموقف،و في هذا الصدد يقول:(أما أن نقيّد أنفسنا بحزبية ضيقة،و أن ننظر الدنيا

---

[1] -أبو محمد :" من أبي محمد "، البصائر ، العدد 89 ، 08 أوت 1949 ،ص 05 .
[2] أبو محمد:" كلمة هادئة"، منبر السياسة العالمية ، البصائر العدد 10 ،13 أكتوبر ،1947 ، ص 04 .
[3] -نفس المكان.
[*] صاحب المقال هو "عبد اللطيف القنيطري" ، نشرته البصائر تحت عنوان "إلى أبي محمد " و هذا في العدد 88 بتاريخ 01-اوت -1949بالصفحة الخامسة تساءل من خلاله كاتبه عن غياب أو تغ ييب القضايا الوطنية الجزائرية محاولا الطعن في مصداقية محرر الركن

بمنظار رسمي واحد لا يتغير ، كأن نحب كل من تحب واشنطن،أو نكره كل من تكره موسكو فذلك أمر لا سبيل إليه ، ذلك أمر يجعلنا آلة مسخرة ... و ما كنا و لن نكون لأي حزب، و لأي حكومة من المسخرين) [1].

كما كتب المدني في العديد من الجرائد و المجلات الصادرة بالجزائر خلال فترة الدراسة[2]، و من ذلك جريدة " الإصلاح" للطيب العقبي [*]، التي كان يحرر بها ركن " أسبوع في العالم " تحت إمضاء " أثم"،و جريدة " النجاح " لعبد الحفيظ بن الهاشمي" ، و مجلة "إفريقيا الشمالية " التي أصدرها " إسماعيل العربي " سنة 1948م ، و عن الأقلام التي كتبت على أعمدتها فقد وصفها "عبد المالك مرتاض" بالقول[3]:(أما كُتاب هذه المجلة فقد كانوا كتاب البصائر أنفسهم ، و هم يمثلون الصفوة الصافية من كُتاب الجزائر يومئذ ، و ناهيك بالمدني و ابن نبي كاتبين).

وبالإضافة إلى ما سبق ذكره ،فقد حرر المدني بمجلة "التلميذ" التي صدرت في عام 1931م ،و هي مجلة شهرية تصدر بالعربية و الفرنسية ، و اهتمت بقضايا الإصلاح ، و هي تابعة للجمعية الودادية للتلاميذ المسلمين في إفريقيا الشمالية[4].

و الحق أنَّ النشاط الصحفي لمترجمنا استمر حتى بعد اندلاع الثورة التحريرية المباركة ، فكان يتابع أحداثها ،و يترجم ما يصدر في الصحف الأجنبية عنها[5].

و صفوة القول أنَّ المدني قدم مساهمات قيمة في طريق بناء الإنسان الجزائري فكريا وحضاريا،و زرع روح التصدي للاستعمار فيه،و تقوية إيمانه بالهوية العربية الإسلامية التي قادت في نهاية المطاف إلى الثورة العارمة في الفاتح من نوفمبر 1954م ،والتي حررت الأرض و الإنسان .

---

[1] - أبو محمد : "كلمة هادئة " ،منبر السياسة العالمية ،المصدر السابق ،ص 04 .

[2] - محمد الحسن فضلاء : المرجع السابق ، ص 97 .

[3] - عبد المالك مرتاض : نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925 – 1954 ، المرجع السابق ، ص ص 114 – 115 .

[4] - أبو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية 1930 – 1945 ، ج3 ، المرجع السابق ، ص ص 102– 103.

[5] -أحمد حماني : صراع بين السنة و البدعة ، ج2 ، ط1، دار البعث للطباعة و النشر،قسنطينة :1984 ،ص 271 .

[*] الطيب العقبي : ولد بمدينة سيدي عقبة (بسكرة) سنة 1889م ، هاجرت عائلته إلى المدينة المنورة و هناك تعلم القرآن و قواعد اللغة العربية ، عاد إلى بسكرة سنة 1920م ، أسس سنة 1927م جريدة الإصلاح و أصبح خطيبا مصقعا بنادي الترقي ، عضوا مؤسسا لجمعية العلماء ، و رئيسا للجمعية الخيرية الإسلامية التي تكونت سنة 1933م ، ساهم في المؤتمر الإسلامي عام 1936م ، إنسحب من جمعية العلماء سنة 1938م ، لكنه ظل يعمل في حقل الإصلاح إلى أن وافته المنية في العام 1961م .

المبحث الثاني :أعماله التاريخية

مع بزوغ القرن العشرين أطلت الجزائر بوجهها الثقافي الجامد ،و ظهر الستار الحديدي مضروبا حولها حسيا و معنويا ، و ما زاد في عزلتها اقتناع الرأي العام الأجنبي ، و حتى من الأشقاء من اعتقد بأنَّ الجزائر لا تشكل جزء من العالم العربي، أو الإسلامي ،إنما هي قطعة فرنسية حسبما أشاعت فرنسا،و رغم أنها لم تنفك على اتصال بإخوانها في العالمين العربي و الإسلامي بكل الوسائل ،متخطية جميع العقبات و الحواجز(1)، غير أن الصورة أخذت تتغير .

و هكذا شهدت الجزائر استفاقة، و نهضة ثقافية ،و نشطت حركة التأليف و الإهتمام بالتاريخ و الشعر ،حيث أصبح الحديث يدور حول الوضعية المتدهورة للشعب الجزائري وعن الوطنية الجزائرية ،و عن التاريخ الحافل للعرب(2).

و برز "أحمد توفيق المدني " بمؤلفاته العديدة و الغنية ،التي تصدرت انتاجات المنشطين الآخرين للحركة الإصلاحية، تشهد له بالثقافة الواسعة ، و الموهبة الأدبية الخاصة و المتميزة (3).

لقد تصدى للكتابة التاريخية في فترة حرجة جدا من تاريخنا الوطني ، فمنذ عام 1925م نشط مترجمنا في إخراج كثير من الإنتاجات التاريخية المختلفة ، منها ما كان يصدر في الصحف و المجلات ،و منها ما كان يقدمه إلى المطابع في هيئة كتاب .

و الملاحظ أنَّ توفيق المدني لم يكن كاتب مقالات فحسب ،شأن ما وجد عند "الإبراهيمي"و"ابن باديس"،و كثير ممن سواهما قبل اندلاع الثورة الكبرى ، بل كان مؤلفا

---

[1] عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون : الكفاح القومي و السياسي من خلال مذكرات معاصر ، ج1 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر: 1984 ،ص 55 .

[2] Fadhila ,Yahiaoui :Roman et Societé Coloniale dans L'Algerie de l'entre deux guerres ,ENAL , Alger :1985, p 57 .

[3] - Ali , Merad : op-cit, p 118 .

طويل النفس يتناول مواضيع أكثر ما كانت تاريخية ، أو جغرافية ، و هذا التنوع يبرز ظاهرة هامة جدا في النهضة الأدبية و الثقافية المعاصرة في الجزائر[1].

و الحق أنَّ "توفيق المدني" بحث في كثير من المواضيع التاريخية المتفرقة ، و هذا ليس معناه أنه حاول أن يجوب بفكره مجاهل التاريخ الإنساني العام ، فذلك ما لم يكد يتاح لمؤرخ جزائري في النصف الأول من القرن العشرين ، إنما معناه أنَّ الرجل كان ولعا بالدراسة التاريخية التي تتصل بالجزائر ،إذ أنه من العسير على أولئك المؤرخين الجزائريين أن يصرفوا وجهتهم إلى التاريخ الإنساني العام ،من حيث أنَّ تاريخهم نفسه بحاجة إلى البعث و الإحياء ، حيث أنَّ تاريخ الجزائر كُتب في أغلب الأحوال من وجهة نظر واحدة ،و هي استعمارية بحتة ،حين كلف المستشرقون و غير المستشرقين من الفرنسيين و غيرهم بكتابة هذا التاريخ ، لذلك فلا أحد أجدر من أبنائها[2].

و يصف الدكتور " عبد الكريم بو صفصاف" المؤرخ المدني بالقول[3]:(لعل المؤرخ الجزائري الوحيد الذي جمع بين الذاتية الجزائرية و الإقليمية المغاربية في كتاباته التاريخية هو أحمد توفيق المدني ،كاتب القطرين ،و هو من طلائع المؤرخين الجزائريين، الذين بدأوا يبحثون في تاريخ الجزائر قديما و حديثا و معاصرا في العشرينيات من القرن الماضي).

و اعترافا بدوره الهام ،كتب الدكتور"عبد المالك مرتاض" منوها يقول[4]:(يجب أن يُعِده التاريخ أحد المؤرخين الجزائريين، الذين قامت على أكتافهم النهضة التاريخية في وطننا خلال فترة عصيبة ، فلم يكد يفتر عن البحث في القضايا التاريخية التي تتصل بالشعب الجزائري ،منذ أن بدأ هذه البحوث سنة 1925م ... إن فضل المدني على التاريخ الوطني الجزائري إذن عظيم).

---

[1] عبد المالك مرتاض : نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925 – 1954 ،المرجع السابق ، ص ص 207 –211 .

[2] المرجع نفسه، ص ص 207 – 208 .

[3] -عبد الكريم بو صفصاف :"المؤرخون الجزائريون و منهجية الكتابة في الحركة الوطنية الجزائرية في عهدي الإحتلال و الإستقلال"،أعمال المؤتمر الأول لمنتدى التاريخ المعاصر حول : منهجية كتابة تاريخ الحركات الوطنية في المغرب العربي ، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي و المعلومات ، تونس : سبتمبر 1998 ، ص 46 .

[4] عبد المالك مرتاض : نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925 – 1954 ، المرجع السابق،ص 219 .

nو الواقع أنَّ المترجم له كان متنوع النشاط بين كثير من الأعمال الأدبية، و لو تخصص للتاريخ وحده ،لكان أبرز المؤرخين الجزائريين، لإلمامه باللغة الفرنسية إلماما حسنا،
و لنشاطه و حيويته و حماسه ، و هذا الإنشغال متعدد الوجوه ، لم يكن -حسب العديد من الدارسين – صفة لازمت المدني وحده ، بل كانت سمة عامة عند كثير من الكتاب، فالرجل كان متأثرا بتيار هذه الظاهرة[1].

و يذهب كل من الدكتور "عبد الكريم بو صفصاف" ،و الدكتور "عبد المالك مرتاض" إلى أنَّ الكتابات التاريخية للمدني كانت تلقى نجاحا ملحوظا ، غير أنَّ أعماله لم تخل من بعض الهنات كسائر الأعمال الكبرى ، و كانت هذه المآخذ خاصة في تعليل الأحداث و تحليلها،رغم أنها مسألة نسبية ،حيث يتفق رأي الرجلين في أنَّ المدني كان ذا نزعة دينية في معالجة الوقائع التاريخية ،شأنه شأن جميع رفقائه في النهضة[2]، و هو ما لمسناه من خلال استعراضنا لمؤلفاته.

لقد عرَّف "أحمد توفيق المدني" التاريخ قائلا[3]:(التاريخ في نظري عرض و تحليل ، و تعليل و حكم ،فالمؤرخ الحق إنما هو حاكم نزيه ، حر الضمير ،يدرس الوثائق و المستندات ،و يستخرج الحقائق من بين النصوص، و يستمع بإمعان إلى ما يقوله هؤلاء و ما يقوله هؤلاء ، ثم ينظر الملابسات ، و يدرس المحيط ، فإذا ما أسفر أمامه وجه الحق ناصعا أصدر حكمه عادلا لا عاطفة ، و لا رياء ، و لا محاباة).

---

[1] عبد المالك مرتاض : نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925 – 1954 ،المرجع السابق، ص 211 .
[2] عبد الكريم بو صفصاف : المؤرخون الجزائريون و منهجية الكتابة التاريخية في الحركة الوطنية في عهدي الإحتلال و الإستقلال ، المرجع السابق ، ص 47 .
[3] أحمد توفيق المدني : حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا 1492 – 1792 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر :بلا تاريخ ،ص 08 .
- أنظر أيضا : أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج7 ، ص ص 308 – 309 .

و دعا المؤرخ إلى التزام الموضوعية في المعالجة،و أن تكون كتاباته تعبيرا صادقا عن أحاسيسه المبنية على الإيمان و الاقتناع بسير الأحداث ، و إلا عُدَّ من رواة القصص، لا من المؤرخين[1].

لقد حرر "المدني" مؤلفات قيّمة ،فتحت آفاقا عريضة وواسعة ،شكلت قطيعة كاملة بالنسبة للمنشورات التقليدية في ميدان تاريخ الجزائر و المغرب العربي[2]، و المعلوم أنَّ معظم مؤلفاته نشرها بعد نفيه إلى الجزائر ،إلا ثلاثة منها نشرها خلال تواجده بتونس،ويمكننا تتبع أعماله التاريخية على النحو الأتي:

-تقويم المنصور :

كان في شكل مجلة ، شمل خمسة أجزاء حيث أصدر الثلاثة الأولى بتونس بداية من العام 1922م كما سبقت الإشارة إلى ذلك في الفصل السابق ،و أصدر الجزئين الرابع و الخامس في الجزائر سنوات 1926- 1929 .

و قد علَّقت جريدة "الشهاب " على هذا المؤلف بالقول[3]:(تقويم المنصور،و هو السفر السنوي الحافل ،الذي يدبجه صديقنا أحمد توفيق المدني كل سنة هجرية ... يشتمل ما لذ وطاب من مختلف المواضيع العلمية و الأدبية و التاريخية و الإجتماعية و غيرها ، فنحث كل قارئ يهمه رقي العربية و العلم و الأدب ،أن يسارع إلى توجيه اشتراكه).

و نوّهت من جهتها جريدة "النجاح" بالتقويم فكتبت[4]:(أهدى لنا حضرة الكاتب السياسي المقتدر،الأديب المُطلع السيد أحمد توفيق المدني ،تقويمه للسنة الجارية فطالعناه، فإذا هو حاو لأهم الفوائد العلمية و الأدبية ، فيه من كل فاكهة زوجان ، فنحث القراء على اقتنائه من النجاح).

---

[1] - نفس المكان

[2] الجيلالي صاري ، محفوظ قدّاش : الجزائر في التاريخ : المقاومة السياسية 1900 – 1954 الطريق الإصلاحي و الطريق الثوري ،ترجمة عبد القادر بن حراث،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر :1987 ،ص 244 .

[3] -الشهاب :" صدى تقويم المنصور لسنة 1345هـ / 1926م" ، العدد 29، 03 جوان 1926م، ص 17 .

[4] جريدة النجاح: العدد 339 ، 03 سبتمبر 1926 ، ص 03 .

اشتمل كتاب "تقويم المنصور" على العديد من الأبواب المتنوعة،و قد لخّصتها "الشهاب" في تقريض رائع حين كتبت[1]:(تقويم المنصور ، تأليف نفيس ، علم حي و أدب غض، وتاريخ قومي ،ومختارات نفيسة ،و قطع فائقة في ستة عشر بابا، المباحث العلمية، المباحث التاريخية ، ثمرات من بساتين العلوم ، مرآة العالم ، طبيب الدّار ، أكبر الحوادث و أشهر الرجال ، قطرنا العربي ، العالم الإسلامي ، الأقاصيص ، عرائس الأفكار ، صحائف ربة المنزل ، تراجم الرجال ، آثار الأقدمين ، من كل فاكهة زوجان...و كفى بهذه الصورة المصغرة منه باعثا لرغبة الأديب فيه،و موجبا لتقدير عمل هذا الكاتب البارع و الإعجاب به).

و الظاهر أن صدى الكتاب،و ما احتواه من أفكار تحررية ،كانت وراء قرار السلطات الاستعمارية الفرنسية بمصادرة الكتاب من جميع بلاد المغرب العربي في 08 فبراير 1926م[2].

و لقد حيَّت " الشهاب " المؤلف على تفانيه ،و جديته رغم الظروف التي كان يمر بها فذكرت[3]:(و مهما يكن من الإعجاب بنبوغ هذا الصديق و أدبه ،فإنه لا يضاهي الإعجاب بعزيمته و ثباته ،المصدقين لشعاره : العزيمة و الثبات ، شاب مبعد عن أبويه و أحبابه ورفاقه و أترابه يثابر على عمله ،و يُصدر تقويمه كل عام في وقته، مترقيا في حلل الكمال، حقا إنك لفخر الشباب و قدوة الناهضين).

و مما لا شك فيه أنَّ البحوث التي أصدرها في تقويم المنصور ،قد أتاحت له فرصة البحث التاريخي واستكشاف ماضي المنطقة ،و أعطت له الذوق في التأليف التاريخي[4].

و بعد أن انتهى من إصدار الجزء الخامس ،طرح مشروع جائزة سنوية لمكافأة أحسن كتاب عربي صدر في بلاد المغرب ،و ذلك تنشيطا لحركة التأليف بالمنطقة ، و حدد قيمتها بـــ (1000) فرنك ،و هذا إقتداء برجال النهضة الأوروبية،وقد دعيت هذه الجائزة بإسم جائزة" تقويم المنصور" و هذا إبتداء من سنة 1930م،تشرف على إدارتها لجنة تتكون من

---

1 الشهاب :" تقويم المنصور و شعاره الصادق "، العدد 51 ، 03 أوت 1926 ، ص ص 9 – 10 ،

2- حدث في العام الهجري (24 رجب) .موقع WWW . Islam On Line . net

3 - الشهاب : "تقويم المنصور و شعره الصادق" ، المصدر السابق ، ص 10 .

4- ميسوم بلقاسم : المرجع السابق ، ص 108 .

عشرة أعضاء يتوزعون على البلدان الثلاث (تونس ، الجزائر ، المغرب) بالإضافة إلى صاحب الفكرة .

ولقد لقيت هذه المبادرة استحسانا ،فنشرت في الصحف الصادرة بتونس و الجزائر، ونقلت الكثير من صحف مصر و الشام و العراق بيانا عن هذه الجائزة ، إلا أنَّ المشروع لم ير النور لأسباب مختلفة، يأتي في مقدمتها مشكل الطبع و التوزيع و تحمل النفقات[1].

قرطاجنة في أربعة عصور أو تاريخ شمال إفريقيا من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي : صدر في عام 1927م بتونس ، ضمن 176 صفحة ، تناول تاريخ إفريقيا الشمالية خلال أربعة قرون تحت حكم قرطاجنة .

يتوزع الكتاب على مقدمة و أربعة أجزاء ، وقد استهله بمقدمة عن دوافع بحثه ومنهجه، أما المقدمة فقد استعرض فيها وصف بلاد المغرب،من حيث الجغرافيا الطبيعية والبشرية ، و خصَّ القسم الأول لدولة قرطاجنة فتحدث عن نظامها السياسي،و علاقاتها مع البربر،و الحياة العلمية و الأدبية على أيامها ، و دخولها في صراع مع روما ، و ما ميَّز ذلك من حروب و تطورات إلى أن تم تخريب قرطاجنة ، مفسرا عوامل ازدهارها و خرابها.

و القسم الثاني خصَّصه للحديث عن قرطاجنة على عهد الحكم الروماني ، و ما وقع من حروب بين البربر و الرومان ، وعن الحياة السياسة و النظم الرومانية ثم أبرز نتائج الاحتلال الروماني[2].

و في القسم الثالث تطرق لقرطاجنة الوندالية مُبينا سياسة الوندال التخريبية بالبلاد إلى أن اصطدموا بالروم الذين ورثوا إفريقيا الشمالية .

---

[1]- أحمد توفيق المدني : "جائزة تقويم المنصور، جريدة المغرب ،العدد 01 ، الجزائر: 26 ماي 1930.
أنظر أيضا: حياة كفاح ، ج2 ، ص ص 150 – 151 .
[2]- الشهاب : العدد 92 ، 14 أفريل 1927 ، ص ص 19 – 20 .

و كان الجزء الرابع عن الرومان و حالة البربر في عهدهم،إلى مجيء الفتح الإسلامي العربي ،الذي استعرض سيره إلى سقوط الكاهنة ، ثم الخاتمة و كانت عن العرب و البربر و أسباب تقبل البربر للإسلام .

و عن دوافع تأليف الكتاب ذكر "المدني" أنها جاءت استجابة لإرادة بعض أقطاب الحركة الإصلاحية أمثال " عبد الحميد بن باديس " و " الإبراهيمي " و " الميلي " خلال شهر جوان 1925م ،حيث طلب منه الرد على مزاعم بعض الكتاب الغربيين و الفرنسيين الذين قاموا بدعاية مشوهة لهوية و أصالة المنطقة المغاربية ، و خاصة ما قام به "لوي برتران " عضو المجمع العلمي الفرنسي آنذاك الذي أراد إثبات لاتينية بلاد المغرب[1].

و لقد علَّقت الشهاب على صدوره الكتاب بالقول[2]:(السفر النفيس الذي ألفه صاحبه في هذا الموضوع ، الفقير من الكتابة فيه لساننا العربي ، فحرره في أسلوب و ترتيب محكم ، و استنتاج صحيح ،و تعليق معقول ، و ملاحظات وجيهة فحاجة كل إفريقي إلى هذا الكتاب أكيدة ، فنرجو أن يصادف ما يستحقه من الرواج و الانتشار).

كما نوَّه به المفكر التونسي " محمد الفاضل بن عاشور " في صحيفة النهضة ،و نقلته "الشهاب" حيث قال[3]:(كتاب السيد أحمد توفيق المدني الذي سماه قرطاجنة في أربعة عصور سدَّ –و الحق يقال – بعض ثلمة كبرى في الخزانة العربية).

و قد أقرضه المؤرخ " عبد الرحمان الجيلالي[4]حين كتب(لقد قدَّم تأليفا إمتاز به بين أقرانه من الباحثين و العلماء ، تأليف انفرد فيه وحده بين جميع من سبقه من العلماء الباحثين حملة القلم العربي ، موضوع جليل خدم به وطنه ... فكتاب قرطاجنة جاء بأوسع و أعمق و بخلاف ما جاءت به بعض المؤلفات... فهو المرجع الوحيد في بابه ، و المصدر الأصيل في فنه الذي انطلق منه جميع الكتاب العرب ممن خاض منهم في هذا الموضوع).

---

[1] أحمد توفيق المدني : "مبارك الميلي مؤرخ الجزائر" ، البصائر ، العدد 26 ، 08 مارس 1948 ، ص 04 .
[2] الشهاب : العدد 115 ، 29 سبتمبر 1927 ، ص 21 .
[3] - محمد الفاضل بن عاشور:على هامش قرطاجنة في أربعة عصور ، الفتح الإسلامي الأول لإفريقية " ،الشهاب ، العدد 121 ، 10 نوفمبر 1927 ، ص 08 .
[4] عبد الرحمان الجيلالي:المرجع السابق ، ص ص 25 – 26 .

و حسب الدكتور " أبو القاسم سعد الله " فإن الكتاب قد تناول تاريخ الشمال الإفريقي بمنظار وحدوي مغاربي ،محاولا تحقيق الاستمرارية الحضارية ، والارتباط لأمة شمال إفريقيا ، و كان هذا الاهتمام بالتاريخ القديم للمنطقة مرتبطا بالمستقبل السياسي لها .

و من المآخذ التي تعاب على المدني ، عدم اهتمامه بالإحالة على مصدر الروايات رغم وضعه لقائمة المصادر و المراجع التي اعتمد عليها ، علاوة على استخدام أسلوب المبالغة أحيانا في وصف الأحداث[1].

كتاب الجزائر : ظهر في عام 1931م و جاء ردًا على الاحتفالات المئوية الفرنسية الجارحة ،و تتويجا لرد فعل الشيخ أحمد توفيق المدني على ذلك ، فكان معارضة صريحة للطرح الفرنسي المزيف للتاريخ ، و عنوانا لتجذر الوطنية الجزائرية ، وقد لقي تتويها و تقديرا حارا من الشهاب[2].

و الحق أنَّ مترجمنا قد رفع شعارات الهوية الوطنية بوضعه على غلاف الكتاب ثلاثية " الإسلام ديننا ، العربية لغتنا، الجزائر وطننا " و عالج مشكلة الفراغ الذهني التاريخي لدى الشباب الجزائري ،من مثقفين بالفرنسية بعضهم تمزق ذهنه إلى انجذاب نحو التاريخ الدخيل ،و نفور من التاريخ الجزائري المشوه ، و من مثقفين بالعربية خانتهم المراجع الرابطة للماضي بالأصالة و النزاهة[3].

و يقول المؤرخ "محمد قنانش":[4] **(كلما رجعت إلى مقدمته أجدها شعلة من الوطنية تتقد حماسة ، و تفيض إحساسا و شعورا ،و أطوي الكتاب فتطل علي من الغلاف تلك الجمل الثلاث ،التي أصبحت شعارا للوطنية ، فلا ألبث أرددها معه).**

و وصفه مؤلفه "المدني" بالقول[5]:**(هذا الكتاب صورة حقيقية لقطر الجزائر ، لم ترسمها ريشة مصور إنما رسمها قلم باحث جعل همَّه ذكر الحقائق كما هي).**

---

[1] ميسوم بلقاسم : المرجع السابق ، ص 114 .

[2] Ali , Merad : Op-cit , p 118 .

[3] صالح خرفي : "الأبعاد التاريخية في الشعر الجزائري الحديث ،" الثقافة، العدد 01 ، الجزائر: مارس 1971 ، ص 53 .

[4] محمد قنانش : المواقف السياسية بين الإصلاح و الوطنية في فجر النهضة الحديثة، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر: بلا تاريخ ،ص ص 113 – 114 .

[5] أحمد توفيق المدني : كتاب الجزائر ، المصدر السابق ، ص 373 .

و من جهته يرى الدكتور أبو القاسم سعد الله أنَّ " كتاب الجزائر " يشبه إلى حد كبير" كتاب المرأة " لحمدان خوجة ، و قد ظهر المؤلف من خلال هذا الكتاب ،و أنه من دعاة التجديد حين تحدث عن التعليم ،و المرأة ،و الصحافة ،و الشباب ،و دعا إلى تكوين المدارس ،و التخرج من المهن[1].

يتوزع الكتاب على أربعة عشر قسما ،يمكن تقسيمها إلى ثلاثة مواضيع هي التاريخ و الجغرافيا و الحالة الراهنة (1930) .

أما التاريخ فيضم الأقسام من 01 إلى 06 و هي تؤرخ للجزائر من أقدم العصور إلى سنة 1930م ، و رافقها ذكر التاريخ العلمي و الأدبي ، وقدم خلاصة عن العنصر البربري من حيث أصوله و عوائده و نظمه و قبائله ، ثم العنصر العربي بنفس الكيفية،علاوة على التعرض للعناصر الأخرى المشكلة لسكان الجزائر .

و فيما يتعلق بأقسام الجغرافيا فتضم السابع و الثامن، بحيث قدم بطاقة تعريف للطبيعة الجزائرية من حيث الموقع ،و الحدود ،و المساحة ،و المظاهر الطبيعية ، و أعقبها بعرض للناحية الإدارية و إحصاء السكان ، مرفقة بترجمة (72) مدينة من أمهات المدن بالقطر الجزائري .

في حين خصص الأقسام المتبقية وهي من 09 إلى 14 للوضعية السياسية و القضائية والتعليمية ، و الحالة الاقتصادية العامة .

و عقب صدور الكتاب لقي استحسانا كبيرا، و تلقى مؤلفه رسائل التهنئة و التقدير التي بلغت المئات حسبما ذكره ، و قد أشاد به مفكرون ،و مؤرخون كبار،و من ذلك ما كتبه الأمير " شكيب آرسلان "في مجلة الفتح ، و ما كتبته مجلات " القبس"، و مجلة "البحوث الإسبانية " و " الأهرام " ، كما عني بنقده و الكتابة عنه و الاقتباس منه جمهرة من العلماء و الباحثين أمثال " شارل آندري جوليان"،و"جاك بيرك"،و "شارل روبير آجيرون " و "ماسينيون"[2].

[1] أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، ج7 ، المرجع السابق ، ص ص 422 – 423 .
[2] أحمد توفيق المدني : حياة كفاح، ج2 ، المصدر السابق ، ص 207 .

و أقرضته مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق بالقول[1]:(من أمتع الكتب التي نشرت بالجزائر على عهدها الأخير ، جاء بأسلوب عصري بديع ... هذا السفر النفيس كتبه مؤلفه بأسلوب رشيق و عبارة منسجمة ، فرسم لنا صورة الجزائر طبق الأصل بحيث من يقرأ كتابه يلم بتاريخ ذلك القطر و تقويم أرضه و عادات أهله ... و قصارى القول أنَّ كتاب الجزائر من الكتب الخالدة المفيدة ، فيه روح الشباب و التجدد و لا تصح أن تخلو منه خزانة كتب شرقية).

و من بين التقاريظ العديدة ذات الأثر ما كتبه الشيخ عبد الحميد بن باديس[2]:(الخدمات التي يجب تقديمها للبلاد في مثل هذا الظرف هي نظير ما اختطه المدني،مما يجعل الشباب عارفين لوطنهم ... فاكتشاف كل ما كان للوطن من عز و سوء هو عمل مثمر ، و تسمو بالوطن إلى كل مكانة يحمدها له العصر الحاضر و الظرف الراهن أجل عمل ، فالذي يحمل كل فكرة وطنية لا يصدق فيما يقول إلا إذا خدم الوطن من الناحية التي خدمها المدني).

و قال أمير البيان " شكيب آرسلان"[3]:(ظهر كتاب الجزائر بقلم الوطني الفاضل أحمد توفيق المدني ، جمع هذا الكتاب كل ما تلزم معرفته من شؤون الجزائر،بحيث لا يصح أن يخلو منه أحد ممن يريدون حق الاطلاع على أحوال المغرب الأوسط).

و لعلَّ القيمة التاريخية و الحضارية و التجديدية للكتاب، هي التي جعلت الأستاذ " مولود قاسم نايت بلقاسم " يقول[4]:(لو لم يكن للأستاذ أحمد توفيق المدني إلا هذا الكتاب لكفاه فخرًا).

إن كتاب الجزائر عظيم، لأهميته لدارس الحياة العامة في الجزائر، لأنَّ المؤلف عرض فيه لأول مرة تاريخ الجزائر و واقعها على حسب وجهة النظر الجزائرية العربية الإسلامية ، مبديًا بشجاعة موقفه من الأوضاع السائدة، ملتزما قدرا كبيرا من الصدق

---

1 محمد قنانش : المرجع السابق، ص 114 .

2 عبد الحميد بن باديس : "كتاب الجزائر كذلك و بمثل ذلك يؤدى الواجب أيها الجزائري الناشئ "، الشهاب ، ج3 ، م8 ، مارس 1932 ، ص 160 .

3 ميسوم بلقاسم : المرجع السابق، ص 119.

4 محمد الطاهر عدواني: المرجع السابق،ص 169 .

و الدقة في تصوير الواقع ،و قد استفاد من إتقانه للغة الفرنسية ،و من اطلاعه على القوانين الفرنسية المُطبقة ، و الإحصاءات المُسجلة ، فالمدني مزج بين التاريخ و الوطنية و الحضارة مما كان له علاقة بحياة الجزائريين .

محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766 - 1791 :

صدر الكتاب **سنة 1937م** و هو عن حياة أطول الدايات حكما،و يقع في 191 صفحة ، وكان الهدف من تأليفه إماطة اللثام عن حقيقة الوجود العثماني بالجزائر ، و تكذيب الخرافات التي اصطنعها الاستعمار من أجل تشويه ذلك الوجود[1].

والمعروف أنَّ المدرسة التاريخية الفرنسية قد شنت حملة واسعة لتبرير التواجد الاستعماري بإلصاق الأحكام المزيفة عن ذلك العهد،و تصويره بالتخلف الحضاري واللصوصية[2].

تضمنت مقدمة الكتاب إهداءً أفرده المؤلف للشيخ " عبد الحميد بن باديس " مما جاء فيه:[3](إلى الرجل الذي أيقظ أمة ، و أنشأ جيلا ، و ربط بين ماضي الوطن و حاضره ، و هيأ له مستقبله في ميدان العلم و الشرف ،فكان شخصه الكريم نقطة الاتصال بين الجزائر الغابرة الماجدة و الجزائر الحاضرة المجاهدة و الجزائر المقبلة الخالدة).

اشتمل الكتاب على مقدمة و هي تمهيد لدراسة التاريخ التركي في القطر الجزائري ، و أربعة أقسام عرض في القسم **الأول** منها خلاصة عن الولاة و الحوادث في العصر التركي من عام 1515م إلى 1830م .

و خصص القسم **الثاني** للحديث عن سيرة محمد عثمان باشا ،و هو أهم جزء تعرض فيه إلى توليه الحكم ،و سيرته ،و نشاطاته الداخلية و الخارجية .

1- أحمد توفيق المدني : مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار 1754 – 1830 ، ط2 ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر: 1980، ص 07 .

2 -ناصر الدين سعيدوني: دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر ، الفترة الحديثة المعاصرة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر :1984 ،ص 37 .

3 -أحمد توفيق المدني :محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766 – 1791 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر :1986 ، ص 05 .

أما القسم الثالث فنقل من خلاله إلينا أهم ما كتب بدفتر التشريفات،و هو السجل الرسمي الحكومي الذي كانت الإدارة التركية بالجزائر ترسّم فيه أعمالها و مذكراتها العامة.

و عالج في القسم الأخير مقتطفات من مذكرات المستشرق الفرنسي"فونتير دي باردي" و المتعلقة بعصر عثمان باشا ، و قد دعَّم المؤلف الكتاب بعشرين صورة متنوعة[1].

و بعد ظهور الكتاب أقرضه الإمام عبد الحميد بن باديس"في ركن ثمار العقول والمطابع بمجلة الشهاب قائلا[2]:(هذا اسم السفر الجليل الذي ألفه الأخ الأستاذ أحمد توفيق المدني ،لخص فيه تاريخ الجزائر التركي ، و بيَّن حالتها الاجتماعية و الأدبية و السياسية بأسلوب بديع ، جمع الفصاحة و التناسق ، و عرض للتاريخ بين دلائل العلم و مباهج الفن و بروح إسلامية لا تعرف إلا الصدق ، عربية لا تفارقها العزة و الشهامة ، و إذا كان الوطن هو تاريخ الوطن ... و لا حياة لأمة إلا بإحياء ماضيها ... فالأخ الأستاذ المدني بكتابه هذا ،لم يكن كاتبا بليغا و مؤلفا مبدعا و مؤرخا حكيما فحسب ،بل كان فوق ذلك من خير من بعثوا أوطانا و أحيوا أمما)

و دعا ابن باديس الشباب المسلم إلى مطالعته قائلا[3]:(إنه يتحتم على كل مسلم جزائري أن يقرأ هذا الكتاب و إنك – إذا ختمته أيها المسلم الجزائري – لا بد أن تخرج منه تحب من يجب أن تحب ، و تبغض من يجب أن تبغض).

و يعد هذا التقريض أحسن اعتراف بأهمية الكتاب من لدن زعيم الحركة الإصلاحية في الجزائر.

و من جهته كتب المؤرخ محمد قنانش قائلا[4]:(ظهر كتاب محمد عثمان باشا يحمل بين دفتيه تلك الصفحة الناصعة من عصر الأتراك بالجزائر،الذي طالما شوهه المغرضون وصوره بصورة لا تتلاءم إلا مع العصور الوسطى في أوروبا ، و قد وقف الأستاذ المدني يفند جميع التهم الواهية التي ألصقت بهذه الفترة من تاريخ الجزائر).

---

[1] أحمد توفيق المدني : محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766 – 1791 ، (عرض الباحث).
[2] عبد الحميد بن باديس :" محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766 – 1791 "، الشهاب ، ج7 ، م 13 ، سبتمبر 1937 ، ص 356 .
[3] المصدر نفسه، ص 358 .
[4] محمد قنانش : المرجع السابق، 115 .

و باختصار فإن المترجم له استطاع أن يقدم دراسة هامة تتصف بقدر كبير من الموضوعية في معالجة الوجود التركي بالجزائر ، و أن يتصدى بحزم قلَّ نظيره للطروحات الغربية المناهضة ،وتزداد أهمية العمل قيمة خاصة إذا علم المرء الظروف الصعبة المهاجة لصدوره تحت السيطرة الاستعمارية القائمة على تكميم الأفواه.

المسلمون في جزيرة صقلية و جنوب إيطاليا :

صدر سنة 1946م يقع هذا الكتاب في 256 صفحة ، و قد ذكر "المدني"دوافع تأليفه فقال[1]:(صفحة التاريخ الإسلامي بصقلية لم تكتب بعد،و لم يقيض الله لها من يفردها بدراسة قيمة ... فيكاد يخيل إليك و أنت تتلو كتب التاريخ القديمة، أنَّ مقام المسلمين بصقلية ما كان إلا سلسلة حروب و فتن و اضطرابات ... و تلك لعمري هفوة من مؤرخينا علينا أن نتداركها،و علينا أن نسد هذه الثلمة في هيكل تاريخنا القومي العربي).

و دعا المدني إلى تنشيط حركة الكتابة حول المدنية الإسلامية بهذه الجزيرة، لإبراز الحضارة الإسلامية ،و إعطاء وجه مشرق للتواجد العربي بالمنطقة ، معتبرا ما أنجزه مقدمة لهذا العمل ،و دفعا للباحثين إلى ولوج هذا العالم ، و في ذلك يقول[2]:(أقول بكل صراحة أنَّ كتابي هذا لا يجب أن يُعتبر إلا تمهيدا لدراسة تاريخ المسلمين في صقلية ... و إن كنت قد أدليت خلال هذه الدراسة التاريخية ببعض الآراء و الأفكار ،فما أنا بمقدمها إلا لكي تعرض على مجال البحث و المناظرة ... و إنني ما أقدمت على وضع كتابي هذا وعرضه على الناقدين إلا لكي أستفز منهم المشاعر ... فيتداركون النقص و يأتون بفصل الخطاب).

و عن محتوى الكتاب فقد قسّمه إلى مقدمة و تسعة أقسام ، شمل الأوّل منها وصف جزيرة صقلية من الناحية الطبيعية و البشرية ، و خصص الثاني لإعطاء تاريخ موجز للعهود التي تعاقبت عليها، بداية من العصر الفينيقي ،و الإغريقي ،إلى الحكم الإيطالي، و فيما يتعلق بالقسم الثالث فقد أبرز فيه أهَّم المدن ،و المعالم و الآثار ، و أفرد القسم الرابع

---

[1] -أحمد توفيق المدني : المسلمون في جزيرة صقلية و جنوب إيطاليا ، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر : 1985 ص 04 .

[2] -المصدر نفسه ، ص 07 .

للحكم الإسلامي الأغلبي منذ النشأة و حتى الانهيار ، و تطرق في القسم الخامس إلى الحكم الإسلامي الفاطمي ، و استعرض في السادس عصر الاستقلال الذاتي ، و في القسم السابع تكلم عن الحكم النورماني مبينا مختلف أحداثه إلى غاية إخراج المسلمين من صقلية .

و عالج في القسم ما قبل الأخير الناحية الحضارية من تمدن و عمران ، و ختم الجزء الأخير بالحديث عن العلوم و الآداب[1].

و بعد صدور الكتاب كتبت "البصائر" تقول[2]:(كتاب جلا فيه مؤلفه صحيفة من صحائف الفتح الإسلامي،و سدّ به نقصًا طالما شعر به الباحثون في تاريخ الإسلام ، كلما انتهى بهم البحث إلى تلك الحقبة من الزمن ، في تلك القطعة من الأرض ،فأعوزتهم الوثائق والمستندات... و عسى أن يكون كتاب الأستاذ المدني حافزًا لهمم الباحثين حتى يصلوا ما إنقطع من هذه المباحث).

و قد وصفه محمد قنانش قائلا [3]:(إنَّ هذا الكتاب تحفة نادرة ، و درة نفيسة في جبين التاريخ الإسلامي ، فهو معلمة تاريخية و أدبية عن جزيرة صقلية).

- جغرافية القطر الجزائري :

طبع بالجزائر سنة 1948م و هو أوّل كتاب من نوعه بالعربية ،موجه إلى طلبة المدارس التي تشرف عليها جمعية العلماء المسلمين ، سد هذا المؤلَف فراغا كبيرًا ،و ربط فيه بين التاريخ و الجغرافيا ، و ملأه بالمشاعر السياسية الوطنية[4]، و قد جاء في تقديم المدني لكتابه قوله[5]:(فهذا أوّل كتاب جغرافي ،وُضع عن القطر الجزائري المحبوب).

و خاطب الشبان موجها رسائل سياسية عميقة ، فكتب[6]:(أيها الشباب المسلم الجزائري: على حُب الوطن ينشأ شبان الدنيا قاطِبَة ، فهم في سبيل أوطانهم يعيشون، و فداء أوطانهم يستشهدون).

---

1 أحمد توفيق المدني : المسلمون في جزيرة صقلية و جنوب إيطاليا ، المصدر السابق ، (عرض الباحث).
2 البصائر : " المسلمون في جزيرة صقلية"، العدد 02، 01 أوت 1947 ،ص 05 .
3 محمد قنانش : المرجع السابق ،ص 110 .
4 أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج7 ، المرجع السابق ، ص ص 420 – 421 .
5 أحمد توفيق المدني : جغرافية القطر الجزائري ، المصدر السابق ،ص 03 .
6 نفس المكان

تميَّز أسلوب الكتاب - الذي جاء في 143 صفحة- بالوضوح و بالعرض الممتاز الذي يدفع إلى القراءة و المطالعة ، تضمَّن معلومات مركزة و إحصائيات ، و جداول حديثة على شاكلة الكتب العصرية ، وقد رسم المؤلف على صفحة الغلاف الشعار الثلاثي الشهير(الإسلام ديننا ،العربية لغتنا ، الجزائر وطننا).

شمل الكتاب - ثلاثة أقسام- خصص الأوَّل منها للجغرافيا الطبيعية ، فتحدَّث عن موقع القطر و حدوده ، و وصف تضاريسه ،و مناخه ،و ما يزخر به من إمكانات طبيعية .

أما القسم الثاني فعالج فيه الناحية الاقتصادية ،مبرزًا الثروات المتنوعة من فلاحية و حيوانية ،و معدنية ،و طاقوية، مُعَرِجًا على حركة التصنيع التقليدية و العصرية ، و كذا النشاط التجاري، و طرق المواصلات بأنواعها .

و استعرض في القسم الأخير الحالة السياسية ، فقدَّم إحصائيات لعدد السكان،و أنواع الأنظمة القضائية ،و حالة التعليم العام و الحر و المهني ، و وصف التقسيم الإداري وأعطى ترجمة لمجموعة من المدن بالعمالات الثلاث[1].

و الحقيقة أنَّ الكتاب لقي تنويها و تقريضا من لدن العديد من الدَّارسين ، و من ذلك ما كتبه "عبد الرحمان الجيلالي"[2]:(حاز به فضل السبق ، فيه دراسة مفصلة لفرع آخر من فروع العلم و المعرفة ، و هو فرع حسَّاس ،يتصل بأعماق مشاعر سكان المغرب بصفة عامة ، و سكان المغرب الأوسط منهم بالخصوص ... فلقد أفاد به النشئ الجزائري بالمدرسة العربية ، و حتى خارج المدرسة العربية ... فلولا المدني ما عرف قراء العربية من أبناء هذا الشعب وضعية بلادهم جغرافيا و لا سياسيا و لا طبيعيا، و لا اقتصاديا).

و تقديرا لهذا الإنجاز الذي وُصِفَ بأنه قطع من الرياض، نظم الشاعر " أحمد سحنون"[*] أبياتا بعنوان:"توفيق أعطيت توفيقا" ، نشرت بالبصائر مما جاء فيها :

(توفيق) أعطيت توفيقا و تسديدا فاكتب و جدد عهود الضاد تجديـــــــدا

1- المصدر نفسه، (عرض الباحث).

2 عبد الرحمان الجيلالي : المرجع السابق ، ص 26 .

منحت موهبة التاريخ فأحب بــه أمجاد قومك إحياء و تخلــــــيــــــدا[1]

و الواقع أنَّ "المدني" كان مؤلفا طويل النفس ، فرغم تقدمه في السن، و نشاطاته الموازية إلا أنه واصل إصدار الكتب خلال مرحلة الثورة التحريرية و بعد الاستقلال، حيث أصدر كتاب "هذه هي الجزائر[**]"سنة 1957،ثم نشر " حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا"، و حقق " مذكرات أحمد الشريف الزهار" ، و ختم مشواره التأليفي بإصدار مذكراته في ثلاثة أجزاء ، و كتاب في الرد على منتقديه لا يزال مخطوطا لم ينشر بعد .

- حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا 1492 – 1792 :

صدر بالجزائر سنة 1968 و الكتاب كما هو واضح من عنوانه، تاريخ أحداث عسكرية و سياسية ،دار معظمها على شواطئ الجزائر أو بمواقع متعمقة بالداخل ، و قد اتسم سرد تلك الأحداث بشيئ من الإسهاب و التفصيل ،مما جعل الكتاب من أكثر المؤلفات باللغة العربية توسعا في هذا الموضوع، و أوفرها مادة [2].

و قد لخّص "المدني" الأسباب التي دفعته إلى كتابته في ثلاثة أمور ، أولاها أنَّ الفترة التي يغطيها شهدت ميلاد الدولة الجزائرية الحقيقية لأوّل مرة في تاريخها ، و ثانيها لأنَّ هذه الدولة جاءت نتيجة لحملة صليبية استعمارية هوجاء ، و **أخيرًا** لتصحيح الفكرة المتعلقة بتدخل الأتراك في هذه المعركة الحاسمة[3].

جاء محتوى الكتاب في تمهيد طويل عن الثلاثة قرون التي سبقت صلة الجزائريين بالعثمانيين ، و تسعة عشر فصلا،جعل تحت كل فصل عناوين فرعية، نُظمت بطريقة مدرسية تساعد القارئ المتسرع على العثور على ما يريد[4].

---

[1] أحمد سحنون :" توفيق أعطيت توفيقا " ، البصائر ، العدد 61 ، 27 ديسمبر 1948 م ، ص 07 .

[2] محمد البشير شنيتي :" لمحة عن كتاب حرب الثلاثمائة سنة للمرحوم الشيخ أحمد توفيق المدني " مجلة التاريخ ، العدد 18 ، الجزائر: النصف الاول من سنة 1985 ،ص 154.

* أحمد سحنون :ولد سنة 1907 بنواحي بسكرة يعد أديبا وفقيها ومصلحا جزائريا ،التحق بجمعية العلماء بعد تأسيسها ،تعاطى الشعر و نشر قصائده في الصحف الجزائرية الحرة والتابعة للجميعة ،أدخلته السلطات الاستعمارية بين سدنوات 1956 -1959 بتهمة المشاركة في الثورة ،عين بعد الاستقلال إماما للجامع الكبير بالعاصمة ،وعضوا بالمجلس الإسلامي الاعلى ،توفي سنة 2003.من أثاره ديوان شعر بعنوان "حصاد السجن ".

**-تم التطرق إلى الكتاب في إطار نشاطه الإعلامي خلال الثورة التحريرية، انظر الفصل الخامس المبحث الثاني

[3] أحمد توفيق المدني : حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا 1492 – 1792 م ، المصدر السابق، ص ص 6 – 8 .

[4]- أبو القاسم سعد الله : أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر ،ج1 ، ط2 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر :1981 ص ص 348-349 .

وفي رأي الدكتور "عبد المالك مرتاض" فإنَ "توفيق المدني" يجب أن يُعد في الطبقة العليا من المؤرخين الجزائريين بكتابه " حرب الثلاثمائة سنة " ففي عرضه برهنة على مقدرة الرجل على عرض الأحداث التاريخية و ليس تحليلها ، و لا يتمكن من العرض إلا من كانت له معارف تاريخية واسعة[1].

و حسب الدكتور "أبو القاسم سعد الله " فإنَّ المترجم له قد سما بهذا الكتاب حيث عبر عن ذلك بقول[2]:(و قبل أن يكون حرب الثلاثمائة سنة كتابًا في التاريخ ، فهو عمل تقدمت به صناعة التاريخ الجزائري أشواطا ، و سيظل (أي الكتاب) عمدة في ميدانه إلى وقت غير قصير فقد استعمل فيه المؤلف وثائق هامة ، و بوَّبه تبويبًا سهلا،وحَّد فيه بين روح مؤرخ يبحث عن الحقيقة ،و روح سياسي وطني واثق من أنَّه وجدها).

و عن المنهج الذي استخدمه "المدني" فيرى المؤرخ "محمد البشير شنيتي" أن الرجل قد تمسك بالمنهج التقليدي في سرد الأخبار،و استقراء مسبباتها ،و استحصال نتائجها ،مراعيا في ذلك التتابع الزمني ،الذي يُشكّل في مفهوم هذا المنهج محورًا ذهبيًا تجري حوله الأحداث[3].

من القضايا المثارة هنا أنَّ "توفيق المدني" لم يحاول إرجاع قرائه إلى المصادر التي استقى منها معلوماته ، و أنه كان شديد السرعة أحيانا في عرض الأحداث و قليل التساؤلات في التحليل ، قليل التدقيق في ذكر الأرقام[4].

و لعلَّ أجمل تقريظ لهذا العمل التاريخي هو ما جاء على لسان "أبو القاسم سعد الله[5]: (الكتاب قطعة عمل هامة يجد فيها الباحث المتخصص آراء مضيئة ، و يجد فيها الطالب و المثقف العادي مادة تستثير الذهن ، و تلهب العاطفة،و ترسم الاتجاه).

- مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار* 1754 – 1830م:

---

1 عبد المالك مرتاض : نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925-1954، المرجع السابق،ص ص 212 – 215.
2 أبو القاسم سعد الله : أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر ، ج1 ، المرجع السابق ،ص ص 347 – 349 .
3 محمد البشير شنيتي:المرجع السابق،ص 156 .
4 عبد المالك مرتاض : نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر1925-1954 ، المرجع السابق ، ص 215 .
5 أبو القاسم سعد الله : أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر ، ج1 ،المرجع السابق ، ص ص 349 – 350 .

الكتاب عبارة عن تحقيق لمذكرات نقيب أشراف الجزائر ، صدر بالجزائر سنة 1974 و جاء في 196 صفحة .

وقد أورد المؤلف في المقدمة أسباب التأليف فقال[1]:(إنني حين أقدِّم هذا الكتاب للشعب الجزائري إنما أقوم بأداء واجبين ...أولهما أني أضع وثيقة جديدة صادقة في سجل تاريخ العهد العثماني الطويل بهذه البلاد الجزائرية ... و ثانيهما أنني أفي بعهد قطعته لسيد فاضل من رجال الجزائر القدماء هو الشيخ سيدي محمود الشريف).

إن المذكرات المحققة مقسمة إلى قسمين ، يعتقد أنَّ الأوَّل منها قد ضاع ، أما الثاني فيبدأ من سنة 1168هـ و ينتهي بالاحتلال الفرنسي ، و هذا القسم قدَّمه"المدني" بعد أن عثر على النسخة الوحيدة منه لدى الشيخ محمود الشريف حفيد المؤلف ، و كانت على وشك الضياع أيضًا لأنَّ السيد " جان ميرانت " مسؤول الشؤون الأهلية كان يسعى للحصول عليها لذلك كان كل من الحفيد و المترجم له يخشيان فقدانها.

و ذكر "توفيق المدني" أن للمذكرات قسما ثالثا يبدأ من الاحتلال ، وقد أشير إليه بعدة سطور فقط في آخر القسم الثاني ، لكنه يعتبر في حكم الضائع لكون السيد " دومينيك لوسياني" الذي سبق "ميرانت " في إدارة الشؤون الأهلية قد استولى عليه و لم يظهر له خبر بعد ذلك[2].

لقد عرض المحقق "المدني" الكتاب بطريقة سهلة ، حيث عمل على وضع العناوين التي لم تكن موجودة و قام بالتعليق عليها أحيانا.

يمثل الكتاب الأحداث التاريخية التي وقعت في النصف الثاني من القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر إلى غاية وقوع الاحتلال .

---

[1] أحمد توفيق المدني : مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار 1754 – 1830 ،المصدر السابق ، ص 05 .

*- أحمد الشريف الزهار : كاتب ومقاوم جزائري من الأشراف ، ولد بمدينة الجزائر سنة 1781 شارك في الدفاع عن مدينة الجزائر أثناء الغزو الفرنسي و عمل مع الحاج أحمد باي ثم مع الأمير عبد القادر و بعد فشل مقاومة هذا الأخير إلتجأ إلى المغرب و عاد فيما بعد إلى الجزائر و عمل في حقلي التجارة و الكتابة ، توفي سنة 1872م ، من آثاره هذا الكتاب المحقق من طرف مترجمنا .

[2] أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ،ج7 ، المرجع السابق ،ص ص 456 – 458 .

و إجمالا لقد كانت الحركة التأليفية للمدني نشطة، حيث استطاع رغم مساهمته المتنوعة في ميادين أخرى أن يدعم المكتبة العربية الجزائرية بمؤلفات كانت في أمس الحاجة إليها تلك الفترة.

المبحث الثالث : نشاطه الجمعوي والأدبي

إن المتتبع لمسيرة " المدني" يرصد تلك الاهتمامات التي أظهرها الرجل بالعمل الجمعوي ،والفني، وبالتالي فقد شكلت محطات أثرت رصيده النضالي.

- الفن المسرحي :

في الحقيقة أنَّ علاقة المدني بالمسرح ترجع إلى المرحلة التي عاشها بتونس ، فقد كانت له تجربة مسرحية هامة ، خاصة على رأس "فرقة السعادة" كما رأينا في الفصل السابق .

وخلال استقراره بالجزائر عاين ركود الحالة الثقافية ، وخاصة ما تعلق منها بفن المسرح،حيث وصف الحالة بالقول[1]:(لعلَّ قطر الجزائر – بعد جزيرة العرب – هو القطر الإسلامي الوحيد الذي لم يدرك بعد أهمية التمثيل ، و لم ينشأ به المسرح العربي،و لم يشعر شعبه حتى الساعة بوجود ذلك النقص العظيم فيه).

و بعد استعراضه – بإختصار – لبعض التجارب التمثيلية،أفصح عن رغبته في بعث النشاط المسرحي حيث ذكر[2]:(إلا أنني أعتقد أنه لا بُدَ من أن ينشأ عما قريب المسرح العربي لأن هذه الجهود المشتتة لا بد أن تجتمع،و تسفر عن تكوين التمثيل بقطر الجزائر بصفة جدية مفيدة).

و يتفق الأدباء و المؤرخون على أنَّ السنوات التي تلت الحرب العالمية الثانية، كانت حاسمة و مؤثرة في الإنتاج الأدبي الجزائري،حيث عرفت انطلاقة كبيرة للحياة السياسية إلى جانب التزام أدبي واضح للكاتب ، فالملاحظ أنَّ المفكرين من رجال أدب و كتاب

---

[1] أحمد توفيق المدني : كتاب الجزائر ، المصدر السابق ، ص 342 .
[2] أحمد توفيق المدني : كتاب الجزائر ، المصدر السابق ، ص ص342 – 343 .

طرحوا مشكلة الشخصية الوطنية ، و بذلك رفعوا الستار عن مأساة الشعب الجزائري و تناقضاتها[1] ومن هذه الإنتاجات "مسرحية حنبعل " التي صدرت سنة 1950 م .

و عن ظروف تأليف هذه المسرحية و أهدافها فد ذكر الشيخ "أحمد توفيق المدني" أنَّها جاءت استفزازا للمشاعر الوطنية ، و دفعا لروح المقاومة ، بعد سلسلة الخيبات المتوالية في ميدان السياسة بالشمال الإفريقي ،و نكبة فلسطين ، و في هذا الإطار كتب يقول[2]:(إنَّ رواية تمثيلية وطنية صادقة تعرض على الشعب في قالب فني مدروس و تلقي عليه أثناء حوارها ما يجب أن يقال من أجل التغلب على الصعاب ، و استفزاز روح المقاومة الأصيلة فيه).

فكانت مسرحية حنبعل التي قام بتمثيلها رائد المسرح الجزائري " محي الدين باشطرزي" بمسرح الأوبرا بالجزائر العاصمة يوم 09 أفريل 1948 ،حيث عرضت نهارًا للنساء ،و ليلا للرجال ، و تناولتها – حسب المؤلف – إذاعة لندن ،و مُثلت بالجزائر وتونس أكثر من مائتي (200) مرة[3].

والمسرحية عبارة عن دراما سياسية ،تتكون من أربعة فصول، تدور أحداثها حول شخصية القائد القرطاجي "حنبعل" ، و قدمت باللغة العربية الفصحى بالرغم من أنَّ التمثيل آنذاك كان بالدَّارجة في أغلب الأحيان ، إلا أنَّ التمثيل بالفصحى قد حظي بمنزلة عالية ولذلك فقد أحرزت هذه المسرحية حسب المعاصرين نجاحًا باهرًا[4].

و لم يكن اختيار عنوان "حنبعل" من باب الصدفة ،فهذا البطل يرمز للوحدة و التضحية في سبيل الوطن ، كما أنَّ اختيار الظروف الزمانية و المكانية دليل على واقعية المؤلف حيث جاءت مسرحيتة في وقت كانت الجزائر تعيش فترة هدوء ما قبل العاصفة[5].

---

[1] فاطمة حمدي : المشكل الثقافي في الحركة الوطنية الجزائرية 1950 – 1954 م من خلال بعض أشكال التعابير الفنية والأدبية ، دبلوم دراسات معمقة، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر: 1981 ،ص 108.
[2] أحمد توفيق المدني : حياة كفاح ، ج2 ، المصدر السابق ، ص 392 .
[3] - نفس المكان
[4] نـ ور الـ دين عمرون : المـ سار المـ سرحي الجزائـ ري إلـ ى سـ نة 2000 ، ط1، شـ ركة باتنيت،باتنـ ة، الجزائر : 2006، ص 126
[5] ز- رقية : " المسرح الجزائري " الشعب الثقافي، العدد 10 ، الجزائر : 01 نوفمبر 1972 ،ص 32 .

و الحق أنَّ فصول المسرحية جاءت مملوءة بالوطنية و النداء للمقاومة بمضمونها ، ولغتها الخطابية ،و قوة أسلوبها ، و إنَّ الأفكار المعروضة تدعو إلى تحطيم قيود العبودية والاستغلال ،و هي أفكار ثورية تؤثر على أفكار الجمهور ، و تحرضه على الكفاح ضد المستعمر[1].

لم يلجأ "توفيق المدني" إلى التأويل ،بل حافظ على سير الأحداث التاريخية للمسرحية ، فقد أعطى الأحداث بُعدًا وطنيًا ،و نزعة سياسية واضحة ، علاوة على أنَّ واقعيته و منهجيته في إيصال الرسالة للجمهور خدم المسرحية ،و جعلها ناجحة ،إذ تَمَكن من تخليصها من الأبعاد الزمانية و حوَّرها لتصبح و كأنها تحدث في الحاضر[2].

و الحقيقة أنَّ مترجمنا استطاع أن يضمن المسرحية مقولات مؤثرة جدا،عقب كل فصل لإنزال الستار ، ومن ذلك قوله على لسان حنبعل[3]:(نحن قوم نعيش أحرارًا ، أو نموت شرفاء"،و"إن طغيان روما سيمضي ، و سيمضي من بعده كل طغيان آخر ، و لا حياة إلا للأمم الشاعرة بوجودها ، المجاهدة في سبيل حريتها ، المحافظة على كيانها و وحدتها).

و الملاحظ أنَّ "المدني" امتلك شجاعة أدبية كبيرة في التصريح بآراء تهدد وجود فرنسا، في وقت كانت الرقابة الفرنسية واقفة بالمرصاد لكل جريئ يدلي بمواقف حول قضيتي العدالة و الحرية.

- تأسيس نادي الترقي :

لقد ظهرت النّوادي في الجزائر في كل من العاصمة و قسنطينة ابتداءً من سنة 1893م ، و كانت الأرضية التي نبتت فيها فكرة إنشاء صحافة جزائرية عربية[4]، غير أنّ نادي "الترقي" اختلفت رسالته عن النوادي التي سبقته ، إذ كان يهدف إلى الرقي الديني والاجتماعي،و الأخذ بأسباب التقدم،و أنَّ الغرض من تأسيسه هو طرح ومناقشة الوضعية العامة التي آلت إليها الجزائر العاصمة في العشرينيات.

---

[1] أبو القاسم سعد الله : دراسات في الأدب الجزائري الحديث ، الدار التونسية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر : بلا تاريخ ، ص 66 .
[2] عبد المالك مرتاض : فنون النثر الأدبي في الجزائر 1931 – 1954 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر:1983 ص 211 .
[3] ميسوم بلقاسم : المرجع السابق ، ص ص 143 – 144 .
[4] الزبير سيف الإسلام : تاريخ الصحافة في الجزائر ، ج1 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر :1982 ،ص 28 .

و عن ظروف تأسيس هذا النادي و تسميته ذكر "أحمد توفيق المدني" أنه خلال حفل أقيم بمنزل " محمد بن المرابط"،و هو من كبار التجار بمدينة الجزائر في صيف 1926م حضره (32) رجلا من أعيان و فضلاء العاصمة،تم خلاله التداول حول أوضاع الجزائر و آفاقها،و بعد مناقشات عديدة اقترح "المدني" فكرة إنشاء النادي، و إعطائه التسمية التي عرف بها ، فلقيت الفكرة استحسان الحاضرين، الذين تكلف جمع منهم بقيادة " محمد بن ونيش " و " محمد بن المرابط " بإيجاد المقر الذي حدد بباحة الحكومة (ساحة الشهداء حاليا) ، و اختيرت له قاعة فسيحة تستوعب 700 شخص.

و من ناحية أخرى تكفل كل من " يحي بن المرابط " و " قدور بن مراد " بمساعدة أحمد توفيق المدني بتحرير القانون الأساسي للنادي .

وهكذا بعد نضوج الفكرة و استكمال جميع الترتيبات ،افتتح النادي رسميًا في 03 جويلية 1927م،و أسندت الرئاسة إلى "محمد بن ونيش"،في حين آثر مترجمنا عدم الانضمام الرسمي للمجلس الإداري،حتى يبعد عن النادي شبهة العلاقة بالحزب الدستوري التونسي[1].

و تعليقا على ميلاد النادي كتبت صحيفة " الشهاب " مقالا بعنوان: " أعظم ناد و إن كان بعد 100 عام " قالت فيه[2]:(للشعب الجزائري اليوم أن يبتهج بتأسيس ناد ضخم بعاصمة الجزائر،باسم نادي الترقي ، و هي خطوة واسعة إلى الأمام ... بل هي طفرة متى نظرنا إلى الركود الطويل ،أو الماضي المحاط بالغموض ، أو إلى سبات مائة عام).

وأضاف صاحب المقال بخصوص المؤسسين أنه من الأليق العدول عن تفصيل الجهود الفردية و عن ذكر أسمائهم ، فهدفهم إرضاء الضمير و خدمة الشعب مختتما الوصف بالقول[3]:(لا يرى أحد مس قلبه الشعور القومي إلا أن يقرن أسماء هؤلاء المؤسسين بالأفذاذ الذين سعوا في إنهاض شعوبهم ، فخلّد لهم التاريخ أجمل الذكرى).

---

[1] أحمد توفيق المدني : حياة كفاح، ج2 ، المصدر السابق ، ص ص 110 – 112 .
- ينظر أيضا : حمزة بوكوشة : عبد الحميد بن باديس ، مجلة حضارة الإسلام ،العدد 01 السنة الخامسة ، تموز 1964= .
= ومحم د عل ي دبو وز: نه ضة الجزائ ر الحديث ة و ثورته ا المبارك ة،ج 2، ط1، المطبع ة العربي ة،الجزائر:1981 ص ص 92 – 93 .
[2] محمد العاصمي :"أعظم ناد بالجزائر و إن كان بعد 100 عام" ، الشهاب ، العدد 108 ، 04 أوت 1927 ،ص 08 .
[3] المصدر نفسه، ص 09 .

و يعتقد الدكتور "أبو القاسم سعد الله "أنَّ توفيق المدني"و بعد عودته إلى الجزائر مبعدا من تونس ،وجد ركودا بالعاصمة ،فتجند رفقة بعض المحسنين الذين يطمحون إلى التجديد ، و يتصفون بالغيرة على مكونات الهوية الوطنية ، و يفتقرون إلى القيادة و هو ما توفر في شخص "المدني" الذي كان يمتلك روح المبادرة و القيادة ، و هي مكتسبات حملها معه من تونس ، لذلك أعطى دفعًا قويًا للنادي، الذي تحوّل إلى مركز إشعاع ، و منبرًا للوعظ و الإرشاد و إلقاء المحاضرات[1].

و عقب ميلاد النادي راسل المدني الإمام " عبد الحميد بن باديس " طالبًا منه افتتاح سلسلة المحاضرات العامة ، و هو ما لقي ترحيبًا من العلاّمة الذي ألقى أوّل المحاضرات في18 جويلية 1927 بعنوان "الاجتماع و النوادي عند العرب"[2].

و قد أوردت صحيفة " الشهاب " أجواء هذا الاحتفال مشيرة إلى الترحيب الكبير الذي حظي به ابن باديس من طرف أعضاء النادي ، و خاصة "أحمد توفيق المدني" الذي ألقى خطابًا وصفه صاحب المقال المنشور بالشهاب بأنه كان مؤثرًا ، اهتزت له النفوس الخامدة بل الناهضة .

و في هذا الاحتفال أثنى "المدني" على الإمام ابن باديس مبرزًا فضائله، و استعداداته لتبوئ مقام الزعامة الإصلاحية ، و أضاف صاحب المقال على لسان المدني قائلا[3]:
(وختم خطابه الذي صفَّق له الحضور ، و هتفوا له بكلمة استشعر عظمتها ، و ثقل مسؤوليها الأستاذ ابن باديس، حتى تصبب لها عرقا ، مغزاها إنَّ الشعب قد قلَّدك رتبة الزعامة الإصلاحية فانهض بها راضيًا عاملا متقدمًا بها نحو الأمام).

وهكذا نجد "المدني" لا يترك مناسبة أو فرصة إلا و اعتلى منبر الخطابة ناصحًا موجهًا وداعيا إلى تغير الأوضاع ، ومن ذلك ما أورده محمد العاصمي عن أجواء الاحتفال بإعلان الرسام و الفيلسوف الشهير " م – ليون ألبان ديني " إسلامه ليأخذ اسم نصر الدين ديني.

---

[1] أبو القاسم سعد الله : مقابلة شخصية ، المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية و ثورة أوّل نوفمبر 1954 ، الأبيار ، العاصمة :29 جوان 2006 .

[2] أحمد توفيق المدني : حياة كفاح ، ج2 ، المصدر السابق ، ص 113 .

[3] محمد العاصمي : "أعظم ناد بالجزائر و إن كان بعد 100 عام "، المصدر السابق، ص 11 .

ووصف العاصمي خطاب"المدني" بالمناسبة قائلا[1]:(فأطلق نابغتنا المحبوب لذلاقته وروحه الفياضة العنان لسحره ... فأثار خطابه المفرغ في بوتقة إسلامية ، و قالب حكمي عواطف الحضور ، كما أثار لهيب الشوق في نفوسهم بعد ركودها،و قد استطاع صديقنا الخطيب أن يظهر الإسلام لهم في حُلة بديعة، و بزة جديدة بذلك التمثيل الفني،حتى جعل عيونهم في حالتي مدٍ و جزرٍ... أحرز على ثقة المحتفلين و إعجابهم به أيما إعجاب ... لأنه يرمي إلى مدى بعيد في أسلوبه المحكم في الخطابة و التأثير).

و خلال احتفال أقيم بالنادي في 25 جويلية 1928 تكريمًا لعودة الحجاج من البقاع المقدسة ، كان في مقدمة مخاطبيهم،حيث لعب دور الخطيب الإسلامي و الوطني في آن واحد ، أما كونه إسلاميا فإنَّ الرجل قد عدَّد فضائل الحج، و ذكر منافعه العائدة على المسلمين كأنه أحد المتخصّصين في هذا الموضوع ، أما الدور الوطني فقد ذكّر الناس بواجباتهم نحو وطنهم ، و أخذ يجتث تلك الفروق التي بقيت من بقايا الجاهلية الأولى، فأنس الناس بكلامه ،و صفقوا له المرات العديدة[2].

و الواقع أنَّ نشاطات النادي لم تكن لتقتصر على الحياة الوطنية ، بل شكَّل منبرًا للتضامن مع الأشقاء العرب،و تقوية الروابط ، و من ذلك عضوية المدني للجنة الاحتفال التي ضمت كذلك " محمد العيد آل خليفة"،"الأمين العمودي"،"عبد الرحمان ياسين"، "محمد السعيد الزاهري " ، "مفدي زكريا" ، " سالمي فاتح "و"باسعيد عدون " و هذا بمناسبة تأبين الشاعرين العربيين العظيمين " حافظ إبراهيم " و " أحمد شوقي " في يوم 22 فيفري 1933م و هي تظاهرة ثقافية ذات أبعاد مرتبطة بالدين أو القومية العربية ، حيث جرى خلالها إرسال برقية للشعب المصري مما جاء فيها[3]:(إن الجزائر المسلمة عمومًا ونخبتها المفكرة خصوصًا تشارك بقلبها في الذكرى الحارة التي يقيمها اليوم الشعب المصري نحو الشاعرين...و يقاسمون الأمة المصرية مصابها ... والتي تبكي اليوم بعين واحدة لسانيها المعبرين عن آلامها و آمالها).

---

[1] محمد العاصمي:"مشهدان عظيمان بالعاصمة "، الشهاب ، العدد 122 ، 17 نوفمبر 1927 ، ص ص 2- 6.
[2] الشهاب : العدد 160 ، 17 أوت 1928 ، ص ص 3 – 4 .
[3] محمد ناصر : الصحف العربية الجزائرية 1847 إلى 1939 ، المرجع السابق ، ص 138 .

و الواقع أنَّ نشاط النادي لقِيَ استحسان الجميع ، حيث أشاد به العديد من الكتاب و بأهميته،ومن ذلك نورد هذه الأبيات "لأبي اليقظان " التي تنوه بالأهمية الإجتماعية و التربوية و السياسية للنادي .

حي في نــادي التــرقــي أنــفــســا ذات مـــزيـــة
في حمى النادي تهافت أنــفــس الشعب الزكية
في حمى النادي تلاشت هــمــزات العــنــصــرية
في حمى النادي تعالت صرخة الشعب الدّوية[1]

و يرى الدكتور " تركي رابح " أنَّ النادي يعتبر من الهيئات التي ساهمت في دعم حركة التعليم العربي الحر منذ وقت مبكر ، و كان مركزا لنشاط جمعية العلماء بعد تكوينها سنة 1931،بل كان المكان الذي تبلورت فيه فكرة تكوينها ، و إخراجها من حيز الأماني إلى حيز الوجود و الواقع .

فالنادي احتضن معظم الهيئات الجزائرية ذات الاتجاه العربي الإسلامي منذ تأسيسه حتى نهاية الاحتلال عام 1962م ، و شكل منبرا للمحاضرات العلمية باللغة العربية ، وفضاءً للدروس الدينية و الاجتماعية التي تعالج أمراض و مشاكل المجتمع الجزائري على ضوء تعاليم الإسلام ، و أحكام الشريعة[2].

و لقد كان من الآثار الإيجابية أن شهد النادي القيام بـــ : تأسيس جمعية الفلاح – تأسيس الجمعية الخيرية الإسلامية – تكوين لجنة إعانة فلسطين – محاولة تكوين البنك الإسلامي – اجتماع مؤتمر طلاب شمال إفريقيا[3].

وفي رأي نفس الكاتب فإننا لا نبالغ إذا ما قلنا إنه ما من فكرة وطنية صالحة ظهرت في الجزائر بعد الحرب العالمية الأولى، تتصل بالشخصية العربية الإسلامية للشعب الجزائري إلا كان لنادي الترقي نصيب فيها سواءً قلَّ هذا النصيب أم كثر[4].

[1] الشهاب : م10 ، ج9 ، أوت 1934 .
[2] تركي رابح : التعليم القومي و الشخصية الجزائرية 1931 – 1956 ، المرجع السابق ، ص 231 .
[3] أحمد توفيق المدني : حياة كفاح ، ج2 ، المصدر السابق ، ص 114 .
[4] تركي رابح : التعليم القومي و الشخصية الجزائرية 1931 – 1956 ، المرجع السابق ، ص 232 .

و يلخص "المدني" أهمية النادي و دوره فيه بالقول[1]:(ربما كانت الخدمة التي قدمتها به لوطني أجلَّ و أنفع خدمة قدَّمها مناضل لأمته و لبلاده ، لقد كان نادي الترقي صفحة بيضاء في تاريخ الجزائر ،لا الجزائر العاصمة وحدها ، بل الجزائر الوطن المترامي الحدود.

و إني لأعجب العجب كله لهؤلاء المؤرخين الجدد الذين يضربون بسهم في إنشاء تاريخ الجزائر الحديث،و يغفلون أو يتغافلون عن ذكر نادي الترقي،و عن ذكر آثاره).

- نشاطه في الجمعية الخيرية الإسلامية :

تأسست الجمعية الخيرية الإسلامية بالجزائر العاصمة في أواخر سنة 1933م ، والخيرية الإسلامية جمعية بر و إحسان،من ثمرات جهود بعض المصلحين و الأعيان العاملين بنادي الترقي يتقدمهم " الطيب العقبي " و"محمود بن ونيش"و"عباس تركي" و"محمد شريف الزهار"و"إبن شلحة محمد"و"محمد بن الباي"و"أحمد توفيق المدني"و غيرهم

و قد جاء في القانون الأساسي للجمعية للخيرية الذي تضمّن خمسة فصول ،أنها تعمل على إسعاف المعوزين من الأفراد و العائلات ماديا و معنويًا ، و إعانة عابري السبيل ومساعدتهم على الرجوع إلى أوطانهم[2].

و بعد انتخاب الهيئة الإدارية للجمعية الخيرية أسندت رئاستها إلى " العقبي " بالإجماع و كانت الخيرية تعقد دورة عادية في السنة كما تعقد دورة استثنائية إذا تطلب الأمر ذلك ، و بطلب من ثلثي أعضاء المجلس الإداري المنتخب ، و كان هدف دوراتها تقييم نشاطاتها السنوية و جمع التبرعات ،مع دراسة إمكانية توسيع فروع الخيرية كما حدث في السنوات الأولى من تأسيسها[3].

و كانت الجمعية تقيم حفلا جامعا في المناسبات الدينية و غيرها بقاعة الماجستيك ، وفي الثاني من أفريل 1934م أقامت حفلا ضخمًا حضره ما يزيد عن خمسة آلاف شخص

---

[1] أحمد توفيق المدني : حياة كفاح ، ج2 ، المصدر السابق ، ص 109 .
[2] أحمد مريوش : الشيخ الطيب العقبي و دوره في القضية الوطنية ، رسالة ماجستير،معهد التاريخ ،جامعة الجزائر: 1992 ،ص 332 .
[3] المرجع نفسه ، ص 334 .

علَّقت عليه مجلة " الشهاب " بعنوان " اليوم الأغر في عاصمة الجزائر"و كتبت[1]:(لم يكن اجتماع الثاني من أفريل نصرًا مبينا للجمعية الخيرية الإسلامية وحدها ،و ما كان نصرًا مبينا لفكرة الإحسان فقط ، بل كان نصرًا عظيمًا لليقظة الإسلامية الجسيمة).

و كان اجتماع الخيرية بمثابة مهرجان اجتماعي ،وأدبي ،تلقى فيه الخطب و الأشعار ، و قد حضره أعضاء جمعية العلماء و رئيسها " عبد الحميد بن باديس " ، و بعد افتتاحية العقبي ألقى المدني كلمة وصفتها الشهاب بالمؤثرة و التي قوطعت بالتصفيق مرارًا بيَّن فيها واجبات الأمَّة نحو البائسين ، مستنهضًا الهمم ، داعيًا الأغنياء إلى التجند لمساعدة الأطفال و العاطلين عن العمل و الفقراء .

ومما جاء في كلمته الموجهة للحاضرين قوله[2]:(إذا جلستم إلى موائد الطعام مهما كانت تافهة فتذكروا أولئك الذين حطمهم الجوع ، و رُبَّما ماتوا و لم يجدوا إلى القوت سبيلا).

و في أوائل عام 1940م و باقتراح من أعضاء الجمعية الخيرية، تم انتخاب الهيئة الإدارية الجديدة ، و قلِصَ عدد أفرادها،و انتخب "العقبي" بالإجماع رئيسًا لها، و"أحمد توفيق المدني " نائبًا أولا،و "محمد شريف الزهار" كاتبًا عاما،و"الحاج يوسف دامرجي" مراقبًا عاما[3].

و لم تتوقف الخيرية عن إيواء ابن السبيل، و تربية الجيل الصاعد أخلاقيًا و مهنيًا ، بل تعدت ذلك إلى العلاج المجاني،ففتحت عيادة لمعاينة المرضى و تطبيبهم ، و كوَّنت مجلسًا إداريًا للهيئة الطبية يتشَّكل من خمسة أعضاء، و هم دكاترة متخصصون في مختلف الأمراض[4].

و الواقع أنَّ هذه الجمعية كانت متفتحة على محيطها الخارجي ، و لها علاقات بجمعية العلماء ،و غيرها من الجمعيات ، و الظاهر أنَّ الخيرية استهدفت من وراء ذلك النشاط

---

1 الشهاب : " اليوم الأغر في عاصمة الجزائر " ، ج5 ، م10 ، أفريل 1934م ، ص 243 .
2 المصدر نفسه، ص 244 .
3 جريدة الإصلاح: العدد 17 ، 28 جانفي 1940 .
4 -جريدة الإصلاح: العدد 55 ، 11 جويلية 1947 .

التقرب من المواطن ،و كسب الدعم المادي و المعنوي ، و قد تزايد صداها مع مرور الزمن .

و خلال حفلاتها السنوية كانت تعرض كل ما توصلت إليه من أنشطة ثقافية و مهنية وكانت تجمعاتها يغلب عليها الطابع الإسلامي كتلاوة القرآن الكريم و ترديد الأناشيد الإسلامية،و تمثيل المسرحيات،و الروايات الإسلامية الهادفة التي كانت تقدمها فرقة الكشافة التابعة للخيرية برئاسة "ديفر بلقاسم" ، كما تُخصص أجنحة لعرض إنتاجات الأشغال اليدوية المنجزة من طرف الأطفال و الفتيات[1].

و على الرغم من أنَّ أنشطة الجمعية لم تكن بمنأى عن رقابة السلطات الاستعمارية، إلا أنَّ هذه الأخيرة كانت تقدم بعض الدعم المادي لها ، و حسب المترجم له فإنَّ ميزانية الجمعية وصلت سنة 1949م إلى أربعة ملايين فرنك،حيث لم تتعد المساهمة الفرنسية 700 ألف فرنك أما الباقي فهو تبرعات الأمة الجزائرية[2].

و الظاهر أنَّ الخلافات دبت في السنوات الأخيرة بين الشيخ"الطيب العقبي" و الشيخ "توفيق المدني" خاصة عندما عارض و ألغى رئيس الجمعية قرارًا اتخذه مجلسها برئاسة المدني يقضي بتقديم مساعدة مادية مالية للتونسيين بعد نكبة طبيعية ، مما أدى إلى استقالة "المدني" من أعمال الجمعية[3].

و صفوة القول أنَّ "المدني" قد كان صاحب نصيب في نشاط هذه الجمعية ،التي أولاها عناية خاصة و شارك إلى جانب زملائه في رفع الغبن عن مئات المشردين،و تكوين العقول وذلك وسط ظروف استعمارية قاهرة.

---

[1] أحمد مريوش : المرجع السابق ،ص 339 .
[2] أحمد توفيق المدني : حياة كفاح ، ج2 ، المصدر السابق ، ص
[3] أحمد توفيق المدني : رد أديب على حملة الأكاذيب ، مخطوط ، ص 239 .

خاتمة:

من خلال تسليط الأضواء على المساهمات الثقافية و الفكرية للشيخ "أحمد توفيق المدني" في المرحلة التي أعقبت إبعاده إلى الجزائر ،إلى غاية اندلاع الثورة التحريرية الكبرى نَخلص إلى :

أولا : إنَّ الحضور الصحفي للمدني كان متميزًا ،نتيجة الخبرة الصحفية التي خاضها في تونس قارئا أو مساهما مما أعطى دفعا للحركة الصحفية العلمائية و الإصلاحية عموما الناطقة بالعربية ، فالرجل صال و جال في صحيفة الشهاب عشر سنين و نيف، و غطى الأحداث السياسية بعمق في ركنه " الشهر السياسي " ، كما منح البصائر السلسلة الثانية (1947- 1956) صبغة عصرية، جعلت الصحيفة منفتحة على الحدث العالمي،و حوَّلها إلى فضاء لمحاكمة الاستعمار أيًا كانت القوة التي تقف وراءه عبر منبر السياسة العالمية الشهير هذا و سجَّل حضوره على أعمدة العديد من الصحف الأخرى كجريدة " الإصلاح " لصاحبها الشيخ "الطيب العقبي"، و ظلَّ وفيا للصحافة التونسية التي كان يراسلها باستمرار .
و يلاحظ الدارس أنَّ اهتمام المدني بالقضايا العربية و قضايا العالم المعاصر له كان كبيرا .

ثانيا : ظهر المدني مؤلفا طويل النفس ،فقد صدرت له بهذه المرحلة من الدراسة عديد المؤلفات القيمة ،التي عالجت فترات هامة من التاريخ الوطني ، و أمدت أبناء الجزائر من قراء العربية المتعطشين لمعرفة تراثهم و تاريخهم بما يروي الظمأ ، و أبرزت تَفَرّده و كشفت طاقته الحقيقية و التي حازت تنويه و اعتراف رواد الحركة الإصلاحية و الفكرية في الجزائر و خارجها أمثال : "عبد الحميد بن باديس" ،" مبارك الميلي" ،" مالك بن نبي" ،" عبد الرحمان الجيلالي" ،" محمد الفاضل بن عاشور" و غيرهم .

ثالثا : تمكَّن الرجل من بعث ديناميكية ثقافية تجسَّدت في تأسيس أهم فضاء للمسامرات و اللقاءات و الندوات – نادي الترقي بالعاصمة سنة 1927م – بمعية عدد من الفضلاء الغيورين على الرصيد الحضاري للأمة الجزائرية و الذي تحوَّل إلى منبر للحركة الإصلاحية ، و شهد ميلاد و انطلاق العديد من المشاريع الخيرية التي خدمت الأمة ماديًا و روحيًا .

رابعا : ساهم مترجمنا في التخفيف من المعاناة المادية لأبناء شعبه ،من خلال نشاطه بالجمعية الخيرية الإسلامية المؤسسة سنة 1933م رفقة مُحسنين كثيرين ، و التي تولت إدماج مئات الفتيان و الفتيات في مجالات التكوين و انتشلتهم من مستنقع التشرد،فعبَّرت عن روحه الاجتماعية المتضامنة .

خامسا : أبدى "المدني" اهتماما بالغا بالفن المسرحي ،و دعا إلى بعث فرق مسرحية لتنشيط الركود الفني بما يخدم الثقافة الوطنية الأصيلة ، و يخفف من الاحتقان النفسي الذي يقاسيه الجزائري تحت رحمة احتلال حوَّله إلى هيكل بشري يائس ، و وظف الفن الرابع لتمرير رسائل غاية في الخطورة لاستنهاض همم الجزائريين .

الفصل الرابع
نشاطه السياسي في الجزائر 1925 – 1954م

المبحث الأول : إسهاماته السياسية في الحياة الوطنية

المبحث الثاني : المدني و القضايا العربية

المبحث الثالث : دوره في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

المبحث الرابع : موقفه من قضايا عصره

تمثل الفترة 1925 – 1954 مرحلة هامة ودقيقة في تاريخ الجزائر عموما و تاريخ الحركة الوطنية على الخصوص ، إذ تؤرخ لديناميكية في الحركية السياسية حيث شهدت تطورات في المفاهيم و تصورات الحلول غذتها مؤثرات محلية و دولية .

و لذلك تمايزت المواقف تجاه قضية الاحتلال ،ما بين المطالبة بالاندماج التام في الوسط الفرنسي، و بين إمكانية قيام مجتمعين بخصوصيات مختلفة ، أو ضرورة الانفصال النهائي عن المستعمر و بعث الكيان المسلوب .

و في ظل هذه التجاذبات نشط أحمد توفيق المدني على أكثر من صعيد ، و تعامل بإيجابية مع كل المبادرات التي هدفت لـَمّ شمل الجزائريين و توحيد مواقفهم .

فإلى أي مدى ساهم المترجم له في تحريك الأوضاع ؟ و فيم تبرز أشكال مساهماته في الحياة السياسية داخل الجزائر ؟ و ما طبيعة الفكر الوطني الذي حمله في مواجهة الإدارة الفرنسية ؟.

المبحث الأول: إسهاماته السياسية في الحياة الوطنية:

لقد عرف "أحمد توفيق المدني "، بنشاطه وحيويته، ومشاركاته السياسية في مختلف الأحداث الوطنية التي عاشتها الجزائر منذ دخوله إليها مبعدًا من تونس سنة 1925م، إلى غاية اندلاع الثورة التحريرية عام 1954م، فكانت له مواقفه وبصماته في أهم التحركات السياسية والتجمعات التي شهدتها الجزائر في هذه المرحلة.

أولا - مشاركته في بيان الشعب الجزائري 1943:

شهدت الجزائر خلال الحرب العالمية الثانية (1939- 1945) العديد من التطورات السياسية والعسكرية، فقد كانت أجزاء من أراضيها مسرحا لمواجهات عسكرية بين قوات المحور والحلفاء ، فشكلت بذلك إحدى الجبهات الحربية، فكيف تفاعل الجزائريون مع هذه التطورات؟ وما هو نشاط المدني خلال هذه الفترة؟

في 08 نوفمبر 1942 نزلت القوات الأنجلو- أمريكية بالسواحل الجزائرية، وقد رحب الجزائريون المسلمون بهذا النزول، لاعتقادهم مخدوعين بأن الحلفاء جاؤوا لتحرير الشعوب المحتلة، وفقا لشعاراتهم المرفوعة، المتعلقة بالحرية والديمقراطية، كما نصت عليه مبادئ ميثاق الأطلسي.[1] وتميزت هذه الفترة من الناحية السياسية بنشاط الحركة الوطنية بتياراتها المختلفة.

وبالمقابل وقعت اتصالات بين الجزائريين والفرنسيين والحلفاء، بهدف وضع إطار لمستقبلهم، وفي هذا الصدد دعي المترجم له من قبل الجنرال "جيرو" للتباحث حول التفاف الجزائريين إلى جانب فرنسا والحلفاء ومساندتهم ، وخلال المقابلة طرح " المدني " مطالب التونسيين والجزائريين وشرح آلام الشعبين، إلا أن المناقشات لم تسفر على أية نتيجة ، مما حدا بالمدني إلى وصف الجنرال "جيرو" بأنه "بغل مصفّح".[2]

وفي نفس الأجواء، ذكر الشيخ " توفيق المدني " ، أنه خلال شهر ديسمبر 1942م أعلمه صديقه الأستاذ "فرحات عباس" بأن الجنرالين "دارلان" ، و"جيرو" قد طلبا منه، ومن مجموعة من النواب، أن يفكروا في إمداد فرنسا الحرة بالرجال الجزائريين قصد المشاركة في الحرب"[3]

وهكذا سارع " فرحات عباس " إلى تحضير مطالب لتقديمها للأمريكيين، يعتمد عليها كأساس للإصلاح، حيث قدم رسالة للسلطات والحلفاء يوم 20 ديسمبر 1942م، وأتبعها برسالة

---

(1) أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية 1930- 1945 ج3، المرجع السابق، ص190.
(2) أحمد توفيق المدني : حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 366.
(3) نفس المكان.

ثانية، تحمل بعض التغييرات يوم 22 ديسمبر 1942م،[1] موجهة الى السلطات الفرنسية عنوانها: "رسالة من ممثلي المسلمين إلى السلطات الفرنسية، اعترف خلالها بسيادة فرنسا على الجزائر، وقدم مشروع إصلاحات للتخفيف من معاناة الجزائريين، وتعتبر هذه الرسالة كمسودة لبيان الشعب الجزائري فيما بعد،[2] إلا أن هذه المطالب رفضت سواء من قبل الفرنسيين أم الحلفاء بحجج واهية."

وأمام تعنت إدارة الاحتلال ، وعدم ترحيب الحلفاء بالمطالب المقدمة ، أصبح أمام قادة الحركة الوطنية، وعلى رأسهم "فرحات عباس" ، ووطنيين آخرين نشطين من مختلف الاتجاهات ضرورة تغيير موافقتهم، وتجذير مطالبهم.

والحقيقة أن " توفيق المدني "، رغم أنه لا يزال في هذه المرحلة، يعد تونسيا مستقرا بالجزائر ويمثل الشخصيات المستقلة - دون النظر إلى نشاطه الصريح ضمن الحركة الإصلاحية وصحفها -إلا أنه كان من السباقين لاغتنام أية فرصة للتعبير عن الرغبة الصادقة في التخلص من الهيمنة الاستعمارية، لذلك فإنه لم يتوان في تسجيل حضوره في كل تحرك، ومن ذلك ما ذكره عن الإعداد للبيان حيث أورد أنه في شهر جانفي من سنة 1943 اتفق الأخوان "عباس فرحات " ، و " الحكيم ابن جلول " على الدعوة لعقد إجتماع سياسي تأسيسي يضم النخبة الصالحة من رجال الشعب الجزائري، لكي يضع أسس المطالبة ، ويقول كلمته الصريحة في شأن مستقبله وكنت (أي المدني) مدعوا لحضور ذلك الاجتماع، وقد أشعر مسيو مورفي MURPHY" ممثل أمريكا بالأمر ، لما عسى أن تفعله فرنسا".[3]

فدعا "فرحات عباس" إلى عقد إجتماع في مكتب المحامي الأستاذ "بو منجل" بالعاصمة حضره الدكتور" تامزالي"،و"غرسي أحمد "،و "قاضي عبد القادر"،الدكتور"الأمين الدباغين"، و"حسين عسلة"،و الشيوخ:"العربي التبسي"، "محمد خير الدين"،"أحمد توفيق المدني،و"الدكتور ابن جلول"،و" فرحات عباس"،و الدكتور"سعدان"مستشار عام،و"محمد الهادي جمام " بالإضافة إلى مستشارين عامين، ومندوبين ماليين، اتفقوا كلهم على إصدار ميثاق جديد خاص بالجزائر.

---

(1) Mohamed, harbi, le F L N, mirage et réalité,édition, jeune Afrique, paris:1980, pp 45- 62.
(2) Benjamin stora, Zakya Daoud: Ferhat abbas une autre Algérie, édition, casbah, Alger: 1995, p 115.

(3) أحمد توفيق المدني: حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 367.
أنظر أيضا: عبد الرحمن بن إبراهيم بن العقون: الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر ج2، ص ص 238- 239.

وحسب " المدني " فإن الاجتماع حضرته حوالي 50 شخصية، من ألمع رجال المجتمع السياسي الجزائري ، ترأسه الدكتور " ابن جلول " ، وقد طرح مترجمنا مجموعة مطالب ، رأى أنها تمثل رغائب الشعب الجزائري لخصها في عشر نقاط أهمها:

- إنشاء مجلس تأسيسي لتحرير دستور لدولة الجزائر.[1]
- تكوين حكومة جزائرية مستقلة معترف بها ، تشارك مع فرنسا والحلفاء في الحرب.
- إلغاء تبعية الجزائر لفرنسا ، وإبرام معاهدة لتنظيم العلاقات بينهما.
- إنشاء النقد الجزائري الخاص بالدولة الجزائرية على قاعدة الدينار يساوي 1000 فرنك.[2]

وهكذا جرى تكليف السيد " فرحات عباس"[*] بتحرير نص البيان ، الذي وقع بتاريخ 10 فيفري 1943م ، وكان معنونا بـــ: " الجزائر أمام الصراع الدولي، بيان الشعب الجزائري" وتركز على خمسة مطالب أساسية.[3]

1- إدانة الاحتلال وتصفيته، بمعنى إنهاء سياسة الإلحاق واستغلال شعب لشعب آخر.

2- تطبيق مبدأ تقرير المصير لكل الشعوب سواء كانت صغيرة أم كبيرة.

3- منح الجزائر دستورا خاصا بها يضمن لها:

أ- الحرية والمساواة المطلقة لكل سكانها بدون تمييز عرقي أو ديني.

ب- إنهاء الملكية الإقطاعية بتطبيق إصلاح زراعي واسع يضمن الرفاهية والرخاء للطبقة الواسعة من البروليتاريا الفلاحية.

ج- الاعتراف باللغة العربية لغة رسمية إلى جانب اللغة الفرنسية.

د- حرية الصحافة وحق إنشاء الجمعيات.

هـــ- التعليم المجاني والإجباري لكل الأطفال ذكورا وإناثا.

و- حرية الديانة لكل السكان، وتطبيق فصل كل الديانات عن الدولة.

4- المشاركة الفورية والفعالة للمسلمين الجزائريين في حكومة بلادهم.

5-إطلاق سراح جميع المساجين السياسيين المحكوم عليهم مهما كان الحزب الذي ينتمون إليه.[4]

---

[1]- فرحات عباس : حرب الجزائر وثورتها– ليل الاستعمار،المصدر السابق ،ص 140.

[2] أحمد توفيق المدني: حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص ص 367- 368.

[3] - فرحات عباس : حرب الجزائر وثورتها – ليل الاستعمار،المصدر السابق ،ص 140.

[4]Anonyme, du Manifeste à la république Algeriènne, édition liberation, Alger : 1948, pp 40- 41.

*-فرحات عباس:(1899-1985)هو فرحات المكي عباس ولد بالطاهير بجيجل ، سياسي جزائري معروف،تزعم التيار الاندماجي،وهو محرر البيان الشهير لسنة 1943 ،أسس عدة تنظيمات سياسية ، انخرط في الثورة سنة 1956وترأس أول حكومة مؤقتة ،كما ترأس أول مجلس تأسيسي بعد الاستقلال.

لقد جمع هذا البيان بين أفكار حزب إتحاد الشعب الجزائري، وجمعية العلماء المسلمين، وفئات عريضة من الجزائريين ، فالتصدي للاستعمار الفرنسي مهمة تتطلب تآزر الجميع ، وقد عبَّر عنه المحامي "أحمد بومنجل "بأنه نضال سياسي سيؤدي إلى إحداث قطيعة نهائية مع الاندماج، ويقوي الروح الوطنية عند الجزائريين.[1] وهو جوهر نضال "توفيق المدني".

ويرى الدكتور " عبد الكريم بوصفصاف "، بخصوص التقارب بين النخبة والعلماء، أن ذلك كان ناتجا أساسا عن تطور النخبة، ويأسها من الديمقراطية الفرنسية، أما قبول العلماء التعاون مع هؤلاء، فقد كان ناتجا عن قناعاتهم بالمواقف الجديدة ، والتي أثبتت منذ سنة 1943 قطيعة رجال النخبة نهائيا مع المستعمر من جهة، والإمكانيات السياسية التي يتمتع بها أعضاء النخبة من جهة أخرى).[2]

هذا وقد قام وفد على رأسه " فرحات عباس "، بتسليم نص البيان الى الوالي العام "مارسيل بيروتون" Marcel pyreoton ، بتاريخ 31 مارس 1943م، و الذي وعد بأن يأخذ المطالب بعين الاعتبار كأساس لدستور الجزائر، وتم تشكيل لجنة سميت "لجنة البحث الاقتصادي والاجتماعي الإسلامي" يوم 03 أفريل 1943.[3]

ووصف " المدني " هذه اللجنة بأنها ألعوبة، فهي لم تدرس أي مشروع جدي لإصلاح أحوال المسلمين بالصيغة التي يطلبونها ، ومع ذلك فقد تقدَّم أمامها " فرحات عباس" بعد التشاور مع موقعي البيان- وعرض مطالب محددة بصفة ملحق البيان، خلال شهر ماي 1943م.[4]
وحسب الدكتور " أبو القاسم سعد الله " فإن البيان وملحقه وثيقة واحدة ، يحتوي على مزيج من المطالب السابقة للنخبة ، والعلماء ، وحزب الشعب ، وأنها من وحي التجارب الماضية للجزائريين مع الاستعمار.[5]

والحق أن الشيخ " أحمد توفيق المدني "شارك بفعالية في البيان التاريخي،وعبر إلى جانب زملائه عن آمال الجزائريين، وجسد خطه السياسي الذي يهدف إلى توحيد الجهود الوطنية لمقارعة المستعمر، الذي كان يعتقد دوما أنه لا يرجو منه الخير للشعب.

---

[1] حميد عبد القادر: فرحات عباس رجل الجمهورية، دار المعرفة، الجزائر:2001، ص 88.
[2] عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1931 – 1945دراسة تاريخية وايديولوجية مقارنة ،منشورات المتحف الوطني للمجاهد ،طبع المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار ،الجزائر: 1996 ،ص 286.
[3] أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية 1930- 1945، ج3، المرجع السابق، ص 208.
[4] احمد توفيق المدني: حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص375.
[5] أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية 1930- 1945، ج3، المرجع السابق، ص 213.

وهو ما تأكد من خلال الرد الفرنسي الذي كان على لسان "ديغول" بمدينة قسنطينة خلال خطابه يوم 12 ديسمبر 1943م، والذي وعد فيه ببعض الحقوق، جسدها في أمر 07 مارس 1944م، الذي لم يرض أحدًا من المسلمين.

ويرى " توفيق المدني " أنَّ الرد الفرنسي، أدى إلى انتشار الوعي السياسي في كل طبقات الشعب الجزائري التي أجمعت على اليأس من استماع فرنسا لصوت الحق.[1]

ثانيا- مشاركته في الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية و إحترامها 1951:

سجل مطلع الخمسينيات حركة سياسية نشطة، أعقبت عمليات القمع العنيفة الممارسة خلال أحداث 08 ماي 1945م، وتأثر الاتجاه الثوري بالضربات التي تلقتها المنظمة الخاصة، بتفكيكها في شهر مارس 1950، وقيام النظام الاستعماري بمهاجمة النشاطات البرلمانية، وتزوير الانتخابات في شهر جوان 1951م، لذلك والحال هذه، كان لابد من إعادة توحيد الجهود، في إطار منظم أو تجمع ، يمكنها من بعث الأمل في نفسية الشعب الجزائري المحطمة. فما شكل هذا الاتحاد؟ وما دور أحمد توفيق المدني فيه؟

لقد توحدت الجهود فعلا، وظهرت باسم "الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها". وقد كان مهد لظهورها عدة لجان، وهي" لجنة إغاثة ضحايا القمع " التي أنشئت سنة 1948 ولجنة "الدفاع عن حرية التعبير " التي أنشئت عام 1950.[2]

وهكذا اجتمعت اللجنة لتأسيس هذه الجبهة يوم 25 جويلية 1951 بالجزائر العاصمة، ضمت ممثلين عن العلماء، والإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، وحركة الانتصار للحريات الديمقراطية، والحزب الشيوعي الجزائري، وشخصيات مستقلة[3]، وجهت نداء الى جميع الجزائريين المهتمين بتحقيق الإتحاد.

وقد كتبت جريدة "المنار"[*] عن الحدث قائلة: (إنها لبشرى تشرح الصدور ، وتنعش الآمال ، وتقوي التفاؤل بمستقبل هذا الوطن... هذه البشرى هي تكوين لجنة إنشائية لتأسيس

---

(1) أحمد توفيق المدني: حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص ص 375-376.

(2) أسعد لهلالي:الشيخ محمد خير الدين وجهوده الإصلاحية في الجزائر 1902- 1993م، مذكرة ماجستير قسم التاريخ، جامعة منتوري ،قسنطينة :2006، ص 110.

(3) عبد الرحمن بن ابراهيم بن العقون: الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات، معاص، ج3، المؤسسة، الوطنية للكتاب، الجزائر: 1986، ص 165.

*- جريدة المنار: جريدة سياسة ثقافية دينية حرة، صدر عددها الأول في 29 مارس 1951 بالعاصمة، يديرها محمد بوزوزو، صدر منها 51 عددا، توقفت في شهر جانفي 1954 لخلافات بين مديرها وحركة الانتصار المحسوبة عليها.

جبهة جزائرية للدفاع عن الحرية و إحترامها... فإن الذي نريده، هو توحيد السياسة والعمل في جبهة قومية، تتمثل فيها مطامح الشعب الى الحرية والاستقلال... وهي خطوة عظيمة نرجو أن يتبعها توحيد البرامج السياسية، في برنامج عام واحد يعبِّرُ عن أماني الأمة الجزائرية القومية) [1].

وبالفعل عقدت اللجنة التأسيسية إجتماعا لها، في قاعة سينما "دنيا زاد" بالجزائر يوم 05 أوت 1951، شاركت فيه التشكيلات السياسية، وشخصيات عديدة. و أعداد غفيرة من المواطنين حيث أعلن رسميا عن ميلاد تلك الجبهة، ووقع الاتفاق على خمسة مطالب رئيسية وهي:

1- إلغاء الانتخابات التشريعية المزعومة التي جرت في 17 جوان 1951.

2- احترام حرية الانتخابات في القسم الثاني.

3- احترام الحريات الأساسية: حرية الفكر ، الصحافة ، والاجتماع.

4- محاربة القمع بجميع أنواعه، و تحرير المعتقلين السياسيين، وإبطال التدابير الاستثنائية الواقعة على " مصالي الحاج ".

5- إنهاء تدخل الإدارة في شؤون الديانة الإسلامية.[2]

وتم تكوين مكتب دائم يتشكل من عشرة أعضاء وهم: " العربي التبسي "، " محمد خير الدين "، "أحمد مزغنة "، الأستاذ " كيوان " ، " أحمد بومنجل " ، " قدور ساطور " ، " أحمد توفيق المدني" ، " السيد كالبيرو "، " كوش يونس "، " الأستاذ مندوز " (غيابيا).

و أتفق أن يتولى هذا المكتب العمل على تحقيق المبادئ المتعلقة بتوحيد الجزائريين ، ولم الشمل والدفاع عن الحرية.[3]

والحقيقة أن مشاركة الشيخ " أحمد توفيق المدني " تدخل في إطار نضاله المستمر، وعمله الدؤوب، الهادف إلى جمع كلمة الجزائريين، وتوحيد صفوفهم، وتوجيه جهودهم لمنازلة المستعمر.

وقد وصف مترجمنا الجبهة قائلا: (إنَّ حركتنا هذه ليست حركة عنف، وليست حركة قوة، بل هي حركة عقل وحكمة، حركة حجة وإقناع، هي حركة مجموع الأمة الناهضة التي

---

(1) محمد بوزوزو: "بارقة أمل خطوة كبيرة في سبيل تحقيق الإتحاد القومي" جريدة المنار، العدد06، الجزائر: 30 جويلية 1951، ص 01.

(2) جريدة المنار "الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها مولود جديد في حاجة إلى عناية " العدد07،الجزائر:15 أوت 1951، ص01.

(3) نفس المكان .

تريد بواسطة الحجج القوية الدامغة، وبواسطة المنطق السليم الراجح، أن ترغم الخصوم على التخلي عن مظالمهم، وامتيازا تهم الجارحة، وتدليسهم السخيف، وأن تنتزع من بين أيديهم انتزاعا حقوقها، وحرياتها، وحياتها الشريفة السامية) [1].

لقد كان الشيخ " أحمد توفيق المدني" من المتحمسين للدفاع عن المبادئ التي تشكلت من أجلها الجبهة، وفي مقدمتها الحرية والديمقراطية، فخلال خطاب ألقاه بتاريخ 19 أوت 1951م، بالملعب البلدي بحسين داي، حضره آلاف الأشخاص، خاطب الحضور قائلا: [2](إنَّ السبب الأصلي في نجاح النظم الاستعمارية هو الخلاف ، وأن دواءنا هو الاتحاد، إن الحرية أيها القوم هي كل شيئ، فالأمة المتمتعة بالحريات الأساسية، هي الأمة التي تستطيع أن تبني بيدها جدار مستقبلها السعيد ... وإذا ساد في بلادنا كل الحريات الديمقراطية، فقولوا يومئذ حي على الفلاح، واعلموا يومئذ أن الأمة، قد خطت خطواتها الموفقة الصالحة، وسارت سيرها الطبيعي... اعلموا أنه مهما كان الطريق وعرا شائكا... فإن كفاح هذه الجبهة المتحدة الموفقة سيبوء بالانتصار العظيم لتحقيق سعادة الأمة برفع لواء الحرية).

والحق أن المدني، ابتهج كثيرا لتشكيل هذه الجبهة، وقد كتب في جريدة البصائر عن الحدث: [3](الحمد لله والله أكبر، لقد تحقق الرجاء، وكللت جهود العاملين في سبيل جمع كلمة الأمة، وتحقيق وحدتها بفوز عظيم فهذه الجبهة إنَّما هي طليعة الاتحاد الجزائري المقدس ... فوجود طائفة من العلماء الصالحين المستقلين من جهة، ووجود الرغبة الصادقة عند سائر الأحزاب لمباشرة العمل المشترك، في سبيل الجزائر الحرة الجديدة).

ومن أبرز النشاطات التي قامت بها الجبهة، وسجل المدني مشاركته فيها، بصفته عضوا في المكتب الدائم، هو رفضها المشاركة في الانتخابات العمالية التي جرت في شهر أكتوبر 1951، رغم إعلان الحزب الشيوعي، قراره بدخولها، حيث صدر تصريح مشترك، دعا الناخبين إلى مقاطعة تلك الانتخابات.[4]

كما اهتمت هذه الجبهة بمشاكل القطر، فكانت ترسل وفودا عنها إلى مختلف مناطق الوطن التي تشهد أحداثا، مثلما حصل بالأوراس،و هي الأحداث التي كانت متزامنة مع تشكيل الجبهة، وبعد تلقي

---

[1] جريدة المنار: الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها تقف أمام الأمة"،العدد 08، الجزائر:31 أوت 1951، ص 03.

[2] نفس المكان .

[3] أبو محمد:"الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها، أعظم موقف تتخذه الجزائر المجاهدة في تاريخها الحديث"،البصائر، العدد 167، الجزائر :13 أوت 1951، ص 01.

[4] جريدة المنار: "تصريح مشترك"، العدد 09، الجزائر:05 أكتوبر 1951، ص 01.

التقارير، تتم دراستها، والتوقيع على خلاصتها، وترسل إلى الإدارة الاستعمارية، وتنشر في الصحف كما هو الحال مع تقرير الجبهة الذي نشر بالمنار بتاريخ 05 أكتوبر 1951.[1]

والواقع أن اهتمام الجبهة المذكورة، جاوز الإطار المحلي ، ليشمل البلدان المغاربية، حيث شارك مترجمنا، في إرسال برقيات الاحتجاج والتضامن مع الشعب التونسي، أثناء الأحداث الدامية التي تسببت فيها السلطات الفرنسية في مطلع سنة 1952، حين اعتقلت عددا كبيرا من الزعماء السياسيين ، وعلى رأسهم "الحبيب بورقيبة" ، و "سليم المنجي"، فقامت بتوجيه رسائل الى الهيئات الفرنسية، وهيئة الأمم المتحدة، وتصدر " توفيق المدني "، اجتماعا بالعاصمة في 08 جانفي 1952 تأكيدا لهذا التضامن.[2]

كما كان الشيخ "أحمد توفيق المدني" على رأس موقعي بيان التنديد والمساندة، الذي أصدرته جمعية العلماء، وكان حينها أمينها العام، في شهر نوفمبر 1951م، إثر حوادث الدار البيضاء المغربية،حيث أدان الاستعمار،وأبرز تضامن الشعب الجزائري مع الأشقاء المغاربة.[3]

لقد استوقف نشاط الجبهة المتتبعين للساحة الوطنية في مطلع الخمسينيات،وتم رصد المجهودات الكبيرة التي بذلها المترجم له في إطار هذا المولود الذي و إن لم يعمر طويلا، فقد استطاع لمَّ شمل اتجاهات متناقضة أحيانا، وجمعها حول برنامج محدد، وهو ما يشكل نقطة تحول هامة.[4]

وعن دواعي فشلها، فهي حسب أحد الكُتَّاب تعود إلى أهدافها البسيطة، التي لم تسمح للأحزاب الوطنية المعادية للاحتلال، أن تقدم برنامجها العملي الموحد، وهذا بسبب الاختلاف فيما بينها، من حيث النظرة الى الاستقلال.[5]

وفي رأي أحد معاصريها، فإن الجبهة كانت جسما هشا، لأنها لم تكن مبنية على وحدة الاتجاه ووحدة المبدأ، وعلى اقتناع قلبي وعقائدي، لذلك لم تستطع مقاومة اختلاف الآراء، وتلاشت شيئا فشيئا، دون إنفجار ظاهر.[6]

ومهما تباينت الآراء والمواقف حول العوامل التي تقف وراء نهاية هذا التنظيم، فالأكيد أن التجربة شكلت حلقة من حلقات الوعي الوطني، حيث اعتبرها " المدني " اتحادا مقدسا جمع

---

(1) جريدة المنار: "تصريح مشترك"، المصدر السابق، ص 01.

(2) بدون كاتب: "تونس المجاهدة"، البصائر، العدد 182،الجزائر:01 فيفري 1952، ص 01.

(3) البصائر: "بيان من الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها"، العدد 174،الجزائر:19 نوفمبر 1951،ص 08.

(4) Mahfoud Kaddache et Djilali sari: op-cit, p 113.

(5) André noshi: la naissance du nationalisme Algérien 1914- 1954, édition de minuit, paris: 1962, p 157.

(6) عبد الرحمن بن إبراهيم بن العقون: الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، ج3، المصدر السابق، ص ص 180- 181.

مشارب متمايزة، فكانت في نظره الومضة الأولى التي انشق من بعدها نور الجبهة العظمى، جبهة التحرير الوطني الجزائري[1]، مبديا تعجبه من استصغار المؤرخين لها.

وصفوة القول أن مشاركة المدني في هذه الجبهة مثلت مرحلة من مراحل نضاله السياسي وأبرزت من جديد روحه الوحدوية ،و استعداده للانخراط في كل تحرك لجمع كلمة الجزائريين.

ثالثا - خطابه تجاه الاستعمار:

تصدى الشيخ " أحمد توفيق المدني" منذ شبابه المبكر للظاهرة الاستعمارية بكل أبعادها، فالرجل نشأ على كره الاستعمار، وهو سليل عائلة معروفة بعدائها للاحتلال، مما أدى إلى تشريدها وقطع صلاتها بوطنها الأم، ثم قطع صلات ابنها بها بعد إبعاده إلى الجزائر عام 1925.

وهكذا نجد " المدني "، يولي أهمية للواقع الجزائري اجتماعيا وسياسيا، هادفا من وراء كتاباته الصحفية ، ومؤلفاته التاريخية، ومحاضراته ، إلى إيقاظ شعبه وجعله واعيا بماضيه وحاضره، ومستقبله ، فهو صاحب آثار ناطقة في مناهضة الاستعمار ، وتحرير الفكر العربي الجزائري.[2]

إنّ المتصفح لمقالات " المدني " بالجرائد والمجلات الصادرة بالجزائر خلال الربع الثاني من القرن العشرين ، يلمس بلا شك، تلك الروح الناقدة، والأسلوب القوي، والنزعة التحريرية للرجل، الذي كانت له جولات قلمية مع المشاريع التي كان الاستعمار يطرحها من حين لآخر، فكان يصفها بأسمائها الحقيقية ، فهي إما إصلاحات مزيفة، أو تجنيس وإدماج ، أو تحطيم للوحدة الوطنية ، ونشر للعنصرية وغيرها ، فالقضية الأساس بالنسبة إليه، هي التشبث بالحق ، والدفاع عنه والإيمان بالهوية الشرقية،والتمسك بمقوماتها، فمواقفه الوطنية تلاحق المستعمر على كافة المستويات، وتفضحه في الانتخابات والقضاء والممارسات الإدارية.

لقد كان يقول الكلمة التي تعبر عن الواقع ،مبديا رأيه علانية، منتقدا الوضع الذي يعيش فيه مجتمعه بكل صراحة غير مكترث بما سيقع من رد فعل الإدارة، وطبق هذا الأسلوب على كل القضايا التي عالجها، فأضحى طبيبًا يصف الداء والدواء[3]

---

[1] أحمد توفيق المدني: حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص ص 402- 403.

[2] انيسة بركات درار: "حياة في سبيل العلم والجهاد"، مجلة التاريخ، العدد 18، الجزائر:النصف الأول من سنة 1985، ص ص 27- 28.

[3] ميسوم بلقاسم: المرجع السابق، ص ص 121- 122.

والحق أن مترجمنا كان جريئا في طرحه، منذ السنوات الأولى لدخوله الجزائر، و ذلك عندما تساءل عن الحالة العامة للمسلمين الجزائريين، فوجد أنَّ الجزائري من حيث المنطق والمعقول هو مسلم جزائري وكفى، ومن حيث القانون الدولي فهو فرنسي، ومن حيث المعاملات الداخلية يعتبر رعية فرنسية، يقوم بالواجبات ، ولا يتمتع بالحقوق الفرنسية، وإن أراد ذلك، فيجب أن يتخلى عن الأحوال الشخصية، ثم ختم تساؤله بالتأكيد أنَّ الشعب الجزائري، قد فضل البقاء على حالة الظلم والإرهاق، رافضا التنازل عن دينه، أو التقاضي بغير ما أنزل الله.[1]

إنَّ هذا الموقف المصرح به يعد خطيرًا، مقارنة بالوضع العام، ولذلك نجد "ديبارمي" يذكر أن أفكار " المدني "، وبعض أمثاله، ليست سوى تعبيرا عما تردده جميع فئات الشعب الجزائري.[2]

ومن صور إنتقاد السياسة الإستعمارية ما كتبه في جريدة "الشهاب"، خلال شهر نوفمبر 1937 بعنوان: " محاكمة حزب الشعب "[3](إن الذي يدهشنا حقا، ويفتح أبواب الهواجس في أنفسنا، هو ما يسلكه نحونا، مهما اختلفت أحزابنا رجال الإدارة... فهم لا يريدون لنا أي رقي ، لا ضمن منطقة فرنسا ولا خارجها... لكننا نقول لهم بكل هدوء... أن عاقبة هذه السياسة الخرقاء لن تكون إلا وخيمة، مهما اغتروا بقوتهم، و اغتروا بسلطانهم... وإن أرادوا أن نعيش عبيدا أذلاء، فإننا نأبى أن نعيش إلا أحرارا سعداء).

و قد ظهر المعني في هذا المقال، وهو يعبر على لسان جميع الجزائريين، ملخصا قناعاتهم، تجاه الأساليب التي يستعملها الساسة الفرنسيون بالجزائر وأعوانهم.

كما بدا متكلما باسم شعوب المنطقة المغاربية، مبينا ازدواجية السياسة الفرنسية في التعامل مع أهلها حين قال: [4](الحقيقة أن حكومة فرنسا، كانت ولا تزال، تجاه القضايا الإعلامية في الشمال الإفريقي، تكيل بمكيالين" مضيفا : "إن العصر، عصر قوة لا عصر حق، فمادمنا نقدم الحق، وندافع عنه بصفته حقا، لا يعتمد إلا على النظريات والأقوال، فسوف لا نلاقي في نضالنا، إلا الخيبة والإخفاق).

---

(1) احمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، المصدر السابق، ص 328.

(2) بوضرساية بوعزة: "بعض جوانب الحركة الوطنية في منظور ديبارمي" الثقافة، العدد 104، الجزائر: سبتمبر، أكتوبر 1994،ص 110.

(3) أحمد توفيق المدني:حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص ص 294- 295.

(4) بدون إمضاء "إلى متى؟" في الشمال الإفريقي، الشهاب، ج1، م15، فيفري 1939، ص ص 48- 49.

وفي مقال له بعنوان : "الاستياء العام"، نشره في شهر مارس 1938، طرح جملة من التساؤلات على السلطة الفرنسية، ودعا حكومة الاحتلال، إلى ضرورة الإسراع بالتكفل بإصلاح الأوضاع السياسية قبل فوات الأوان، ومما قاله[1]:(هل للجمود السياسي الفرنسي من حد؟ وهل تدرك السياسة الفرنسية أخيرا أن الحبل قد أوشك أن ينفصم، وان الأزمة السياسية في الشمال الإفريقي قد وصلت إلى درجة حادة؟... إذا استمر الجمود السياسي الفرنسي على حاله ووقع الاكتفاء بالوعود... فإن ذلك لن يطفئ نار الاستياء المتأججة في هذه الأقطار، من المحيط الأطلسي إلى سواحل طرابلس... ولسنا ندري ما يكنّه المستقبل لهذه الأمة، التي أَمِلَتْ كثيرا، ثم ذهبت آمالها هباء منثورا).

والحقيقة أننا خلال رصدنا لمواقف مترجمنا، لاحظنا أنها ازدادت حدة وجرأة، بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، وخيبة الأمل المعقود ، وتأثيرات مجازر الثامن ماي الرهيب ، ونلمس ذلك خصوصا في جريدة البصائر في سلسلتها الثانية، حيث كان " للمدني " جولات طويلة في الركن الشهير ، " منبر السياسة العالمية " ، فمن خلال مطالعتنا لغالبية الأعداد الصادرة بين أعوام 1947 و 1954م، سجلنا الإشارات القوية التي كان يرسلها المدني إلى الشعب الجزائري، وشعوب المغرب العربي، تلميحا وتصريحا.

وقد واجهتنا صعوبة في اختيار نماذج مما قاله في هذا الشأن ، لذلك سنكتفي بعرض ما رأينا انه يعبر عن حقيقة المواجهة مع المستعمر، وعن الجرأة القوية في الطرح والمعالجة، ففي كلمة له بنادي الترقي في 26 أفريل 1946، عبر عن يأسه من الوعود الفرنسية الكاذبة ومبرزا الوضعية المأساوية للجزائريين، حيث قال: [2](فعلينا بالتكتل، وتوحيد الصفوف، فإذا تمكنا من تأسيس جمهوريتنا الجزائرية نستطيع يومئذ، أن نتخلص من سائر أوباء ومصائب الاستعمار... أما الاستمرار على هذه المطالب الجزئية، والحكومة ليست لنا، والتشريع ليس بأيدينا، فقد أرتنا التجارب منذ أمد طويل أن ذلك نوع من العبث).

وشن حملة انتقاد لأساليب المراوغة الاستعمارية، خلال الانتخابات الخاصة بالمجلس النيابي التي جرت في يوم 04 أفريل 1948م، تحت إشراف الحاكم العام "نايجلان"، فكتب تحت عنوان:" الانتخابات الجزائرية بين الإرهاب والتدليس"[3]:(نحن نعلم بكل ما فينا من قوة ويقين وإيمان، وبكل ما تحمل نفوسنا من شرف ، وعزة وكرامة، أن انتخابات المجلس النيابي

---

[1] احمد توفيق المدني: حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص ص 288- 289.

[2] جريدة الإصلاح: العدد 49 ، 17 ماي 1947.

[1] أبو محمد :"الانتخابات الجزائرية بين الإرهاب والتدليس" البصائر، العدد 32،الجزائر :19 أفريل 1948،ص 05.

الجزائري، هي بالنسبة للمسلمين انتخابات زائفة مزورة، وأن هذا المجلس لا يمثل الأمة في كثير ولا قليل، وان هذه الانتخابات المدلسة، ستبقى وصمة عار في وجه الاستعمار).

ولا نبالغ إذا قلنا أنَّ " أحمد توفيق المدني "، قد شنَّ من خلال البصائر، حملة عنيفة ضد المستعمر، فاقت في جرأتها، وشجاعتها كل ما كتب في الجزائر.

ولا أدل على ذلك من مقاله الصريح ، بعنوان: " أقتلوا الاستعمار، أو يقتلكم الاستعمار" مما قال فيه: [1](ألم تحتل فرنسا قطر الجزائر انتقاما لضربة مروحية خيالية؟ ، ألم تمزق الاستقلال التونسي شر ممزق، وتفرض سلطانها الجائر على ذلك القطر ، بدعوى حق الدفاع عن الجزائر ضد غارة جماعة من قطاع الطرق بجبل خمير؟)

وبعد أن يفند الدعاية الاستعمارية الفرنسية، يخلص إلى القول: [2](نحن نعلم اليوم، كما نعلم بالأمس، أن القوة لا تزال هي الحكم الفصل في تقرير مصير الإنسانية).

والحقيقة أن مترجمنا، لم يكن يترك مناسبة، أو حدثًا سياسيًا دوليًا - خصوصا ما تعلق بموجة التحرر - إلا ووقف موجها خطابه إلى الاستعمار وأعوانه، الذين خاطبهم بصراحة قل نظيرها، قائلا[3]:(وهكذا ينهار على مرأى منا ومسمع، وتحت مفعول الوعي القومي من جهة ، وانتباه الضمير الإنساني من جهة أخرى، النظام الاستعماري... لكن هناك قوم من الاستعماريين الآثمين... لا يرون مصرع الاستعمار العالمي، ولا يشاهدون تحرير الأمم... أولئك القوم هم الفرنسيون، الذين خيل إليهم الطمع، أن كل استعمار في العالم ينهار ، إلا استعمارهم وحده فله طول البقاء... إنه لموقف جهل وغباوة وغرور، سوف يؤدي بالفرنسيين إلى تجرّع مرارة العواقب... وربما كان ذلك أقرب مما يظنون).

والظاهر أن الحس السياسي " لتوفيق المدني " كان عميقا، وأن نظرته الاستشرافية لنهاية الاستعمار كانت بصيرة، فقد توقّع اندلاع الحركات الثورية بالمنطقة المغاربية، ويتجلى ذلك بوضوح في أكثر من عدد من صحيفة البصائر، والتي جاء في أحدها، ما يؤكد هذه النظرة، فقد كتب في " منبر السياسة العالمية "، و تحت عنوان "طوفان ببلاد المغرب العربي: (لقد أصبح من الظاهر الجلي، أن موجة هائلة من الطغيان الاستعماري، تطغى اليوم على بلاد المغرب العربي، ويتفاقم أمرها شيئا فشيئا، حتى أصبحنا نعتقد إنها مقدمة لطوفان عنيف، سوف يغمر هذه الأرض الفسيحة، التي يعتقد سياسة باريس، أنها خلقت لتبقى إلى أبد الآبدين نموذجا للنظام

---

[1] أبو محمد: "أقتلوا الاستعمار أو يقتلكم الاستعمار" البصائر، العدد 02،الجزائر:01 أوت 1947، ص 03.
[2] نفس المكان .
[3] أبو محمد: "منبر السياسة العالمية" البصائر، العدد 04،الجزائر: 29 أوت 1947، ص 04.

الاستعماري الممقوت اللعين... لقد أفلست السياسة الاستعمارية الفرنسية بهذه الأقطار، إفلاسا منقطع النظير) [1].

وصفوة القول أن الشيخ " أحمد توفيق المدني "، وبتتبعه للسياسة الاستعمارية في الجزائر وبلدان المغرب العربي، وعبر مناطق العالم، خَلُصَ إلى أنَّ الاستعمار ظاهرة مصيرها الزوال مُظهِرًا إيمانه العميق بتحقيق الحرية، حين كتب[2]:(ستنهار لا محالة طال الزمن أو قصُرَ، كل النظم الاستعمارية في هذه الدنيا، وسنرى ونحن على قيد الحياة، إن شاء الله، تمتع كل أمة من أمم العالم، بحريتها الكاملة، واستقلالها المطلق، ولن يبقى الاستعمار إلا صفحة سوداء في بطون التاريخ).

و بالفعل فإنَّ ما توقعه مترجمنا قد حصل و هو لا يزال على قيد الحياة ، حيث شهد العالم إنتشار موجة التحرر ، و إنهيار الإستعمار في صورته الكلاسيكية عبر أصقاع الأرض ، غير أنَّ الظاهرة الإستعمارية أخذت أشكالا جديدة .

---

[1] أبو محمد:"منبر السياسة العالمية" البصائر، العدد 23،الجزائر: 16 فيفري 1948، ص 04.

[2] أبو محمد: "منبر السياسة العالمية" البصائر ،العدد 79، الجزائر :09 ماي 1949، ص 05.

المبحث الثاني: المدني والقضايا العربية:

شكلت هموم الأمة العربية مشرقا ومغربا ، وصراعها ضد الهجمة الاستعمارية الغربية نقطة مركزية في اهتمامات " توفيق المدني " ، الذي تبنى منذ شبابه الفكر التحرري، وتشبع بقيم الوحدة القومية ، والتضامن الإسلامي، فحمل آلام هذه الأقطار، وساند حركاتها الاستقلالية.

- المدني وقضايا المغرب العربي:

دأب من خلال كتاباته الصحفية ولاسيما في "الشهاب" و "البصائر"، وعبر مؤلفاته التاريخية ، على تثبيت خصوصية العروبة لشمال إفريقيا، لذلك أراد أن يجعل من منطقة المغرب العربي ، كتلة ثقافية حضارية متميزة، تخوض حرب هوية ، كثيرا ما تصادمت مع القوى الاستعمارية، بأطيافها المتنوعة، إدارة، ومستشرقين، وكنسية..

وقد كانت نظرته وحدوية دائما، فقد خاطب الشبان في مؤلفه " جغرافية القطر الجزائري" قائلا: [(1)](إن المغرب العربي الذي يدعى جغرافيا شمال إفريقيا، هو في حقيقة أمره قطر واحد... فالتونسي والجزائري والمغربي أبناء وطن واحد هو المغرب العربي، وقد جمعت بينهم فيه يد الله، فهيهات أن تستطيع تفريقهم فيه يد البشر، وألفت بين قلوبهم عزة الماضي... و آلام الحاضر... وآمال المستقبل السعيد).

وتأكيدًا لوحدة المصير، وتشابه المعاناة في ظل السيطرة الاستعمارية الأوروبية، كتب "المدني " مقالا بعنوان : "البؤس الأهلي"، جاء فيه: [(2)](كانت الروابط المتينة التي تجمع بين مسلمي الشمال الإفريقي من سواحل المحيط الأطلسي إلى جنوب قابس، هي روابط الدين واللغة والعنصرية والتاريخ، و إنَّ حوادث الأيام، وتقلبات الليالي، قد زادت تلك الروابط المتينة، رباطا آخر، لا يقل عنها متانة ، و لا يقل عنها قيمة، ألا وهو رباط البؤس، الذي يصبح الحالة الطبيعية لمسلمي الشمال الإفريقي عامة).

أولا - القضية الليبية :إن تفاعل " توفيق المدني " مع القضية الليبية كان مبكرا، ويعود إلى سنوات حياته الأولى بتونس ، فقد شارك - كما روى بنفسه - في حملة استنكار للاحتلال الإيطالي لها سنة 1911م،وكتب عن تأثره بالواقعة قائلا: [(3)](كنت يومئذ في السنة الثانية عشرة من عمري ، ولا أستطيع أن أصور لكم مدى ما انفجر بي إثر ذلك العدوان، من شعور إسلامي فياض ، بلغ مبلغ الهيجان).

---

(1) أحمد توفيق المدني: جغرافية القطر الجزائري، المصدر السابق، ص 04.

(2) "في الشمال الإفريقي"،الشهاب، ج10، م11، جانفي 1935، ص 632.

(3) أحمد توفيق المدني: "شكيب أرسلان بطل الجهاد في كل الميادين"، الثقافة، العدد 76، الجزائر : جويلية - أوت، 1983، ص 66.

وعندما حل بالجزائر مبعدا، اخذ ينوه بمقاومة " عمر المختار" ، خصوصا في عهد قوتها بين سنتي 1930- 1931م، وعقب استشهاد زعيمها، نشر مقالا في شهر أكتوبر 1931 مجد فيه الشهيد تحت عنوان : " سيد الشهداء. ورأس الأبرار " ، قال فيه [1]:(اغتالت يد الطغيان الاستعماري بطلا من خيرة الأبطال العرب... جاهد عشرين عاما دفاعا عن بيضة الإسلام وكرامة الوطن ضد الطغاة المستعبدين).

وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية، وانهزام ايطاليا، سجل " المدني " تفاعله القومي مع أحداث ليبيا، جاعلا من البصائر ، منبرا لفضح نوايا الدول المستعمرة بتقسيم الأراضي الليبية، إلى مناطق نفوذ ومجال حيوي ، بين الفرنسيين والإنجليز، وحتى الإيطاليين.
وقد تساءل عن مصطلح المجال الحيوي فذكر: [2](إذا ما نادى به هتلر اعتبر ظلما وخرابا ، وإذا نادت به الدول الديمقراطية، صار رحمة و عدلا).

ونبه في ذات السياق إلى مخاطر ما يسمى بالاعتراف الجزئي، مثل اعتراف الإنجليز باستقلال برقة، معتبرًا ذلك سياسة تمزيق مفضوحة للوطن، مُحذرًا من الحيل، والمؤامرات المحاكة لغرض ايجاد صيغ لعودة الإيطاليين إلى البلاد[3].

ولم يتوان في انتقاد الموقف الفرنسي من القضية الليبية، بعد صدور القرار الاممي في 21 نوفمبر 1949، القاضي بوحدة التراب الليبي، بولاياته الثلاث :"برقة "،"فزان"، "وطرابلس " وهو الأمر الذي لم يعجب الإدارة الاستعمارية الفرنسية، متحججة بعدم قدرة الليبيين الفنية والمالية على استغلال أراضيهم، فخاطب فرنسا يقول: [4](كان الأجدر بفرنسا أن تأخذ العبرة من بريطانيا، التي حاولت تمزيق ليبيا، ووجدت نفسها منهزمة أمام العالم).

---

(1) أحمد توفيق المدني: حياة كفاح، المصدر السابق ،ج2، ص 319.
(2) أبو محمد: "منبر السياسة العالمية "البصائر،العدد 76، الجزائر: 18 أفريل 1949، ص 04.
(3) أبو محمد: في الشمال الأفريقي"، البصائر، العدد 105، الجزائر: 30 جانفي 1950، ص 06.
(4) نفس المكان .

ثانيا - القضية التونسية:

مثلت تونس اهتماما خاصا " للمدني " ، نظرا لاعتبارات تتعلق بكونها موطن الميلاد، وعضوية الرجل ضمن الحزب الدستوري، وإذا كنا قد تناولنا نشاطه الصحفي ، ومواقفه الحزبية الصلبة خلال عرضنا لحياته بتونس ، فإننا هنا سنحاول إبراز تصديه للدفاع عن التونسيين وهو بالجزائر.

وكان " المدني " بُعيد قرار الإبعاد قد تحدَّث لمجتمع من المثقفين الجزائريين خلال شهر جوان 1925 فقال:[1](إنني قدمت من بلد فيه كفاح سياسي مرير، وقد نظمنا الشعب تنظيما سياسيا محكما...وأنا مؤمن بوحدة المغرب العربي جنسا ، ودينا ، ولغة ، وأخلاقا... فهل من عمل سياسي ممكن في هذه الأرض الجزائرية... يربط بين القطرين ، ويوحِّدُ بين الجهادين).

وعن عمق أحاسيسه بالتواصل بين البلدين، قال: [2](كنت أعمل في تونس بروح جزائرية، فإذا بي أعمل في الجزائر بروح تونسية... واكتشفت أن العمل واحد، وان الكفاح واحد، وأنَّ جهادنا المشترك إنما هو وعاء متصل الأجزاء، ما صيت في جزء من أجزائه شيئا، إلا توزع بصفة متعادلة على سائر الأجزاء).

والظاهر أن تعلق " المدني " بتونس كان كبيرا، ودفاعه عنها كان أكبر، فقد بذل مساعي عديدة لتوحيد الجبهة الداخلية التونسية ، لمواجهة إدارة الاحتلال وأعوانها، ولم تعقه حالة الإبعاد عن القيام بمبادرات ، وخاصة بعد حدوث انشقاق في الحزب الدستوري ، وبروز جناحين متصارعين سنة 1934م، وتحدث في مذكراته عن هذه المساهمة، فكتب:[3](بعد أن آلت القضية إلى خلاف مرير مؤلم وعنيف، غادرت الجزائر من جديد، قاصدا تونس ، ساعيا لجمع الشتات، ولإصلاح الموقف بذلت مع أصحابي رجال اللجنة طريقتي في العمل ، فوافقوا بالإجماع على تفويضي في حل المشكل لإعادة الوحدة للحزب)،ولكنه فشل في مهمته بسبب تعنت رأسي الجناحين، "الحبيب بورقيبة"، و "صالح بن يوسف".

وعلى صعيد الكتابة الصحفية، فقد أفرد " المدني " القضية التونسية بمقالات عديدة، وخصوصا " بالشهاب " في ركن " في الشمال الإفريقي " ، وحسبنا أن نذكر بعضا من تلك المقالات، ففي أحد التحليلات كتب بعنوان : " مهزلة جديدة بتونس " ، تحدث فيه عن السياسة

---

(1) أحمد توفيق المدني: حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 14.
(2) المصدر نفسه، ص 97.
(3) المصدر نفسه، ص 242.

الفرنسية، تجاه العناصر الوطنية المتمثلة في العديد من شخصيات الحزب الدستوري ، الذين زجت بهم سلطات الاحتلال في جهات الجنوب التونسي ، للضغط عليهم قصد تليين مواقفهم.[1]

وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية ، رأى " المدني " من خلال منبر البصائر، أن تطور العلاقات الفرنسية التونسية، في ظل الدائرة الاستعمارية أمر لا جديد فيه ، معتبرا أن الإصلاحات الفرنسية في تونس،لا تتعدى استبدال مقيم عام بآخر، وهي سياسة مراوغة لتفريق الشعب التونسي.[2]

معتبرا أنَّ سياسة المشاركة التي تبناها الحزب الدستوري الجديد ، قد حوَّلت مسار الحزب من المعارضة والمطالبة بالاستقلال التام، إلى حزب تعاون حكومي يقر بنظام الحماية ، ويكتفي بمطلب الاستقلال الداخلي ، تحت غطاء سياسة المراحل ، منتقدا الدعاية الحزبية ، وكذا الفرنسية المروِّجة لأهمية هذه الإصلاحات ، معتبرا أن ما يجري إعداده في تونس، هو نفس المشروع الذي يمر به المغرب الأقصى.

و في ذات السياق وجَّه خطابا إلى التونسيين على صفحات البصائر، يصب في اتجاه تعزيز الوحدة القومية لإزالة الحماية قال فيه: [3](ألا فليعلم إخواننا وأصدقاؤنا في تونس، أنَّ أعزَّ أمنية لدينا في هذه الدنيا، هي أن نرى الواجهة القومية الوطنية متكونة متينة ، شاملة الديوان السياسي بعد شفائه من داء المشاركة... حتى تسير الأمة سيرها الموفق لتمحو مظلمة الحماية، وتزيل عنها معرة الاحتلال، وترفع رأسها بين رؤوس أحرار العالم، ودوله المستقلة).

والحقيقة أن مترجمنا لم يترك مناسبة، إلا وأظهر فيها تعاطفه مع القضية التونسية، ومن ذلك تصدره ليوم التضامن الذي انعقد بالعاصمة في 08 جانفي 1952م، دعما للقضية التونسية، بمناسبة عرضها على مجلس الأمن الدولي.[4]

واحتجاجا منه على الإجراءات القمعية الفرنسية ، نشر مقالا بعنوان " لم يتعلموا شيئا " قال فيه: (كان من المنتظر أن تتطور أزمة المملكة التونسية هذا التطور في إزهاق الأرواح وإهدار الدماء وانتهاك الحرمات ،ذلك أننا نعلم ما هو الاستعمار الفرنسي؟، ونعرف طرقه

---

[1] في الشمال الإفريقي، الشهاب، ج7، م11، أكتوبر 1935، ص ص 479- 480.
[2] أبو محمد: "في الشمال الإفريقي"، البصائر، العدد 122،الجزائر : 05 جوان 1950، ص 07.
[3] أبو محمد: "منبر السياسة العالمية"، البصائر، العدد 148، الجزائر: 26 مارس 1951، ص 04.
[4] بدون كاتب: "تونس المجاهدة"، البصائر، العدد 182، الجزائر:01 فيفري 1952، ص 01.

ووسائله وقد جربناها هنا وهناك ... فكانت أساليب الاستعمار الفرنسي في كل مكان واحدة لا تتبدل ولا تتغير: القتل، السجن، الإرهاب) [1].

والخلاصة أن الشيخ " أحمد توفيق المدني " ظل مدافعا عن القضية التونسية، دفاعه عن الشعب الجزائري ،إلى أن حققت استقلالها سنة 1956م والثورة الجزائرية في أوج اشتعالها.

ثالثا- القضية المغربية:

تعد القضية المغربية هي الأخرى محورا هاما في كتابات " المدني " ، الذي تعاطى مع أطوارها عندما كان بتونس، فقد كان وراء إبعاده إلى الجزائر ، تنديده بالحرب التي شنتها فرنسا ضد سكان منطقة الريف، فنشر مساندا للمغاربة:[2](إننا نعطف العطف الأخوي الصادق على الشعب الريفي، الذي أصبح عنوان الأمم صاحبة العزيمة القوية ، والإرادة التي لا تنثني تحت عوامل الأيام، ولا نريد إلا أن نرى الريف الباسل حيا ، عاملا سعيدا، تحت راية الحرية التامة ، والاستقلال المفدى بالمهج والأرواح).

ولم يفوت " المدني " أية فرصة للتنديد بالسياسة الاستعمارية بالمغرب، ومن ذلك استنكاره للإجراءات القمعية التي سلطتها إدارة الحماية ضد المغاربة المنتقضين رفضا لمشروع "الظهير[*] البربري"، وللحالة الاقتصادية المتدهورة، هذه الإدارة التي قامت بتشريد قادة الحركة الوطنية، ونفتهم إلى خارج المغرب من أمثال : "علال الفاسي"، و "اليزيدي" ، و " الوازني" فكتب معلقا : [3] (إن ما تسلكه السياسة الفرنسية بالمغرب ، لا يدل إلا على أنَّ الفرنسيين لا يزالون يستعملون الأساليب التي أظهرت التجارب فسادها).

وخلص في هذا المقال، إلى أن فرنسا إذا نجحت ظاهريا في إخماد حركة المعارضة، فإن المستقبل سيكون عكس ذلك حيث قال: [4](وهكذا أخمدت السلطة ظاهريا صوت المعارضة ببلاد المغرب الأقصى ، لكن الأثر السيئ الذي تركته هذه الأعمال في أنفس المغاربة لا يزول ، وإننا لنعتقد إن الحركة الوطنية ستعود هناك إلى أشَدِ ما كانت عليه).

[1] عبد الرحمن بن ابراهيم بن العقون: الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، ج3، المصدر السابق، ص 238- أنظر ايضا البصائر، العدد 182، 01 فيفري 1952.

[2] محمد صالح الجابري: النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962، المرجع السابق، ص ص 289- 290.

[3] "في الشمال الأفريقي" الشهاب، ج9، م11، نوفمبر 1937، ص 461.

[4] المصدر نفسه،ص 463.

[*] الظهير البربري: كان أول مشروع فرنسي للظهير البربري في 11 سبتمبر 1914، ثم اصدرت فرنسا ظهير 16 ماي 1930، الذي بموجبه يخضع سكان المناطق الناطق بالأمازيغية، لأعرافهم وليس للمحاكم الشرعية الإسلامية.

والجدير بالذكر أن " المدني " نسج علاقات قوية بزعيم حزب الاستقلال "علال الفاسي" ، وخلال الأزمة المغربية الحادة سنة 1951، التي وقعت بين الملك محمد بن يوسف (الخامس) والإدارة الاستعمارية بسبب مطالبة الملك بنظام تعاقدي، مبني على التعاون والصداقة ، وضرورة تغيير النظام القائم، سلَّط " المدني " الأضواء على هذه القضية، وكتب في البصائر بعنوان: " المأساة " متسائلا عن التصرفات الشاذة للسلطات الفرنسية ، التي تحاول إقناع الملك بالتراجع عن مصلحة وطنه ، منددا في الوقت ذاته بالضغوطات الممارسة عليه ، مشيدا بالتجاوب بين القصر الملكي وحزب الاستقلال .[1]

وردا على قيام الحماية الفرنسية بتحريك جهات موالية لها، كمظاهرات "الكتّانيين" كتب مترجمنا:[2](إنني لأهيب بسائر أحرار الدنيا، ورجال الأقلام النزيهة، وأصحاب الضمائر الطاهرة في مشارق الأرض ومغاربها، أن يؤلفوا في هذه الحقبة العسيرة ، كتلة صادقة عاملة جريئة حول أمَّةِ المغرب المجاهدة، وحول عرشها الأمين، وأن يندفعوا ضد أبشع استعمار).

ونتيجة لموقفه المناصر " للملك محمد الخامس " ، وحزب الاستقلال، فقد تعرض "المدني" إلى حملة صحفية، من بعض الجهات المغربية، حيث عاتبه رئيس حزب الشورى "محمد بن الحسن الوزاني " محتجًا بأسلوب سياسي، وفي نفس السياق اتهم احد المغاربة ويدعى "التهامي"، " توفيق المدني " بأنه باع قلمه، وأن صحيفة البصائر تم شراؤها، وهو الأمر الذي ردت عليه الصحيفة المذكورة بقوة في عددها الــ 149، الصادر بتاريخ 02 أفريل 1951م، موضحة أن " المدني " كتب ما يمليه عليه ضميره، ويفرضه عليه واجب التضامن، مع ملك مظلوم وشعب مغبون، وهو ما يستقيم مع ما تنشده البصائر ، التي صارعت دجاجلة الدين، وقارعت فراعنة السياسة.[3]

و من جهته كتب الشيخ " توفيق المدني " ردًا قال فيه: [4] (إننا نخوض حربا استعمارية طاحنة، ولا نتدخل في الخصوصيات الداخلية للأحزاب... فليعلم إخواننا وأصدقاؤنا في مشرق الوطن الكبير ، وفي مغربه ، أنه ليس في هذا الوطن الكبير، من عدو نقاتله إلا النظام الاستعماري).

---

(1) أبو محمد: "حول الماساة"، البصائر، العدد 146،الجزائر: 12 مارس 1951، ص 08.
(2) ابو محمد: "منبر السياسة العالمية"، البصائر، العدد 154،الجزائر: 07 ماي 1951، ص 04.
(3) محمد البشير الإبراهيمي: آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر:1981، ص ص 285- 286.
(4) أبو محمد: "في الشمال الإفريقي" البصائر، العدد 145،الجزائر: 04 مارس 1951، ص 06.

وصفوة القول أنَّ الرجل قد حمل هموم المنطقة المغاربية و سخَّر لأجلها قلمه، ووقته ، وتحمَّل في ذلك مختلف الضغوطات والانتقادات من الأعداء وأعوانهم.

- المدني والقضية الفلسطينية:

يعود تاريخ الاهتمام الجزائري بالقضية الفلسطينية إلى إصدار "وعد بلفور" في 02 نوفمبر 1917م، وفرض الانتداب البريطاني على فلسطين، بعد معاهدة "سان ريمون" سنة 1920 القاضية بتقسيم سوريا الكبرى بين فرنسا وبريطانيا ، حيث استنكر الجزائريون ذلك العمل التآمري، الذي تعرض له الشعب الفلسطيني، على أيدي التعاون الإنجليزي الصهيوني، وتجلت المواقف عبر أعمدة الصحف والأندية، ومنابر المساجد.

والواقع أنَّ " توفيق المدني " قد أولى اهتماما بالغا بالقضية الفلسطينية، وجعل من مجلة " الشهاب " منبرا للدفاع عنها ، معتبرا أن هذه القضية ليست بالقضية الإقليمية الخاصة بمسلمي فلسطين ، بل هي قضية كل العرب والمسلمين.

وقد كتب في هذا المعنى مقالا جاء فيه: [1](لكن نقطة الإحساس في العالم العربي اليوم، إنما هي نقطة فلسطين والخطر الداهم الذي يهدد العرب في كيانهم، وفي حياتهم، وفي وحدتهم ، إنما هو خطر فلسطين، وإن الواجب المحتم على كل عربي مسلم، في أي قطر من أقطار الأرض ، هو أن يقف إلى جانب أخيه الفلسطيني ينصره ويؤازره ، ويضحي إلى جانبه، فالمسألة ليست مسألة بلاد نائية ، وليست مسألة محلية لا تهم إلا أهل فلسطين وحدهم، بل هي مسألة العالم العربي بأسره، بل العالم الإسلامي برمته).

وقد عبَّر " المدني " عن استيائه، وتشاؤمه من الموقف العربي المتخاذل قائلا: [2](إننا لا نفهم إلى هذه الساعة، ما هي هذه المواقف الضعيفة المخجلة التي يقفها ملوك العرب وأمراؤهم تجاه هذا الموقف الخطر العظيم، فهل يكفي... أن يحتجوا بالبرقيات يرسلونها إلى لندرا ، وإلى بيت المقدس ،ثم يسكنوا كأنهم قد أدوا الواجب المفروض عليهم؟).

وإذا كان البعض قد احتار من السياسة الإنجليزية، التي انساقت وراء الرغبة الصهيونية رغم مصالحها مع العرب و المسلمين، فإن المترجم له قد تجاوز موقف الحيرة، ليكشف عن السبب الجوهري الذي جعل الأسد البريطاني أمام اليهود حملا وديعا ، ولخَّصها في المصالح المالية ونفوذ لوبي الذهب اليهودي على البنوك البريطانية .

---

(1) "الشهر السياسي في عالمي الشرق والغرب" الشهاب، ج5، م13، جويلية 1937، ص 287.
(2) "الشهر السياسي في عالمي الشرق والغرب" الشهاب، ج6، م13، أوت 1937، ص 329.

كان المدني يستبشر دائما بالمواقف الحاسمة التي يتصلب فيها الفلسطينيون دفاعا عن كرامتهم ،لأن اللغة التي يفهمها الإنجليز والصهاينة معا ، هي لغة القوة.[1]

وفي غمرة الأحداث وتفاعلات القضية بعد طرح مشروع التقسيم سنة 1937، وزيادة النشاط الصهيوني، من حركة هجرة وتسلح ، استنفر " توفيق المدني " الضمير الإسلامي لإنقاذ فلسطين محملا المسلمين شعوبا وقادة المسؤولية التاريخية، قائلا: [2](إن قدَّر الله وضاعت فلسطين فإنها والله لن تذهب ضحية الصهيونيين، بل هي تذهب ضحية المسلمين الجامدين ، وضحية ملوك المسلمين المتغافلين، فيا عامة المسلمين، ويا خاصتهم ويا ملوكهم وأمراءهم وقادتهم، هذه فلسطين الشهيدة ضائعة متلاشية، فماذا أنتم فاعلون؟).

وظل المدني على ولائه للقضية الفلسطينية، وكان يرى ضرورة الإسراع في تقديم المعونة المادية والمعنوية للشعب الفلسطيني، ومن ذلك نشاطاته لصالحها بنادي الترقي، وعلى مستوى صحيفة البصائر.

والحقيقة أن الشيخ " توفيق المدني " لم يرغب في العمل الفردي نصرة للقضية ، بل كان يرى في العمل الجماعي القوة الفعالة وخصوصا بعد إعلان قيام دولة إسرائيل في 15 ماي 1948م، حيث تجند مترجمنا ، ووقعت اتصالات عديدة بالهيئات والأحزاب السياسية، تزعمها الشيوخ "الطيب العقبي"، "البشير الإبراهيمي"، "إبراهيم بيوض"، فتم إقناع أحباب البيان بتوحيد الجهود وانضم " فرحات عباس " إلى المبادرة، غير أن المساعي لم تفلح مع حزب حركة الانتصار بزعامة مصالي الحاج"، لتمسك هذا الأخير بفكرة الرئاسة، ورغم محاولات " المدني " وزملائه إقناعه، إلا أنهم لم يتمكنوا من ذلك.[3]

ومما يؤكد حيوية الدور الذي لعبه " المدني " ، هو رغبته في اشتراك الزوايا في هذه المبادرة وتجلى ذلك في مراسلته "للقاسمي" شيخ زاوية الهامل ببوسعادة، والردود التي تلقاها ، والتي وإن شكرت المبادرة، فإنها رفضت الانضمام.[4]

وعلى أية حال ، تشكلت الهيئة العليا لإعانة فلسطين، وضمت : " الإبراهيمي "، و"العقبي " ، و" بيوض " و " فرحات عباس "، ونصبت لها هيئة تنفيذية مركزية، كان على

---

[1] محمد ناصر:المقالة الصحفية الجزائرية، نشأتها، تطورها، أعلامها من 1903 إلى 1931، ج1، المرجع السابق، ص ص 411- 412.

[2] "الشهر السياسي في عالمي الشرق والغرب"، الشهاب، ج6، م13، أوت 1937، ص 329.

[3] البشير الإبراهيمي:"كيف تشكلت الهيئة العليا لإعانة فلسطين"البصائر،العدد52 ،الجزائر:11 أكتوبر 1948،ص01.

[4] أحمد توفيق المدني: حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 387.

رأسها " أحمد توفيق المدني " ، قامت بنشاطات كبيرة، دعائية وتضامنية لصالح الشعب الفلسطيني، كإرسال برقيات الاحتجاج إلى الجهات الرسمية، كالبرقية التي أرسلتها إلى الحكومة الفرنسية التي اعترفت بدولة إسرائيل معتبرة القرار الفرنسي تحديا لمشاعر ملايين المسلمين بشمال إفريقيا ، وإساءة بالغة للعلاقات بين فرنسا والإسلام.

كما اتهمت اللجنة الأمم المتحدة، بالتواطؤ مع الحركة الصهيونية، مؤكدة أن قيام الدولة الإسرائيلية، فوق تراب فلسطين يتناقض مع ميثاق المنظمة الدولية، وهو إخلال بالسلام العالمي.[1]

والحق أن اللجنة، لم تكتف بالشعارات، بل قدمت دعما ماليا للفلسطينيين، قال عنه "البشير الإبراهيمي"[2]:(فاجتمع لدينا من هبات المحسنين عدة ملايين من الفرنكات، أبلغناها إلى مأمنها في فلسطين، ورفعنا رأس الجزائر).

و يؤكد " المدني " هذا الأمر مضيفا بأنَّ " أبا اليقظان"، جمع وحده من التبرعات، ما يساوي نصف ما جمعه الأعضاء الباقون ،[3] و أنه شخصيا انتقل إلى باريس موفدا من اللجنة ، وحمل معه ثلاثة ملايين فرنك، سلمها يدا بيد للسيد "أحمد ثروت" سفير مصر بباريس بحضور "إسماعيل صبري باشا" خال الملك "فاروق".[4]

وما نخلص إليه، أن عملية التجنيد التي قام بها " المدني"، ورفاقه خدمة للقضية الفلسطينية في تلك الظروف الحساسة، وتحت سلطة استعمارية غاشمة ، كفيل برفع شأن ومكانة هؤلاء الرجال، وتخليد ذكراهم في التاريخ.

---

(1) أحمد توفيق المدني: حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 388.
(2) محمد البشير الإبراهيمي: آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج3، المصدر السابق، ص 142.
(3) محمد ناصر :أبو اليقظان وجهاد الكلمة ،المؤسسة الوطنية للكتاب،ط2، الجزائر: 1983، ص 141.
(4) أحمد توفيق المدني:حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 389.

المبحث الثالث: دوره في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

لقد اجتاح العالم العربي منذ نهاية القرن التاسع عشر حركة النهضة الإسلامية، وقد جاءت متأخرة في البلدان المغاربية، وخاصة في الجزائر التي شهدت بروز الحركة الإصلاحية، نتيجة تحرك المجتمع بعد الحرب العالمية الأولى، وانتشر صيتها بالتوازي مع حركة الشبان بزعامة " الأمير خالد " ، وقد كان التقاء العلماء الذين تكونوا في مدارس مختلفة مغاربية وشرقية فتحا ، أعطى ميلاد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مطلع الثلاثينيات.[1]

والحقيقة أن مسألة ظهور جمعية العلماء المسلمين كتنظيم إصلاحي جامع ووطني، وأسبقية الدعوة إليها، قد شكلت محطة هامة لمناقشات المؤرخين ، وتلامذة الجمعية ومعاصريها، وما زادها حدة ، تضارب الروايات لدى المؤسسين أنفسهم ، وتباعدها في نقاط وتقاطعها في أخرى ، وقد توصلنا من خلال رحلة البحث التي شملت أهم الدراسات والشهادات المتعلقة بهذه المسألة ، إلى تبيان حقيقة الدور الذي لعبه مترجمنا وذلك بتتبعنا لمراحل التكوين.

إنّ فكرة إنشاء تجمع للعلماء تحت أي إسم من الأسماء ، قد أثيرت بعد الحرب العالمية الأولى وكررها " ابن باديس " و" الإبراهيمي " سنة 1924،[2] حين التقيا فأبلغ " ابن باديس " "الإبراهيمي " بأنه يريد أن يؤسس جمعية تحت اسم " جمعية الإخاء العلمي " ، تتكون أساسا من علماء إقليم قسنطينة ، وشرح أغراضها، وطلب من " الإبراهيمي " صياغة قانون أساسي لها، فاستجاب لذلك، ووضع القانون الذي أقره " ابن باديس " ولكن التجربة فشلت ، لأن أغلب العلماء كانوا مرتبطين بالوظيف ،قليلي الإقبال على عمل الجماعة ، فأقتنع " ابن باديس" بوجوب التمهيد لمثل هذه المؤسسة بواسطة صحافة حرة،[3] ودعت إليها جريدة "الشهاب"، سنة 1925، من خلال توجيه نداء لعلماء القطر للتفكير في كيفية تأسيس حزب ديني يدافع عن الإسلام ، ويعمل على إحياء الثقافة العربية.[4]

1- Mohamed teguia, l'Algerie en guerre, office des publications universitaire, Alger: 1988, pp 34- 36.

2 - عبد الكريم بوصفصاف:جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931- 1945. المرجع السابق، ص 93.

3 - أحمد حماني: المصدر السابق، ص ص 237- 238.

4 - عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931- 1945، المرجع السابق، ص77.

وطرح " محمد السعيد الزاهري " ، مشروع تكوين حزب "إصلاحي ديني"، سنة 1928م، وخط له قانونه الأساسي لكن لم يتحقق الإجماع على الفكرة وبالتالي لم ير النور[1]

والواقع أن التفكير في وضع أسس هذه الهيئة ، وإخراجها كان هاجسا شغل العلماء المصلحين سنوات العشرينيات ، ولما حلت سنة 1930، ومع احتفال فرنسا بمئويتها في الجزائر وما رافقها من مظاهر وتصريحات ، فكان بروز الجمعية تلبية لإجماع الأمة، بما يشبه الاضطرار، وفي هذا يقول " محمد الطيب العلوي "[2]:(فإنشاء جمعية العلماء كان في الوقت المناسب، وكان ضرورة قصوى تقتضيها الظروف والتحديات).

وحسب الشيخ " محمد خير الدين " في مذكراته، فإن " ابن باديس " هو الذي دعا " محمد عبابسة " لزيارته بقسنطينة ، وطلب منه اختيار جماعة لا تحوم حولها شكوك الحكومة ، أو مخاوف أصحاب الزوايا على أن تتولى هذه الجماعة توجيه الدعوة إلى العلماء لتأسيس الجمعية بنادي الترقي بالعاصمة، فلبى الطلب واختار الى جانبه "عمر إسماعيل" ، و "الشيخ محمد العاصمي " ، والسيد " أحمد توفيق المدني " ، فتشكلت اللجنة التحضيرية.

وبخصوص عدم مشاركة ابن باديس في إجتماع اليوم الأول ، فذكر بأنها مقصودة ، وأن الرجل أبلغه سرا رفقة "مبارك الميلي" بهذا الغياب حتى توجه له الدعوة رسميا ، فيكون مدعوا لا داعيا.[3]

و قد أورد من جهته الشيخ "أحمد توفيق المدني" تفاصيل التأسيس بصفته أحد المساهمين والداعين إلى تكوين الجمعية، حيث ذكر أن جماعة من الفضلاء ذوي الاتجاه الإصلاحي العربي الإسلامي كانوا يترددون على نادي الترقي ، لمناقشة الأوضاع التي آلت إليها البلاد ، وخاصة عقب الاحتفالات المئوية المهينة ، وقد حددهم في ثلاثة وهم : " محمد العاصمي " ، "عمر إسماعيل " و " محمد عبابسة " بالإضافة الى شخصه ، حيث تناقشوا بإسهاب خلال شهر جويلية 1930[4] ، فرأوا وجوب تأسيس هيئة للعلماء توحد جهودهم، وعن ذلك يقول:[5](وجاء دور التفكير في إنشاء مثل هذه الحركة ، وإخراجها من طور الفكرة إلى طور التنفيذ، وتداولنا نحن

---

1 - أحمد بالعجال:الخطاب الاصلاحي عند محمد السعيد الزاهري 1900-1944، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ جامعة منتوري ،قسنطينة : 2006 ، ص 154.

2 - محمد الطيب العلوي: مظاهر المقاومة الجزائرية من عام 1830 حتى ثورة نوفمبر 1954، ط1، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة: 1985، ص 110.

3 - محمد خير الدين:مذكرات، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، بلا تاريخ، ص 105.

4 - عبد الكريم بوصفصاف:جمعية العلماء وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1931- 1945، المرجع السابق،ص 100.

5 - أحمد توفيق المدني: حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص ص 172- 175.

الأربعة في الأمر ، وأخيرا هدانا التفكير إلى وجوب جمع علماء المسلمين في الأرض الجزائرية، أو على الأقل جمع من يلبي النداء منهم ، وتأسيس جمعية إسلامية عالية... قال "العاصمي" : وكان له فضل السبق في هذا المجال ، لندعها إذن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فتفاءلنا خيرا بالإسم)

وعن الخطوات العملية لتجسيد الفكرة، ذكر أن "عمر إسماعيل"، وكان أحد الأغنياء بادر إلى عرض جائزة مالية قدرها 1000 فرنك، لمن يتوصل إلى إنجاز هذا المشروع ، ومن ثمة كتب " محمد العاصمي " ، بإيعاز من " أحمد توفيق المدني " لمجلة الشهاب مبشرا بالموضوع[1].

وفي هذا الإطار كتب أحد المعاصرين أن "عمر إسماعيل" اجتمع "بابن باديس" بعد ذلك والتزم بدفع 1000 فرنك لمن يوفق من العلماء في تأسيس جمعية تحت اسم "جمعية العلماء"، وقد نشرت "الشهاب" نص النداء في 05 فبراير 1931م[2].

ولقد لقيت المبادرة استحسانا كبيرا، فتهاطلت على إدارة الشهاب مئات الرسائل من علماء وطلبة، من مختلف أرجاء القطر مشجعة الفكرة[3].

والظاهر أنَّ " المدني " كان من الداعين إلى أن تكون الهيئة الجديدة جامعة لكل المذاهب والاتجاهات الإصلاحية والطرقية، حتى تمثل وحدة وطنية صميمة[4] .

وهكذا تشكّلت لجنة تحضيرية بنادي الترقي ، تولت أمر الإعداد للاجتماع التأسيسي ويذكر "حمزة بوكوشة" أحد المعاصرين و المساهمين في ميلاد الجمعية بخصوص هذه النقطة[5]:(تأسست سنة 1931 لجنة تحضيرية بنادي الترقي متألفة من أربعة فضلاء الجزائر، جعلوا على رأسها السيد "عمر إسماعيل"، وقد قام السيد عبابسة الأخضري رحمه الله، وكان من الهيأة بسفارات بين الجزائر ، و قسنطينة ، وبسكرة لهذا الشأن، ثم أعلنت اللجنة عن يوم الاجتماع للتأسيس ومكانه ، فبعثت الدعوة إلى الذين توصلت إلى عناوينهم من علماء القطر وطلبته وعددهم 120 ، وكانت رسائل الدعوة قد كتبها الأستاذ " أحمد توفيق المدني"، وأمضاها السيد " عمر إسماعيل " فأجاب منهم الدعوة 80 ،وما كان صباح يوم الثلاثاء الموافق

---

[1] - أحمد توفيق المدني: حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 175.

[2] -عبد الرحمن بن إبراهيم بن العقون:الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر،ج1، المصدر السابق، ص 174.

[3] - أحمد توفيق المدني: حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص175.

[4] - نفس المكان.

[5] - أحمد توفيق المدني: رد أديب على حملة الأكاذيب، مخطوط، ص 11.

-أنظر أيضا البصائر العدد 317 ،06 ماي 1955.

5 ماي 1931م، حتى اجتمع بنادي الترقي بعاصمة الجزائر 72 من علماء القطر ، لتحقيق فكرة تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين).

وقد جرى الإجتماع في شكل جمعية عمومية لبحث القانون الأساسي للجمعية ، وتم تعيين " أبي يعلى الزواوي " للرئاسة المؤقتة، وللكتابة العامة الأستاذ "الأمين العمودي" فتلى على الحاضرين القانون الأساسي الذي حرره الأستاذ " أحمد توفيق المدني"وبعث به مع رسائل الدعوة ، فأقرته الجمعية بالإجماع وترجمه إلى اللغة الفرنسية الأمين العمودي"،الذي عُيِّن أمينا عاما.[1]

وفي اليوم نفسه تم انتخاب الهيئة الإدارية عن طريق اللجوء إلى التعيين (الاقتراح)، فعرضت أسماء ثلاثة عشر عضوا ، جرى اعتمادهم من قبل الحاضرين بالإجماع، وهي طريقة ذكية مكنت من فوز العلماء المصلحين المجددين، وانتخب " عبد الحميد بن باديس " رئيسا غيابيا، حيث لم يحضر الاجتماع في اليوم الأول وحضر فيما بعد[2] .

والغريب أن العديد من الدراسات التي تناولت الحركة الإصلاحية، وظهور جمعية العلماء ، قد تجاهلت الدور الكبير الذي لعبه " المدني " في التأسيس، أو تعمّدت القفز عليه، لدوافع لا علاقة لها بالموضوعية في الكتابة التاريخية.

والحقيقة أنَّ الشيخ "أحمد توفيق المدني" كانت له مساهمة فعالة في تأسيس الجمعية كما سبق ذكره ، وهو ما يؤكده أيضا "حمزة بوكوشة" في مقالين منفصلين نشرهما بمجلتي "المعرفة" و" حضارة الإسلام " ، خلال سنة 1964م[3].

ويرى الدكتور " أبو القاسم سعد الله " بأنه ليس غريبا أن يكون " المدني " وراء احتضان فكرة التأسيس، فهذه الفكرة قد تماشت مع تكوينه، والأفكار التي ينادي بها، فالرجل كانت علاقاته قوية بالرواد، فهو على صلات " بابن باديس " و " الإبراهيمي " ، وكان يترجم "لمبارك الميلي "[4]

ومن بين الشهـــادات الهـــامة التي تعترف له كذلك بالمساهمة في اللجنة التحضيريـــة

---

[1] - أحمد توفيق المدني: رد أديب على حملة الأكاذيب،مخطوط ص ص 11- 12.
- أنظر أيضا: حياة كفاح،ج2، ص177.

[2] - عبد الكريم بوصفصاف:جمعية العلماء وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1931- 1945، المرجع السابق،ص ص 101-103.

[3] - حمزة بوكوشة:"الإمام عبد الحميد بن باديس في ذكراه"، مجلة المعرفة، العدد 10،الجزائر:افريل 1964، ص15.
انظر أيضا:موقع : www.chihab.net/modules .php?name =News § file =article § sid =872.

[4] - أبو القاسم سعد الله،:مقابلة شخصية، المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الأبيار، العاصمة: 29 جوان 2006.

وحضور التأسيس ، ما أكده لي الأستاذ " محمد الصالح رمضان"، وهو أحد الذين شنوا حملة انتقاد للمدني بعد صدور مذكراته " حياة كفاح " في جزئها الثاني[1].

وكان مترجمنا قد أشار في مقال له بجريدة "البصائر"سنة 1948،إلى مشاركته في تأسيس جمعية العلماء ولم توجه إليه أية انتقادات حينها، لكون معاصريه من رجال الجمعية كانوا على دراية بذلك[2].

وما نخلص إليه في مسألة التأسيس أنَّ دور " المدني " كان رائدا ، وظهرت مساهمته في كونه أحد أعضاء اللجنة التحضيرية (اللجنة الرباعية)،التي تدعى اللجنة التأسيسية، وأنه هو الذي أرسل الدعوات لحضور اجتماع التأسيس العام،وأنه المحرر لقانونها الأساسي الأول، الذي أرسله مع رسائل الدعوة ، وأقره المجلس بالإجماع، وترجمه " الأمين العمودي"[*] للفرنسية.

والمعروف أن المترجم له تعرض لحملة انتقاد وتجريح، وردت في كتاب " محمد الطاهر فضلاء " ، المعنون بـــ: " التحريف والتزييف في كتاب حياة كفاح " ، حيث ادعى مؤلفه أن " أحمد توفيق المدني " لم يشارك لا في التأسيس ، ولا في التحضير ولم يكن بالنسبة للجمعية لا في العير ، ولا في النفير.

وجاء رد " المدني " بخصوص هذه النقطة مدعما بالحجج والشهادات، وخاصة شهادة "حمزة بوكوشة"، في مقاله بالعدد 317 من " البصائر"، عندما كان مراقبا عاما لجمعية العلماء، حيث ذكر " المدني " ذلك قائلا:(فالذين جاءوا بعد ذلك – أي بعد نشر المقال سنة 1955- بنيف وأربعين سنة ، شنوا علي غارة شعواء، وادعوا أنني لم أكن بالنسبة للجمعية لا في العير، ولا في النفير، لا يكذبونني أنا فقط ،بل يكذبون نفس جمعية العلماء في مقالها الآنف الذكر ، والمنشور بقلم مراقبها العام في صحيفتها الرسمية

---

[1] - محمد الصالح رمضان: مقابلة شخصية، مقر مسكنه بالقبة، الجزائر: 22 أكتوبر 2000.

[2] - أحمد توفيق المدني:"مبارك الميلي مؤرخ الجزائر"،البصائر،العدد 26،الجزائر: 08 مارس 1948، ص 04.

[*] الأمين العمودي: محامي وصحفي وأديب جزائري، ولد سنة 1890 بوادي سوف بالجنوب الجزائري درس بقسنطينة، شارك في الحياة السياسية واختير أمينا عاما لجمعية العلماء عند تشكيلها سنة 1931، لإجادته اللغتين العربية والفرنسية، خرج من عضويتها في العام 1935م، أنشأ جريدة باللغة الفرنسية عنوانها "الدفاع"، كان المترجم الخاص لعبد الحميد بن باديس، شارك في المؤتمر الإسلامي سنة 1936. كان مناصرا للمرأة وقال فيها العديد من القصائد، اغتالته منظمة اليد الحمراء الفرنسية عام 1957م.

(البصائر)، أيام كان رجال الجمعية أحياء يرزقون، يعملون ويجاهدون، ما عدا الشيخين " الجليلين "عبد الحميد بن باديس"، و"مبارك الميلي" ،إذ التحقا بالرفيق الأعلى)[1].

هذا وقد أورد الشيخ " توفيق المدني " مجموعة أخرى من الأدلة، تؤكد مساهمته في الجمعية، ومن ذلك أن القانون الأساسي المودع لدى الولاية العامة ممضي بخط يده باسم " ابن باديس "، الذي لم يحضر عند إيداع القانون ، بالإضافة إلى قائمة أعضاء المجلس الإداري للجمعية وأعضاء لجنة العمل الدائمة ممضاة هي الأخرى بخط يده باسم " ابن باديس"[2].

والملاحظ أن " توفيق المدني " ، لم يكن ضمن الهيئة الإدارية المنبثقة، وقد فسر ذلك على انه كان مقصودا لتجنب رد فعل الإدارة الاستعمارية الفرنسية، باعتباره احد أعضاء اللجنة التنفيذية للحزب الدستوري، وحتى لا تعتبر الجمعية امتدادًا لذلك التيار.

وقد علق مترجمنا على ميلاد الجمعية بالقول: (وهكذا نشأت والحكومة مدهوشة لا تدري ماذا تصنع ، ولا تعرف بماذا تقابل جمعية العلماء، فكانت النور ، وكانت النار، وكانت العمل، وتحقيق الأمل).[3]

- شعار الحركة الإصلاحية:

من المآثر الخالدة التي حاز بها "توفيق المدني" فضل السبق، هو طرحه للشعار الخالد المعبِّر عن ثوابت الهوية الوطنية، والذي اعتمدته الحركة الإصلاحية، ولا تزال تردده الأجيال.

وهذه المسألة تضاربت هي الأخرى حولها الآراء، إذ يقول " عبد الرحمن بن إبراهيم بن العقون" أنها اشتهرت عن " ابن باديس " ، وأنَّ " توفيق المدني " يدَّعي أنه كاتبها، ويدعي نجم شمال إفريقيا أنه ابتكرها.[4]

وذكر من جهته المؤرخ " أبو القاسم سعد الله " عند حديثه عن أهمية الكتابات التاريخية "للمدني" ، وما تحمله من توجيه سياسي وبعث للوطنية، أن شعاره هو "الإسلام" ديني ، والعربية لغتي ، والجزائر وطني " ، وهو الشعار الذي أصبح على لسان الحركة الإصلاحية، ولا ندري من تفوَّه به أولا.[5]

---

[1] - أحمد توفيق المدني: رد أديب على حملة الأكاذيب،مخطوط ،ص 16.
[2] - المصدر نفسه،ص ص 20-22.
[3] - أحمد توفيق المدني: حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص ص 180- 181.
[4] - عبد الرحمن بن إبراهيم العقون: الكفاح القومي السياسي من خلال مذكرات معاصر، ج1، المصدر السابق، ص 210.
[5] - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، المرجع السابق، ص 420.

بينما أورد المدني في مذكراته بأنه صاحب الشعار، وأكد ذلك مرة أخرى في مؤلفه المخطوط "رد أديب"، حيث ذكر ذلك قائلا:[1] (في الحقيقة أنني ألقيت بهذا الشعار في غمرة حماس دافق" ليلة 27 رمضان سنة 1927م، في حفل الشبيبة الإسلامية بقاعة "لالير" وسجله عني ونشره مراسل صحيفة النجاح الصادرة بقسنطينة في أول عدد صدر لها بعد عطلة عيد الفطر، ثم وضعته فوق كتبي التي صدرت بعد ذلك).

ومن الشهادات التي تؤيد ما ذهب إليه " المدني " ، ما ذكره المؤرخ "محفوظ قداش"، من انه صاحب الشعار.[2]

ولعلّ أهم شهادة أثبتها أحد المعاصرين من رجالات الجمعية، هي التي جاء بها " حمزة بوكوشة " الذي أثبت أن صاحب الشعار هو " أحمد توفيق المدني " عندما كتب في أحد مقالاته[3]:(وكان شعار العلماء المصلحين، الإسلام ديننا، العربية لغتنا، الجزائر وطننا، وقد ظهر هذا الشعار أول ما ظهر مكتوبا على كتاب الجزائر "للشيخ أحمد توفيق المدني"، ثم تناولته الألسنة والأقلام ، ولقن للتلاميذ في المدارس بعد ذلك). وهو الأمر الذي يؤكده "عبد الرحمن شيبان" الرئيس الحالي لجمعية العلماء المسلمين.[4]

والواقع أن مكانة " المدني " بجمعية العلماء كانت كبيرة، فهو على احتكاك دائم بأقطاب الجمعية وحسب المؤرخ "علي مراد " فإن " المدني " حظي باحترام كبير لدى زعيم الحركة الإصلاحية الشيخ " عبد الحميد بن باديس " ، وداخل إدارة الشهاب، فلم يكن فقط كاتب القطرين، وصديقا حميما، بل عد رفيقا في الكفاح، وقد هنأه " ابن باديس " عدة مرات وفي مناسبات ، وتظاهرات ثقافية للحركة الإصلاحية، معترفا له بدوره الحيوي، ونشاطه الدعائي لصالح هذه الأخيرة، التي أصبحت وبداية من العام 1932م مفتوحة أمامه، بل اعتبر أحد روادها.

و الحق أنَّ " ابن باديس " كان يرى في المترجم له الموهبة، والذكاء، وقوة الخطابة، وأنه صاحب نظرة سياسية ثاقبة ، حتى قال عنه أنه خلق من أجل النشاط، وهذا أحسن اعتراف[5].

---

[1] - أحمد توفيق المدني: رد أديب على حملة الأكاذيب، مخطوط، ص 18.

[2]- Mahfoud kaddache et Djilali sari, l'Algérie dans l'histoire- la résistance politique 1900- 1954, t 5, ENAL, O.P.U, Alger: 1989, p 30.

[3] - حمزة بوكوشة:"الإمام عبد الحميد بن باديس في ذكراه"، مجلة المعرفة، المصدر السابق، ص 15.
أنظر أيضا: حمزة بوكوشة "الإمام ابن باديس"، موقع:
.www.chihab.net /modules .php?name =News § file =article § sid =872 .

[4] - عبد الرحمن شيبان:مقابلة شخصية، مقر جمعية العلماء المسلمين، حسين داي، الجزائر:02 جويلية 2006.

[5]- Ali merad: op-cit ,p118.

والحقيقة أن الشيخ " احمد توفيق المدني " ظل طيلة عقدين من الزمن، من عمر الجمعية مشاركا في نشاطاتها، مدافعا عن توجهاتها، دون أن يكون رسميا في عضويتها، وهذه المسألة جعلت البعض يوجه انتقاداته للرجل، معتبرين ذلك الأمر تخاذلا منه[1]، وأنه كان حريصا على رضا الجميع، فلم ينضم إلا في الزمن الأخير ، بعد أن هدأت الزوابع.[2]

والسؤال المطروح : لماذا يوجه اللوم إلى " المدني " على استقلاليته؟ فهناك شخصيات فكرية شهيرة آثرت الاستقلالية، ولا أحد يستطيع أن يشك في وطنيتها، أو إخلاصها، بل تركت بصماتها الواضحة في الحياة الوطنية، ومن بينها المفكر الكبير " مالك بن نبي " والمؤرخ الشهير " عبد الرحمن الجيلالي "و على أية حال فإن اقتناع " المدني " بمبادئ الجمعية كان مبكرا، والظاهر أن تمسكه بالاستقلالية. ربما تقف وراءه وضعيته السياسية ، وباعتباره كان منفيا ومراقبا من السلطات الاستعمارية ، ولعلاقته بحركته الأصلية الحزب الدستوري، فاختار الحذر.[3]

لقد دخل رسميا في عضوية الجمعية، خلال مؤتمر عقد بالعاصمة بقاعة سينما "دنيازاد" في شهر أكتوبر سنة 1951م،[4] فعُيِّنَ في الهيئة الإدارية بناء على رغبة شباب جمعية العلماء، للاستفادة من كفاءته، وهو موقف ناتج عن تقدير الكاتب واحترامه، وحرص على تقوية الجمعية برجال ذوي كفاءة فكرية[5]

وبعضويته الرسمية فقد سد فراغا كبيرا،[6] خاصة وأن التنظيم الإصلاحي كان قد خسر من صفوفه شخصيات بارزة، " كالطيب العقبي" ،و" الأمين العمودي " و " محمد السعيد الزاهري " ، و وصل إلى علم قيادة جمعية العلماء أنَّ حركة الانتصار للحريات الديمقراطية تحوم حول جذب " توفيق " المدني إلى صفوفها.[7]

وحسب الأستاذ "محمد الصالح رمضان"، فإن انضمام " المدني " كان باقتراح منه، ومن الشيخين " محمد الغسيري " و " محمد مرحوم "[8]

[1] - محمد الصالح رمضان: مقابلة شخصية، مقر مسكنه بالقبة، الجزائر: 22 أكتوبر 2000.
[2] - محمد الطاهر فضلاء: المصدر السابق،ص 283.
[3] - محمد الهادي الحسني: مقابلة شخصية، مقر مسكنه أولاد يعيش، البليدة: 30 جوان 2006.
أيضا"أبو القاسم سعد الله: مقابلة شخصية، الأبيار، العاصمة: 29 جوان 2006.
[4] - محمد الهادي الحسني: مقابلة شخصية، مقر مسكنه، أولاد يعيش، البليدة: 30 جوان 2006.
[5] - عمر بن قينة: اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر:1995، ص355.
[6] - أبو القاسم سعد الله: مقابلة شخصية، الابيار، العاصمة: 29 جوان 2006.
[7] - محمد الهادي الحسني:مقابلة شخصية، مقر مسكنه أولاد يعيش، البليدة: 30 جوان 2006.
[8] - محمد الصالح رمضان:مقابلة شخصية، مقر مسكنه، القبة، العاصمة: 22 أكتوبر 2000.

والراجح أن الشيخ " البشير الإبراهيمي " كان وراء الانضمام، حيث تصدى لبعض الأصوات المعارضة(*) قائلا:[1] (أعطوني أحدا في مستوى " توفيق المدني "قلم سيال، وثقافة واسعة، وعلاقات عامة ممتازة)، وهو ما أكده مترجمنا في رده على منتقديه، موضحا أنَّ الشيخ "العربي التبسي " ، وقف إلى جانبه أيضا عكس ما ادعاه البعض، حيث قال [2]:(و قد كان رحمه الله " أي العربي التبسي " مع شيخنا الجليل النبيل " محمد البشير الإبراهيمي " ، ممن انتدبوني لتولي منصب الأمانة العامة للجمعية العظيمة سنة 1951م ، و ألحَّ عليَّ في ذلك إلحاحا كبيرًا).

والحق أن استفادة جمعية العلماء، كانت كبيرة، فقد أعطاها دخول " المدني " دفعة قوية بحيويته ومبادراته، وقد مثل اتجاهها المعتدل، و كان متفتحا وحضريا، بحيث يقبل الرأي الآخر، ولا يرضى بالتنازل عن المبادئ[3]

ويلخص الأستاذ "عبد الرحمان شيبان"، مكانته بالجمعية قائلا[4]:(كان قلبها النابض، وقلمها السيَّال، ولسانها الفصيح).

لقد قام الشيخ " أحمد توفيق المدني " ، بالعديد من النشاطات في اتجاهات مختلفة، بصفته الأمين العام للجمعية، ومن ذلك مشاركته في الاحتفال بالذكرى السابعة لتأسيس جامعة الدول العربية (عيد العروبة) بتونس سنة 1952، حيث ألقى خطابا حماسيا دار حول الكفاح والتحرر[5] ، وأحدث خطابه تفاعلا كبيرا من لدن الحاضرين، وكان من بينهم الأستاذ " عبد الرحمان شيبان " أحد قدماء الطلبة الزيتونيين،[6] وهو ما أدى بالإدارة الاستعمارية الفرنسية إلى إصدار قرار بإبعاده من جديد.[7]

وبمناسبة نفي الملك المغربي " محمد الخامس"وإزاحته عن العرش في 20 أوت 1952، كتب رسالة احتجاج الى السلطات الفرنسية مما جاء فيها:[8] (جمعية العلماء المسلمين

---

[1] - محمد الهادي الحسني:مقابلة شخصية، مقر مسكنه اولاد يعيش، البليدة: 30 جوان 2006.
[2] - أحمد توفيق المدني:رد أديب على حملة الأكاذيب، مخطوط ، ص130.
[3] - محمد الهادي الحسني:مقابلة شخصية، مقر مسكنه أولاد يعيش، البليدة: 30 جوان 2006.
[4] - عبد الرحمن شيبان: مقابلة شخصية، مقر جمعية العلماء ،حسين داي، العاصمة: 02 جويلية2006.
[5] - أحمد توفيق المدني: حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 406.
[6] - عبد الرحمن شيبان: مقابلة شخصية، مقر جمعية العلماء ، حسين داي، العاصمة: 02 جويلية 2006.
[7] - احمد توفيق المدني: حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 406.

*حسب محمد الصالح رمضان فإن المعارضة كانت من الشيوخ، عبد اللطيف سلطاني، ومحمد خير الدين، وأنها تعود إلى تخاذله في الحركة الإصلاحية، حيث حضر التأسيس ولم ينظم، وربما لعلاقاته ونشاطاته إلى جانب، الطيب العقبي، بعد خلافه مع أركان الجمعية.

[8] -أحمد توفيق المدني: حياة كفاح ، ج2 ، المصدر السابق ، ص 409.

الجزائريين ترفع باسم مسلمي القطر الجزائري ، الاحتجاج الصارخ العنيف على خلع جلالة السلطان محمد بن يوسف بصفة غير شرعية، إثر مؤامرة دبَّرها الاستعماريون... وتعلن أن وجهة النظر الدينية تعتبر هذا لغوًا ، ومنافيا لأحكام الإسلام ... و تسجل جمعية العلماء بغاية الأسى أن الهوة السحيقة بين فرنسا والإسلام تزداد كل يوم اتساعا وعمقا لغلطات الحكومة الفرنسية المتوالية، وبعدها عن فهم الحقائق).

وقد قام برحلة رفقة قيادة الجمعية إلى المغرب في شهر نوفمبر 1955، لتهنئة الشعب المغربي والملك " محمد الخامس " بالعودة ، وإعلان التضامن، وضم الوفد إلى جانبه الشيوخ " العربي التبسي " و " محمد خير الدين " و " عبد اللطيف سلطاني "،[1] وقد تم استقباله بحفاوة كبيرة، وكان أوّل وفد يقابله الملك تقديرا لجمعية العلماء.[2]

وحسب " محمد إسلام المدني " ، فإن والده كان يحظى بمكانة كبيرة لدى الملك المغربي ، الذي يمازحه ويصفه بالأستاذ.[3]

وعلى المستوى الوطني، فقد باشر " المدني " مهامه، إلى جانب إخوانه الشيوخ "العربي التبسي" نائب رئيس الجمعية، "محمد خير الدين"[*] النائب الثاني، وبإشراف رئيس الجمعية الشيخ البشير الإبراهيمي المتواجد بالقاهرة في تلك الآونة.

وقد قام الرجل بزيارات لمختلف مناطق البلاد لتفقد أحوال المدارس، والتقرب من الطبقات الشعبية ، والمساهمة بالخطب في توعية وإيقاظ الأمة.[4]

واعترافا بقيمته ودوره في حركة النهضة الوطنية، وبعث وإحياء الأمة، نظمت له إدارة جمعية العلماء حفل تكريم بمناسبة مرور ثلاثين سنة على نضاله بالجزائر ، وذلك خلال شهر جويلية 1955م، حيث ألقى الشعراء، "أحمد سحنون"، ومفدي زكرياء"،[*] "ومحمد العيد آل خليفة"، قصائد تمجد صنيع كاتب القطرين.

---

[1] - البصائر، "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين شكر وولاء وتقدير"، العدد 343، 02 ديسمبر 1955، ص01.

[2] - عمر بن قينة: اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة، المرجع السابق، ص 193.

[3] - محمد إسلام المدني: مقابلة شخصية، مقر مسكنه بالأبيار، العاصمة: 02 جويلية 2006.

[4] - أحمد توفيق المدني: حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 408.

* محمد خير الدين : مصلح وعلامة جزائري، ولد ببلدة فرفار ببسكرة عام 1902، درس بقسنطينة وبجامع الزيتونة بتونس وتخرج فيه سنة 1925م، شارك في تأسيس جمعية العلماء المسلمين وتولى منصب المراقب العام، ثم أصبح نائبا ثانيا لرئيس الجمعية بعد وفاة إبن باديس إشتغل طويلا بالتربية والتعليم، وعند اندلاع الثورة التحريرية عين ممثلا لجبهة التحرير الوطن بالمغرب وعضوا بالمجلس الوطني للثورة الجزائرية، وبعد الاستقلال عين نائبا في أول برلمان جزائري اختلف مع القيادة السياسية في البلاد، توفي سنة 1993، من آثاره: مذكراته في جزئين.

ومن تلك الأبيات التي قيلت نقتطف مقاطع للشاعر " مفدي زكريا " :

شاكر الفضل، ليس يعدم شكرا	خــلدوها إذن (لأحمد) ذكـــرى.
واكــتــبوها، وليقرأ الجيل منها	في (كتاب الجزائر) اليوم سطرا.
و (الثــلاثيــن) قد قضاها جهادا	وجــلادا تخـــالها الــيوم شهرا.
عامــرات بالـــجـد، إن تنشروها	تنتــشر في ذرى الجزائر عطرا.

(والتقاويم) و (البصائر) و (النادي) و (عثمان) والكتاب الأغرا.

خـــالــدات عـــلى الزمان بواق	كالمثاني، تــفيض نورا وطهرا[1]

[1] - مفدي زكرياء،: اللهب المقدس، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر:1983،ص ص 278- 279.
للمزيد عن هذا القصيد أنظر الأبيات كاملة في الملحق رقم 11.
* -مفدي زكرياء: هو مفدي زكرياء بن سليمان بن يحي بن الشيخ الحاج سليمان ولد سنة 1908 ببني يزقن بغرداية ،تلقى علومه اللغوية والقرآنية بمسقط رأسه ، كما نال قسطا وافرا من العلوم بتونس لمدة 05 سنوات في مدرسة الخلدونية وبجامع الزيتونة ، بعد عودته الى الجزائر سنة 1926 مارس الانشطة التجارية و دخل معترك النضال السياسي ضمن حزب نجم شمال افريقيا ،دخل السجن عدة مرات .
لقبه الادبي "ابن تومرت " اما لقبه النضالي "شاعر الثورة "، توفي سنة 1977، ترك روائع أدبية من أهمها ستة دواوين شعرية : اللهب المقدس – إلياذة الجزائر.

ولئن بدت جمعية العلماء متماسكة، فقد عانت الكثير من المشاكل في سبيل أداء رسالتها الإصلاحية، فمنذ وفاة الإمام "عبد الحميد بن باديس" عام 1940، ظهرت أولى الأزمات المتعلقة بالخلافة، لتشتد خاصة بعد وفاة الشيخ "مبارك الميلي"، وغياب(*) الرئيس "البشير الإبراهيمي" عن الجزائر منذ سنة 1952م.

و وسط هذه الأجواء والظروف جاء انعقاد المجلس الإداري في أواخر شهر سبتمبر 1954 وهي ظروف شبيهة بما أصاب حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، ويذهب " أبو القاسم سعد الله " إلى أنَّ أزمة الجمعية كانت خفية، ولم تصل درجة الانقسام العلني، وأنه لولا اندلاع الثورة لحدث لها ما حدث لحركة الانتصار.[1]

و على أية حال ، عقد الاجتماع برعاية النائب الثاني الشيخ " محمد خير الدين"، والأمين العام "أحمد توفيق المدني"، وبحضور سبعة عشر (17) عضوا، من أصل سبعة وعشرين (27) عضوا ، حيث عرض " المدني " تقريرا مفصلا عن حالة الجمعية من ناحيتها الأدبية، واستعرض إنجازاتها ، وآفاقها للسنة القادمة.

ولقد اقترح في إطار تحديث هياكل الجمعية، أن يشكل المجلس لجانا، تبحث كل واحدة جانبا معينا، ولقي اقتراحه القبول ، فتم انتخاب عدة لجان.[2]

وبعد المناقشات، عين الشيخ " أحمد توفيق المدني " على رأس لجنة الطبع والنشر، والتي تتمثل مهامها في إدارة صحف الجمعية، وطبع نشرياتها، وكان إلى جانبه الشيوخ " أحمد سحنون " و "باعزيز بن عمر" و "حمزة بوكوشة".

وتقرر أيضا إعداد قانون أساسي جديد للجمعية، يتماشى مع اتساع حركة الجمعية ، وتعدد ميادين نشاطها، وكلف بذلك الشيوخ: "محمد البشير الإبراهيمي"،"محمد خير الدين" "الفضيل الورتلاني" و "أحمد توفيق المدني"[3] ،والحقيقة أن المترجم له عمل على بعث هياكل الجمعية، وإخراجها من دائرة الركود، وهو في هذا الأمر يكون قد وضع الإصبع على الجرح، حيث لامس بعض تطلعات شبان الجمعية الذين اشتكوا من احتكار الرعيل الأول لها.

---

[1] أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج2، المرجع السابق، ص ص 65- 66.
[2] المرجع نفسه، ص 71.
[3]: المرجع نفسه، ص ص 79- 84.
(*) ترك غياب الإبراهيمي عن الساحة الوطنية، الإشاعات تحوم، ولعل ذلك كان وراء تململ قاعدة الجمعية، وقد انتقد الإبراهيمي على هذه الخطوة، ومن الذين آخذوه الشيخ العربي التبسي، الذي صرح بذلك منتقدا رئيسه على إهمال شؤون جمعية العلماء المسلمين.
أنظر أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج2، ص 66.

و وسط هذه التجاذبات اندلعت ثورة أول نوفمبر، فكان الشيخ " توفيق المدني " إلى جانب رفاقه في الجمعية، في طليعة المساندين -رغم تحفظات البعض على مواقفهم- فحوّل صحيفة الجمعية الرسمية (البصائر) إلى منبر لصالح القضية الجزائرية إلى أن التحق بالقاهرة ممثلا لجبهة التحرير الوطني، وحل جمعية العلماء سنة 1956.

المبحث الرابع: موقفه من قضايا عصره.

أولا- موقفه من قضية التجنيس:

أثارت مسألة تجنيس الجزائريين المسلمين، ضجة كبرى في أوساط النخبة الجزائرية، والعلماء المسلمين الجزائريين، وحتى في أوساط المحتلين الذين رفضوا بكل قوة تجنس الجزائريين، فهم قبلوا بأن تكون أرض الجزائر فرنسية، ورفضوا أن يكون الإنسان الجزائري المسلم فرنسيا.[1]

و الواقع أن فكرة تجنيس الجزائري ليست وليدة العشرينيات أو الثلاثينيات من القرن العشرين ،وإنما ترجع إلى العهود الأولى للاحتلال،وأعطيت صبغة قانونية، بصدور قانون سناتوس كونسليت (senatus consulte) في 14 جويلية 1865م،والذي نص على أن الجزائريين رعايا فرنسيون يحتفظون بقانون الأحوال الشخصية الإسلامية،ويمكن استدعاؤهم للوظائف الإدارية وبناء على طلباتهم،ويمكنهم كذلك الحصول على الجنسية الفرنسية، ولكن بشرط التخلي عن أحوالهم الشخصية الإسلامية، وفي هذه الحالة سوف يتمتعون بكامل الحقوق السياسية التي يتمتع بها الفرنسيون،وهذا القانون كان خطيرا وأقلق المعنيين بالتجنس، رغم أن الطلبات كانت ضعيفة بحيث شهدت الفترة1865- 1916،تقديم2207 طلبات،رفض منها482 طلبا.[2]

وبعد نهاية الحرب العالمية الأولى، وصدور أحكام قانون 04 فيفري 1919، مما شجع عددا كبيرا من الجزائريين على طلب المواطنة (الجنسية) الفرنسية، لذلك فإن حركة التجنس، تضاعفت ، وتسارعت خاصة بعد سنة 1930م، كما يوضحه الجدول الآتي:

السنة	عدد المتجنسين	السنة	عدد المتجنسين	السنة	عدد المتجنسين
1920	17	1926	67	1932	127
1922	56	1928	38	1934	155
1924	29	1930	152	1936	142
				1938	190

(1) عز الدين معزة: فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية ومرحلة الاستقلال 1899-1985 ،مذكرة ماجستير،قسم التاريخ ، جامعة منتوري ،قسنطينة:2004،ص 72.

(2) المرجع نفسه، ص ص 74- 75.

لقد كان معدل التجنيس خلال الثلاثينيات مرتفعًا مقارنة بالسنوات السابقة، وقد يعزى ذلك إلى تأثيرات الاحتفالات المئوية الفرنسية، وأن هذه المسألة أخذت انتباه العلماء الإصلاحيين فتحركت صحافتهم، لتحذير الرأي العام من تفاقم الظاهرة[1]

ومن أبرز الشخصيات التي كتبت في هذا الموضوع " أحمد توفيق المدني " ، الذي أوضح بطريقة حاسمة ، وبصراحة تامة مدى الخطر الماحق ، الذي ينتظر الأمة من وراء مشروع التجنيس.[2]

والحق أن " المدني " يعد من أوائل الكتاب الذين حاربوا فكرة التجنس، فقد كتب ضدها في الصحف العربية، منذ أن كان بتونس حوالي سنة 1920م، وندد بهذا المشروع، الذي قدر أنه سيقضي على التوازن الاجتماعي بالهيئة التونسية[3]

وبالجزائر نشر مقالا في جريدة " الإصلاح"ممضيًا باسمه المستعار "المنصور"، يعتبر من أشمل وأدق ما كتبه كاتب عن خطر التجنس بالبلاد ، حسبما ذهب إليه الدكتور " محمد ناصر "[4]،وقد أعطاه عنوانا مثيرًا: " **بين الموت والحياة** " ، والذي اعتبره الكاتب " علي مراد " بمثابة نداء إستغاثة.[5]

ومما جاء في المقال قوله: [6](الخطر محدق بنا... إنه لخطر الاضمحلال... إننا الآن في منعطف صعب من تاريخ حياتنا القومية... وهل يمكن لشعب الجزائر العربي المسلم، أن يصبح شعبا فرنسيا خالصا في آدابه ولغته وتقاليده وعوائده، ويتخلَّص ولو في عدة قرون من دمه الخالص... وكل مميزاته ووراثته ؟ إنَّ ذلك هو عين المستحيل... فسياسة التجنس والاندماج قد أخفقت تماما، وأفلست كل الإفلاس، وهكذا كل أمر مخالف لسنن الطبيعة وقوانين الإجتماع).

وأضاف مبينا مسلك الجزائريين[7]:(فالطريقة التي أرى أن الجزائر الفتية المسلمة يجب أن تسير عليها، هي طريقة المحافظة على الذاتية الدينية ،والعربية... وهذه المحافظة هي البرنامج الوحيد الذي يجب أن يكون برنامج الجزائر بأسرها في حاضرها ، ومستقبلها).

---

[1] Ali merad:op- cit, p 406.

[2] محمد ناصر:الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1939، المرجع السابق، ص 90.

[3] أنور الجندي:الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة: 1965، ص 79.

[4] محمد ناصر:المقالة الصحيفة الجزائرية نشأتها وتطورها وأعلامها ،م1،المرجع السابق،ص 375.

[5] Ali merad, op- cit, p 406.

[6] المنصور:"بين الموت والحياة"، جريدة الإصلاح، العدد 13، 27 فيفري 1930.

-أنظر أيضا:أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، ص ص 161- 164.

[7] نفس المكان.

لقد ترك مقاله ذاك رجَّة عنيفة في الولاية العامة، لما احتوى عليه من أفكار جريئة ، وعبارات حارة ، فهو صرخة مدوية، تريد أن يفتح المسلمون الجزائريون أعينهم على الخطر الذي أخذ يدق أبوابهم بعنف، وهي رد فعل قوي لمحاولات الفرنسة ،التي أخذت السلطات الاستعمارية، تعمل في سبيل تحقيقها بكل الوسائل.

" فالمدني" في هذا المقال، يصور الأمة الجزائرية واقفة في حيرة، وهي في منعطف خطير يتجاذبها المصلحون الذين يريدون لها المحافظة على الذاتية الإسلامية، والمتجنسون الذين يريدون لها الانحلال والذوبان في العنصر الغالب، وهي بين هؤلاء وهؤلاء ، تتعلق متلهفة بروح الحياة، وتغالب سكرات الموت[1]

وفي خطوة جازمة، تظهر ثقة " المدني"، في فشل مشروع التجنس، ما أورده في مؤلفه الشهير "كتاب الجزائر" حين قال[2]:(فالذين يرون عن قصر نظر ، وقلة بحث ، وعدم دراسة للوسط الجزائري أنه يمكن أن يجعل من هذا الشعب المسلم القومي الصلب، شعبا فرنسيا بحتا مع طول الزمن، في عوائده ،وأخلاقه ونظمه ، وتقاليده ، إنما هم قوم يعللون النفس برؤية البدر ساطعا في رائعة النهار).

واستمر مترجمنا على هذا المنوال الواقعي، الذي نعتقد أنه انفرد به، وبمثل هذا الأسلوب الصريح الواضح، يدعم رأيه بالحجج القاطعة، والأمثلة التاريخية، وفي هذا الإطار كتب[3]:(لم نرى في التاريخ العالمي أمة من الأمم، وقع عليها الاحتلال فاندمجت بكليتها ذاتية وأخلاقا، ولغة ونظاما في المحتل، وأصبحت وإياه جزءا واحدا، ذلك مخالف لنواميس الطبيعة ، ولسنن الله في كونه، ولن تجد لسنة الله تبديلا... فالجزائر ستبقى رغم كل شيئ ، جزائر عربية مسلمة ، لن تترقى ولن تتقدم ولن تنهض من كبوتها، إلا عن طريقة الجزائر والعروبة والإسلام).

ولا نبالغ إذا ما قلنا أن هذا الطرح قد كان فيه تحد كبير للمشروع الاستعماري، وشكل ضربة مؤلمة للفرنسيين، و انتكاسه لمخططاتهم في غمرة احتفالاتهم بمئوية التهام الجزائر.

وفي خطوة جريئة دعا " المدني " إلى نبذ الفكرة ، موجها تحذيرا من الاستجابة لدعاة التجنس قائلا: [4](... وإياك ثم إياك أن تغتر بمن يحاول أن يزين لك تلك الفكرة الخرقاء الباطلة، فكرة نبذ القومية، و التجرد عن كل صفاتك الجزائرية الإسلامية).

---

[1] محمد ناصر: المقالة الصحفية الجزائرية نشأتها وتطورها وأعلامها،م1،المرجع السابق، ص ص375- 376.

[2] FADHILA YAHIAOUI: Op- cit, p 57.

[3] أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر،المصدر السابق،ص 329.

[4] المصدر نفسه،ص 374.

والظاهر أنَّ الشيخ " أحمد توفيق المدني " لم يبن حكمه على رأي الدين في المسألة ، وإنما أبرز خطر التجنس على مستقبل الشخصية الذاتية للجزائريين المسلمين، فدعم رأيه بأفكار اجتماعية وشواهد تاريخية.[1]

وظهرت صور رفض التجنس على المستوى الشخصي "للمدني"،إذا أنه وفي خطوة عملية للرد على مناصري الفكرة ، أطلق خلال شهر فيفري 1930 اسم"إسلام " على أوَّل مولود رزق به وخاطب جمعا من المثقفين قائلا: [2](يا جماعة بالأمس ولد لزعيم المتجنسين ولد دعاه كريستيان (CHRISTIEN) أي المسيحي ، وأبشركم بأنني رزقت ليلا بولد دعوته إسلام، ففي هذين الاسمين منهاج سياستين :سياسة التجنيس ، وسياسة العروبة والوطنية والإسلام).

ثانيا- موقفه من الاحتفالات المئوية:

بحلول العام 1930، كان قد مر على الاحتلال الفرنسي للجزائر قرن كامل، وعوض أن تقوم الإدارة الاستعمارية الفرنسية بمراجعة نفسها ، على ما قامت به من سياسة استدمارية، بتحسين ظروف السكان ، راحت تنبش الجراح ، مستغلة فرصة مرور مائة سنة ، لتجعل منها حربا نفسية وتحديا سافرا لمشاعر الجزائريين، فقامت بإحياء الذكرى.

فما هي مميزات هذا الاحتفال؟ وما موقف المدني منه؟

يقول الدكتور " عبد الكريم بوصفصاف "[3]:(أرادت فرنسا الاستعمارية أن تختبر قوتها في الجزائر بعد مضي قرن من الزمن على احتلالها لإحدى زوايا المغرب العربي ، متجاهلة بذلك الوطنية الجزائرية ، وقدرة الجزائريين على رد الفعل).

لقد بدأت التحضيرات مبكرا، إذ تعود الى عام 1927، وهذا بغرض الإعداد الجيد لهذه المئوية الاحتفائية التي قضت على الدولة الجزائرية، التي كان وجودها مصدر إحراج لأوربا خلال ثلاثة قرون [4]

ولكي يعطي المحتفلون صورة عن إنجاز فرنسا بالجزائر ، فقد تولت أكاديمية الجزائر طبع سلسلة من الأعمال (مجموعة الاحتفال المئوي) ، تضمنت بحوثا تاريخية لمختلف العصور التاريخية للجزائر[5]

---

[1] محمد ناصر: المقالة الصحفية الجزائرية نشأتها وتطورهاوأعلامها م1، المرجع السابق، ص 379.
[2] احمد توفيق المدني: حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 168.
[3] عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931- 1945، المرجع السابق، ص 85.
[4] أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية 1900- 1930، ج2، المرجع السابق، ص 324.
[5] ميسوم بلقاسم:المرجع السابق، ص 32.

بدأت الاحتفالات في شهر جانفي 1930، وقد دامت أكثر من ستة أشهر، حيث انتهت في الخامس جويلية، وهو تاريخ استسلام حكومة "الداي حسين" ، وقد أشرف على هذه التظاهرات الحاكم العام "بيير بورد" ، الذي كان متطرفا وحقودا على الجزائريين المسلمين، وفخورا بالأعمال الإجرامية للمحتلين.[1]

إنَّ تلك المهرجانات الكبرى، قد خصصت لها فرنسا ميزانية ضخمة، وصلت حوالي 130 مليون فرنك،[2] اشتملت على برنامج متنوع توزع بين المعارض ، والاستعراضات ، والمحاضرات والألعاب ، والأفلام السينمائية ، و تولت وكالة الأنباء الفرنسية "هافاس" HAVAS إذاعة 532 بيانا إشهاريا لهذه الاحتفالات.

ونشرت الصحافة الفرنسية أكثر من 14000 إعلان إشهاري. ووزعت المكتبات الفرنسية والمدارس 1200.000 كتيب إشهاري لهذه الاحتفالات، وخصصت للدعاية وحدها مبالغ كبيرة قدرت بـــ: 61 مليون فرنك، وزار الجزائر 80.000 فرنسي، منهم 306 برلماني.[3]

لقد كانت هذه الاحتفالات، وما جرّت من تصريحات ، وخطب مهينة للجزائريين في عقيدتهم ومهددة لشخصيتهم القومية،حافزا لهم للقيام بتحرك مضاد ، و في رأي الشيخ " أحمد توفيق المدني"، فإن احتفال الفرنسيين بمرور قرن على احتلالهم أرض الجزائر قد قدم القضية الجزائرية عشرين سنة على الأقل .[4]

والحق أن مترجمنا لم يقف موقف المتفرج ، أو المبارك لهذه الاحتفالات ، ولم تبهره العظمة الفرنسية المصطنعة ، بل دفعته إلى التحرك العملي لمواجهة هذه الدعاية وتأثيراتها، ومن ذلك نشره بجريدة " الإصلاح " و " الشهاب " لمقال مؤثر جدا جعل له عنوان " بين الموت والحياة " رفع من خلاله الراية الحمراء، منذرا بالخطر المحدق بالجزائريين، كاشفا زيف الإدعاءات بنشر التمدن والحضارة في أوساط الجزائريين ، وفي هذا الشأن خاطب الجزائريين قائلا: [5](وعلى من تريدون أن تعتمدوا لحفظ دينكم ولغتكم؟ أتعتمدون على الحكومة؟ إنَّ

---

[1] يحي بوعزيز: الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوصه (1912-1948)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر: 1987، ص 49.
[2] أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، المصدر السابق، ص 69.
[3] عز الدين معزة: المرجع السابق، ص ص 85- 86.
[4] أحمد توفيق المدني: هذه هي الجزائر، المصدر السابق، ص 166.
[5] المصدر نفسه ، ص 165.

الحكومة قد عاشت اليوم معكم مائة عام كاملة، فماذا كانت نتيجة جهودها لتعليمكم الإسلام والعربية؟).

ويصف الرجل شعوره أثناء الاحتفالات المهينة بالقول: [1](كنت أضطرم نارا، كنت ألهب حماس القوم ، الذين كانوا يكتفون بمقابلة ذلك بدموع سخية).

وقد قابل مترجمنا هذا التحدي الاستعماري، بالقيام بمساع وتحركات ، هدفت إنشاء جماعة إسلامية صادقةـــ وتمثلت في جمعية العلماء المسلمين سنة (1931) ، وطرق بقوة باب التأليف ، لتأكيد هوية الشعب من أقدم العصور إلى العام 1930، فظهر الكتاب الشهير: " كتاب الجزائر " كما عزم على تأليف كتاب آخر ينفي عن الجزائر وصمة اللصوصية ، والنهب والظلم، فكان " محمد عثمان باشا "، عام 1937م.[2]

وهكذا فإن الاحتفالات المئوية، إن كانت قد عبرت عن عظمة الاستعمار وقوته في البلاد فإنها صارت وبالا على أصحابها، حيث أضحت نقطة انطلاق جديدة للحركة الوطنية الجزائرية.[3]

ثالثا- موقفه من الطرق الصوفية:

تقاسمت الساحة الدينية في الجزائر، أكثر من ستة وعشرين طريقة منها أربعة فقط أنشئت خلال العهد الاستعماري ، والباقي كان موجودا منذ العهد العثماني ومن هذا العدد ما هو مؤسس بالجزائر كالطريقة التيجانية والرحمانية، و منها ما هو مؤسس بالمغرب الأقصى ، كالدرقاوية والعيساوية والطيبية ، أو ما هو مؤسس في المشرق كالقادرية، أما الشاذلية، فقد بدأت في تونس ، في حين أن أحدث الطرق التي عرفتها الجزائر هي الطريقة العليوية.[4]

ولقد ارتبطت الطرق الصوفية في المغرب العربي بالزوايا والمرابطين، حيث بلغ عدد الزوايا في الجزائر 349 زاوية ، احتلت مكانة مرموقة في الحياة الثقافية والسياسية الوطنية، حيث كانت مصدرا للعلم ، والهداية والصلاح ومنبعا لليقظة والنهضة، ومنبتا لثورات عديدة في الجزائر، وهذا في مرحلتها الأولى،[5] وهو ما ذهب إليه "أحمد توفيق المدني" في أوائل

---

[1] أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر ،المصدر السابق ، ص 171.
[2] المصدر نفسه، ص 172.
[3] عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931- 1945، المرجع السابق، ص 92.
[4] أحمد بالعجال: المرجع السابق، ص 64.
[5] عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء، ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931- 1945، المرجع السابق، ص ص 186- 188.

الثلاثينيات من القرن العشرين حين قال: [1](لا تزال للطرق الصوفية بقطر الجزائر حظوة كبرى، ونفوذ عظيم كما هو الشأن في بلاد المشرق، لبعض الطرق الصوفية بقطرنا هذا مزية تاريخية لا يستطيع أن ينكرها حتى المكابر، هي أنها استطاعت أن تحفظ الإسلام بهذه البلاد في عصور الجهل والظلمات، عمل رجالها الكاملون الأولون على تأسيس الزوايا والرباطات، يرجعون فيها الضالين الى سواء السبيل ، ويقومون بتعليم الناشئة وبث العلم في صدور الرجال).

ويضيف مبرزا ومثمّنا الدور الذي قامت به[2]:(ولولا تلك الجهود العظيمة، التي بذلوها والتي نقف أمامها موقف المعترف المعجب ، لما كنا نجد الساعة في بلادنا أثرا للعربية ، ولا لعلوم الدين فالزوايا الكبرى هي التي كونت دائما في هذه البلاد طبقة فاضلة من العلماء والفقهاء، وكانت واسطة فعلية في نقل الإسلام إلى بلاد أقاصي الجنوب والسودان، وكانت فوق ذلك ملجأ للعاجز وابن السبيل).

ويعتقد المدني أن الطرق، شهدت انحرافا وخروجا عن جادة الطريق، فوجب التصدي لذلك ، وفي هذا الإطار كتب[3]:(إنما أخذت الكثير من الزوايا بعد موت مؤسسيها، تنقلب من معاهد علم وإحسان وإرشاد، إلى معاهد خرافات وأباطيل تستثمر غفلة العامة، وآل أمر الكثير من الزوايا والطرق، إلى إحداث وثنية في الإسلام بطقوسها، وسلوك مريديها، مما جعل الكثير من المتنورين ينفرون من الإسلام وينبذونه)، لذلك دعا كل المسلمين، وكل من في قلبه عاطفة إنسانية إلى السعي في تحطيمها ومحو أثرها من الوجود ، معتقدا أنه بتظافر الجهود الإصلاحية، لن يبقى في الجزائر بعد مدة وجيزة ، إلا الزوايا المترفعة عن الخرافات، والتي توجه جهودها لهداية الناس، وبث العلم الصحيح.[4]

و الواقع أنَّ المطلع على الخطاب "المدني"، يلاحظ أنه يتوافق مع خطاب الحركة الإصلاحية، ويتقاطع مع نظرة كل من " علال الفاسي " و " عبد العزيز الثعالبي"، حيث يشترك الجميع في اعتبار أن هذه الطرق تقف عائقا في وجه العلم، وتثير الشك في العقول، وبسببها انتشرت الجهالة والعصبية والضلال ، وقد أرجع هؤلاء جميعا انتشارها إلى عاملين أساسيين تشجيع الاستعمار لها، وعدم قيام علماء الدين بواجبهم نحو الأمة لإزالة الجمود الفكري.[5]

---

[1] أحمد توفيق المدني كتاب الجزائر، المصدر السابق، ص ص 350- 351.
[2] المصدر نفسه، ص 351.
[3]نفس المكان .
[4] المصدر نفسه،، ص 352.
[5] محمد رحاي: المرجع السابق، ص ص 106- 108.

والحق أن المترجم له لم يُخف موقفه ، بل جهر به في الخطب، وعلى أعمدة الصحف، ومن ذلك خطابه بالمسجد الحنفي بالعاصمة في صيف 1925، حيث وصف الطرقية بالقول:[(1)] (طرق صوفية مضلة ظاهرها الرحمة، وباطنها من قبلها العذاب ، فرقت الشعب، وشتت الشمل ومزقت عرى الدين، حتى أصبح كل منتسب لطريقة ما، وما أكثر الطرق، يلعن ويسب ويشتم، بل يخرج من الدين كل المنتسبين للطرق الأخرى، وبذلك تحكم الاستعمار وساد).

إن الحرب التي أعلنها العلماء، بمن فيهم " توفيق المدني " ضد الطرقية، إنما كانت موجهة للاستعمار الذي يؤيدها ، و يؤازرها ضد الحركة الإصلاحية، ويذكر المؤرخ " محفوظ قداش"[(2)]:(أن الطرقيين الذين حاربهم العلماء ، هددوا بواسطة امتيازاتهم العائلية، أن يكونوا سندا للإدارة التي طلبوا منها حمايتهم)،ولعلّ شدة الصراع كانت مع الطريقة العليوية ، التي كانت أكبر الطرق الصوفية انتشارا في بداية القرن العشرين، وأن صراع المصلحين من العلماء، كان مع هذه الطريقة، لما ضمت تحت لوائها من كثرة الأتباع، وجنايتها على الدين الإسلامي الصحيح ، وفساد الاعتقاد وكثرة البدع، وقد اتخذت كغيرها قنوات لترويج مبادئها وأفكارها، عبر الجرائد والمجلات وأشهر صحفها " البلاغ "[(3)]

وعن تأسيس هذه الطريقة، فقد تعجب " المدني " ، وغيره كيف تمكن الشيخ " أحمد بن عليوة " من إنشاء هذه الطريقة وهو شبه أمي؟، وقد شن عليه مترجمنا حملة انتقاد ووصفه بالأرعن المغرور، المجسد لصورة الشيطان في جسم إنسان[(4)].

والظاهر أن التركيز في محاربة الطرقية على الطريقة العليوية، كان بسبب موالاتها للاستعمار واتصالها بالفكر المسيحي، وإعتمادها على الصحافة دون غيرها من الطرق ، مما جعلها في مواجهة وجها لوجه مع الحركة الإصلاحية الناهضة[(5)].

وخلال الحرب الكلامية والسجال القلمي الذي اندلع بين صحف الجمعية، وصحف الطرقيين، وخاصة بين صحيفتي "المرصاد" و "البلاغ"، وفيما بعد ، بين "المعيار" و "الجحيم"، لعب "المدني" دورا رائدا في تهدئه نار الفتنة، والعدول عن تبادل الشتائم والتشهير بأعراض رجال الأمة عندما رأى أن الشحناء، بلغت بين بعض الكتاب الإصلاحيين والطرقيين حدا فاحشا، وخرجت عن دائرة البحث النزيه، والجدال بالحجة والبرهان ، إلى دائرة القذف والتنابز بالألقاب[(6)]

---

[1] - أحمد توفيق المدني: حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص ص 76- 77.

[2]- Mahfoud kaddache: histoire du nationalisme Algérien 1919- 1951, T2, S. N. E.D, Alger:1980; p 338.

[3]- Ali merad: op- cit, p 71.

[4] - أحمد توفيق المدني: حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 72

[5] - أحمد بالعجال: المرجع السابق، ص 64.

[6] - عبد المالك مرتاض : أدب المقاومة الوطنية في الجزائر 1870-1962 ،ج2،منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 ،2003 ،ص ص 224-225.

والحقيقة أن " المدني " قام بذلك خدمة لتوحيد الجهود ، ومقارعة العدو الخارجي، والانتصار لمفهوم الإسلام الصحيح والعروبة الحقه.

رابعا- موقفه من المسألة البربرية:

لقد أدرك الاستعمار الفرنسي منذ أيامه الأولى الخصوصية اللغوية للمجتمع الجزائري وهي التوأمة بين العربية والأمازيغية، فراح منظروه يصطنعون أسلوب التفرقة العنصرية وفقا لسياسة فرِّق تسد ، فاجتهدوا في خلق نزعة بربرية معادية لعروبة الجزائر ، واستعملوا هذه الخصوصية، وحاولوا التنظير لها منطلقين من فكرة مسلمة عندهم ، هي أن تعريب البربر كان جزئيا، وهم أكثر قابلية للإدماج.[1]

ولذلك عمد الاحتلال الفرنسي إلى ابتكار النزعة الجهوية، وتغذية العنصرية القبلية، بغرض تشكيل حركة بربرية انفصالية، معادية للعروبة والإسلام وتكون موالية له، ومن هنا كان التركيز على المناطق ذات الأغلبية البربرية، قصد فرنستها، وإدماجها في المجتمع الفرنسي[2] ، ويبدو أنَّ السياسة الاستعمارية في هذا المجال كانت تقر بـــ:

- وجود تناقض أبدي بين العرب والبربر.
- أفضلية البربر على العرب ، لأنهم أكثر قابلية للتحضر والتطور.
- استعداد البربر، وأهليتهم للاندماج في الوسط الفرنسي سياسيا واجتماعيا وثقافيا.[3]

والواقع أن المستعمرين، حاولوا فصل المناطق التي يقطنها هؤلاء الأمازيغ، عن بقية أجزاء الوطن الأخرى، ومنعوا تدريس الثقافة العربية الإسلامية لأبناء القبائل، وتعويضها بنشر الثقافة الفرنسية ، وتنشيط الدراسات المتعلقة بتاريخ المغرب القديم، وإخراج نظريات تقول بالأصول اللاتينية للبربر، وأنهم ينحدرون من "الغاليين" "les gaulois" والرومان.[4]

والمعروف أن هذه المحاولة الرامية الى تمزيق هذا الشعب الواحد، قد شملت كل أقطار المغرب العربي، حيث صدر بالمغرب الأقصى، ما عرف " بالظهير البربري " في شهر ماي 1930.

---

[1] - لوصف سفيان:المرجع السابق، ص 19.

[2] - الهرماسي محمد الصالح: مقاربة في إشكالية الهوية، المغرب العربي المعاصر،دار الفكر،دمشق:2001، ص 71

[3] - مالكي امحمد: الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت:1994، ص 190.

[4] - عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1931-1945، المرجع السابق، ص 127.

والواقع أن هذه الطروحات الاستعمارية، قد تصدي لها العلماء، وحسب "علي مراد"[*] فإنه لم تكن للإصلاحيين أية عقدة تجاه المسألة البربرية، مستدلا على ذلك بوجود العديد من الشخصيات ذات الأصول البربرية تنشط باسم الحركة الإصلاحية.[1]

وعلى النقيض من هذا الرأي، يذكر "محمد حربي" أن العلماء، قد أنكروا حقبا تاريخية من التاريخ الجزائري، وخاصة المرحلة السابقة للفتح الإسلامي، وأنهم بعدائهم للبربر فقد زادوا المشاكل المتعلقة بالوحدة الوطنية حدة وخطورة،[2] إلا أننا نعتقد أن هذا الأمر مجرد تحامل يفتقر الى السند، فالعلماء حاربوا السياسة البربرية بكل الوسائل الممكنة، عن طريق المؤلفات والصحافة ، والدعاية المختلفة الأشكال.

ومن ذلك ما رد به الشيخ " أحمد توفيق المدني"على الكتابات الفرنسية في مؤلفه "كتاب الجزائر" سنة 1931، حيث أبرز أصول العرب والبربر، مؤكدًا على أنهم ينحدرون من سلالة واحدة، وهاجم المؤرخين الأوربيين ، الذين يحاولون ترسيخ معلومات وأفكار خاطئة عن البربر، قصد تحويلهم عن أصولهم الآسيوية[3].

لقد عرَّف المدني البربر بالقول:(أمَّة البربر الأمازيغية الأبية، وهي مجموعة أقوام ما وهنت أمام جبروت الظالمين، وما ضعفت قواها تجاه إرهابهم وبطشهم الشديد ، وما استكانت لسلطان الاستبعاد، أيا كان مصدره، وسواء جاءت من روما أغلاله ، أم صبت في بيزنطة قيوده، فالبربر على تفرق شملهم، كانوا أكثر الناس استماتة في الحرية ، وأشد الناس تضحية في ميدان الاستقلال).[4]

وعن قوة التماسك بين العرب والبربر وامتزاجهم، أضاف"المدني":(وقد فهم البربر بعد طول اختلاطهم بالعرب، وأخذهم الدين واللغة عنهم اختلافهم عما سواهم،مما أمكن اتحادهم تحت راية الإسلام المسوية، وتحقق لهذا القطر الاستقرار الديني الذي دام إلى يومنا هذا وإلى الأبد).[5]

والواقع أن النشاط الاستعماري كان قويا في هذا الباب ، لذلك " فالمدني" ، قد حذر من الخطر الذي يهدد العربية والإسلام في منطقة القبائل سنة 1939، داعيا إلى العمل الجدي من

---

[1] Ali merad: op- cit, p 355.

[2] محمد حربي:الثورة الجزائرية سنوات المخاض، ترجمة نجيب عياد، صالح المثلوثي،موفم للنشر،1994، ص 120.

[3] عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1931- 1945، المرجع السابق، ص 133.

[4] احمد توفيق المدني:المسلمون في صقلية وجنوب ايطاليا، ط2،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر:1985، ص 48.

[5] المصدر نفسه، ص 49.

[*] علي مراد: كاتب ومؤرخ جزائري باللسان الفرنسي، ولد بالأغواط سنة 1930، حصل درجة الأستاذية في اللغة العربية سنة 1956، اهتم في كتاباته بالإصلاح الإسلامي ورواده، وضع دراسات قيمة حول مذهب العلماء الجزائريين لا يزال يمارس التعليم بجامعة ليون الفرنسية لغاية عام 2004.

أجل إنقاذ الوضع قبل تفاقمه، كما ندد بأعمال الآباء البيض، الذين يعملون على تنصير المسلمين، وإخراجهم من الحظيرة العربية والدين الإسلامي[1]

إن هذه التخوفات وصفارات الإنذار، اعتبرها "محمد حربي"، مسألة مبالغا فيها ، بل شيئا وهميا،[2] وعلى أيه حال ، فإن تعليقات هذا الأخير، ومواقفه تجاه الحركة الإصلاحية معروفة بتحاملها، فخطر التأثير المسيحي كان واضحا،و ولد قلقا حتى على مستوى العالم العربي ، ومن ذلك نداءات الإنذار التي أصدرها الأمير "شكيب أرسلان" سنة 1930، والذي حث على وجوب التدخل لإنقاذ المنطقة.[3]

وصفوة القول أن غيرة " المدني " على الوحدة الوطنية ،وإحساسه بالمسؤولية التاريخية تقف وراء ما طرحه من آراء و ما نادى به من دعوات.

[1] عبد الكريم بوصفصاف : جمعية العلماء وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1931-1945،المرجع السابق،ص 132.

[2] محمد حربي: الثورة الجزائرية سنوات المخاض، المرجع السابق، ص 120.

[3] Ali merad: op- cit, p 355.

خاتمة:

بعد استعراض النشاط السياسي للشيخ "أحمد توفيق المدني" في الثلاثة عقود التي سبقت اندلاع الثورة اتضح لدينا بجلاء صورة المناضل الذي تحرَّك في أكثر من اتجاه خدمة للأهداف الوطنية ، و يبرز ذلك في:

أولا : مشاركته بقوة في المراحل التحضيرية لتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، و ربطه لعلاقات قوية بروادها و في مقدمتهم الإمام عبد الحميد بن باديس ، والشيخ البشير الإبراهيمي ، و الشيخ الطيب العقبي ، حيث ظل سندا و رمزا إصلاحيا حتى وإن آثر الإستقلالية في التحرك إلى غاية مطلع الخمسينيات حين أُنتخب بالجمعية و تولى أمانتها العامة.

ثانيا: وقوفه في وجه التيار التغريبي من دعاة الفرنسة و التجنيس و الإدماج ، الذين اعتبرهم من أعوان الإستعمار ، مُحَذِرًا بشدة من دعواهم الزائفة التي عملوا من خلالها على تشكيك المسلم في دينه و وطنه ، داعيا أبناء الشعب الجزائري إلى ضرورة الانتباه إلى خطورة المشاريع الاستعمارية ، و إلى التمسك بطريق الإسلام و الوطنية ، مؤكدًا الحتمية التاريخية لانتصار الشعب الجزائري على الغزاة الأجانب .

ثالثا : انفتاح الرجل سياسيا على التيارات الناشطة على الساحة الجزائرية ، فقد تعامل بإيجابية و حيوية مع جميع المبادرات الهادفة إلى لَم شمل الجزائريين ، و توحيد صوتهم للدفاع عن حقوقهم ، و تحسين أحوالهم ، و من ذلك مشاركته في إعداد بيان الشعب الجزائري سنة 1943م و تأسيس الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية و احترامها سنة 1951م .

رابعا : دفاعه عن الوحدة الوطنية الجزائرية ، و تصديه للسياسة الاستعمارية الهادفة إلى تقسيم المجتمع الجزائري على أساس عرقي ، من خلال محاولة إثارة نزاع بين العرب و البربر ، مؤكدا تماسك الشعب و انصهاره على مدى قرون ، و مُحذرًا بقوة من المشاريع الفرنسية الثقافية بمنطقة القبائل.

خامسا: شمولية نظرته للإستقلال و الوحدة العربية ، إذ يَعتبر أنَّ المنطقة المغاربية كيان سياسي واحد ، انصهرت عناصره على مدى فترات زمنية طويلة ، جمعت بينها عراقة الماضي ،و آلام الحاضر ،و آمال المستقبل، فكان مدافعا قويا، و نصيرا وفيا لحقوق شعوب المنطقة في التحرر و الاستقلال ، و بنفس الحماس و الروح الصادقة ، ناصر القضية الفلسطينية مُعتبرا إياها قضية العرب و المسلمين المركزية، مُنددًا بالتخاذل العربي و الإسلامي ، و التواطؤ الذي مكَّن اليهود من تحقيق مشروعهم ، و لم يكتف بتوظيف قلمه لخدمة هذه القضية ، بل نشط لدعمها ماديًا عبر ما ساهمت به لجنة إغاثة فلسطين سنة 1948م و التي كان أحد أعضائها .

الفصل الخامس
أحمد توفيق المدني و ثورة الفاتح من نوفمبر 1954م

المبحث الأول : موقفه من اندلاع الثورة 1954 – 1956م

المبحث الثاني : مهماته خلال الثورة 1956 – 1958م

المبحث الثالث : نشاطه السياسي و الثقافي ضمن الحكومة المؤقتة 1958 – 1962م

لم يبق أمام الوطنيين الجزائريين لتحرير الجزائر إلا طريق الثورة المسلحة بعد استنفاذ كافة البدائل السياسية الديمقراطية في التعامل مع فرنسا
و وصول أكثر المعتدلين و المتفائلين إلى قمة اليأس من الوعود المرَّوجة من قبل الإدارة الاستعمارية .

إنَّ هذه السياسة الكولونيالية القائمة على استمرار تجاهل مطالب الشعب الجزائري ، و إنكار الحق الوطني لأزيد من قرن و ربع ، جعلت أحمد توفيق المدني يستشرف نهاية حقبة الاحتلال ،و عبَّر عن ذلك صراحة بجريدة البصائر في نهاية الأربعينيات.

و لذلك فإنَّ اندلاع الثورة في الفاتح من نوفمبر 1954م ، و رغم ما حاط بها من عنصر المفاجأة ،والضبابية حول هوية المفجرين مع البدايات الأولى لانطلاقتها ، إلا أنَّ ذلك لم يفاجئ المدني الذي نظر إلى الأمر على أنه الحاصل المنطقي للسياسة الإستدمارية ،فمن الطبيعي إذن أن ينخرط في الثورة الهادفة إلى استعادة الشخصية الوطنية ،التي ناضل في أكثر من موقع دفاعا عنها ، و بشر بحتمية استرجاعها .

فكيف تفاعل مع الثورة بالجزائر ؟ و ماهي الأدوار التي لعبها على الأصعدة الإعلامية و الدبلوماسية خلال تواجده بالقاهرة عضوا بالوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني ؟

و ما طبيعة المسؤوليات التي أسندت إليه ؟ و كيف تعامل مع صراعات القمة بين قادة الثورة ؟

المبحث الأول: موقفه من اندلاع الثورة 1954-1956م.

لقد توج كفاح الشعب الجزائري، طيلة ما يزيد عن مئة وعشرين عاما، باندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر 54،والتي استهدفت تحرير الأرض والإنسان ،وشكلت نقطة تحول تاريخي ليس في الجزائر وحسب،بل في العالم المستعمر قاطبة ،و أن هذه الثورة كانت المنعطف الأخير للحركة الوطنية وللشعب الجزائري بعد تجربة مختلف وسائل التصدي للمحتل.

ولا نبالغ إذا قلنا أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ،مثلت طليعة المتصدين،وكانت صاحبة فضل كبير في الإعداد الروحي لهذه الثورة ،عبر مسيرة زمنية قاربت الربع قرن ،فقد هيأت جيلا كاملا من الوطنيين والوطنيات المتشبعين بمقومات الهوية الوطنية ،المتعطشين لرؤية الشعب الجزائري يتمتع بحريته ويعمل في دائرة العروبة والإسلام.

ولاشك أن مترجمنا الشيخ "أحمد توفيق المدني" ،من الذين هيأوا للثورة بأقلامهم الصحفية وخطبهم ومؤلفاتهم ،ومن الذين أدركوا حقيقة المستعمر ،بل ونلمس من خلال مقالاته بالبصائر في نهاية الأربعينيات قناعته بأن نهاية الاستعمار قد قربت[1]،و أشار إلى ذلك أكثر من مرة ،ولذلك فلا غرابة أن يقول المدني في مذكراته[2]:(إنني وإن كنت هيأت للثورة منذ أمد بعيد ،لم أكن قائدا من قادتها ،ولا بطلا من أبطالها ،بل كنت خادما لها مطيعا لأوامرها).

فما حقيقة موقفه من الثورة ؟ وكيف التحق بركابها ؟ وما الدور الذي لعبه سياسيا وإعلاميا لصالحها؟.

في الحقيقة لا يمكن للباحث أن يفصل بين الموقف الشخصي للمدني ،ومواقف جمعية العلماء المسلمين باعتباره أحد أقطابها ،فهو أمينها العام وقت اندلاع الثورة ،كما أنه يرأس لجنة تحرير البصائر ،وهي أهم صحيفة ناطقة بالعربية في الجزائر في هذه

---

[1] - أبو محمد:"منبر السياسة العالمية " البصائر ،العدد 04، 29 أوت 1947 ،ص 04. وأيضا " منبر السياسة العالمية البصائر ،العدد 79 ، 09 ماي 1949 ،ص 05.

[2] -أحمد توفيق المدني :حياة كفاح ، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر : 1988 ،ص 13.

المرحلة ،واللسان المركزي للجمعية علاوة على أن الموضوعية تقتضي عدم النظر إلى هذا الموقف بعيدا عن الظروف العامة التي تعيشها الجزائر ،والتطورات السياسية للحركة الوطنية بصفة عامة.

ولفهم حقيقة موقف مترجمنا، نتتبع مختلف التطورات المصاحبة لاندلاع الثورة، "فالمدني" شخصيا ذكر أنه أثناء زيارته لمدينة باتنة ،في شهر أكتوبر 1954 للإشراف على افتتاح مدرسة للجمعية ،حصل على معلومات تفيد بقرب اندلاع الثورة، وأن المناضل "عمر دردور" أوحى إليه بهذه الفكرة خلال جولة لهما في أطراف الاوراس[1].

ويؤكد المدني أنه علم من مصدر موثوق بموعد انطلاق الشرارة الأولى للثورة حين اتصل بأحد رجال الحركة الوطنية ،والذي أبلغه في سرية تامة بتاريخ الفاتح نوفمبر،موضحا أن العلماء كانوا على استعداد تام لتأييد هذه الحركة التحريرية الكبرى منذ البداية[2].

وتعليقا على ما أورده المترجم له كتب أحد المعاصرين قائلا[3]:(لا أريد تتبع حالات موقف جمعية العلماء المسلمين...لكن فقط أشير إلى ما سجله بعض أعضائها على ما فيه من تضارب واختلاف ،فالأستاذ توفيق المدني، الكاتب الشهير ،والكاتب العام إذ ذاك للجمعية يسبق فيكتب في حماس غامر ،وبدعوى غريزة تحتاج إلى إثبات)،ليخلص إلى أن الأمر كان في غاية السرية ففي نظره أن أقرب المسؤولين للثورة لم يكونوا على علم به، ناقلا في الاتجاه نفسه رواية الشيخ"محمد خير الدين" التي تناقض ما ذهب إليه "المدني" ولذلك فان ما جاء به هذا[4]الأخير بخصوص قضية معرفة موعد بدء الثورة،لا يعد كونه حماسا يحتاج إلى إثبات ،وجاء في رد الشيخ" محمد خير الدين"وهو النائب الثاني لرئيس جمعية العلماء تعليقا على ما ذكره "توفيق المدني" قوله[5]:(كل هذا ليس له أساس

---

1 -عمار بوحوش :المرجع السابق، ص ص 274-275.

2 - أحمد توفيق المدني : حياة كفاح ،ج3، المصدر السابق ،ص 19.

3 عبد الرحمن إبراهيم بن العقون : الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر ،ج3،المصدر السابق ص ص 509-510.

4 - المصدر نفسه ،ص،511.

5 - محمد الطاهر فضلاء:المصدر السابق ، ص 113.

من الصحة، فما كان أحد من أعضاء جمعية العلماء يعلم من أمر الثورة شيئا قبل اندلاعها لا توفيق ولا غيره يعلم).

ومن جهته يرى "محمد العربي الزبيري" أن سرية الإعداد للثورة،خلقت عنصر المفاجأة ،مما جعل المواقف تتباين حيث كتب[1]:(أن السرية التامة التي حرص المعدون للثورة على التحلي بها طوال الفترة التي تطلبتها الأعمال التحضيرية، هي التي ساعدت على مضاعفة المفاجأة،وزرع الشك والحيرة في نفوس المواطنين بصفة عامة،والطليعة الوطنية بصفة خاصة).

وعلى أية حال،ومهما يكن من تحفظ حول هذه الآراء، فان مسالة معرفة موعد اندلاع الثورة تبقى واردة ،فقد أكد من جديد "أحمد توفيق المدني" علمه بالأمر في كتابه الذي لا يزال مخطوطا "رد أديب على حملة الأكاذيب" حيث قال:[2](وكنت من الأفذاذ القلائل الذين علموا ذلك التوقيت ،كما علمه المجاهد اليوغسلافي "ازداراخيو" من القاهرة وسار توا إلى الجزائر ليكون مع أوائل المجاهدين) ،كما أن هناك نقطة هامة جدا ربما لا ينتبه إليها الكثيرون،وهي أن احد القادة الستة الذين فجروا الثورة الشهيد مصطفى بن بو العيد" كان رئيس شعبة جمعية العلماء بمنطقة الأوراس، وبالتالي لا يمكن استبعاد احتمال أن يكون قد اخبره بذلك كونه كان محل ثقة عنده[3].

والحقيقة أن مسألة توقع حصول الثورة أصبحت على لسان الكثيرين"ففرحات عباس" مثلا قال بأنه عندما كان بالقاهرة في شهر جويلية 1954 أعلمه "محمد خيضر" بأن أحداثا ستعرفها الجزائر عما قريب ،وستفرض وضعية جديدة على الجزائر ،وسيكون كل الوطنيين الجزائريين مرتبطين بعمل واحد ،وفي حزب واحد[4].

1 -محمد العربي الزبيري: الثورة الجزائرية في عامها الأول ،ط1،دار البعث للطباعة والنشر ،قسنطينة ،الجزائ : 1984 ،ص 181.
2 -أحمد توفيق المدني: رد أديب على حملة الأكاذيب ،مخطوط ،ص :233 .
3 -محمد الهادي الحسني:مقابلة شخصية ،مقر مسكنه،أولاد يعيش ،البليدة ،30 جوان 2006.
4 -عز الدين معزة:المرجع السابق ،ص 223.

وحرصا من "المدني" على الاستجابة لنداء الثورة منذ البداية ،قام بالاتفاق مع الشيخ "محمد خير الدين"(*) بدعوة أعضاء المجلس الإداري للجمعية للاجتماع،يوم فاتح نوفمبر 1954م بمدينة قسنطينة،وقرر المجلس بأن الجمعية تساند الثورة بدون تحفظ[1].

وبالفعل فقد بعث مترجمنا برسالة إلى الشيخ "محمد البشير الإبراهيمي" رئيس الجمعية الموجود بالقاهرة ابلغه فيها بأن الثورة العارمة قد انطلقت، وأسندت قيادتها لجبهة التحرير الوطني ،وهي هيئة جماعية غير حزبية،وطلب منه أن ينشر باسمه بصفته رئيسا للجمعية منشورا عاما يبارك الثورة ،ويمجدها ويدعو الأمة للمشاركة فيها روحا،وبدنا ومالا[2].

وقد استجاب الشيخ "البشير الإبراهيمي" لهذه الرسالة،وقام بمشاركة ،"الفضيل الورتلاني" بإصدار بيان للشعب الجزائري في يوم الثالث من شهر نوفمبر سنة 1954، نشرته الجرائد المصرية وغيرها،بارك من خلاله الجهاد الثوري في الجزائر،ومما جاء في النداء[3]:(حياكم الله أيها الثائرون الأبطال،وبارك الله في جهادكم...لقد أثبتم بثورتكم المقدسة هذه عدة حقائق...إن الخلاص من هذا الاستبعاد قد أصبح اليوم واجبا عاما مقدسا...لأنكم اليوم أمام أمرين ،إما حياة أو موت ...وإما بقاء كريم ،أو فناء شريف).

وعلى المستوى الداخلي،يؤكد "المدني" أن المجلس الإداري الذي اجتمع بقسنطينة في أول أيام الثورة كان قراره مع الثورة ،لكنه رأى وجوب التزام الحذر بغية المحافظة على مكتسبات الجمعية ،وضمان مواصلة نشاطها في أداء رسالتها تدعيمها للثورة)[4].

وتماشيا مع هذا الموقف ،ومنذ الأيام الأولى لاندلاع الثورة اجتمعت لجنة تحرير البصائر المتكونة من السادة أحمد "توفيق المدني"،"حمزة بوكوشة"،"أحمد سحنون"،

---

[1] -عمار بوحوش: المرجع السابق ،ص ص 274-275.
[2] -المرجع نفسه ،ص 275 ينظر أيضا :أحمد توفيق المدني حياة كفاح، ج3، ص ص 26-30.
[3] -الفضيل الورتلاني:المصدر السابق ، ص ص 170-171.
[4] -أحمد توفيق المدني :حياة كفاح ،ج3 المصدر السابق ،ص 23.

*يذهب الشيخ محمد خير الدين "إلى أن الشيخ أحمد توفيق المدني لم يكن هو الداعي إلى إجماع المجلس الإداري وإنما المجلس الدائم هو الذي دعا إلى الاجتماع بقسنطينة، فورة عادية ، انه أي الشيخ محمد خير الدين " دعا بعد نهاية الاجتماع وتلقي أنباء الثورة كلا من العباس بن الشيخ الحسين" وإبراهيم مزهودي" واتفقوا على وجوب تأييد الثورة.
والملاحظ أن الشيخ لم يوضح تركيبة المجلس الدائم ولم يفسر سبب عدم إشراك المدني في اجتماعه الثلاثي وقد كان حينها الأمين العام للجمعية.

"عبد اللطيف سلطاني"،"باعزيز بن عمر"، وبحضور الشيخ العربي التبسي"و"الشيخ" محمد خير الدين"واتفق الجميع على أن يتولى المدني،"تحرير الافتتاحية ،وتحرير مقال لتغطية أحداث الثورة،بعنوان "يوميات الأزمة الجزائرية" ،وتحرير موضوع السياسة العالمية،وموضوع الابتكارات العلمية[1].

والحق أن "المدني" كان أمام مسؤولية تاريخية كبيرة، فما يصدر عن البصائر،كان يمر على الرقابة الاستعمارية الفرنسية،وتحت أنظار ممثلي جبهة التحرير الوطني،وفي هذا الصدد يقول مترجمنا في مذكراته[2]:(إنني وضعت البصائر منذ اليوم الأول ،وباتفاق العلماء في صميم المعركة ...ولم يكن الأمر يسيرا، فقد كان علي أولا أن أتولى النضال عن حق الشعب الجزائري في الحرية والاستقلال...وكان علي ثانيا أن أتجنب في مقالاتي ما تتخذ منه الحكومة ذريعة للإيقاع بالبصائر وضرب جمعية العلماء...وكان علي ثالثا أن أعرض كل مقال افتتاحي بصفة سرية بحتة على المكلف من طرف قيادة الثورة).

إن المتصفح لأعداد جريدة البصائر يلمس سلوك الحذر الذي أشار إليه"المدني"،ففي افتتاحيتها ليوم 05 نوفمبر 1954 وفي أول تعليق لها على خبر اندلاع الثورة جعلت عنوانها ،"حوادث الليلة الليلاء"ومما جاء في المقال:[3](فوجئت البلاد الجزائرية بعدد عظيم من الحوادث المزعجة...إننا إلى حد هذه الساعة لا نملك التفاصيل المقنعة عن هذه الحوادث وأسبابها...فلا نستطيع أن نعلق عليها أدنى تعليق...فليس من شان البصائر أن تتسرع في مثل هذه المواطن).

لقد رأى البعض في هذا المقال موقفا سلبيا ،وانتقده آخرون ومنهم الأستاذ "مولود قاسم نايت بلقاسم"*"الذي لام الجمعية وصحيفتها الرسمية على عدم الجهر بموقف كبقية

[1] -تركي رابح عمامرة:"التعرف بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين"موقع www.binbadis.NET /Dirasat /lire-Rabah-turki-amamra1.Htm.
[2] -احمد توفيق المدني: حياة كفاح ،ج3 المصدر السابق ،ص ص 62-63.
[3] مولود قاسم نايت بلقاسم : ردود الفعل الأولية داخلا وخارجا على غرة نوفمبر أو بعض مآثر فاتح نوفمبر ،ط1،دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة:1984، ص ص 65-66.

الأحزاب والجرائد، وكتب يقول:[1](والبصائر التي يلزمها اسمها،بأن تكون بصيرة بالأمور قبل غيرها،لم ترد التبصر هذه المرة).

والواقع أن قيادة الجمعية في الداخل،وفي مقدمتها أمينها العام الشيخ "أحمد توفيق المدني" وإن لم تصدر بلاغا أو تعليقا مؤيدا ومباركا بلغة صريحة لأنباء الثورة،فإنها لم تنشر بالمقابل ما يطعن أو يشكك في أهدافها،وطبيعتها،ووطنيتها،ولعل موقفها هذا جاء زيادة على ما أشرنا إليه من قبل منسجما مع التعاطي العام مع أخبار الثورة ،وهذا الموقف عبر عنه الدكتور"عبد الكريم بوصفصاف"بالقول:[2](فالعلماء لم يكونوا يختلفون سنة 1954 عن غيرهم من الحركات الوطنية الأخرى،حيث كان فيهم الثوريون والمحافظون...وإذا كان بعض زعماء ومناضلي حركة الانتصار قد وقفوا ضد الثورة فان بعض العلماء الذين لم يبادروا بالانضمام إلى الثورة في أول الأمر،لم يقفوا ضدها).

هذا وتواصل الدفاع "المدني" عن تطلعات الشعب الجزائري، متتبعا أخبار الثورة التحريرية ،جاعلا من البصائر وافتتاحياتها سهاما تلاحق المستعمرين.

ففي مقال بتاريخ 19 نوفمبر 1954، وبعد أن وصف الأحداث بالأعمال الكبيرة،وتحدث عما أسماهم بالذين رفعوا لواء الثورة ردا على تصريحات المسؤولين الفرنسيين من رئيس الحكومة "بيير منديس فرانس"،ووزير الداخلية "فرنسوا ميتران" وأحد الضباط الفرنسيين المتخصصين في علم الاجتماع "سر فييه"، الذي كتب في جريدة العالم"le monde" أن جمعية العلماء هي المسؤولة عن هذه الحوادث ،وخلص "المدني" في افتتاحيته تلك ،إلى أن الأسباب التي تقف وراءها هي الاستياء الشعبي العام من السياسة الفرنسية[3].

إن هذه المواقف وغيرها أدت إلى تعرض أعداد البصائر للمصادرة في أكثر من مرة، وهو الأمر الذي تصدى له مترجمنا في كل مرة تنديدا واستهجانا، ومن ذلك ما

---

[1] -مولود قاسم نايت بلقاسم :المرجع السابق، ص 65.

[2] -عبد الكريم بوصفصاف :جمعية العلماء وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الاخرى 1931 -1954، المرجع السابق، ص 149.

[3] -مولود قاسم نايت بلقاسم :المرجع السابق ، ص 67.

*-مولود قاسم : هو مولود قاسم نايت بلقاسم ولد سنة 1927 بضواحي بلدية أقبوا ببجاية ،سياسي ومفكر جزائري ،ناضل في حزب الشعب الجزائري إنظم إلى الثورة وعين بعد سنة 1958 في الوفد الدائم في بون بألمانيا ،تقلد بعد الاستقلال عدة مناصب أهمها وزيرا للتعليم الأصلي والشؤون الدينية بين 70-1977 إرتبط اسمه بمجلة الاصالة وملتقيات الفكر الاسلامي توفي سنة 1992.

كتبه بالعدد 332 بتاريخ 09 سبتمبر 1955 تحت عنوان " لا رجوع إلى الوراء " مما جاء فيه:[1](فمصادرة البصائر إنما هي في الحقيقة مصادرة صوت الأمة، ومحاولة تحطيم البصائر إنما هي محاولة إخماد أنفاس الأمة ،والأمة التي سارت كسير الأمة الجزائرية إلى الأمام في ثبات وحركة جريئة مدهشة، لا ترجع أبدا أبدا إلى الوراء كلفها ذلك ما كلفها).

إن مواقف "المدني" وقيادة الجمعية في الداخل وتفاعلها مع خط الثورة ،لم تكن بمعزل عن توجيهات الرئيس المتواجد بالقاهرة، فالاتصالات لم تنفك تنقطع فقد تلقى المترجم له العديد من الرسائل التي يشيد فيها الشيخ" البشير الإبراهيمي" بأعمال الجمعية ومواقف أمينها العام "المدني"، والذي أورد العديد من هذه الرسائل في مذكراته،وفي كتابه الذي لم ينشر بعد وسبقت الإشارة إليه ،وجاء في إحدى الرسائل المؤرخة بالقاهرة في يوم 22 أوت 1955 قول"الإبراهيمي"[2]:(اذكر فضلكم ومواقفكم،ورفعكم لقيمة البصائر في هذه الزعازع مما يحمده لكم كل منصف، ويحسدكم عليه كل متعسف ،لكن حسبكم الله، ورضائي عنكم).

هذا وجاء بيان الجمعية الحاسم في 07 جانفي 1956 تحت عنوان:"بلاغ من الاجتماع العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، عن الحالة الحاضرة بالقطر الجزائري وموقف الجمعية منها".

ويذكر "المدني" أن هذا البيان التاريخي،صدر بعد انعقاد الاجتماع العام بمركز الجمعية وشمل الحضور 230 من الأعضاء العاملين وأنه شخصيا قام بتحرير هذا البيان بتكليف من الشيخ "العربي التبسي" الذي تفاعل بقوة معه ،حيث قال أن من لم يوافق عليه فليس بمسلم ،وتم عرضه قبل نشره على قيادة الجبهة بالعاصمة فأقرته[3].

ومما ورد في هذا البيان الشهير:[4](نقول كلمة صريحة علنية نرجو أن يسمعها المسؤولون في باريس ،وأن يسمعها العالم أجمع ،وهي انه لا يمكن حل القضية

---

1 -أحمد توفيق المدني:حياة كفاح ،ج3، المصدر السابق ،ص ص 81-83.
2 -احمد توفيق المدني: رد أديب على حملة الأكاذيب ،مخطوط، ص 155.
3 -احمد توفيق المدني: حياة كفاح ،ج3، المصدر السابق ،ص ص 34-37.
4 -مولود قاسم نايت :المرجع السابق، ص ص 74-75.

الجزائرية بصفة سلمية وسريعة إلا بالاعتراف العلني الصريح بكيان الأمة الجزائرية الحر...ونؤكد انه لا يمكن وضع حد لحالة الحرب الحاضرة ،والإقدام على بناء النظام الحر الجديد إلا بواسطة التفاهم الصريح المخلص مع سائر الممثلين الحقيقيين للشعب الجزائري من رجال الحل والعقد الذين أظهرهم الكفاح الجزائري).

وعلى صعيد التفاعل مع الثورة ،فقد تجند رجال الجمعية وأخذت الاتصالات بين قيادة جبهة التحرير الوطني بالعاصمة وباقي المناطق، تمر عبر مركز الجمعية حسبما يؤكده "المدني" الذي كان يتلقى بريد الجبهة عن طريق أحد المناضلين دعاه بالأخ "ساطور" الخياط بناحية بلكور، وكان عدد من رجالات الجمعية يتولون إيصالها وذكر منهم الشيوخ: "حمزة بوكوشة"و"أحمد سحنون"،" الجيلالي الفارسي"و" مصباح الحويذق"[1].

وخلال هذه المرحلة حاولت السلطات الاستعمارية استمالة جمعية العلماء، وجرها إلى الدخول في مفاوضات ،وهي خطة ماكرة حاول تجريبها الحاكم العام الجديد "جاك سوستيل" الذي تولى منصبه في بداية فبراير 1955م ،الذي قام باتصالات عن طريق احد مساعديه الرائد "فانسان مونتاي vincent monteil " والذي توجت مساعيه بمقابلة جرت بينه ،وبين وفد يضم ممثلين عن جناحي حركة الانتصار للحريات الديمقراطية (مصاليين ومركزيين) ،و"أحمد فرانسيس" ممثلا عن البيانيين ،والشيخ "محمد خير الدين" ممثلا عن العلماء[2].

لقد وقع هذا اللقاء[*]في شهر ماي 1955،والذي لم ينكره الشيخ "محمد خير الدين" مؤكدا أن جبهة التحرير اتصلت به وبباقي الوفد عن طريق المناضل "عبان رمضان" وطالبت منهم التفاوض بشرط عدم التورط مع العدو.

ومن جهة أخرى أشار "محمد العربي الزبيري" إلى هذا اللقاء، لكنه وضعه في محل الشك كون منسق الجبهة "عبان رمضان" لم يترك وثائق ،أو مذكرات تؤكد ذلك،بل أن

---

1 -أحمد توفيق المدني:حياة كفاح ، ج3،المصدر السابق ،ص 42.

2 -أسعد لهلالي :المرجع السابق ،ص 123.

*-ذكر عبد الرحمن بن إبراهيم بن العقون أن تاريخ اللقاء كان 28 مارس 1955،أنظر كتابه الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر،ص 506.

الشهادات تتحدث على أن "عبان" طلب من المفاوضين اتخاذ الإجراءات اللازمة لكي تستجيب تشكيلاتهم لنداء الفاتح من نوفمبر[1].

والحقيقة أن الشيخ "أحمد توفيق المدني" وإن لم تشر الكتابات التاريخية ، أو الشهادات التي تحصلنا عليها إلى قيامه بأي شكل من أشكال الاتصال بالفرنسيين بما يخالف توجهات ومبادئ جبهة التحرير الوطني، ومع ذلك فقد ضمّن مذكراته،أن الفرنسيين اتصلوا به مرتين ،الأولى عن طريق الأستاذ "ريمون هارون" ،والثانية خلال زيارة رئيس الحكومة الفرنسية ،"غي مولي Guy Moullet" للجزائر، الذي رغب مقابلته إلا أن شيئا من ذلك لم يقع استجابة لمعارضة جبهة التحرير لذلك ،ونشير إلى أن مترجمنا لم يحدد في مذكراته تاريخ المحاولتين ،لكنه ذكر أنهما كانتا في فترة لاحقة لإصدار البيان التاريخي للجمعية في مطلع جانفي 1956 [2].

---

1 -محمد العربي الزبيري: الثورة الجزائرية في عامها الأول، المرجع السابق ،ص ص 188-189.
2 -احمد توفيق المدني :حياة كفاح ،ج3 ، المصدر السابق ،ص ص 43-47.

المبحث الثاني:مهماته في الثورة التحريرية 1956-1958.

ومع تزايد نشاط الثورة في داخل الجزائر،وتأكيد شعبيتها لاسيما بعد هجومات 20 أوت 1955 بالشمال القسنطيني، أضحت الحاجة ملحة إلى تجنيد كل الفئات الوطنية ،وهي استراتيجية تبنتها جبهة التحرير الوطني ،حيث دعت الجميع إلى الانضواء تحت لوائها طوعا، أو كرها وكان لزاما على القيادة تدعيم صفوفها بكفاءات سياسية وفكرية،بما يمكنها مخاطبة العالم والتعريف أكثر بالقضية الجزائرية.

وفي هذا الإطار تلقى الشيخ "أحمد توفيق المدني" دعوة جبهة التحرير الوطني،للالتحاق بوفدها الخارجي العامل بالقاهرة ،وعن الاتصالات التي جرت بين الرجل وقيادة جبهة التحرير بالجزائر،ذكر أن الشهيد "عبان رمضان"،إتصل به في أوائل عام 1956 ليعلمه بقرار الجبهة اعتماده ليكون ضمن الوفد الخارجي بالقاهرة ،موضحا أن "عبان رمضان" خاطبه بالقول:[1](إننا لنشعر بنقص كبير بين صفوف وفدنا الخارجي، فسر إليهم بأسرع ما يمكن،ولتعمر ذلك الفراغ ،وأعلم أن حظك في الجهاد هنالك يعادل أو يفوق حظك لو أنك عمدت إلى جبل وحملت بين إخوانك السلاح).

وعن الأجواء المحيطة باللقاء أكد مترجمنا أن المقابلة جرت في منزل المجاهد"عباس التركي" ليتصل به بعد مدة "الشيخ العباس بن الشيخ الحسين"العائد من القاهرة،ويبلغه بانتظار الوفد له ،لذلك قام بإبلاغ رئاسة جمعية العلماء ممثلة في الشيخ "العربي التبسي"الذي بارك الخطوة ،رفقة النائب الثاني الشيخ "محمد خير الدين"[2].

على أن أحد المعاصرين – ونقلا عن الشيخ " محمد خير الدين" أورد بأن "توفيق المدني "تم تعيينه رفقة "العباس بن الشيخ الحسين" من طرف[*] الشيخ "محمد خير الدين" وذلك بتكليف من السيدين "عبان رمضان" و"ابن يوسف بن خدة"[3].

---

[1] -أحمد توفيق المدني:حياة كفاح،ج3،المصدر السابق،ص 105.
[2] - المصدر نفسه ، ص 106.
[3] -عبد الرحمن بن إبراهيم بن العقون :الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر ،ج3،المصدر السابق ص ص 511-512.
*-أكد الشيخ أحمد توفيق الـ مدني في ردوده على ما جاء في كتاب التحريف التزييف لمحمد الطاهر فضلاء، أن الشيخ محمد خير الدين لم تكن له أية صفة لتعينه في الوفد الخارجي.

ومهما يكن الأمر ،فإن "المدني" قد استجاب لدعوة الجبهة ،فاستعمل حيلة لمغادرة الجزائر دون إثارة انتباه السلطات الاستعمارية الفرنسية ،والتحق بباريس يوم 16 مارس 1956[1].

والظاهر أن "المدني" غادر باريس في 12 افريل 1956، والتقى بجنيف السوسيرية في طريقة إلى القاهرة رفقة زميله في النضال"العباس بن الشيخ الحسين"بالسيد " فرحات عباس" و " أحمد فرانسيس" و"قدور ساطور"الذين كانوا يتأهبون للسفر إلى القاهرة أيضا للانضمام إلى الوفد الخارجي[2].

وبوصول المترجم له إلى القاهرة وجد في استقباله "محمد خيضر" و"أحمد بودا" وبدأ في تنشيط العمل ففي اليوم الموالي زار مكتب تحرير[*]المغرب العربي،وفتح مناقشات مع رئيس الوفد "محمد خيضر" الذي أطلعه إلى توزيع المسؤوليات، بحيث يتوفر الوفد على مكتبين،أحدهما للنشاط السياسي يشرف عليه" محمد خيضر"، والآخر للشؤون العسكرية يشرف عليه باستقلالية" أحمد بن بلة".

وحسب "المدني" فإنه بعد استقراره بالقاهرة لاحظ أن الأمور ليست على ما يرام، فلا تنسيق بين الأعضاء علاوة على توتر العلاقات الشخصية،ومن ذلك الحساسية بين "الأمين الدباغين"ومحمد خيضر"[3].

وهذا الصراع الذي أخذ يقلق قادة الثورة في الداخل ،أكده كذلك "فرحات عباس"الذي قال بعد انتقاله إلى القاهرة سنة 1956،صدمت بالصراع الموجود على مستوى القمة وفي نظره فإن "أحمد بن بلة" هو سبب المشاحنات ،لكونه أراد أن يجعل من نفسه زعيما للثورة بالتعاون مع السلطات المصرية[4].

[1] -احمد توفيق المدني :حياة كفاح ،ج3، المصدر السابق ،ص ص 106-108.
[2]- Benjamin stora. Zakya Daoud, op-cit , p249.
[3] -أحمد توفيق المدني:حياة كفاح ،ج3، المصدر السابق ،ص ص 115-120.
[4] -عز الدين معزة: المرجع السابق ، ص 236.
*- مكتب تحرير المغرب العربي: تشكل بالقاهرة ضم ممثلين للأحزاب الاستقلالية من الجزائر،والمغرب وتونس ترأسه عبد الكريم الخطابي الذي أصدر بيانا شهيرا في 05 جانفي 1948 ،أعلن من خلاله رغبة الأحزاب المغاربية في توحيد كفاحها على قاعدة الاستقلال التام لكل البلدان.

وعن تدعيم الوفد الخارجي بالقاهرة بشخصية المدني،فيرى الدكتور"أبو القاسم سعد الله" أن جبهة التحرير الوطني قد أحسنت الاختيار بهذا التدعيم ،فالرجل يتوفر على مميزات جعلته يملأ الفراغ، ويتصدى لمخاطبة الأمة العربية[1]،إذ يمتلك ناصية اللغة العربية، ويتمتع بقدرات عالية في فن الخطابة ،وله ثقافة متنوعة و اطلاع واسع وخلفيات تاريخية معتبرة ،وهو ما أهله للتفوق على باقي أعضاء الوفد ،الذين ظهروا عاجزين عن أداء هذا الدور بالكيفية التي مارسها "أحمد توفيق المدني"[2].

وبالتحاق "فرحات عباس"و" أحمد فرانسيس" بالقاهرة وتنظيم لقاء بين القادة بمقر جمعية العلماء المسلمين حيث يتواجد "البشير الإبراهيمي"،جرى تحضير الندوة الصحفية التي عقدت في 25 افريل 1956 بفندق "سيميراميس semiramis " بحضور خمسين(50) صحفيا يمثلون مختلف وسائل الإعلام العالمية،وهناك أعلن انضمامه الرسمي لجبهة التحرير الوطني،وقدم عرضا شاملا للحالة بالجزائر،مصورا القمع الفرنسي وحالة البؤس التي يعيشها الشعب الجزائري،معلنا في الوقت نفسه بأنه رجل سلام وليس داعية حرب ،وخلال الندوة المذكورة تولى "المدني" مهمة الترجمة إلى اللغة العربية لمحتوى خطاب "فرحات عباس" وغيره من ممثلي جبهة التحرير،كحسين آيت أحمد و "أمحمد يزيد" و"الأمين دباغين" و"احمد بن بلة" و"محمد خيضر"[3].

إن الظهور العلني "لتوفيق المدني" متحدثا باسم جبهة التحرير الوطني ومتوليا الترجمة ،قد أعطى الثورة بعدا جديدا ،فانخراط العلماء والاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري بما يمثلانه من وزن سياسي على الساحة الجزائرية، قد أكسب الجبهة نصرا قويا في صراعها العسكري والإعلامي مع العدو، حيث أنها في غضون سنة ونصف جمعت كل ممثلي الشعب الجزائري في خندق واحد[4].

والحقيقة أن نشاط مترجمنا ضمن الوفد الخارجي، قد توزع على العديد من الجبهات ،فكان لابد من إعادة تنظيم سير أعمال الوفد وتحريك الآلة الدبلوماسية للثورة وتنشيط

[1] - أبو القاسم سعد الله : مقابلة شخصية، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحرية الوطنية وثورة أول نوفمبر الابيار ، العاصمة: 29 جوان 2006.
[2] -محمد الهادي الحسني : مقابلة شخصية ،أولاد يعيش ،البليدة: 30 جوان 2006.
[3] -Benjamin stora ;zakya daoud: op-cit;pp250-251.
[4]- Mohamed teguia :op-cit ,p170.

استخدام سلاح الإعلام والدعاية ،وكان ذلك في اتجاهات العالم العربي والإسلامي، والرأي العام الدولي ،والجماهير الشعبية في ارض المعركة.

وهكذا اخذ الوفد الخارجي يعقد اجتماعاته الدورية لضبط أموره ،بداية من الأسبوع الأخير من شهر افريل 1956 بمشاركة "أحمد بن بلة" و "محمد خيضر" و" أحمد بودا" و"فرحات عباس" و"احمد فرانسيس" و "العباس بن الشيخ الحسين"،"الأمين دباغين"،"محمد بوجملين"،"بيوض "و "أحمد توفيق المدني"، والذي ذكر أنه قدم عدة مقترحات لتفعيل النشاط كتنظيم عقد الاجتماعات ،وتحرير محاضر الجلسات ،وتقسيم المهام ،وتعيين مكلف بالاتصال بالقيادة المصرية ،وتنظيم العلاقة مع إدارة الثورة بالجزائر،وهو ما لقي ارتياحا لدى باقي الأعضاء[1].

وبالفعل تحركت الآلة الإعلامية والدعائية لصالح الثورة،حيث أخذت الندوات الصحفية تعقد ينشطها "فرحات عباس" بالغة الفرنسية،ويتولى المدني" تعريب نصها، والمشاركة في الردود على أسئلة الصحفيين إلى جانب الأمين دباغين[2].

وتم تكوين مكتب الصحافة و الإعلام ،وقد ساهم الشيخ توفيق المدني في كتابة الحديث اليومي وتسجيله ليلا في إذاعة* "صوت العرب" من القاهرة ،حيث تتواجد مكاتبه قرب مكتب تحرير المغرب العربي بشارع عبد الخالق ثروت[3].

وبعد تسجيل الحديث بإذاعة "صوت العرب" يذاع في ركن المغرب العربي بعد الساعة العاشرة مساء بتوقيت القاهرة بعنوان " وفد جبهة التحرير الوطني يخاطبكم من القاهرة" وهذا اعتبارا من صيف 1956 ،وقد تولى فيما بعد تركي رابح عمامرة"مهمة إذاعة الحديث باسم صوت الثورة الجزائرية بإشراف توفيق المدني[4].

---

1 -احمد توفيق المدني: حياة كفاح ،ج3، المصدر السابق ،ص ص 128-129.
2 - المصدر نفسه ، ص 130.
3 -الإعلام ومهامه أثناء الثورة : سلسلة ملتقيات ودراسات وبحوث الملتقى الوطني الأول حول الإعلام والإعلام المضاد، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحرية الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 ،بلا تاريخ ،ص ص 196-197.
4 -احمد توفيق المدني :حياة كفاح ،ج3، المصدر السابق ،ص 242.
*إذاعة صوت العرب: تأسست في شهر جويلية 1952 بعد الإطاحة بالنظام الملكي المصري وقيام النظام الثوري الذي هدف عبر هذه القناة الى مناصرة قضايا التحرر والاستقلال العربي إعلاميا وسياسيا وقد كانت هذه الإذاعة قوة موازية ومدعمة للثورة الجزائرية في مواجهة الدعاية الإعلامية الفرنسية

وبالتوازي مع ذلك تقرر على مستوى البعثة الخارجية في نهاية جويلية 1956 القيام بجولات دعائية لصالح الثورة بحثا عن التأييد المادي والمعنوي،شملت بلدان سوريا والكويت وسوسيرا و أمريكا والسودان.

و أثناء تواجد "توفيق المدني" بالسودان رفقة "العباس بن الشيخ الحسين"،و"إسماعيل بورغيدة" وعقده لندوة صحفية يوم 20 أوت 1956م في ختام الزيارة التي وصفها بالناجحة[1]، كانت الثورة تشهد حدثا بارزا رسم مستقبلها حيث تم عقد "مؤتمر الصومام" في منطقة إيفري ببجاية في العشرين أوت 1956 ،ودامت أشغاله إلى التاسع عشر سبتمبر 1956،وحضر أشغاله القادة: "زيغود يوسف" ،"لخضر بن طوبال"،و" مصطفى بن عودة و"علي كافي"،و" روبيح حسين"،" إبراهيم مزهودي" عن المنطقة الثانية ،"وكريم بلقاسم" و"محمدي السعيد"،و"عميروش" و" قاسي"عن المنطقة الثالثة و"عمر أو عمران"و" سليمان دهيليس"و" أحمد بوغرة" عن المنطقة الرابعة ،و"العربي بن مهيدي"عن المنطقة الخامسة و"علي ملاح" عن المنطقة السادسة ،وكان "عبان رمضان" هو الأمين السياسي للمؤتمر ،وهذا في غياب الوفد الخارجي وعدم حضور ممثلي الاوراس[2].

لقد نصّت وثيقة الصومام على تجهيز الثورة بمؤسسات قيادية ،فكان إنشاء لجنة التنسيق والتنفيذ التي تكونت من خمسة أعضاء في أول الأمر وهم " عبان رمضان" و"العربي بن المهيدي" " كريم بن بلقاسم" و"بن يوسف بن خدة" و"سعد دحلب" تمثل هذه اللجنة قيادة الأركان العليا لجبهة التحرير الوطني[3]، واستحداث مجلس وطني للثورة الجزائرية يضم 34 عضوا،منهم 17 عضوا دائمون ،و17 عضوا احتياطيون،ويجتمع المجلس الوطني مبدئيا مرة واحدة في العام بدعوة من لجنة التنسيق والتنفيذ ،ويمكن أن يجتمع استثناء وهو المخول وحده الأمر بوقف إطلاق النار،أو الدخول في مفاوضات، واحتفظ المؤتمر للجبهة بالحق الحصري بالتكلم باسم الجزائر[4].

---

[1] -احمد توفيق المدني :حياة كفاح ،ج3، المصدر السابق، ص ص 176-200.

[2] Benjamin stora ;zakya Daoud :op-cit ; pp264-265.

[3] Ben youcef ben khedda : Abane –ben ,M'hidi :leur apport à la révolution Algérienne, édition ; Dahleb, Alger:2000,P30.

[4] -محمد حربي:الجزائر 1954، 1962جبهة التحرير الوطني الأسطورة الواقع ،ترجمة كميل قيصر داغر ،ط1، مؤسسة الأبحاث العربية ، دار الكلمة للنشر ،بيروت، لبنان: 1983، ص 154.

ووصف الشيخ "احمد توفيق المدني" المؤتمر بقوله:[1](لا اعرف ثورة تمكنت من إحداث ذلك النظام ،و إقرار تلك المسؤولية ،وتحديد تلك الأهداف ،كما نجحت الثورة الجزائرية العملاقة بذلك المؤتمر الصغير في حجمه ،العظيم بأعماله).

وحسب "سليمان الشيخ " فانه بدءا من مؤتمر الصومام اخذ ممثلو التشكيلات السياسية القديمة في الوصول إلى مجلس إدارة الثورة ،وهكذا نلاحظ في المجلس الوطني للثورة أسماء مثل:" فرحات عباس"واحمد فرانسيس" و"احمد توفيق المدني" و"بن يوسف بن خدة"،أما لجنة التنسيق والتنفيذ فنلاحظ إلى جانب من كانوا في رأس انطلاق الثورة كالعربي بن مهدي و"كريم بلقاسم" ظهور أسماء من قدماء المركزيين وهما: "بن يوسف بن خدة"و"سعد دحلب" أما "عبان رمضان" العضو الخامس في اللجنة والمحرك الأول لمؤتمر الصومام ،فكان اقل وضوحا من هذين الأخيرين من ناحية الانتماءات السابقة.

ويرى من جهة أخرى أن إدخال ممثلي التشكيلات السياسة القديمة،ولاسيما الإصلاحيين منهم داخل المجلس القيادي لجبهة التحرير الوطني ،أثار بين المؤتمرين عواصف من المناقشات الحادة ،وقف فيها أنصار القطيعة مع الأحزاب القديمة ،ضد أنصار الانفتاح على رجال هذه الأحزاب ،أي بعبارة أخرى بين من يريد أن تكون جبهة التحرير الوطني طليعية بالمعنى الكامل ،وبين من لا يرى بأسا في التعاون مع قدماء السياسيين ولكن الحل الليبرالي هو الذي غلب الحلول الأخرى[2].

وبالنسبة لتوفيق المدني ،فان مؤتمر الصومام قد أنهى حالة الارتباك في القيادة وحالة الاضطراب السياسي بخضوع الجميع لسلطة مركزية واحدة،وتحددت مناطق النفوذ ومناطق القيادات ،وانتهت فوضى لجنة الستة ،فأصبح هو ورفاقه بالقاهرة يعرفون صفتهم وتحددت وظيفتهم و واجباتهم ،والجهة التي يتبعونها[3].

---

[1] -أحمد توفيق المدني:حياة كفاح،ج3، المصدر السابق، ص ص 230-231.
[2] - سليمان الشيخ :الجزائر تحمل السلاح دراسة في تاريخ الحركة الوطنية والثورة المسلحة ،ترجمة حافظ الجمالي ،منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال ،وزارة المجاهدين، 2002،ص 79.
[3] -أحمد توفيق المدني:حياة كفاح ،ج3، المصدر السابق، ص ص 230-231.

إن دخول المدني في المجلس الوطني للثورة وبين أعضائه الـــ 17 الدائمين، لهو بحق اعتراف بمكانته وأهمية الدور الذي يلعبه حيث أظهر كفاءة عالية ،ودبلوماسية نشطة، وحضورا إعلاميا متميزا في ظرف لا يتعدى الأربعة اشهر ،من وصوله القاهرة.

ووسط أجواء ترديد صدى مؤتمر الصومام يفاجأ الجزائريون ،والرأي العام العالمي بقيام سلاح الطيران الفرنسي بعملية قرصنة جوية باختطاف الطائرة المقلة لوفد جبهة التحرير الوطني وذلك يوم 22 أكتوبر 1956 ،ويتم إلقاء القبض على القادة الخمسة: "احمد بن بلة "محمد خيضر"،" حسين آيت أحمد"،"محمد بوضياف"،"مصطفى الاشرف" الذين كانوا متوجهين من المملكة المغربية إلى تونس لحضور ندوة مغاربية[1].

وعن ظروف سفر هؤلاء القادة ،ووقوع عملية الاحتجاز ،ذكر "توفيق المدني" أنه قبل الحادثة بنحو أسبوع اجتمع في 13 أكتوبر 1956 بمكتب العقيد "فتحي الذيب" المكلف بملف الثورة الجزائرية لدى الاستخبارات المصرية كلا من "أحمد بن بلة" ،"محمد خيضر"،"أحمد توفيق المدني" وخلال اللقاء جرى إبلاغ المسؤول المصري بسفر الرجلين إلى المملكة المغربية ،وهو الأمر الذي حذر منه "العقيد فتحي الذيب "مذكرا "أحمد بن بلة" بان موقف التحذير هذا ،هو نفسه موقف الرئيس "جمال عبد الناصر" كون القيادة المصرية توصلت بمعلومات تفيد بتدبير مؤامرة ضد الوفد ،إلا أن "إبن بلة" أصر على موقفه بالذهاب تلبية لقرار قيادة الثورة[2].

والحقيقة أن المدني وجد نفسه إزاء هذه المحنة وحيدا بالقاهرة يباشر مهام البعثة من أعمال واتصالات ،على اعتبار أن باقي الأعضاء كانوا في مهمات خارج مصر،حيث سافر كل من "محمد الأمين دباغين" و"احمد فرانسيس" إلى تركيا، و"فرحات عباس" و"عبد الرحمن كيوان" إلى أمريكا الجنوبية[3].

[1] Benjamin stora ; zakya Daoud :op-cit p268.-

[2] -احمد توفيق المدني :حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص ص 213-214.

[3] - المصدر نفسه، ص 214.

لقد نظر المدني إلى عملية الاختطاف وسجن القادة الخمسة وخصوصا "احمد بن بلة" و"محمد خيضر"على أنها قد أزالت عقبة في طريق وحدة القيادة،وان الحادثة قد أوجدت إتحادا بين مختلف الجزائريين بما في ذلك الذين لم يشتركوا في إشعال نار الثورة وهم قلة.

ويعتقد مترجمنا أن الرجلين لو بقيا على رأس الوفد لما وافقا كلية على مقررات مؤتمر الصومام أو على جلها ،ولوقع تبعا لذلك خلاف مرير ،كان حتما يضر بمصلحة الثورة ،وبالتالي نجت الثورة من حصول انقسام خطير[1].

والظاهر أن حرص المدني على وحدة القيادة وعلى سمعة الثورة التحريرية وتفويت الفرصة على العدو الفرنسي ،هي الخلفيات التي تتحكم في هذا الرأي ،فالمدني عرف ببعده عن كل المؤامرات وصراع المجموعات ،فهدفه كمناضل شريف خدمة القضية الوطنية لا غير.

وبعد انتشار خبر الاختطاف قام المدني بالتنسيق مع القيادة المصرية،وكان يمثلها الرجلان القويان "فتحي الذيب "و" عزت سليمان"بتحليل الأوضاع فاتضح للجميع عنصر الخيانة والتآمر في وقائع الحادثة ،وقد جرى تبادل النقاش حول آليات التحرك،واتفق على تحديد مخطط هدفه الحفاظ على معنويات جيش التحرير الجزائري واستمرار الثورة[2]

ويذكر "فتحي الذيب" أنه طلب من توفيق المدني القيام بسلسلة من التحركات وهذا بعد اخذ موافقة الرئيس جمال عبد الناصر عليها من ضمنها :

-إذاعة بيان باسم جيش وجبهة التحرير الوطني من إذاعة "صوت العرب" عدة مرات لطمأنة الشعب الجزائري والرأي العام العربي.

-تكليف السيد "توفيق المدني" بإبلاغ مجلس الجامعة العربية، بأن الحادث لا يؤثر في سير الكفاح ،والمطالبة بإعلان التضامن مع الجزائر.

1 -عمار بوحوش:المرجع السابق، ص ص 278-279.
2 -فتحي الذيب :عبد الناصر وثورة الجزائر ،ط1،دار المستقبل العربي للنشر والتوزيع ،القاهرة: 1984 ص 268.

-تكليف توفيق المدني ممثل جبهة التحرير الوطني،بإرسال برقيات إلى السلطات المغربية والتونسية لمطالبتها بالتدخل العاجل وتحمل مسؤولياتها تجاه الزعماء المعتقلين.

-قيام توفيق المدني بعقد مؤتمر صحفي للتنديد بالسلوك الفرنسي ،وإظهار تماسك الجبهة والجيش[1].

والحق أن "أحمد توفيق المدني" قد لعب دورا هاما في هذه التحركات،حيث قام مساء يوم 23 أكتوبر 1956،بإذاعة بيان جبهة وجيش التحرير الوطني عبر أمواج إذاعة "صوت العرب" موجها إلى الشعب الجزائري عدة مرات[2]،مؤكدا فيه ،أن الثورة هي ثورة شعب لا ثورة أفراد ،وأن لديها من الامكانات المادية والأدبية ما يقودها إلى الانتصار.

كما دعا الأمة العربية إلى إعلان الإضراب العام، وهو ما تحقق فعلا يوم 28 أكتوبر 1956،وقد نشر المدني بيانا باسم الدكتور الأمين دباغين"من خلال إذاعة صوت العرب في نفس اليوم شكر أثناءه العرب على وقفتهم التضامنية الشجاعة، ومما جاء في البيان[3]:(أيتها الأمة العربية الماجدة باسم جيش التحرير الوطني وباسم جبهة التحرير الوطني يرفع الوفد الجزائري شكره العميق وامتنانه للأمة العربية في كل أجزاء الوطن العربي الكبير...إن إضراب اليوم كان استفتاء عربيا عاما، أظهر للعالم أجمع متانة الوحدة العربية،لقد ازداد العرب بهذا اليوم اتحادا وازدادت الجزائر بهذا اليوم ثقة بالنصر).

ومن جهته علق "فتحي الذيب" على هذا الإضراب بالقول[4]: (كان قرار الإضراب العام يوم 28 أكتوبر ،تعبيرا واقعيا لوحدة موقف جماهير الأمة العربية،وعن رفضها للاستعمار ومؤامرته ،ووقوفا إلى جانب الثورة الجزائرية...ونجح الإضراب العام، وشمل كافة أقطار وأنحاء الوطن العربي،الأمر الذي جسد وحدة الإرادة الشعبية، وسخطها العام على التآمر الاستعماري).

---

1 -فتحي الذيب :المصدر السابق،ص ص 268-270.
2 - المصدر نفسه، ص 271.
3 -أحمد توفيق المدني: حياة كفاح،ج3،المصدر السابق،ص ص 220-221.
4 -فتحي الذيب،المصدر السابق،ص 280.

وتماشيا مع تطورات الثورة،ووفقا لمبدأ تطوير أسلوب العمل بشكل دائم،تقرر في الثامن مارس 1957 ،تشكيل مكتب القاهرة التابع للبعثة الخارجية لجبهة التحرير الوطني وقد عين "أحمد توفيق المدني" رئيسا له والدكتور "أحمد فرانسيس" كاتبا منسقا، وبعضوية كل من"العباس بن الشيخ الحسين"،"حامد روابحية"،و"عبد الرحمن كيوان"[1].

وقد حددت مهمة المكتب، في القيام بتنفيذ قرارات لجنة التنسيق و التنفيذ فيما يخص العلاقات مع الحكومة المصرية ،الجامعة العربية ،والسلك الدبلوماسي المعتمد بالقاهرة، وكذا الشخصيات والمنظمات غير الحكومية العربية،بالإضافة إلى العمل الدعائي عبر الصحف والإذاعة لصالح الثورة ومتابعة كل ما ينشر ،ويذاع عن القضية الجزائرية ،وتقديم المعلومات والتصحيحات التي من الممكن أن يتطلبها الأمر.

كما يقوم المكتب بنشاطات إدارية تتعلق بوضعية أعضائه، ورجال الوفد بصفة عامة من حيث الإقامة والتنقلات ،والاهتمام بشؤون الطلبة الجزائريين بمصر[2].

وبهدف التعريف أكثر بالجزائر وتاريخها لدى العالم العربي والإسلامي، وفضح الدعاية الاستعمارية التي حاولت فرنسا ترسيخها بفصل الجزائر عن انتمائها الحضاري،أصدر "أحمد توفيق المدني" كتابا بعنوان"**هذه هي الجزائر**"، والذي كان تعريفا وجوابا لكثير من الأسئلة، التي كانت تلقى في مختلف أنحاء العالم[3]،وكان ذلك سنة 1956[*]،ويقول عنه مؤلفه[4]:(أنا لم أكتبه للدعاية ،إنما كتبته تسجيلا للوقائع، وتعريفا علميا بهذا القطر وبهذا الشعب ،هذه الأمة التي أدهشت العالم بجهادها ،وأبهرت الدنيا بشبابها أمام أعظم قوة استعمارية...تشهد على يدها مصرع الظالمين ،وتمزيق آخر صفحة من صفحات الاستعمار).

---

1 -أحمد توفيق المدني:حياة كفاح،ج3، المصدر السابق ،ص 286.
2 - المصدر نفسه ،ص ص 286-287
3 -الجنيد دي خليف ة:"ح وار ح ول كت اب 80 س نة عل ى الجزائر ا لعثماني ة "مجل ة الاص الة، الع دد 20،الجزائ ر: ماي ، جوان 1974 ، ص 225.
4 -محمد الطمار: المرجع السابق ،ص 446.
*- انتهى المدني من تأليف الكتاب في أواخر جويلية 1956 وكان إنجازه بإلحاح من الدكتور "فؤاد جلال" رئيس مؤتمر الخريجين العرب، وقد رسم واجهة الكتاب احد الرسامين اليونانيين.

أما عن نشاط المدني الدبلوماسي ،فقد شمل دوائر عديدة ،فزيادة على علاقاته واتصالاته -منذ دخوله القاهرة في شهر افريل 1956 - بالقيادة المصرية،و"بالرئيس جمال عبد الناصر" شخصيا،كان يعتبر مندوب البعثة لدى الجامعة العربية ،حيث كان يحضر اجتماعاتها ،ويقدم البيانات التي تتضمن الحالة العامة لكفاح الشعب الجزائري، فعلى سبيل المثال حضر اجتماع اللجنة السياسية للجامعة في 09 مارس 1957،وبالمناسبة عرض تقريرا ،لاحظ من خلاله تقصيرا من جانب السفارات والمفوضيات العربية ،فيما يخص الدعاية لصالح القضية الجزائرية[1].

لقد زار المدني معظم الأقطار العربية والإسلامية ،في إطار مهام سياسة ،مشاركا في الندوات ،أو داعيا لمؤازرة الثورة الجزائرية ماليا وسياسيا،حيث زار في الفترة ما بين أفريل 1956 و أفريل 1958 ،كل من ليبيا أربع مرات ،وسوريا والعراق مرتين ،وتونس خمس مرات ،والكويت ولبنان والسعودية والأردن والسودان والمغرب الأقصى واندونيسيا والباكستان وماليزيا وسنغافورة.

والتقى في جولاته بالعديد من القيادات السياسة والشعبية،وقابل معظم الزعماء العرب الفاعلين آنذاك،كالملك " سعود بن عبد العزيز"،والملك "حسين بن طلال"، والأمير عبد الله السالم الصباح ،والملك "إدريس السنوسي"،والرئيس "أحمد سوكارنو"[2].

واستطاع خلال تلك الزيارات وبدبلوماسيته ،وموهبته الخطابية إحداث تأثيرات كبيرة، فكسب تعاطفا واسعا ماديا ومعنويا لصالح الثورة التحريرية.

والواقع انه لا يكمن تتبع نشاطات الرجل الدبلوماسية بالكامل،وتسليط الأضواء عليها بمحطاتها المختلفة لكن حسبنا هنا أن نكتفي و لأسباب منهجية بالتطرق إلى بعض الزيارات التي كان لها صدى طيب، وأسهمت في حل إشكاليات مختلفة اعترضت مسيرة الثورة،وخصوصا على الحدود الشرقية والغربية للبلاد.

---

[1] -أحمد توفيق المدني:حياة كفاح،ج3، المصدر السابق،ص ص 289-292.
[2] - المصدر نفسه 139-371.

والظاهر أن المدني ركز جهوده الدبلوماسية بهذه المنطقة مستثمرا علاقاته الحسنة بدول الجوار لمصلحة الثورة،ويظهر ذلك من خلال رصد حركة الزيارات التي قام بها إلى كل من ليبيا ،وتونس والمغرب.

ففي ليبيا ونظرا لأهميتها في تسهيل مرور الدعم العسكري ،فقد تركزت جهود المسؤولين الجزائريين على تفعيل خطوط إمدادات الأسلحة برا وجوا باتجاه الصحراء الجزائرية ، وعقد الوفد الجزائري الذي تكون أساسا من "توفيق المدني"و"الأمين دباغين" عدة لقاءات مع المسؤولين الليبيين بداية من شهر ماي 1956، والذين استجابوا للمطالب الجزائرية[1].

وبعد العدوان الثلاثي على مصر ،ساءت العلاقات المصرية الليبية نظرا للتواجد الإنجليزي بليبيا ،مما انعكس عل قضية مرور الأسلحة برا،فالحدود بين البلدين أصبحت شبه مغلقة ،وبسبب عدم الاتفاق المصري الليبي على كيفية مرور الأسلحة،انتقل "المدني" مجددا إلى ليبيا في 04- ديسمبر 1956 ، حيث قابل الملك "إدريس السنوسي"و استطاع خلال المقابلة التأثير على موقف الملك الذي أمر بإعادة فتح الحدود ،و إعلان التضامن المطلق مع الجزائر[2].

وأما بخصوص الاتصالات بالمغرب الأقصى،فجدير بالإشارة إلى أن العلاقات بين السلطات المغربية وجبهة التحرير الوطني ،قد شهدت عدة خلافات ،تتعلق بمشاكل الجالية الجزائرية اللاجئة بالمغرب ومسألة إمدادات الأسلحة ،وتنقل عناصر الجبهة داخل التراب المغربي،بالإضافة إلى المطالب الترابية المغربية ،فيما يخص أجزاء من المناطق الجنوبية الغربية للجزائر،علاوة على عدم فهم المغاربة بشكل جيد، للتوجهات الإيديولوجية لجبهة التحرير الوطني.

1 -مقلاتي عبد الله :"الموقف السياسي والدبلوماسي الليبي من الثورة الجزائرية "،مجلة الحوار الفكري،العدد 05، مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية ،جامعة قسنطينة : أوت 2003 ،ص 144.
2 - المرجع نفسه ،ص ص 145-146.

والحق أن "توفيق المدني" ساهم خلال زيارته للمغرب رفقة الأمين دباغين"في شهر فيفري 1957 ومقابلة القيادة المغربية ،وفي طليعتها الملك "محمد الخامس"في إحراز تسوية لإشكالية نقل الأسلحة داخل الأراضي المغربية من طرف عناصر الجبهة[1].

كما شارك في وفد رسمي لجبهة التحرير يقوده"الأمين دباغين" و"فرحات عباس"وممثل الجبهة بالمغرب الشيخ " محمد خير الدين"في لقاء مع ولي العهد المغربي بتاريخ 23 افريل 1957 لدراسة مقترحات أمريكية لحل المشكل الجزائري إلا أن اللقاء آل إلى الفشل لتصلب موقف ممثلي الجبهة وعدم تقديم تنازلات[2].

وعلى صعيد آخر تمكن "المدني" في شهر فيفري 1957 ،أن يقنع المغاربة حول إيديولوجية الثورة ،ويزيل عنها كل ضبابية،حين أكد على توجهاتها الإسلامية والعربية بالقول[3]:(إن الثورة الجزائرية لا تعمل إلا في دائرة الإسلام والعروبة ،ووحدة المغرب العربي).

أما بتونس التي احتضنت الجزائريين لاعتبارات عديدة، فقد مثل جبهة التحرير الوطني مع انطلاقة الثورة "أحمد محساس"، الذي استطاع أن يقيم علاقات قوية مع الحبيب بورقيبة "الرئيس التونسي فضلا عن علاقاته "بأحمد بن بلة"،وعند انعقاد مؤتمر الصومام أشهر معارضته لقرارات المؤتمر مما خلق صعوبات للجنة التنسيق والتنفيذ ،واستغل التونسيون هذا الانشقاق للضغط على الجزائريين،ولذلك أرسل وفد بقيادة "الأمين دباغين"، في 05 ديسمبر 1956 ،لإقناع القيادة التونسية بوجوب التعامل مع القيادة التي أفرزها مؤتمر الصومام ،وعدم الالتفات إلى الدعاية التي يقوم بها "أحمد محساس" ،ويبدو أن الأمر لم يستقر بشكل طبيعي،مما جعل "توفيق المدني"رفقة أعضاء الوفد الآخرين يقومون بجهود حثيثة مع السفير التونسي بالقاهرة السيد" الصادق المقدم"توجت بتغيير موقف الحكومة التونسية ونظرتها لممثلي الثورة"[4].

---

[1] -أحمد توفيق المدني: حياة كفاح،ج3،المصدر السابق،ص ص 336-337.
[2] - المصدر نفسه،ص 340.
[3] عبد الكريم بوصفصاف وآخرون : القيم الفكرية والإنسانية في الثورة التحريرية الجزائرية 54-1962 ،ج1، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية ،جامعة منتوري قسنطينة:2003ص285.
[4] -أحمد توفيق المدني:حياة كفاح،ج3،المصدر السابق،ص 336.

والظاهر أن المشاكل استجدت بين العناصر الجزائرية النشطة على الحدود التونسية،والسلطات التونسية وبرزت أكثر بعد عدوان ساقية سيدي يوسف في 08 فيفري 1958 ، لذلك ولتطويق الموقف سافر "أحمد توفيق المدني" في 05 مارس 1958 الى تونس حيث أجرى عدة اتصالات بقيادات حزبية دستورية ومسؤولين رسميين،توجت بإزالة عقبات الخلاف،وتفويت الفرصة على المخابرات الفرنسية فهدأت الخواطر وعادت المياه إلى مجاريها[1].

والحق أن النشاطات الدبلوماسية والإعلامية التي قام بها "المدني"، وبقية المناضلين وتحركاتهم في اتجاهات عديدة،شكلت أرضية مهدت وهيأت الظروف لميلاد الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية.

المبحث الثالث:نشاطه السياسي والثقافي ضمن الحكومة الجزائرية المؤقتة 1958-1962 م:

لقد آل أمر تشكيل الحكومة المؤقتة إلى لجنة التنسيق والتنفيذ ،وهذا خلال الاجتماع الثاني للمجلس الوطني للثورة الجزائرية،إذ فوضها الإعلان عن ذلك متى رأت الظروف مواتية.

وحسب توفيق المدني"الذي كان عضوا دائما بالمجلس الوطني للثورة ،فإن مشاورات تعيين الحكومة قد شهدت الكثير من الخلافات ،وأن القيادة المصرية لم تكن مؤيدة لقيام هذه الحكومة خاصة وأن الزعامات المقربة منها" كأحمد بن بلة" كانت في السجن ،كما أن العلاقات بين المصريين و"فرحات عباس"، كان تتسم بالفتور،ومستوى الثقة كان متدنيا بين الطرفين ،فالمصريون ينظرون إليه على أنه اختراق سياسي
فرنسي للثورة[2].

---

[1] -احمد توفيق المدني: حياة كفاح ،ج3،المصدر السابق ،ص ص، 366-367.
[2] - المصدر نفسه ،ص 399.

وعن قيام هذه الحكومة يقول "علي كافي"(*):(1) (أنه رغم المأخذ على طريقة تشكيل هذه الحكومة ،إلا أنها اعتبرت حدثا تاريخيا ،وبعثا للدولة الجزائرية ،وانتقاما ساطعا من لطخة سيدي فرج، ذلك أن الشعب المهتم بكل ما يرجع له كرامته ،قد استقبل النبأ بكل حماس وفرحة،إذ للمرة الأولى منذ 1830، تولد حكومة بجهد الشعب الجزائري).

وعلى كل حال ،ورغم الصعوبات المتنوعة ،فقد تم إعلان قيام أول حكومة مؤقتة للجمهورية الجزائرية يوم 19 سبتمبر 1958 بالقاهرة ،والتي حلت محل لجنة التنسيق والتنفيذ(2).

ضمت تشكيلة هذه الحكومة رئيسا ونائبين للرئيس ،وأربعة وزراء دولة، وتسعة وزراء وثلاثة كتاب دولة"(3).

- فرحات عباس رئيس المجلس الوزاري.
- كريم بلقاسم نائب رئيس المجلس ووزير القوات المسلحة.
- أحمد بن بلة نائب رئيس المجلس .
- حسين آيت أحمد وزير دولة .
- محمد بوضياف وزير دولة .
- رابح بيطاط وزير دولة.
- محمد خيضر وزير دولة .
- محمد الأمين دباغين وزير الشؤون الخارجية.
- محمود الشريف وزير التسليح والتموين.
- لخضر بن طوبال وزير الداخلية .
- عبد الحفيظ بو الصوف وزير الاتصالات العامة والمواصلات.

---

1 - علي كافي : مذكرات الرئيس علي كافي ، من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 1946-1962.،دار القصبة للنشر الجزائر: 1999 ،ص 225.

2 -بن يوسف بن خدة: نهاية حرب التحرير في الجزائر اتفاقيات إيفيان ،تعريب لحسن زغدار ومحل العين جبائلي ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر: 1986 ، ص 52.

3- Benjamin stora , zakya Daoud ,op-cit ,P299.

*-علي كافي: ولد بمدينة الحروش بسكيكدة ،درس بالكتانية بقسنطينة ،انتقل إلى جامع الزيتونة سنة 1950 ،وإلتحق صفوف جبهة التحرير سنة 1955 ،شارك في تحضير هجومات 20 أوت 1955 وفي أشغال مؤتمر الصومام،وأصبح قائد للولاية الثانية، وعضوا بالمجلس الوطني للثورة الجزائرية ،وعين في شهر سبتمبر 1961 سفير بالقاهرة ،وبعد الاستقلال وصل أعلى هرم السلطة ،حين أصبح عضوا بالمجلس الأعلى للدولة سنة 1992،تم رئيسا له لمدة سنتين لغاية 1994.

-عبد الحميد مهري	وزير شؤون شمال إفريقيا.
-أحمد فرانسيس	وزير المالية .
-أمحمد يزيد	وزير الإعلام .
-بن يوسف بن خدة	وزير الشؤون الاجتماعية .
-أحمد توفيق المدني	وزير الشؤون الثقافية.
-عمر اوصديق	كاتب دولة.
-لمين خان	كاتب دولة.
-مصطفى أسطنبولي	كاتب دولة.

وكانت الدول التي اعترفت بها في اليوم الأول ،هي الجمهورية العربية المتحدة (مصر+سوريا) العراق ،ليبيا ،الباكستان و اليمن[1].

ثم جاءت الاعترافات من العربية السعودية ،الأردن والسودان ،وقد توالت الاعترافات بها من بلدان القارتين الآسيوية ،والإفريقية[2].

و يتضح من قراءة قائمة أعضاء الحكومة، أن التشكيلة ضمت كل التيارات السياسية التي ذابت في هيكل جبهة التحرير الوطني،ولما كانت الحكومة مقيمة بالقاهرة فلا بد أن علاقاتها واتصالاتها بالقيادة المصرية كانت كبيرة ،وكان مهما جدا لدى القيادة المصرية معرفة انتماءات وتوجهات الأعضاء المشكلين لها،وفيما يتعلق بهذه النقطة فقد قدم "فتحي الذيب" تحليلا لشخصيات وزراء الحكومة المؤقتة إلى الرئيس "جمال عبد الناصر"ويهمنا هنا ما كتب عن شخصية مترجمنا إذ قال عنه[3]: (من أعضاء جمعية العلماء الجزائريين الذين انضموا للثورة بعد قيامها ،مؤرخ عربي الأصل والتفكير والثقافة والاتجاه مخلص لعروبته وبلده ،يقف بعيدا عن التيارات المتصارعة وإن كان يوافق على رأي الأغلبية بغض النظر عن قناعاته الشخصية).

---

[1] -أحمد توفيق المدني: حياة كفاح، ج3، المصدر السابق ،ص 400.

[2]- Benjamin stora , zakya Daoud :op-cit ,p 301.

[3] -فتحي الذيب: المصدر السابق،ص 394.

و المعروف أن المدني أسندت له وزارة الشؤون الثقافية،وعن نشاطاته بها عقب تعيينه فقد ذكر أنه خلال أول اجتماع للحكومة عقد في اليوم الثاني لتأسيسها أي يوم 20 سبتمبر 1958 ،طرح الرجل فكرة رفع الحجر الذي ضربته جبهة التحرير الوطني على جامعة الجزائر ،يوم نادت الطلاب إلى إضراب 19 ماي 1956م والتخلي عن الدراسة في المدارس الحكومية ،والالتحاق بصفوف جيش التحرير الوطني، وهو ما صادق عليه الاتحاد العام للطلاب الجزائريين ،وقد قامت فيما بعد لجنة التنسيق والتنفيذ في شهر أكتوبر 1957،بإصدار قرار يقضي بالسماح لتلاميذ الثانويات باستئناف دراستهم، وابقت الحظر على طلاب جامعة الجزائر ،لذلك طالب المدني من مجلس الحكومة المؤقتة إعلان رفع الحجر، وهو ما تقرر فعلا وتجسد في شهر أكتوبر 1958 ،وهذه المبادرة كانت أبعادعها ترمي إلى إعداد إطارات الاستقلال"[1].

وبعد شهرين ونصف من تشكيل الحكومة ،أجرت جريدة "المجاهد" حوارا مع السيد الوزير أحمد توفيق المدني، أكد خلاله أن الوزارة قد قامت بدراسة المشاكل التي تواجه الطلبة الجزائريين في جميع مراحل التعليم، وعبر مختلف البلدان العربية والأوربية ،وأنها قررت تأمين وسائل العلاج الطبي والمأوى للطلبة الجزائريين المتواجدين بمصر،وتونس،والمغرب،وسوريا ،كما شكّلت لجنة علمية وفنية لدراسة برامج التعليم في الجزائر في المستقبل بما يتماشى وأرقى مناهج التعليم العصرية[2].

والحق أن مترجمنا ،قد أعطى عناية خاصة لتكوين الطلبة في مختلف التخصصات والاستفادة من التجارب العالمية،تحضيرا للمستقبل،حيث قال في هذا الإطار[3]:("أريد أن أرى في جزائر الغد القريب ،طائفة صالحة متخرجة من كل جامعات الدنيا ،من أقصى مشرقها لأقصى مغربها ،حتى نتمكن من الإفادة من مجموع أوجه النشاط الفكري والعلمي في العالم ،ونأخذ من كل طريقة أحسنها وأكثرها فائدة للقطر الجزائري).

وبخصوص النشاطات السياسية للحكومة فقد واجهت هذه الأخيرة إحدى أخطر المؤامرات للإطاحة بها ،تزعمها "العقيد العموري" مسؤول الولاية الأولى ومجموعة من

[1] -أحمد توفيق المدني :حياة كفاح ،ج3، المصدر السابق ، ص ص 404-405.
[2] -جريدة المجاهد: العدد 33، 08 ديسمبر 1958،ص 11.
[3] -نفس المكان .

الضباط بتشجيع وتواطؤ من النظام المصري حسب تقديرات البعض ،هذا النظام الذي لم يكن ينظر بعين الرضى لبعض العناصر المشكلة للحكومة ،وخاصة رئيسها "فرحات عباس" الرافض للديكتاتوريات العربية،والمتهم بميولاته للغرب، وقد اكتشفت تلك المؤامرة بمساعدة المخابرات التونسية ،وأقيمت محكمة عسكرية ترأسها العقيد "هواري بومدين"،وتم الحكم بإعدام "العقيد العموري" وبعض معاونيه في شهر مارس 1959[1].

وبالنسبة لموقف المدني من هذه الحادثة ،فيذكر أنه لم يعلم كيف وقعت المحاكمة،التي تولاها وزير الحرب" كريم بلقاسم" خاصة مبرزا أن الحادثة خلفت تأثيرات عميقة ،حيث تعكرت الحالة بين الوزراء المدنيين والعسكريين في الحكم ،وازدادت شقة الخلاف بينهما[2].

وفي شهر جانفي 1959 تعرضت الحكومة المؤقتة إلى هزة أخرى ،أو ما اشتهر بقضية "عميرة" وهذه الشخصية تعد أحد أعضاء حزب الشعب الجزائري،وصديقا مقربا من "الأمين دباغين" ،وكان يشغل منصبا في ممثلية الحكومة ببيروت ،ومن موقعه أخذ يشن حملة ضد الحكومة المؤقتة ،وبعد استدعائه إلى القاهرة في مطلع سنة 1959، انطلق في حملة ضد "فرحات عباس"جمعت بين الإساءة الشخصية والتنديد السياسي وتتطور الأمور وتشتد الخصومة ويسقط ميتا بالقرب من مقر الحكومة المؤقتة بالقاهرة فاندلعت حرب الكتل ،وزاد الصراع بين "الآمين دباغين"ورئيس الحكومة "فرحات عباس"وعبر هذه القضية حاولت السلطات المصرية تفجير الحكومة المؤقتة"[3].

والواقع أن الشيء الايجابي، والملفت للانتباه في حركية الثورة، أن هذه الصراعات والمشاكل ،ظلت على مستوى القيادة،ولم تنزل إلى الشارع الجزائري الذي ربما سمع ببعضها همسا دون أن يكون لها صدى مؤثر على تجنده والتفافه حول زعماء ثورته، وبالمقابل لم تقف في طريق ممارسة ممثلي الكفاح الجزائري لنشاطاتهم الدعائية لصالح القضية الجزائرية.

---

[1] -عز الدين معزة: المرجع السابق ، ص ص 243-244.

[2] -احمد توفيق المدني: حياة كفاح، ج3، المصدر السابق ص 406.

[3] -محمد حربي: الجزائر 1954-1962، جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع ،المرجع السابق ص 203.

والحقيقة أن أعضاء الحكومة ومن بينهم" توفيق المدني"قد قاموا بمعركة دبلوماسية حقيقية لكسب الاعتراف العالمي بها، كممثل للثورة الجزائرية، ومفاوض وحيد، مع السلطات الاستعمارية الفرنسية ولبلوغ هذه الغاية تحرك الوزراء في جميع أصقاع العالم.

وفي هذا الإطار زار المترجم له، بلدان المغرب العربي حيث انتقل إلى ليبيا،رفقة رئيس الحكومة "فرحات عباس" وعدد من الوزراء في أواخر عام 1959، وحظي الوفد باستقبال جماهيري ورسمي كبير عبّر عن مساندة الشعب الليبي المطلقة ،وقد لمس اهتمام الليبيين باللاجئين من أبناء المجاهدين، فقال منوها[1]:(أن هؤلاء الأشبال ،وديعة غالية لديكم،وأننا لعاجزون عن شكركم عما قمتم به، نحو قضيتنا التي هي قضيتكم).

وكان المدني قد زار تونس في أوائل شهر ديسمبر 1958،وقضى بها أسبوعا درس خلاله مشاكل الطلبة المادية والتنظيمية،وهو نفس الأمر الذي فعله في المملكة المغربية في أواخر شهر مارس 1959 ،وقد تدارس مع العقيد "هواري بومدين" مشاكل الجبهة الغربية وذكر أنه تمكن من إقناع محدثة الذي وجه انتقادات كبيرة للحكومة المؤقتة فيما يتعلق بمسألة التموين بالعتاد والسلاح[2].

وتوالت زيارات المدني للبلدان العربية في الفترة ما بين مارس 1959 إلى ماي 1959 ،حيث زار كل من السعودية التي حصل بها على مساعدات مالية هامة، وتلقى بارتياح خطاب الملك السعودي"سعود بن عبد العزيز الذي قال للوفد الجزائري[3]:(أنتم تدفعون ضريبة الدم، ونحن ندفع ضريبة المال، والله يوفقنا جميعا).

كما زار الكويت ولبنان والسودان،والعراق،هذا الأخير حصل به على إمدادات كبيرة من الأسلحة ومبالغ مالية هامة.

والواقع أن قيمة المساعدات المالية والعسكرية الممنوحة من قبل هذه البلدان للجزائر، قد إتسمت بالتفاوت ،وهذا حسب إمكانات كل بلد،إلا أن الملاحظ هو تعادل

---

[1] -جريدة المجاهد: العدد 37-25 فيفري 1959.
[2] -أحمد توفيق المدني: حياة كفاح، ج3، المصدر السابق ،ص ص 407-415.
[3] - المصدر نفسه ،ص 414.

المواقف واشتراكها في التضامن الشعبي والرسمي والتدعيم الدبلوماسي للقضية الجزائرية.

أما خارج الوطن العربي ،فقد كانت الصين الشعبية بثقلها البشري ،ووزنها السياسي والعسكري أول دولة تعترف بالحكومة المؤقتة خارج الدائرة العربية والإسلامية ، وذلك بعد ثلاثة أيام من تشكيلها ،أي في 22 سبتمبر 1958،ولقد اعتبر القائد الصيني "ماوتسي تونغ" في تصريح له[1]:(بأن تشكيل الحكومة المؤقتة ،كان تعبيرا عن إرادة الشعب الجزائري غير المساومة مع الاستعمار).

وتثمينا لهذه المواقف أصبحت الصين محل اهتمام من طرف قادة الثورة ،وشكلت وجهة للوفود الجزائرية،ومن ذلك زيارة "توفيق المدني و" بن يوسف بن خدة" لها بمناسبة العيد العاشر للثورة الصينية في أكتوبر 1959،وتمثيل الجزائر في الاحتفالات المخلدة حيث حصل الوفد على مساعدات مادية قيمة لمصلحة اللاجئين ،وعلى تأييد سياسي[2].

إن قائمة الرحلات والزيارات الرسمية عززت موقف الحكومة المؤقتة من الوجهة الدولية ،جلبت لها مساعدات مادية هامة،وهكذا فان النضال على الجبهة الخارجية اتاح للحكومة المؤقتة بعد انقضاء سنة كاملة على وجودها ،أن تسجل تقدما ملحوظا وأن تحضر دورة الأمم المتحدة لسنة 1959 مع بعض التفاؤل[3].

أما على صعيد العمل،والتجانس داخل الحكومة المؤقتة وعلاقاتها بقيادات الداخل فيبدو أن الأمور لم تكن على ما يرام ،ويظهر اختلال الحكومة أثناء الجلسة الشهيرة التي عقدت بالقاهرة في 29 جوان 1959 ، في غياب "محمد الأمين دباغين " الذي كان في وضعية استقالة نظرية لخلافاته مع رئيس الحكومة "فرحات عباس"[4].

لقد عرض المدني في مذكراته ،مختلف المواقف من نشاط الحكومة المؤقتة ،والتي اتفق معظمها على عدم قدرة تلك الحكومة على الاستجابة الفعالة لتطلعات الشعب

---

[1] -إسماعيل دبش:السياسة العربية والمواقف الدولية تجاه الثورة الجزائرية 1954-1962، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع ،الجزائر:2000 ،ص ص 146-148.
[2] -جريدة المجاهد: العدد 53-54 ، نوفمبر 1959.
[3] -سليمان الشيخ: المرجع السابق،ص95.
[4] -علي كافي : المصدر السابق،ص 236.

الجزائري،فظهرت عاجزة عن مواجهة المشاكل المتفاقمة يوما بعد يوم، ومما قال "لخضر بن طوبال"احد العقداء الثلاثة الأقوياء ،ملخصا حالة الحكومة[1]:(لنا إحدى عشرة وزارة، تمثل إحدى عشرة حكومة...فالجيش يحارب في الداخل كأنه لا توجد سياسة ،ونحن نعمل السياسة كأنه لا توجد حرب، فأصبحنا بذلك حكومة غير جزائرية، وصرنا نلقي التصريحات جزافا، فظهرت خلافاتنا...إن الثورة في قلق).

وبالنسبة لتوفيق المدني فقد اعتبر حالة اللا انسجام وقعت اضطرارا ،حيث إن الوزراء المدنيين،وجدوا أنفسهم في عزلة عن العسكريين ،وبالتالي لا اطلاع لهم على حقيقة الوضع داخل البلاد ،منتقدا في نفس الوقت انفراد العسكريين بالإجراءات التي يجهلها أحيانا حتى رئيس الحكومة نفسه[2].

وخلال نفس الجلسة (29 جوان)،وجه "عبد الحفيظ بوالصوف" انتقادا شديدا إلى المدني، قائلا[3]: (أن الطلبة الجزائريين الذين يتخلفون عن المعركة ،ويتوارون عنها،وهم يلتفون حولك، وأنت تحميهم وتكون لهم المنح الدراسية ،وتنشطهم على الفرار من المعركة هؤلاء الطلبة المنبثون في كل بلاد، لهم ضلع كبير في هذه الحالة السيئة).

وردا على هذه الاتهامات ،دافع مترجمنا عن الطلبة موضحا أن وزارته على استعداد لإقحام هؤلاء في المعركة ،إذا صدر قرار بذلك مع تحميل الجميع المسؤولية التاريخية،ويتفق "سليمان الشيخ" مع ما ذهب إليه المدني من أن هذه الحكومة التي تمثل ظاهريا صورة الكيان الموحد ،فإنها تكشف من الداخل عن عدم تجانسها ،وعلى أنها ثمرة توازنات ووحدة ظرفية مصطنعة[4].

وخلال شهر اكتوبر 1959 وبتونس اقترح العقيد "عبد الحفيظ بوالصوف" تعيين مجلس وطني جديد للثورة الجزائرية "بالاضافة الى رغبة "كريم بلقاسم" الشديدة في تولي الرئاسة[5].

---

[1] -أحمد توفيق المدني :حياة كفاح،ج3،المصدر السابق، ص 438.
[2] - المصدر نفسه، ص 440.
[3] -نفس المكان.
[4] -سليمان الشيخ:المرجع السابق ،ص 407.
[5]- Benjamin stora , zakya Daoud :op-cit ,P322.

انعقد المجلس الوطني للثورة الجزائرية ،في دورة جديدة خلال الفترة ما بين 16 ديسمبر 1959 الى 18 جانفي 1960، دامت جلساته 33 يوما،وكانت معتركا صاخبا حقيقيا سيطرت فيه الاتهامات الشخصية[1].

ولقد تم استبعاد كل من "الأمين دباغين" و" احمد توفيق المدني"و"محمود الشريف"و"محمد البجاوي" و"صالح الوانشي" و"عبد المالك تمام"من هذا المجلس الجديد[2].

انبثق عن اجتماع المجلس تكوين حكومة مؤقتة ثانية، عهدت رئاستها إلى "فرحات عباس"وفي يوم 22 جانفي 1960، عقد مجلس الحكومة المشكلة حديثا أول جلسة له عين خلالها احمد توفيق المدني سفيرا في القاهرة[3].

وهكذا صدر القرار في 17 فبراير 1960 بتعيينه رئيسا للبعثة الجزائرية بالجمهورية العربية المتحدة ،زيادة على قيامه بتمثيل الجزائر بصفة دائمة لدى جامعة الدول العربية بدرجة سفير[4].

وتعليقا على هذا التعيين كتب المدني في مذكراته[5]: (وهكذا أصبحت مضطلعا ولحسن الحظ بمسؤولية محددة ،أقوم بها بعيدا إلى حد ما عن الدسائس والفتن والمناورات...ودخلت في الوسط الدبلوماسي من أوسع أبوابه)

وبعد تغيير الحكومة خلال مؤتمر طرابلس،المنعقد بين 09-27 أوت 1961 تم تكليف "علي كافي"برئاسة بعثة القاهرة،في حين استقل المدني بتمثيل الجزائر لدى جامعة الدول العربية، وأثناء نشاطه الدبلوماسي بها، سجل موقفا صلبا تجاه المطالب التونسية في الأراضي الجزائرية، حين طالب " الحبيب بورقيبة" سنة 1959، بمراجعة الحدود بدعوى هضم حقوق تونس، وهي المطالب التي تجددت سنة 1961، ولذلك فقد حذر المدني ممثلي الدول العربية من أي تجاوب أو قبول للطرح التونسي قائلا[6]:(أقول لكم إن كل تأييد

---

1 -محمد حربي: الجزائر 1954-1962 جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع ،المرجع السابق،ص ص 207-209.
2 - المرجع نفسه ، ص 206.
3 -فرحات عباس:تشريح ثورة – الفجر،نقله إلى العربية عبد الوهاب شلالي ، بلا مكان ، بلا تاريخ ،ص ص 320-321.
4 -أحمد توفيق المدني :حياة كفاح ، ج3، المصدر السابق، ص ص 499-500.
5 - المصدر نفسه، ص 500.
6 - المصدر نفسه،ص ص 500-502.

لمطلب تونس في صيغته الحالية،إنما هو وقوف علني ضد الثورة الجزائرية، وضد أهدافها وضد مجاهديها ،والجزائر لا تتسامح أبدا مع أي معتد عليها ،وعلى ترابها ولو كان شقيقا أو صديقا)

والحقيقة أن المدني ،كان إلى جانب عمله الدبلوماسي،مشاركا في التعبئة المعنوية والإعلامية بما فيها الأيام والأسابيع الخاصة بالتضامن مع الشعب الجزائري و من ذلك الاحتفال بالذكرى السادسة للثورة نوفمبر 1960 ، الذي أقيم بمصر وحضره الرئيس "جمال عبد الناصر"وبالمناسبة أكد المدني[1]:(أن الشعب العربي في الجزائر قضى حياته منذ العصور الأولى مكافحا دون أن يستكين للمستعمر،فإذا غلبته القوة يوما تربص بمغتصبيه ،ثم ثار وأشعل النار ليعيش عيشة الأحرار، فالجزائريون يعرفون طريق الموت ويعرفون طريق النصر، ولكنهم لا يعرفون طريق الخضوع والاستسلام).

وهكذا واصل المدني نشاطه بالجامعة العربية مشاركا في أعمال لجنتها السياسة متتبعا تطورات القضية الجزائرية إلى غاية إعلان الاستقلال في الخامس جويلية 1962 وعاد توفيق المدني إلى الجزائر يوم 15 جويلية 1962 ،مع أفراح الاستقلال قصد تتويج النضال بضم الجزائر رسميا إلى جامعة الدول العربية ، فوجد البلاد على وقع الخلافات المترتبة بعد عقد مؤتمر طرابلس في شهر جوان 1962.

وخلال تواجده بالجزائر وصف لقاءه "بابن يوسف بن خدة"بأنه كان حزينا فالخلاف قد مزق جسم القيادة ،فجماعة تيزي وزو بزعامة "كريم بلقاسم" تدعي بأنها هي الحكومة وجماعة المكتب السياسي بتلمسان وبزعامة "أحمد بن بلة" تعلن أنها هي الحكومة، بينما كان "ابن خدة" ومن معه يصرخون بصوت ضعيف بأنهم الحكومة الشرعية[2].

والظاهر أن مترجمنا تأكد بان كفة ميزان القوة أضحت في يد جماعة المكتب السياسي بقيادة " ابن بلة" و" هواري بومدين"، فانتقل إلى تلمسان وهناك حصل على تفويض مطلق، لطلب انضمام الجزائر إلى جامعة الدول العربية ،وهو الأمر الذي قام به

[1] -إسماعيل دبش: المرجع السابق،ص ص 69-70.
[2] -أحمد توفيق المدني: حياة كفاح ،ج3، المصدر السابق ،ص 577.

في القاهرة يوم 08 أوت 1962 ،ومما جاء في كلمته بعد قبول العضوية[1]:(أن دخول الجزائر عضوا كاملا في حقل العائلة العربية الكبرى ،متمثلة في جامعة الدول العربية،إنما هو تتويج مشرف لجهاد دام في أرض الجزائر قرنا وثلث قرن)

وبعد أيام تلقى المدني رسالة من "محمد خيضر" دعاه من خلالها إلى العودة بسرعة إلى البلاد ،ليتم تعيينه رسميا يوم 28 سبتمبر 1962 وزيرا للأوقاف[2] بأول حكومة يتم تشكيلها بعد استعادة السيادة الوطنية.

1 - أحمد توفيق المدني: حياة كفاح ،ج3، المصدر السابق، ص 580.
2 - المصدر نفسه، ص 584.

خاتمة:

في نهاية الفصل يمكننا أن نخرج بالنتائج الآتية :

أولا : احتضان الشيخ "أحمد توفيق المدني" الثورة الجزائرية منذ إعلان انطلاقتها ، و إقحام صحيفة الجمعية الرسمية البصائر في مسرح المعركة ،بالتزام خط مرونة ظاهرية لإبقائها صوتا يوازي طلقات بندقية المجاهدين ، و تجنده رفقة قيادات الجمعية لخدمة الأهداف الكبرى للثورة التحريرية .

ثانيا : الاستجابة الطوعية لأوامر جبهة التحرير الوطني ،برفض أي شكل من أشكال التفاوض السري مع العدُّو رغم بعض المحاولات التي قام بها هذا الأخير لجس نبض الفاعلين في الساحة الجزائرية .

ثالثا : التحاقه بالوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني بالقاهرة ،و اعطاؤه دفعة قوية للحرب الإعلامية و الصحفية للثورة ،بحضوره الدائم و الفعال في أكثر من موقع مشاركا و منشطا لمؤتمرات صحفية ، و أيام إعلامية ، و احتفالات أعياد الثورة ، و إعداد الرسائل الإذاعية لعرض القضية الوطنية ،و كسب تأييد العالم العربي و الإسلامي، و الرأي العام الدولي ، و تكذيب الدعاية الفرنسية المشككة في حقيقة الثورة و هويتها .

رابعا : تقلده مسؤوليات سياسية و دبلوماسية و ثقافية هامة و على أعلى المستويات في مؤسسات الثورة ،كعضويته الرسمية في المجلس الوطني للثورة الجزائرية ، و قيادته لوزارة الثقافة لأول حكومة مؤقتة للجمهورية الجزائرية ، و تمثيله الجزائر دبلوماسيا لدى جامعة الدول العربية ،و الحكومة المصرية بفعل ما أظهره من كفاءة شخصية و حنكة سياسية .

خامسا : التفاني بإخلاص في خدمة أهداف الثورة و عدم التورط مع العدُّو في أية اتصالات مشبوهة ،أو قبول بمشاريعه الهادفة إجهاض الثورة ،و البقاء بعيدا عن جميع أشكال الصراعات الشخصية و الفئوية و المؤامرات و الدسائس التي وقعت بين قيادات الثورة ،إذ ظل يُمثل الخط الأصيل المدافع عن تضحيات الشعب الجزائري .

الفصل السادس

أحمد توفيق المدني و الجزائر المستقلة 1962 – 1983م

المبحث الأول : وظائفه الرسمية في أجهزة الدولة

المبحث الثاني : موقفه من القضايا الوطنية الكبرى

المبحث الثالث : مذكرات حياة كفاح و ردود الفعل الوطنية

المبحث الرابع : رد على رد.

المبحث الخامس : صدى وفاته

يغطي هذا الفصل نشاطات المدني خلال مرحلة الاستقلال و إلى غاية وفاته في مطلع الثمانينيات من القرن العشرين ، إذ يسلط الأضواء على أعماله كرجل دولة مارسَ مسؤوليات سياسية و دبلوماسية في أعلى هرم السلطة ، فقد كان أول وزير للأوقاف في الجزائر المستقلة ، حيث خاض تجربة رائدة في بعث معاهد التعليم الأصلي التي شكَّلت نموذجا حيا لإرادة الحفاظ على مقومات الشخصية الجزائرية ، و جاءت وسط تجاذبات أيديولوجية كبيرة بين المناصرين و المعارضين من المحسوبين على التيار التغريبي .

ثم صار سفيرا في عدة بلدان عربية و إسلامية ،خدم أثنائها صورة الجزائر على الساحة الخارجية بنزاهته و إخلاصه للألوان الوطنية ، و أهَّلته كفاءته لخلافة العلاَّمة البشير الإبراهيمي بأهم فضاء علمي عربي و هو مَجْمَع اللغة العربية بالقاهرة .

و لم تكن الممارسة السياسية و الدبلوماسية عائقا في وجه حركة التأليف التاريخي فقد تواصل إنتاج الرجل ، و أضحى الباحث النشط بالمركز الوطني للدراسات التاريخية ،الذي شكَّل استمرارية لرسالته في بعث الذاكرة الجماعية للجزائريين ، و التي انطلقت في عشرينيات القرن الماضي.

فما حقيقة مساهمته في استعادة جزء هام من الذاكرة الوطنية ؟.

و وسط هذه الحيوية سنحاول معرفة بعضا من مواقفه بخصوص القضايا الوطنية الكبرى ،و لا سيما ما تعلَّق منها بالنهج الاقتصادي و مسألة التعريب، وهي المسائل التي أثارت نقاشات حادة لا يزال بعضها مفتوحا إلى اليوم .

و في هذا الصدد لنا أن نتساءل هل كانت مواقفه من قضية الاشتراكية و المناداة بالتعريب نابعة من قناعات شخصية ؟ أم كانت مجاراة للخط السياسي العام الذي سار عليه النظام الحاكم آنذاك ؟

و لا يمكن أن نختم هذا الفصل دون تحليل خلفيات حملة النقد التي تعرَّض لها في سنوات حياته الأخيرة بعد إصداره لمذكراته التي مثَّلت خلاصة مُركزة لنضال ناهز السبعين عاما ، إذ سنحاول تقديم إجابات لكثير من النقاط التي أثارت جدالا واسعا بين مترجمنا و منتقديه من المنتسبين إلى حركة العلماء .

فهل كانت حملة النقد مؤسسة على قدر من الموضوعية و متصفة بالروح العلمية ؟ أم أنها مجرد تحاملات و تصفية حسابات تفتقر إلى الأدلة و الشواهد ؟

المبحث الأول : وظائفه الرسمية في أجهزة الدولة

في الخامس جويلية 1962م انتهى رسميا الليل الاستعماري الطويل،و استعادت الجزائر سيادتها بعد تضحيات جسام دفع خلالها الشعب الجزائري مليونا و نصف المليون من الشهداء ثمنا للحرية ، و أخذ السياسيون و العسكريون في العمل معا من أجل تجهيز الدولة بمؤسسات سياسية و إدارية ، و هذا وسط حقل ملغم من الصراعات و المؤامرات و تباين الإيديولوجيات ، مع التركة الثقيلة التي خلفتها سنوات حرب التحرير على كافة الجبهات .

إنَّ أولى المؤسسات السياسية التي شرع في تكوينها،كان المجلس الوطني التأسيسي و لقد اختلفت الآراء حول طريقة إجراء الانتخابات ،و توفير الظروف المناسبة لها، و رغم الصعوبات الكبيرة جرت الإنتخابات يوم 20 سبتمبر 1962م بمشاركة 196 مرشحا ، و كانت مشاركة الشعب الجزائري واسعة آملا منها الخروج من دوامة العنف، و شبح الحرب الأهلية ،حيث فاقت نسبة التصويت 81% ، فالشعب عبَّر بصدق عن رغبته في بناء مؤسسات الدولة الجزائرية[1].

و لقد كان الشيخ "أحمد توفيق المدني" من الشخصيات التي أصبحت عضوة في المجلس التأسيسي الذي عُيّن لرئاسته "فرحات عباس" ، و ضم شخصيات عديدة منها "إبن يوسف بن خدة "،" لخضر بن طوبال "،" سعد دحلب "،" أحمد بن بلة " ، "بلعيد عبد السلام " ، " أحمد مدغري " ، " هواري بومدين " ، " بشير بومعزة " ، " محمد خميستي " " الطاهر الزبيري " ، " رابح بيطاط " ، " محمد السعيد " ، " أحمد فرانسيس " و " أحمد بو منجل "

و الواقع أنَّ المكتب السياسي لجبهة التحرير الوطني، هو الذي اختار المرشحين لعضوية المجلس علاوة على الرئيس[2].

[1] Ali Haroun : L'été de la Discorde -Algérie 1962 , édition Casbah , Alger : 2000 , p 198
[2] Benjamin Stora , Zakia Daoud : op – cit , pp 369 – 370 .

تم انتخاب فرحات عباس يوم 25 سبتمبر 1962م رئيسا للمجلس الوطني التأسيسي و في نفس اليوم و خلال الجلسة الأولى للمجلس أعلن عن قيام الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية [1].

و في يوم 26 سبتمبر انتخب المجلس أول[*]حكومة للجزائر المستقلة برئاسة " أحمد بن بلة " و أصبح "المدني" وزيرا للأوقاف[2].

و يذكر "توفيق المدني" أنه كان بالقاهرة يمارس مهامه كسفير لدى الجامعة العربية فاتصل برسالة مستعجلة من " محمد خيضر " دعي من خلالها إلى القدوم للجزائر، و أورد نص الدعوة قائلا[3]:(تقديرا لجهادك،و اعترافا لماضيك و تضحياتك ، و استثمارا لعلمك و جهودك الصادقة في سبيل الحرية فقد قرر الحزب أن تضطلع معنا بالحكم).

لقد جاء إنشاء وزارة الأوقاف بالجزائر،على غرار ما كان متبعا في بلدان عربية أخرى حيث كان المغرب الأقصى أول من أسس وزارة الشؤون الإسلامية ،و اقتفت أثره مصر و الكويت و الجزائر ، و إذا كان يبدو أنَّ الهدف المباشر من إنشائها لا يتجاوز مدلول التسمية أي الإشراف على أملاك الوقف[4]، فإن مترجمنا قد أعطاها أبعادا أخرى.

و الحق أنَّ "المدني" اجتهد كثيرا في عصرنة وزارته، حيث أجرى تعديلات على الهيكلة الإدارية و أعطاها صبغة تنظيمية ، فكانت نموذجا في التسيير الإداري لباقي الوزارات فيما يتعلق بالانضباط و النظام[5].

و الملاحظ أنَّ الوزير"المدني" نشط في عدة اتجاهات، فقد تم في عهده إصلاح المساجد التي دُمِّرت من قِبل سلطات الاحتلال الفرنسي ، و الانطلاق في تشييد مساجد جديدة و ذلك ضمن خطة الوزارة الهادفة إلى بعث النهضة الدينية في البلاد ، و العناية بالقيم الروحية للشعب الجزائري ،انطلاقا من أن المساجد لا تنحصر مهمتها في إقامة

---

[1] Journal officiel : 1ére anneé , N° 01 , 26 octobre 1962 , p 05 .

[2] Ibid, p 13 .

[3] أحمد توفيق المدني: حياة كفاح ، ج3 ، المصدر السابق ، ص ص 583 – 584 .

[4] علال الفاسي :" نهضة التعليم الأصلي في الجزائر"، مجلة الأصالة،العدد 07 ،الجزائر : مارس أفريل 1972 ص 89 .

[5] محمد إسلام المدني : مقابلة شخصية ، الأبيار ، العاصمة: 02 جويلية 2006 .

*- عن تشكيلة الحكومة الأولى أنظر الملحق رقم 14.

شعائر الصلاة و طقوس الوعظ و الإرشاد ،و إنما هي قبل كل شيئ مدارس لتربية الشعب ، و توجيهه إلى سبيل الخير و التعاون في شتى ميادين الحياة و العمران"[1].

لقد وضعت الوزارة مشروع قانون الأوقاف و تنظيمها و تنميتها ، و التصرف في مواردها ،و عملت على حصر و تسجيل جانب هام من الأوقاف الإسلامية ،مستعينة في ذلك بالمفتشيات التي أنشأتها في مناطق الوطن[2].

في 18 أكتوبر 1962م قام "المدني" بفتح جامع كتشاوة و إنزال الصليب منه، وأديت فيه أول صلاة جمعة في نوفمبر 1962م بإمامة الشيخ " البشير الإبراهيمي" للناس فكانت صلاة جمعة تاريخية بحضور أركان الدولة و وفود إسلامية ، و هكذا توالى تحرير المساجد عبر أنحاء القطر الجزائري ، و كانت لعملية الاسترجاع هذه دلالاتها الخاصة[3].

و ما ميَّز عهد الوزير "أحمد توفيق المدني" هو إنشاؤه للمعاهد الإسلامية ،أو ما عرف بمعاهد التعليم الأصلي لأول مرة بالجزائر ، و هو يقول عن ذلك[4]:(إنَّ هذه المعاهد ابتكر فكرتها "أحمد توفيق المدني" في شيخوخته ،لكنه ما أنشأها بنفسه و ما استقل بها بل هي أصبحت فكرة الدولة الجزائرية).

و لما كانت "للمدني" علاقات جيدة ببلدان المشرق و خاصة مصر، فقد اتجه إلى القاهرة لجلب الأساتذة المختصين في العلوم الإسلامية و اللغة العربية من الأزهر، و استطاع أن ينجز 17 معهدا إسلاميا[5].

و تعليقا على هذه التجربة، اعتبر"محمد الميلي" أنَّ تطوير هذا التعليم الأصلي كان في حد ذاته معقولا ،فهو رد على الاستعمار، و تأصيل للشخصية الجزائرية ، كما أتاح الفرصة لعدد من التلاميذ و الطلبة لم يكن بوسعهم ولوج إطار التعليم العام، إلا أنه أشار إلى نقطة هامة ربما مثلت إحدى السلبيات، و تتعلق ببعض الأفكار التي نشرها الأساتذة

---

[1] سليمة بو عسيلة : مجلات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف بالجزائر من ماي 1963 إلى أكتوبر 1999م، دراسة وصفية و تاريخية ، مذكرة ماجستير ، قسم الإعلام و الإتصال ، جامعة الجزائر : 2001 ، ص 97 .

[2] نفس المكان .

[3] البشير الإبراهيمي: آثار الإمام البشير الإبراهيمي،ج5، (1954– 1964)، تحقيق أحمد طالب الإبراهيمي ،دار الغرب الإسلامي،بيروت:1997 ص 306 .

[4] أحمد توفيق المدني:" الإسلام سلاحنا في المعركة"،مجلة المعرفة،العدد 13،الجزائر:جويلية 1964 ، ص 115 .

[5] فاطمة تازير: فضيلة تكور: المرجع السابق ، ص 08 .

الأجانب حين قال[1]:(و إذا كان من بينهم أساتذة أجلاء،فقد كان من بينهم أيضا من كان يشعر بفشله في حل إشكالية الأصالة و المعاصرة ببلاده،فحمل معه عقدا و مركبات حرمان عملت بعض عملها في شباب بكر).

و يعترف الشيخ "أحمد توفيق المدني" بأنَّ الجزائر كانت تعيش صراعات حقيقية بين الوطنيين المحافظين على الشخصية الجزائرية ،و بين التغريبيين ، و صرخ بمدينة بوسعادة في اليوم 27 من جويلية سنة 1964م بمناسبة اختتام السنة الدراسية بمعهد الوزارة قائلا[2]:(عندنا في الجزائر رجال يحاربون الله و رسوله،يقولون أوروبا هي الإيمان،الغرب هو القبلة،علم الغرب هو الهدى و اليقين... فإذا تقدمنا اليوم بطريقة غير علمية،و غير فنية – أقولها و أعترف بها أمامكم – و أنشأت وزارة الأوقاف هذه المعاهد الحاضرة ، فإننا قد فرضناها فرضا ، و غلّبنا فيها الإرادة الإسلامية الوطنية).

و الحق أنَّ للمترجم له دورا كبيرا في عملية تأصيل التربية الوطنية ، وقد صادف في طريقه صعوبات و تحديات أكبر ، و قد أعلن عن ذلك خلال أحد ملتقيات التعرف على الفكر الإسلامي بالقول[3]:(من أعز هذه الأمنيات الغالية التي شاهدت تحقيقها،هذه المعاهد الإسلامية العربية ... و التي و إن كنت أعتز في حياتي بشيء ،فإنني أعتز بشرف ابتكارها ، و تأسيسها ، و إخراجها من عالم الخيال إلى عالم الحقيقة ... و يا الله كم قاسيت يومئذ في سبيل إنشائها من إرهاق ، و كم تحمّلت من أذى ذوي القربى الذين وحدت بيني و بينهم الأوطان ، و فرقت بيننا الأهداف).

و في سياق النشاط الوزاري دائمًا فقد قامت وزارته بإنشاء لجنة الإفتاء المركزية التي كانت مهمتها الرد على المسائل و الاستفسارات المرفوعة من المواطنين و الهيئات .

و نشرا للثقافة الإسلامية قامت الوزارة في عهده بإصدار "مجلة المعرفة" في شهر ماي 1963م ، فكانت توزع على الدوائر الحكومية و الهيئات الرسمية ،و تمنح الآلاف منها مجانا إلى القراء[4]، و قد نوَّه بها المدني عقب صدور عددها الأوَّل ،حين

---

1 محمد الميلي : المرجع السابق ، ص ص 264 – 265 .
2 أحمد توفيق المدني:" الإسلام سلاحنا في المعركة" ، مجلة المعرفة ، المصدر السابق ،ص 114 .
3 أحمد توفيق المدني:" كلمة جلسة إفتتاح الملتقى السابع للتعرف على الفكر الإسلامي" ، مجلة الأصالة ، العدد 16 الجزائر: سبتمبر ، أكتوبر 1973 ، ص ص 168 – 169 .
4 -سليمة بوعسيلة : المرجع السابق ، ص 96 .

كتب:[1](هذه المجلة التي يُسعد وزارة الأوقاف أن تقدم عددها الأوّل إلى جمهور الشعب العربي المسلم في الجزائر ، ستكون بحول الله و قوته رابطة روحية قوية ... و إننا لنرجو أن تسد هذه المجلة ثلمة في بناء وطننا ، و نقصا ملموسًا في مجتمعنا).

و من أبرز النشاطات التي قام بها "المدني" في عهدته مشاركته في ملتقى " التقريب بين الأديان،"الذي عقد بألمانيا الفدرالية في شهر جوان 1964م بحضور عدد كبير من رجال الفكر ،و قادة الرأي في العالم الإسلامي و الغربي،لبحث موقف الأديان المختلفة فيما يخص محاربة خطر الإلحاد و الإباحية ، و استغل المناسبة لإثارة قضية فلسطين، وأوضح باسم رجال الإسلام[2]:(أنه إذا كان جدار برلين يفصل بين شطري ألمانيا، فإنه يوجد بالنسبة للعالم الإسلامي جدار أشد و أخطر و هو وجود إسرائيل التي تفصل العالم الإسلامي).

عضويته بمجمع اللغة العربية :

إنَّ مَجْمَع اللغة العربية هو أعلى هيئة علمية في العالم الإسلامي ، و لا ينتسب إليه إلا كبار العلماء[3]، و قد اختير "توفيق المدني" لعضويته في 10 ماي 1967م، خلفا للمرحوم العلامة "البشير الإبراهيمي".

ساهم في إثراء المعاجم التي يصدرها المجمع ،و منها المعجم المتوسط و الكبير ، كما كان يكتب في مجلة مجمع اللغة العربية[4].

و يقول "المدني" أنه قدَّم بحوثا خاصة بحرف " الجيم " عن الجزائر كدولة ، و عن مدينة الجزائر من الناحية الجغرافية و التاريخية و الأدبية ، و بحوثا أخرى خاصة بحرف "التاء" عن تلمسان.

و لتفعيل مساهمة ممثلي بلدان المغرب العربي في الهيئة العلمية للمجمع ،إقترح مترجمنا أن تكون اللغة الفرنسية إلى جانب اللغة الإنجليزية عند تقديم الكلمات المراد

---

[1] -أحمد توفيق المدني : "كلمة في الصميم"، مجلة المعرفة ، العدد 01 ،الجزائر: ماي 1963 ، ص 06 .
[2] قلم التحرير : "حول ملتقى التقريب بين الأديان "، مجلة المعرفة ، العدد 11- 12 ،الجزائر: ماي – جوان 1964 ، ص ص 129 – 132 .
[3] أحمد حماني : المصدر السابق، ص 276 .
[4] أبو القاسم سعد الله : مقابلة شخصية ، الأبيار ، العاصمة : 29 جوان 2006 .

تعريبها ، و هذا على اعتبار أنَّ المغاربة يجيدون اللغة الفرنسية ،و لا يملكون ناصية اللغة الإنجليزية[1].

و الواقع أن الشيخ "أحمد توفيق المدني" ظل نشطا حتى آخر أيامه ، فقد حضر المؤتمر التاسع و الأربعين للمجمع في أواخر فيفري و بداية مارس 1983م، وذلك أشهرا قبل وفاته،و تناول الكلمة بإسم المجمعيين العرب من خارج مصر ، فكانت كلمة مؤثرة علَّقت عليها مجلة "المصور المصرية"، فأوردت بأنَّ ممثل حركة تحرير الجزائر في الستينيات لم يستطع إلا أن يثور لعروبته و يندد بالهوان العربي[2].

تعيينه بالهيئة الدبلوماسية :

إنَّ التجربة الدبلوماسية التي اكتسبها "المدني" خلال نشاطه ضمن الوفد الخارجي لجبهة التحرير ،أو في ظل الحكومة المؤقتة جعلته يحتك بالكثير من القادة السياسيين و العسكريين في دول عديدة بالعالم العربي و آسيا ، و لذلك فعندما أسندت له مهام تمثيل الجزائر دبلوماسيا في مرحلة الاستقلال عمل على إستثمار هذا الرصيد.

و هكذا فقد عُيِّن في سنة 1966م سفيرا بإيران ، ثم أضحى اعتبارًا من سنة 1967م إلى سنة 1970م سفيرًا في كل من العراق و تركيا و إيران[3].

و في 26 جويلية 1971م صدر القرار الذي وقعَه الرئيس " هواري بومدين " بتعيينه سفيرا مفوضا فوق العادة بدولة باكستان[4].

و أثناء تأديته لمهام سفاراته كان من القلائل الذين حالوا دون الصورة السوداء التي

---

1 أحمد توفيق المدني:"المؤتمر التاسع و الأربعون لمجمع اللغة العربية" بالقاهرة،مجلة الثقافة،العدد 77 ،الجزائر: سبتمبر - أكتوبر 1983 ، ص 151 .

2 المرجع نفسه، ص ص 139 – 145 .

3 فاطمة تازير: فضيلة تكور : المرجع السابق ، ص 08 .

4 الجريدة الرسمية: العدد 62 ،الجزائر:30 جويلية1971 .

رسمها بعض ممثلي الخارجية الجزائرية بعبثهم ،و استهتارهم ، و قلة جديتهم وانعدام إخلاصهم لوطنهم[1].

نشاطه بالمركز الوطني للدراسات التاريخية :

عند تأسيس المركز الوطني للدراسات التاريخية في العام 1973م من طرف رئاسة الجمهورية أوتي بالمدني ليكون مستشارًا ، مؤرخًا و مشرفا على القسم العثماني،و هذا اعترافا بالجميل و تقديرا لأعماله و آثاره المتعلقة بهذه الحقبة[2].

و تقول الدكتورة " أنيسة بركات " التي عملت إلى جانب الشيخ عشر سنوات بالمركز،بأنه كان المشرف الرئيس على نشاطات المركز ،و على تحرير مجلة التاريخ ، و كان يتصدَّر الملتقيات الوطنية و الدولية و هي تعد بالعشرات، حيث ينشط المحاضرات و التعقيبات،مؤكدة بأن روح المبادرة و التحفيز و تطوير الأداء تعد إحدى سمات عمله اليومي بالمركز[3].

و من جهته أكد " فكري طونا " تلك المميزات عندما قال[4]:(كان الشيخ "أحمد توفيق المدني" بمثابة الحقيقة الكلية في المركز ، و الأب الروحي له ، و المرشد الكامل، والمؤرخ الضليع الذي يستنار بآرائه و أفكاره و مواقفه ، و الأديب الماهر الذي يستأنس بأدبه الرفيع ، و المجاهد الذي يقتدى به في ميادين العمل و النضال و الجهاد).

و لقد انتدبته رئاسة الجمهورية إلى اسطنبول التركية للبحث عن الوثائق العثمانية الخاصة بتاريخ الجزائر ، و عن هذه المهمة ذكر"المدني"[5]:(لقد كنت مغتبطا و سعيدا عندما انتدبتني رئاسة الدولة للقيام برحلة إلى اسطنبول بلد الذكريات الخالدة ،لكي أضطلع بمهمة البحث عن الوثائق التاريخية ،التي تنير صفحة العلاقات الوثيقة التي ربطت بلدينا خلال ما يزيد عن الثلاثمائة سنة).

---

1 عمر بن قينة:"أحمد توفيق المدني المفكر و الكاتب المنسي" ، الموقع السابق.
2 فكري طونا : المرجع السابق ، ص 69 .
3 أنيسة بركات درار : مقابلة شخصية، العاصمة : 13 مارس 2002 .
4 فكري طونا : المرجع السابق، ص 51 .
5 المرجع نفسه ، ص ص 69 – 70 .

و الظاهر أنَّ المدني كان أوَّل جزائري توجه بصفة رسمية ليطرق أبواب مختلف دور المحفوظات التركية ، فقد زار مواقع أرشيفية خاصة جدًّا، و تمكن من ذلك لعلاقاته الممتازة بالسلطات التركية حيث استثمر سنوات سفارته هناك في تمتين العلاقات بين الشعبين الجزائري و التركي[1].

و قد أكد مترجمنا من خلال اطّلاعه على الأرشيف العثماني ،أنَّ الوثائق الجزائرية التي تخدم التاريخ الجزائري تبلغ نحو خمسة آلاف وثيقة على أقل تقدير[2].

و قد تمكن مترجمنا من جلب ما يزيد عن 3300 وثيقة ،وضعها تحت تصرف المركز الوطني للدراسات التاريخية ، و قام بترتيبها ، و تنظيمها و تركها جاهزة للبحث و الترجمة[3].

و من مظاهر إعجاب "المدني" بالشعب التركي، نظمه لقصيد بعد زيارته لمدينة اسطنبول سنة 1967م ،عبَّر من خلاله عن شعوره الفياض لرؤية توافد الناس على مسجد "السلطان أحمد" لأداء الصلاة في كل الأوقات رغم أنّ الدولة علمانية و مما قاله[4]:

إن كان للدين قوم ينهضون به	فالقوم في عصرنا هذا هم الترك
رأيتهم في بيوت الله خاشعة	أبصارهم حيث لا رجس و لا شرك
و يقرؤون كتاب الله دامعة	عيونهم يتجلى فيهموا النسك
يجاهدون جهاد الأكرمين و قد	لانت لهم غاياته الدين و الملك
فإن أتاك حديث دون ذاك فدع	و لا تخوضن فيه إنه إفك.

و الحق أنَّ الشيخ " أحمد توفيق المدني " كان مثابرا بالمركز رغم كِبَر سنه ، فكان لا يزال ميالا إلى التأليف و خصوصا في التاريخ الوطني ، فقد طرح خلال الجمعية العامة للباحثين بالمركز الوطني للدراسات التاريخية في 06 ديسمبر 1979م، أن تتضافر الجهود لتأليف كتاب ضخم يتناول (الجزائر خلال التاريخ العالمي) بحيث يمتد من أقدم

---

[1] أنيسة بركات درار : مقابلة شخصية ، العاصمة : 13 مارس 2002 .
[2] أحمد توفيق المدني :" حوار حول كتاب 80 سنة على الجزائر العثمانية"، مجلة الأصالة ، العدد 20 ،الجزائر: ماي -جوان 1974 ، ص ص 237 – 238 .
[3] فكري طونا:المرجع السابق ، ص 71 .
[4] أكمل الدين أحسن أو غلي : المرجع السابق ، ص 38 .

العصور إلى السنة العشرين بعد الاستقلال الموافقة لعام 1982م ، و أن تكون طريقة معالجته مختلفة عما صدر من قبل،فلا يجب أن يكون تكرارا للتاريخ[1].

و ظل "المدني" على نشاطه بهذا المركز حتى آخر أيام حياته ، فشعاره الدائم **(العمل ثم العمل)** ، و حسب " أنيسة بركات " فإنَّ الرجل و من شدة حبه للعلم تمنى أن يموت و القلم بيده[2].

و صفوة القول أنَّ مترجمنا و خلال مشاركته في أجهزة الدولة وزيرا و سفيرا كان بعيدا عن بؤر التآمر و المناورات الشيطانية ، و الصراع الرخيص الدامي على السلطة ، و التكالب على منافعها بالطرق غير الشرعية ، فكان من القلائل الذين لم تتلوث أيديهم بدماء الأبرياء ، و لا جيوبهم بالمال الحرام ،لكنه خدم وطنه سياسيا لإيمانه العميق بحب الوطن و وفاء لشعبه.

---

[1] مجلة التاريخ: العدد 08 ، الجزائر : 1980 ، ص 93 .
[2] أنيسة بركات درار : مقابلة شخصية، العاصمة : 13 مارس 2002 .

المبحث الثاني:موقفه من القضايا الوطنية الكبرى

شهدت الجزائر المستقلة الكثير من التحولات الاقتصادية،و الثقافية ،و الاجتماعية والأحداث السياسية ، و قد تفاعل معها الشيخ "أحمد توفيق المدني" من مواقع مختلفة سواء على مستوى أجهزة الدولة حيث كان يمارس نشاطه أم خارجها.

- موقفه من مسألة التعريب :

لقد طرح **التعريب** بعد الاستقلال بشكل سريع و عاجل لا يخلو من خطورة، و هذا لثقل التركة التي ورثتها الجزائر عن استعمار استيطاني استغلالي رهيب ، لذا وجدت الجزائر نفسها أمام الاختيار الصعب ،إذ لم تكن الإطارات الجزائرية كافية لسد النقص الهائل الناجم عن رحيل الأجانب.

و هكذا جندت كل المثقفين باللغة الفرنسية لتسيير الإدارة ، و جندت المثقفين بالعربية لتسيير التعليم ، و كان هذا الوضع بداية لمرحلة صراع حضاري بدأ ينمو بين الثقافة القومية و الثقافة الأجنبية .

و برز الصراع بين العربية و الفرنسية بوضوح عندما ظهرت قضية التعريب سنة 1962م، برزت معها الصعوبات و العراقيل ،حيث ظهر اتجاهان رئيسيان متناقضان كل التناقض.

اتجاه كان يتظاهر بتأييد حركة التعريب ،و لكنه يعمل في الخلف على عرقلته، و ذلك بتحقيق تعريب سطحي لا يغير من الواقع شيئا، و لا يمس جوهر القضية الحقيقي إذ في أذهان ممثليه العربية عاجزة أن تكون لغة مخبر و تطور[1].

و اتجاه ثان مؤمن بضرورة التعريب ،و يدرك أهمية استعادة الشخصية القومية للجزائر، و لكن أزمته في كونه معزولا لا يملك من الوسائل إلا الإيمان بعدالة قضية التعريب، و الحماس المعنوي لتحقيقه.

[1] -عبد الرحمان سلامة:التعريب من خلال الوثائق الرسمية،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر:1981،ص ص 32 – 33 .

إنَّ وجود هذين التيارين المتناقضين جعل حركة التعريب تتعرض لهزات كبيرة و تتأخر أكثر من اللازم [1].

و الواقع أنَّ " توفيق المدني " كان من أبرز أنصار تيار العروبة و الإسلام ،فقد دافع بقوة عن المبدأ ، و تصدى لمعارضيه و في هذا الصدد يقول[2]:(إننا نسير في طريق التعريب رغم أنف أعداء ثورتنا الانتهازيين في الداخل و الخارج ، و إنَّ عجلة التاريخ لا تسير إلا إلى الأمام).

و تعتبر وزارة الأوقاف ا لتي يترأسها "المدني" أول من بدأ طريق التعريب في الجزائر ،من خلا ل إنشاء المعاهد الإسلامية التي تكفلت بنشر التعليم الإسلامي العربي ، و إعداد إطارات مكونة باللسان العربي في مواجهة التيار التغريبي[3].

و ذهب كل من "المدني" و خليفته على رأس وزارة الأوقاف" تيجاني هدام " إلى القول[4]:(أنَّ الأصالة الثقافية هي التي تمدنا بالقوة الذاتية ، و تجعلنا ننطق دون عقدة وبدون استعارة وسائل الإنطلاق ... و هنا تأخذ رسالة التعريب في بلادنا معناها ، و أنَّ قدسيتها تتطلب ضرورة تضافر الجهود ،من أجل تعزيزها و تحقيقها في أقرب وقت ممكن ... و أنَّ الوزارة تعتبر نفسها في طليعة العاملين لتحقيق هذا المبدأ الذي يعطي للشخصية الجزائرية محتواها الحقيقي).

و إنَّ نظرة " المدني " للمسألة تتفق تماما مع ما نصَّ عليه الميثاق الوطني لسنة 1976م ،الذي جاء فيه أنَّ اللغة العربية عنصر أساسي للهوية الثقافية للشعب الجزائري و لا يمكن فصل شخصيتنا عن اللغة الوطنية التي تعَبِّر عنها ، و لهذا فإنَّ تعميم إستعمال اللغة العربية و إتقانها كوسيلة عمل خلاقة ،يشكلان إحدى المهام الأساسية للمجتمع الجزائري في مجال التعبير عن كل مظاهر الثقافة ، كما أنَّ الخيار بين اللغة الوطنية و لغة أجنبية أمر غير وارد البتة و لا رجعة في ذلك ، و لا يمكن أن يجري النقاش حول التعريب إلا فيما يتعلق بالمحتوى و الوسائل و المناهج و المراحل ، و ينبغي أن تصبح

---

[1] عبد الرحمان سلامة : المرجع السابق، ص ص 33 – 34 .
[2] قلم التحرير:" من نشاط وزارة الأوقاف" ، مجلة المعرفة، العدد 15 ،الجزائر: سبتمبر– أكتوبر 1964 ، ص 127 .
[3] سليمة بو عسيلة : المرجع السابق ، ص 95 .
[4] قلم التحرير:" من نشاط وزارة الأوقاف" ، مجلة المعرفة ، العدد 17 ،الجزائر: مارس 1965 ، ص 117 .

اللغة العربية أداة للنهوض و الإبداع و التطور و الرقي ، و البحث العلمي و التحول الاجتماعي[1].

و لقد حدد الرئيس"هواري بومدين" أهداف التعريب بالقول:[2](إنَّ التعريب في بلادنا هو جزء من حركة التاريخ التي ترتبط بمراحل التطور التي تعيشها ثورتنا ،و ليس في استطاعة أحد أن يوقف حركة التاريخ ... إنَّ طموحنا نحن الذين اضطهدت لغتنا في عقر دارها – ليس هو فقط – أن تسترجع لغتنا القومية لتأخذ مكانها في جامعاتنا ومعاهدنا ،و لكن أن نطور هذه اللغة ، و نثريها ، و نجعل منها بحق لغة فكر و علم و عمل لغة ترقى إلى مستوى متطلبات العصر ،و تساهم في إثراء الحضارة الإنسانية).

و الحق أنَّ مترجمنا كان متوافقا مع الخط الرسمي فيما يتعلق بهذه المسألة ، التي دافع عنها بقوة في أكثر من موقع إيمانا منه بأنَّ اللغة هي أحد أركان السيادة الوطنية .

موقفه من النظام الاشتراكي:

أقر مؤتمر طرابلس المنعقد في الفترة مابين 25 ماي إلى 07 جوان 1962م اختيار الاشتراكية كنظام اقتصادي و اجتماعي للجزائر المستقلة ،لكونها تشكل أيديولوجية مناقضة لليبيرالية الاستعمارية المتوحشة،التي لم تحمل للشعب الجزائري سوى البؤس و الحرمان و الاستغلال.

إنَّ الاشتراكية في الجزائر قامت على عدة مبادئ أساسية تتمثل في القضاء على استغلال الإنسان للإنسان ،و إيجاد تنمية شاملة و منسجمة قائمة على أساس تخطيط علمي مفهوم ، ديمقراطي التصميم ، حتمي التنفيذ ، كما أنَّ العمل يجب أن يأخذ مكانته ليس باعتباره حقا فحسب ،بل لكونه أيضا واجب و شرف ، علاوة على أنَّ تحرير الفرد ، وترقيته بصفته مواطنا مسؤولا،هو أحد الأهداف الجوهرية التي تصبو إليها الإشتراكية في الجزائر[3].

---

[1] جبهة التحرير الوطني:الميثاق الوطني للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية 1976 ،طبع المعهد التربوي الوطني ، الجزائر : 1976 ، ص 08 .

[2] عبد الرحمان سلامة:المرجع السابق ، ص ص 7 – 10 .

[3] مصطفى زايد:التنمية الإجتماعية و نظام التعليم الرسمي في الجزائر 1962 – 1980 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر :1986 ص 159 .

لقد كان تبني الفكرة الاشتراكية كموضة العصر ، "فأحمد بن بلة" ثم "هواري بومدين" تحدثا عن اشتراكية إسلامية ، و" محمد بوضياف " و " حسين آيت أحمد " عن الاشتراكية العلمية ، أما " فرحات عباس " فتكلم عن الإشتراكية الإنسانية ،و بالتالي تنوعت مفاهيم الإشتراكية في الجزائر ، فلم يعد بإمكان الشعب الجزائري استيعاب المفاهيم المطروحة و مقاصد مروجيها[1].

أما الشيخ " أحمد توفيق المدني " فلم يكن يرى في الاشتراكية التي انتهجها النظام السياسي في الجزائر بعد الإستقلال اشتراكية " كارل ماركس Karl Marx"، أي ذلك النظام الإيديولوجي للفلسفة الإلحادية، التي كانت تناقض العقيدة الإيمانية لكافة الديانات ، وتدعو صراحة إلى إزالتها ،و القضاء عليها ، بل يراها اشتراكية إسلامية جزائرية حيث يقول[2]:(فإذا كانت الجزائر تقول اليوم أنها دولة اشتراكية ، دينها الإسلام ، و لغتها العربية فإنها لا تأتي بهذه الاشتراكية لا من موسكو ، و لا من بكين ، و لا من صوفيا ، و لا من كوبا،ولا من أية بقعة من بقاع الأرض ، بل إننا لا نأتي بهذه الإشتراكية إلا من الواقع الجزائري،و من رغبة الشعب الجزائري ، و بما لا يتعارض مع آيات القرآن الكريم ،ولا مع سنة النبي صلى الله عليه و سلّم،و لا ما جاء في سيرة الصالحين المكرمين، و لا ما في كتب الفقهاء المبجلين).

و عن تشبّع "المدني" بفكرة الاشتراكية فيرجعها إلى سنوات شبابه الأولى بتونس حين اطلع على كتاب " رأس المال " لمؤلفه كارل ماركس و ذلك سنة 1917م ،و كتب في مذكراته يقول[3]:(فأصبحت و لربما كنت الأول من نوعي في العالم الإسلامي أدين بالماركسية منهجا اقتصاديا ، إنما كنت داخل إطار متين جدًا من الإسلام عقيدة و شريعة و هكذا بقيت مسلما دينا ، و ماركسيا مذهبا ، ولا أرى أنه لا يمكن التوفيق بين الإسلام والماركسية كمذهب اقتصادي يلغي الطبقات ، و يقوض سلطان رأس المال الطاغي).

لقد دعا توفيق "المدني" صراحة إلى المذهب الاشتراكي إذ قال:(كونوا،و أقولها صراحة دون غموض،أو التباس،كونوا اشتراكيين صادقين ضمن دائرة الإسلام والعروبة،و الوطنية ، هذه الاشتراكية الصالحة غير المستوردة ، النابعة من صميم واقعنا

[1] عز الدين معزة: المرجع السابق ، ص ص 269 – 270 .
[2] -سليمة بو عسيلة: المرجع السابق ، ص 97 .
[3] أحمد توفيق المدني: حياة كفاح ،ج1 ،المصدر السابق ، ص 140 .

و في حاجة شعبنا ، هذه الاشتراكية التي جعلت كل مصادر الثروة في بلادنا ملكا خاصا للشعب الجزائري العامل المكافح)[1].

و بالنسبة لمترجمنا فإنَّ الاشتراكية المقصودة هي التي تحترم دائمًا الملكية الخاصة، و تكون ثمرة عرق الجبين،و تكتسب بطريقة شريفة[2].

و الظاهر أنَّ فلسفة "المدني" الاشتراكية تتقاطع مع مفهوم " فرحات عباس " الذي يرى أنَّ[3]:(مفهوم فلسفة الاشتراكية الديمقراطية الإنسانية ، هي التي تنبع من أعماق الشعب الجزائري ، يوجهها الدين الإسلامي ، و تمنح فيها حرية حق الملكية ، و حق الميراث و حق المساعدة الاجتماعية ... و هي لا تتناقض مع أخلاقيات الإسلام ، و لا تعتدي على أخلاقيات و تقاليد شعبنا ، و بذلك نستطيع إدخال وطننا في ثورة).

و إذا كانت التجربة الاشتراكية قد أفرزت العديد من السلبيات كظهور الفوضى و تسرب العناصر الانتهازية إلى بعض مناصب الحكم ، و إبعاد العديد من الإطارات ذات الكفاءة[4]،و عدم قدرتها على تحقيق التطور الاقتصادي الاجتماعي المنشود .

فإنها في المقابل قد أوجدت فرصًا متساوية للجميع ،و حملت العديد من الخدمات للفلاحين و البسطاء ، و الفئات المحرومة ، فهي من جانبها النظري فكرة رائدة ،و لكن يتوقف نجاحها على حسن النوايا ، و مدى ارتفاع درجة الوعي ،و هو المبدأ الذي راهن عليه الشيخ "أحمد توفيق المدني" .

---

[1] أحمد توفيق المدني : "كلمة الإفتتاح في الملتقى السابع للفكر الإسلامي" ، مجلة الأصالة ، العدد 16 ، الجزائر:سبتمبر – أكتوبر 1973 ، ص 170 .
[2] أحمد توفيق المدني:" الإسلام ثورة دائمة" ، مجلة المعرفة ، العدد 11 – 12 ،الجزائر: ماي – جوان 1964 ، ص 06 .
[3] عز الدين معزة : المرجع السابق ، ص 270 .
[4] محمد العربي الزبيري : المؤامرة الكبرى أو إجهاض ثورة ، المرجع السابق ص 103 .

المبحث الثالث : مذكرات حياة كفاح و ردود الفعل الوطنية

تعد كتابة المذكرات عملا جديدا في الحياة الفكرية و السياسية بالجزائر ، و إنَّ الرجوع بالإنسان إلى الوراء و مراجعة أعماله ، و علاقاته بنفسه ، و رواية أخباره في صورة ذاتية تعتمد القص و التدخل الشخصي كان ذلك عملا جديدا ، و هو ظاهرة ثقافية حضارية أيضا تعتمد تقليد الكتّاب الغربيين الذين برعوا في هذا الميدان[1].

وعن تجربة المدني كتب الدكتور "بشير التليلي"[2]:(كنا نأمل منذ سنين أن الر واد والمنشطين و المسؤولين و المناضلين ،من الحركات المختلفة و المنظمات الاجتماعية والسياسية في المغرب المعاصر يمدوننا بمذكراتهم ، ورواياتهم و ذكرياتهم ، مما ينير طريق المؤرخ المتعطش للأخبار و التفاصيل و المعطيات الواقعية ، و التعليلات المعمقة والإيضاحات و عناصر الأوضاع ، و تحديدات المواقف ، و المشاعر و المطامح، و التفسيرات و المبررات ،أو التأويلات الرسمية أو الموجهة).

و عن أهمية كتابة المذكرات أضاف يقول[3]:(إنَّ فائدة و إسهام ، و أهمية مذكرات و ذكريات الشخصيات السياسية المغاربية بالنسبة لدراسة الوثائق تهم جوانب معينة من التاريخ ،و لو اتسمت بالحماس و الهوى ، و التحزُّب و التوجيه و الذاتية النابضة بالحياة و لو شحنت بالتفاصيل،و المشاعر،فإنها تمد و بتدقيق المؤرخ بأضواء و تأويلات و كشوف و معطيات،و وثائق مبتكرة لم تنشر من قبل، و عناصر هوية أخرى ، اعترافات و أبعاد أخرى ، و معلومات غير التي تنقلها نصوص الأرشيفات).

لقد صارت شخصيات مغاربية تؤلف و تنشر ذكرياتها ، و مذكراتها ، و تسهم بذلك من دون ريب،في إثراء جوانب من التاريخ المعاصر ، و من ذلك مذكرات " حياة كفاح " لأحمد توفيق المدني[4].

---

[1] أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي،ج7 ،المرجع السابق ، ص ص 308 – 309 .
[2] بشير التليلي:" حول مذكرات حياة كفاح" ،تعريب محمد بلقراد، مجلة الأصالة ، العدد 54 –55 ،الجزائر: فيفري – مارس 1978 ، ص 103 .
[3] المرجع نفسه ، ص 104 .
[4] المرجع نفسه ، ص 105 .

في نهاية السبعينيات من القرن العشرين أصدر المدني مذكراته، التي تعتبر من المؤلفات الهامة و كان عنوانها " حياة كفاح " ، و هذا المصطلح زيادة على رمزيته النضالية ، فقد استعمله الرجل قبل الثورة التحريرية بمدة زمنية أثناء تحريره لركن " منبر السياسة العالمية بالبصائر " [1].

قدَّم خلالها المؤلف تعريفا بقصة حياته و تجاربه، باعتباره شاهد عصره ، كتبها بأسلوب شيق و أفكار واضحة ، و عبارات منسجمة ،أعطى خلالها نظرة عن الأحداث و الحقائق التي عاصرها ، و من خلال هذه المذكرات استطاع أن يجمع وثائق هامة تفيد الباحثين في التاريخ [2].

لقد صدرت المذكرات في ثلاثة* أجزاء سنوات 1976م ، 1977م ، 1982م و هي تشكل زبدة المسيرة النضالية للرجل على مستوى الجسد و الفكر ، فهذه المذكرات (حياة كفاح) بصفحاتها التي تجاوزت الألف و الثلاثمائة بل هي بالضبط 1386 صفحة تعطي صورة حية عن نضال رجل و عناده ، و صمود أمة و غلبتها على مختلف الأعداء الخارجيين ، و قد أدركت الرجل الوفاة دون إتمام الجزء الرابع المتعلق بمرحلة الاستقلال و هي فترة دقيقة خضعت فيها الجزائر لكثير من المسخ و الاستغلال و التآمر المحبوك بإرادة استعمارية .

و بقدر ما في هذه المذكرات من حقائق و انتصارات و انكسارات، ففيها الكثير من نفس المدني السياسي و المفكر و الكاتب و الأديب[3].

عالج الجزء الأوَّل من هذه المذكرات الفترة الممتدة بين 1905 - 1925م وهي التي عاشها بتونس ، و حسب " بشير التليلي " فإنَّ مذكرات المدني لم تسهم فقط في

---

[1] أبو القاسم سعد الله : مقابلة شخصية ، الأبيار ، العاصمة : 29 جوان 2006 .
[2] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ، ج7 ، المرجع السابق ، ص ص456 – 457 .
[3] عمر بن قنينة: "أحمد توفيق المدني المفكر والكاتب المنسي" ، الموقع السابق
* نشر أحمد توفيق المدني مذكراته في ثلاثة أجزاء ، و أشار إلى نيته في إصدار الجزء الرابع الذي خصصه لمرحلة الاستقلال ، إلا أنَّ هذا الجزء غير موجود و إذا كان أبو القاسم سعد الله قد أشار في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي ، ج7 ، ص 457 إلى أنَّ الجزء الرابع قد صدر و لكن الرقابة رفضت نشره فإنَّ نجل المرحوم " محمد إسلام " قد أكدَّ لي قطعيًا أنه لا وجود للجزء الرابع ، و كل ما في الأمر أنَّ والده أخذ في جمع المادة الوثائقية لكنه انشغل بتحضير الردود على حملة الانتقادات و خاصة ما ورد في كتاب " التحريف و التزييف " فجهّز كتابه"رد أديب على حملة الأكاذيب".

الإجابة عن عدة علامات استفهام ،بل شاركت أيضًا في سد فجوات في تاريخ تونس المتعلق بما بعد الحرب العالمية الأولى .

والمعروف أنَّ "المدني" قد عاش فترة شهدت تطور تونس المعاصرة بين سنوات 1905 – 1925م بصفته من مؤسسي و مسؤولي الحزب الدستوري الحر، و بما أنه شارك بعمق في جميع أحداث المجتمع الجليلة و في الأيديولوجية الاجتماعية و السياسية حتى يوم طرده من البلاد ،فإنَّ مذكراته تلقي من جديد أضواءً على كوكبة من التساؤلات التونسية حول نقط خاصة في نشاطات الدستوريين و الإصلاحيين ، و حول شخصيات العصر ، و يمدنا بوثائق استثنائية لم تنشر في الماضي ،و لها ارتباط بالأصل الذي نبت منه تأسيس الدستور،و بلجنة تأييد الخلافة و بالوفود و الخلافات بين الدستويين و الإصلاحيين و ، بذهاب الشيخ " الثعالبي " إلى الشرق ،و بحملة الدستوريين ضد سياسة التجنيس.

و من جهة أخرى تصحح لنا المذكرات المظاهر الرئيسية من الحياة الاجتماعية و الأدبية و الفنية في تونس في فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى و كذا قبيلها، فهي سخية بالمعلومات بالنسبة إلى المؤرخ فهي تطلعنا على عدة مسائل إسلامية متوسطية،و على تأثيرها العميق على البلاد[1].

أما الجزء الثاني فيغطي مرحلة المد الوطني و النضال القومي بروحه الدينية كما جسَّده الفكر الإصلاحي من عام 1925إلى 1954م[2].

فقد عرض فيها صورة للواقع الجزائري اجتماعيا و ألقى أضواء على نشأة الحركة الاصلاحية ممثلة في جمعية العلماء المسلمين ،و الصراعات المختلفة بينها و بين خصومها من طرقيين و مستعمرين ، كما تتبع تطور نضال الحركة الوطنية ،مبرزًا بعمق أهم المبادرات التي طرحها الشعب الجزائري في كفاحه ضد الهيمنة الإستعمارية، هذا علاوة على رسمه صورة لمختلف الشخصيات التي تفاعل معها، و دوَّن مشاهداته خلال رحلاته الداخلية عبر مناطق الجزائر الشاسعة.

---

[1] بشير التليلي:المرجع السابق ، ص 105 .
[2] عمر بن قنينة :"أحمد توفيق المدني المفكر و الكاتب المنسي " الموقع السابق

و يغطي الجزء الثالث مرحلة هامة من تاريخنا الوطني، مرحلة الثورة التحريرية الكبرى 54- 1962م، و الذي أبرز فيه مختلف الأنشطة السياسية و الإعلامية التي شارك فيها أثناء تأدية مهامه الثورية،مسجلا تفاصيل دقيقة عن خلفيات بعض الصراعات، و مبرزًا حقائق دقيقة عن وجه جبهة التحرير الوطني.

لقد أشار "المدني" إلى المنهج الذي إتبعه في تدوين هذه المذكرات ، وإلى الغاية من تأليفها حيث كتب في مقدمة الجزء الأوّل يقول[1]:(لست خلال كتابتي هذه مفتشا عن جملة ناصعة ، أو عبارة براقة ، أو تعبير أدبي ثري ،بل إنما هي الفكرة أطلقها سليقيًا ، الذاكرة تمليها ، و القلم يرسمها ، و لا أكاد أتدخل بينهما إلا نادرًا ،ثم أني من خلال هذه الصورة الواضحة أتكلم بحرية تامة ، دون تحيز أو تعصب عن كلِّ ما مرَّ من حوادث ، و عن كلِّ من عرفت من الرجال ،و عن جميع ما لاحظته عن الدول و النظم ومختلف الأقوام).

وعن إبرازه لذاتيته في مجريات الأحداث ، أضاف يقول في مقدمة الجزء الثالث[2]:(فإن كنت خلال هذا الجزء من كتابي ،أو خلال ما سبقه ،و ما سيتبعه بحول الله أستعمل عبارات : قلت ، فعلت ، رأيت ، سمعت ، فتلك هي العبارات التي يستعملها الشاهد و هو يدلي بشهادته ، و يقول : ما شهدنا إلا بما علمنا).

والواقع أن ردود الأفعال والمواقف ،قد تباينت حيال هذه المؤلفات، و اختلفت التعاليق ما بين الإشادة والانتقاد لطريقة تقديم المؤلف لشخصيته ،وعرض دوره،وكيفية تصويره لوقوع الأحداث، وتشكّل الرؤى والمواقف.

ومن تلك المواقف التي رصدناها تعليقا على الجزء الاول من المذكرات ،ما كتبه الدكتور بشير التليلي " الذي رأى أن القسم الاول منها ،هو بلا نزاع اسهام نفيس جدا و فيه عبرة للمعتبر ، و يسهم على كل حال في إعادة النظر في معلوماتنا التاريخية و في تصحيحها على أقل تقدير،و بالنسبة إليه فإنَّ مطالعة ما قدَّمه المدني ممتعة جدا في القراءتين الأولى و الثانية ، و هي مشوقة و مثيرة للإهتمام في المعنى النبيل للفظ،

[1] أحمد توفيق المدني : حياة كفاح ، ج1 ، المصدر السابق ، ص 08 .
[2] أحمد توفيق المدني : حياة كفاح ، ج3 ، المصدر السابق ، ص 13.

معتبرا أن البحث المعروض يعد مرجعا أساسيا للتاريخ الإسلامي المتوسطي المعاصر[1].

و يذهب الدكتور "عبد الكريم بو الصفصاف " إلى القول[2]:(إنَّ المدني و من خلال مذكراته حياة الكفاح عمد إلى فتح حوار واسع بين تاريخ الجزائر و تاريخ تونس في ظل الإحتلال الفرنسي ، مع إبراز كل الإمتدادات المشتركة بين البلدين ، و من هنا يمكن القول أنَّ المؤرخ أحمد توفيق المدني ما يزال حتى الآن يتصدر المرتبة الأولى في الإنفتاح على تاريخ الآخرين ،بمده جسرًا وطيدًا بين نضال الشعبين الجزائري و التونسي إبَّان الحركة الوطنية المغاربية طوال النصف الأوّل من القرن العشرين).

والظاهر أن صدور الجزء الثاني من المذكرات قد أسال الحبر الكثير ،فهذا القسم الذي يمتد من منتصف العشرينيات إلى منتصف الخمسينيات ،يتناول مرحلة حاسمة على كافة المستويات في مسيرة المقاومة الوطنية والتي قادت إلى تفجير الثورة .

والمعروف أن المدني قد نشر هذا الجزء سنة 1977م ، حيث قام بعرض ما تضمنه في يوم 07 ديسمبر من السنة نفسها بالمركز الوطني للدراسات التاريخية وهو ما أثار ردود أفعال مختلفة، و قد كتبت عن ذلك "جريدة الشعب" في عددها ليوم 24 جانفي 1978م بإمضاء "الأسعد" ومما جاء في المقال[3]:(يبدوا أنَّ الجزء الثاني من مذكرات توفيق المدني أثار نقاشا و جدالا واسعا وسط الذين عاشوا أحداث النصف الأول من هذا القرن و لازالوا أحياءًا يرزقون ، و من الطبيعي أن يثير كل كتاب مناقشات ،بإعتباره يتضمن رؤية شخصية لحدث معين ليس من الضروري أن يتفق الجميع في تحليله بنفس الطريقة،و لكن أهمية كتاب توفيق المدني تأتي من كونه يسلط الأضواء على جزء من تاريخنا القريب ،ظل لحد الآن مجهولا في أدق تفاصيله ،و أصبح مهددًا بالتلف ...
و لذلك فإنَّ المناقشة التي تثيرها مثل هذه المذكرات ،تعتبر في حد ذاتها إسهاما في مجهود إعادة كتابة تاريخنا).

---

[1] بشير التليلي : المرجع السابق ، ص 105.
[2] عبد الكريم بو صفصاف:" المؤرخون الجزائريون و منهجية الكتابة في الحركة الوطنية الجزائرية في عهدي الإحتلال و الإستقلال " المرجع السابق ص 48.
[3] الأسعد : "من أجل الحقيقة التاريخية "، جريدة الشعب ،الجزائر: 24 جانفي 1978 .

غير أنَّ الخصومة إشتدت بعد ذلك و تشعبت ،و فتحت لها الصحف الوطنية أعمدتها جريدة النصر بقسنطينة ، جريدة الشعب بالعاصمة ، جريدة الجمهورية في وهران، حيث نشرت تباعا مقالات في الرد على "أحمد توفيق المدني" بأقلام الأساتذة "حمزة بوكوشة "، "محمد الطاهر فضلاء" و "محمد الصالح رمضان"[1]، و قد شهد شهري فيفري – مارس 1978م نشر مقالات عديدة في هذا الاتجاه .

و كان من تلك الردود ما كتبه " محمد الصالح رمضان" أحد تلامذة الجمعية، و أحد المعاصرين للأحداث في عدة حلقات بجريدتي "الشعب" و الجمهورية "تحت عنوان": " من غربل الناس نخلوه ،نظرة عامة على كتاب حياة كفاح للأستاذ "توفيق المدني "، و مما جاء في أحد مقالاته:[2](لو كانت مذكراته شخصية لا تتناول رجالنا،و قضايانا القومية و الوطنية كمذكرات "مالك بن نبي" مثلا لما إنتقدناها ، و لما حفلنا بها إلا بمقدار معين،و لكنها كما تتناول حياة صاحبها، تتناول حياتنا كذلك و بروح غريبة، فهي بقدر ما ترفع الأولى تضع الثانية ، و بقدر ما تستهين بهذه أو تهينها ،تشيد بتلك و تتباهى بها).

و لعلَّ من المآخذ التي وُجهت إلى "المدني" -إلى جانب التنويه و التقدير- هي ذاتيته في الطرح و تصدره للوقائع وصناعة الحدث التاريخي، و هذا الأمر قد تجاوزه الزمن في نظر الدكتور"عبد الرزاق قسوم" الذي يعتقد[3]:(أن التاريخ ليس صناعة فردية بل هو إنتاج جماعي تشكل فيه الذات البشرية حلقة ضمن سلسلة متكاملة).

و حسب الدكتور " بشير التليلي " فإنه مما قد يعاب على المدني ،هو ذكره باستمرار نشاطاته أثناء مذكراته ،معتقدا أنَّ ذلك يعد متطلبا من متطلبات فن المذكرات، يبرره في الغالب الدور الذي يقوم به المناضل المسؤول عن حركة في طور تكوينها،و علاوة على ذلك لا يستطيع المؤرخ أن يناهض التقديرات،و شهادات مناضلي العصر ،بل هو بخلاف ذلك يسعى إلى المطالبة بها و البحث عنها[4].

---

[1] أحمد توفيق المدني : رد أديب على حملة الأكاذيب ، مخطوط، ص 45 .
[2] محمد الصالح رمضان:" من غربل الناس نخلوه ، نظرة عامة على كتاب حياة كفاح للأستاذ توفيق المدني" ، جريدة الجمهورية ، الجزائر: 13 مارس 1978 ، ص 10 .
[3] عبد الرزاق قسوم : مقابلة شخصية ، مخبر الدراسات التاريخية و الفلسفية ، جامعة قسنطينة: 19 جوان 2006 .
[4] بشير التليلي : المرجع السابق ، ص 106 .

وجاء في رأي الدكتور " عمر بن قينة " أنَّ صفة النرجسية مثل سمة المبالغة تعدان من خصائص التعبير لدى المدني في كتاباته و خطاباته ،و حتى في حديثه لأجهزة الإعلام المرئية و المسموعة و المقروءة ،و هي أمور تتعلق بالمكونات النفسية للشخصية، و تلك النزعة و غيرها من العيوب البشرية -التي قد تكون في كل إمرئ - هي مما ألَّب عليه بعض معاصريه خاصة ممن كانوا في جمعية العلماء[1].

إن هذه الآراء لا يشاطرها الدكتور "محمد الهادي الحسني" ،الذي يعتقد أنَّ سمة المبالغة التي وُصف بها المترجم له من لدن البعض،هي أمر طبيعي جدا، إذ أن مسألة الاعتزاز بالأنا مطروحة لدى كل الناس ،ولكن بدرجات متفاوتة مستشهدًا بما قاله الزعيم البريطاني "تشرشل" عندما سُئل:هل تقرأ التاريخ؟ ، فكانت إجابته بالنفي حيث قال: لا أقرأ ذلك ، بل أنا الذي يصنع التاريخ)[2].

وتعليقا على المذكرات بأجزائها الثالثة ،خلص أحد الكتاب إلى اعتبارها أهم ما كتب من الكتابات التاريخية ،وأن المؤرخ أو الدارس للتاريخ لابد له أن يمتلك هذا المؤلف الشهير،خاصة ذلك الذي يعنى بدراسة تاريخ شمال إفريقيا، وبالاخص تونس والجزائر[3].

وصفوة القول أن ما قدمه المدني عبر هذه المذكرات التأليفية يشكل تجربة وظيفة إلى التجارب القلائل على الساحة الوطنية فيما يتعلق بهذا الفن ،وبقدر ما تضمنت من نقاط ايجابية، وعناصر تفيد الدارسين لتاريخ المنطقة وتوجه إهتمامهم ، فإنها بلا جدال لم تخل من بعض المآخذ باعتبارها عمل بشريا أولا وأخيرا.

---

[1] عمر بن قينة : إتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة ، المرجع السابق ، ص ص 102 – 103 .

[2] محمد الهادي الحسني: مقابلة شخصية ، أولاد يعيش ، البليدة : 30 جوان 2006 .

[3] -مدني بشير : المرجع السابق ، ص 148.

المبحث الرابع: رد على رد

في أعقاب الحملة العنيفة التي شنت على الشيخ "أحمد توفيق المدني" و ما ورد في مذكراته "حياة كفاح " و التي رأينا فصولها إنطلاقا من الندوة التاريخية ،أو عبر الصحف الوطنية :الشعب ، النصر ، الجمهورية ،و التي اختتمت بجمع الردود و المواقف لبعض المعاصرين،و تولي" محمد الطاهر فضلاء" إصدارها في كتابه المعروف (التحريف و التزييف).

تصدى المدني الذي كان مطالبا من قبل جمهور المثقفين و المهتمين و الرأي العام بالرد والتعليق على تلك الانتقادات، و بيان وجه الحقيقة ، حيث عرض موقفه عبر الصحف التي أشرنا إليها ،و تولى بطريقة موضوعية الرد على منتقديه،رغم ظروفه الصحية و انشغاله بمهمة في تركيا لاسترجاع وثائق الأرشيف العثماني[1].

و جاء في رد "المدني" على سلسلة المقالات التي نشرها " محمد الصالح رمضان " و غيره قوله[2]:(إنني أفتح صدري لكل مناقشة ، و إنني مستعد لفحص كل الحقائق ... على أنني خلال ردي هذا ألتزم بآداب المناظرة ،و أبتعد عن استعمال العبارات النابية و الألفاظ الجارحة).

و هكذا تطورت الأمور و طالب البعض بتخصيص ندوة للمناقشة و المناظرة فكان أن عقدت بالمركز الثقافي الإسلامي يوم 16 أفريل 1978م بمناسبة يوم العلم .

و يصف أحد الحاضرين الأستاذ "محمد الهادي الحسني" وقائع الجلسة بأنها كانت ساخنة للغاية ،ابتدأت في حدود الساعة السابعة مساءً و انتهت بعد الساعة الثانية صباحا، و كان من بين المشاركين " محمد الطاهر فضلاء " ، " رابح تركي عمامرة " ، " الشيخ أحمد حماني" ، "محمد الصالح رمضان " ، " سليمان يوسف بن داود " و غيرهم ، و إذا كان المنتقدون قد انفعلوا غاية الانفعال و فقدوا هدوءهم ، و احتكروا النقاش ، و هاجموا الرجل ،فإنَّ "المدني" ظل هادئا و متزنا ، أدار نقاشه بحكمة و صبر ،و هي مميزات

---

[1]- أحمد توفيق المدني :" جوابي على نظرة الأستاذ محمد الصالح رمضان لكتابي حياة كفاح"، جريدة الجمهورية ، الجزائر: 28 مارس 1978م ، ص 10 .

[2]- نفس المكان.

المناضل الذي تربى في مدرسة سياسية بتونس ، على عكس معارضيه الذين ظهرت عليهم العصبية و الاندفاع[1].

و تعليقا على أجواء جلسة المناقشة كتبت صحيفة " الجمهورية " في يوم 22 أفريل 1978م بعنوان: "مناقشة حادة حول كتاب حياة كفاح"، سُلِطت من خلالها الأضواء على أجواء إجراء النقاش حين قال مراسلها:[2](ابتدأت المناقشة في جو مشحون ،و تعالت الصيحات على منبر الخطابة ،و اشتد الحماس بين شيوخ الجمعية فانقسموا إلى قسمين: فريق يتهم "أحمد توفيق المدني" بالتطاول و التحامل على الشيخ "عبد الحميد بن باديس" و في مقدمتهم الشيخ "أحمد حماني" ... و شاطره الرأي كل من "العباس بن الشيخ الحسين"و"محمد الطاهر فضلاء"... أما الفريق الثاني،فكان أكثر نزاهة و موضوعية و اعتدالا و قاده الشيخ " سليمان يوسف بن داود "و الدكتور"رابح تركي عمامرة"، و"الشيخ "صالح بن عتيق " و الأستاذ " عبد الرحمان شيبان " و الشيخ الملياني).

و اختتم المراسل تعليقه بالقول:[3](و من خلال نزاهة بعض الشيوخ ظهرت براءة المؤلف ،الذي ظل صامدًا واثقا من نفسه كل الثقة ، متمسكا بآرائه ،و يستحق الشكر والتقدير لِما تحلى به من صبر و تقبل جل الانتقادات بصدر رحب).

و الحقيقة أنَّ الأمر لم يتوقف عند هذه الحدود،بل تواصلت الحملة حيث تم جمع الردود المعارضة للمؤلف في كتاب بعنوان:"التحريف و التزييف في كتاب حياة كفاح " .

صدر هذا الكتاب في سنة 1982 ،أي بعد أزيد من خمس سنوات على صدور الجزء الثاني من حياة كفاح،يحتوي على 469 صفحة تضمَّن إهداء و مقدمة و ثلاثة أقسام.

تناول في القسم الأوَّل الذي جاء بعنوان:"حقائق و أوهام " الإشارة إلى الندوة التاريخية الشهيرة (ندوة 16 أفريل 1978) ،و عَرضَ لتأسيس جمعية العلماء،و ذكر صحفها " المنتقد " و " الشهاب " و أبرز الكتاب بهما ، و قدَّم بعض الشهادات و بعض

---

[1]- محمد الهادي الحسني : مقابلة شخصية،أولاد يعيش ، البليدة : 30 جوان 2006 - و أيضا أنيسة بركات درار : مقابلة شخصية ، العاصمة : 13 مارس 2002 .

[2]- أحمد توفيق المدني : رد أديب على حملة الأكاذيب ،مخطوط ، ص ص 91 – 92 ،

- أنظر أيضا : جريدة الجمهورية ، 22 أفريل 1978 .

[3]- المصدر نفسه ، ص 93 .

الوثائق ، و تعليقاته عليها ، و عرض أقوال عددٍ من المشائخ و الرواد في شخص"المدني" مُعلقا عليها ، و ناقش المؤلف بعض المواقف"لتوفيق المدني" قبل و أثناء الثورة التحريرية

و عالج في القسم الثاني الذي جاء بعنوان : "مقالات" سلسلة من المقالات جمعها من الصحف الوطنية : "النصر"،"الشعب"،"الجمهورية" و عددها 15 مقالا تنوعت بين مقالات كتبها صاحب الكتاب "محمد الطاهر فضلاء"،و أخرى لبعض الشيوخ ، و آراء للقراء أو محرري الصحف.

فيما خصص القسم الثالث لما أسماه بـــ:"لواحق" أدرج فيه بعض الوثائق التي وظفها في القسمين السابقين ،مضافا إليها وثائق تتحدث عن أهمية الرواد الأوائل للجمعية[1].

جاء في مقدمة الكتاب المعارض قول مؤلفه[2]:(هذا كتاب في الرد على صاحب كتاب -حياة كفاح - بين أيدي القراء مُدعَّما بوثائقه و حقائقه،ليكون كما وعدنا مَاحِيًا للأوهام المُصِّرة على التحريف و التزييف حتى اليوم،ضمن إملاءات صاحبها و محادثاته و محاضراته).

و الحق أنَّ مؤلف الكتاب ظهر منذ البداية متحاملا،و شنَّ حملة عنيفة على"المدني" و كتابه ،حيث وصفه بأشنع الصفات التي تخرج عن آداب المناظرة الجادة ، و النقاش الموضوعي ، فقد كتب يقول[3]:(و كتاب –حياة كفاح– لا تخلو صفحة منه من الموبقات التالية : الإثم ، العدوان ، التجنِّي ، التزّيد ، التقوّل ، التعالي ، التطاول ، الغرور ، تزكية النفس ، إدانة الأموات ، الكشف عن العورات ، إلخ... هذه القائمة عدًا).

لقد قمت بجرد النقاط الواردة في مُؤَلَفِ " محمد الطاهر فضلاء " و التي خصص لها حيزًا كبيرا من التعليق،و هي في معظمها قضايا هامشية تتعلق بمسألة الدعوة إلى تأسيس جمعية العلماء المسلمين ، و وضع قانونها الأساسي ، و الكتابة الصحفية بالمنتقد و الشهاب من عدمها ، و استخدام مصطلح الأمين العام أو الكاتب العام للجمعية، ورئاسة تحرير البصائر ، و حادث اختطاف طائرة الزعماء الخمسة خلال الثورة، والموقف من اندلاع الثورة و غيرها .

---

[1] محمد الطاهر فضلاء: المصدر السابق ،(عرض الباحث).
[2] المصدر نفسه ، ص 14 .
[3] المصدر نفسه، ص 20 .

ومن خلال القراءة التحليلية للغة الكاتب، و أسلوب المؤلف ، و طبيعة القضايا المناقشة ، و قيمة الأدلة و الشهادات التي أدرجها ،إتضح لنا أنَّ المُؤلِف "محمد الطاهر فضلاء"، قد استخدم أسلوب التشهير و التجريح و الاحتقار و الاستهزاء ، و وظف ألفاظا نابية ، واستعمل عبارات لا تليق بقائلها ، و لا بحق الذي قيلت فيه ، و لم يلتزم بالموضوعية في تناوله للقضايا،فكثيرا ما كيَّف الشهادات و وجهها حسب إرادته[*]، بل تعمَّد حذف مقاطع من بعضها كما فعل مع مقدمة " محمد الصالح رمضان " التي أثنى فيها على "توفيق المدني"[1].

و إنَّ ما عرضه من وثائق قليلة يكتنفها الغموض،و لا ترقى إلى الوثائق المُدينة "للمدني"، و لم يكتف المؤلف بالتعليق على القضايا الخاصة بالجزائر ،بل عاتب أدباء و كُتاب تونس في شخص " الحبيب اللمسي" على سكوتهم ، و تقاعسهم حسب رأيه على ما ورد في " حياة كفاح " و خصوصا الجزء الأول ،من طمس للحقائق و استخفاف بأعلام التاريخ التونسي ، و من غمط لحقوق جيل الكفاح و النضال فيها[2].

و نحن نتساءل :هل أنَّ " فضلاء " أكثر حرصا على التاريخ التونسي من التونسيين أنفسهم ، و هل وصل قصورهم الفكري إلى درجة أن المُؤلف يوجه إليهم العتاب و كلنا يعلم مدى نشاط الحركة الفكرية و الثقافية بتونس؟! .

و الحقيقة أنَّ ما أورده "محمد الطاهر فضلاء" لا يعكس حسب رأي الكثير من المعاصرين موقفه الشخصي بل كان يمثل من خلاله واجهة لجهات وراء الستار،و يذكر

---

1 محمد الصالح رمضان : مقابلة شخصية ، القبة ، العاصمة : 22 أكتوبر 2000 .
2 محمد الطاهر فضلاء : المصدر السابق، ص 17 .
*- أنظر تعليقاته (محمد الطاهر فضلاء) على ردود " حمزة بوكوشة " بالصفحات : 281 ، 282 ، 284 ، 288 ، 294 إلى 299 من كتابه التحريف و التزييف .

الأستاذ "محمد الهادي الحسني[*]"الذي سأل الشيخ" أحمد توفيق المدني "عن طبيعة الحملة و من يقف وراءها ، بأن المترجم له قد أجابه بالحرف:[1](أولئك مخالب قط لا يريد أن يظهر)،لذلك فهو يعتقد أن المعاصرة لها حساسيات ،و من ذلك حساسية الشيخ "محمد خير الدين" اتجاه مترجمنا و يشاطره نفس الرأي "أبو القاسم سعد الله"و"أنيسة بركات" .

و حسب "محمد الصالح رمضان" أحد المشاركين في الكتاب المعارض"التحريف و التزييف" فإنَّ مؤلفه قد بالغ كثيرا ،و كان متحاملا جدًا،و بالتالي أفسد الغاية من التأليف موضحًا أنه كان مدفوعا من قِبَل الشيخ "محمد خير الدين" الذي كانت بينه و بين "المدني" حزازات سابقة تعود لمرحلة ما قبل الثورة حين عارض دخول الأخير إلى الجمعية و يعزى ذلك إلى تفوق المدني في الكتابة و الخطابة،و الثقافة المزدوجة،و العلاقات العامة الواسعة ،مضيفا أنَّ الشيخ "محمد خير الدين" هو الذي تولى طبع الكتاب على نفقته و قام بعملية الترويج له بنفسه ، و يذهب "محمد الصالح رمضان" في تأكيداته إلى أبعد من هذا، حيث أكدَّ لي أنَّ الشيخ " محمد خير الدين"قد دعاه إلى المشاركة بقوة في الحملة قائلا: [2] (أنا و أنت الأقرب إلى توفيق المدني،وبلا شك سيؤثر عليه كلا منا أكثر من كلام محمد الطاهر فضلاء).

و مع صدور كتاب "التحريف و التزييف" و تصاعد لهجة الانتقاد التي مست بشكل غير مسبوق شخصية الرجل ،حيث تأثر كثيرًا بالموقف ،و بذل مجهودات إضافية من أجل توثيق ردوده ،مما جعله يتخلى عن كثير من المشاريع العلمية التي كان بصدد التحضير لإنجازها و في طليعتها الجزء الرابع من حياة كفاح[3].

فكان أن جهَّز كتابًا موثقا انتهى من تأليفه في شهر أكتوبر 1982م كما أثبته في مقدمته ،يعتبر خاتمة إنتاجه الفكري، جعل له عنوانا يعكس منهجه في الرد ، حيث أطلق عليه "رد أديب على حملة الأكاذيب " تضمن 244 صفحة ، زيادة على عدد من الوثائق

---

[1] محمد الهادي الحسني : مقابلة شخصية ، أولاد يعيش ، البليدة : 30 جوان 2006 .
[2] محمد الصالح رمضان : مقابلة شخصية ، القبة ، العاصمة : 22 أكتوبر 2000 .
[3] محمد إسلام المدني : مقابلة شخصية، مقر إقامته بالأبيار، العاصمة :02 جويلية 2006 .
*- يعتقد الدكتور " محمد الهادي الحسني " أنَّ أحمد طالب الإبراهيمي ربما كان وراء حملة الإنتقاد ، و هذا بسبب نظرة هذا الأخير إلى ما أورده المدني من دور ريادي في تأسيس جمعية العلماء على أنه تطاول على مكانة والده المرحوم " البشير الإبراهيمي".

أدرجها كملاحق ، و قد رسم المؤلف على صفحة الغلاف "المخطوط" شعاره المعروف "الإسلام ديننا،العربية لغتنا ، الجزائر وطننا".

و افتتحه بالآية الكريمة: [1]" إنَّ الذين جَآءُو بِالإفكِ عُصبَةِ مِنْكُم ، لا تحْسَبُوهُ شرًّا لكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لكُم ، لِكلِّ إمْرِئٍ مّنْهُم مّا اكتسَبَ مِنَ الإثمِ وَ الذّي توَلّى كِبْرَهُ مِنهُمْ لهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ" صدق الله العظيم.

كتب "أحمد توفيق المدني" في المقدمة يقول:[2](بعون الله و توفيقه أفي اليوم بوعدي للسادة الأجلة و للإخوة الصادقين الصالحين ،و للأبناء البررة الميامين ، و أقدم لهم ما يسَّر الله لي في هذه العجالة، من رد أديب على حملة سفه و أكاذيب كنت ضحيتها البريئة و ما كنت و الله أنتظرها ... و استفزني الأحرار الأبرار من قومي ،لرد الحملة الكاذبة الخاطئة بأقسى و أفظع منها ، و أمدوني حفظهم الله بوثائق تكشف الستر عما خفي من فضائح و آثام).

و يضيف في ذات السياق: [3](و هكذا كانت ردودي عليهم جميعًا في صحفنا الوطنية الكريمة... لكن الأمر لم يقف عند هذا الحد ، فإنَّ الجماعة الذين لم يتأدبوا بآداب القرآن و إن كان بعضهم ممن يحملون عمائم العلماء سابقا ،قد ظنوا أنَّ تلك الطريقة اللطيفة التي أجبت بها المهاجمين،إنما هي علامة ضعف و استكانة... فجمعوا أمرهم على إصدار كتاب لا يكتفي بإعادة نفس الحملة الأولى و ما فيها من قول بذئ ، و تهجم مقذع، بل زادوا عليها إفكا و زورا و عدوانا شنيعا ... فأصدروا كتاب التحريف والتزييف فقلبوا فيه حقائق ناصعة يعرفها كل الناس،و اخترعوا أشياء لا وجود لها ،ثم حملوا عليَّ من أجلها حملة منكرة).

و الحق أنَّ رد الشيخ "المدني" جاء بأسلوب لطيف بعيد عن التجريح حيث قال[4]:(رأيت وجوب إصدار كتاب يعارض و يحطم تحريف و تزييف ذلك الكتاب ،إنما يكون بغير لهجته إذ هو " رد أديب " لا شتم فيه ولا سب ، و بغير طريقته إذ لا كذب فيه و لا تدليس إبليس ،بل حقائق ناصعة و حجج ساطعة).

1- سورة النور ، الآية 11 .
2 أحمد توفيق المدني ، رد أديب على حملة أكاذيب ، مخطوط، ص ص 3 – 4 .
3 المصدر نفسه ، ص ص 4- 5 .
4 المصدر نفسه ، ص 6 .

و حسب الشهادات التي جمعناها فقد قدَّم المؤلف الكتاب الجديد إلى الشركة الوطنية للنشر ،و التوزيع قصد نشره و ذلك في أواخر عام 1982م ، و يقول "محمد الهادي الحسني" المكلف آنذاك بقراءة ما يعرض للنشر بالشركة ،أنَّ الشيخ"أحمد توفيق المدني" قد عاد بعد مدة قصيرة و سحب الكتاب قبل إتمام القراءة و الاتفاق على الشكل النهائي للنشر، و ذلك بطريقة مفاجئة لدرجة أنَّ محدثنا لم يتمكن حتى من تصوير نسخة منه معتقدا أنَّ جهات عليا قد طلبت من الشيخ سحب الكتاب[1].

و حسب المؤرخ "أبو القاسم سعد الله"و استنادا إلى ما وصل إليه من معلومات بشأن خلفيات عدم صدور الكتاب أنَّ الدكتور "أحمد طالب الإبراهيمي" قد اطلع على محتوى الكتاب في شكله المخطوط ،و يكون قد اقترح إجراء تعديلات ، أو حذف بعض الأشياء وأنَّ المؤلف قد تمسَّك بموقفه ،و لم يشأ أن يُعدِّل في آرائه لذلك توقفت الشركة عن نشره وأعيد إلى صاحبه.

و هذا الموقف تأزَّم له كثيرًا "المدني" إذ اعتبره مؤازرة و مساندة لحملة مهاجميه، و أخبرني الدكتور"أبو القاسم سعد الله" بأنه طرح سؤالا على الشيخ "توفيق المدني" قائلا : لماذا تتأذى من عدم نشر الكتاب ؟ فكان الجواب بالحرف[2]:(لو كنت قَد مِتُ و انتقدوني ، فليس هناك مجال للرد،فالأجيال لا تلومني،لكن و أنا على قيد الحياة و لا يصدر مني أي موقف فهذا أمر غير معقول ، ولا بد أن يحكم عليَّ التاريخ و الأجيال).

و الظاهر أنَّ مترجمنا كان يريد أن يتعرف الناس على موقفه، و أن يزيل الضبابية التي صاحبت نشر الكتاب المعارض "التحريف و التزييف" ، و هو ما أشار إليه بالقول[3]:(فأنا سأتناول في كتابي هذا -و قد أردته مختصرا و بسيطا - كل الترَّهات التي تناولها كتابهم... فليس مقصدي هو الثأر ممن أساء إليَّ عمدًا و عن سوء قصد... بل مقصدي هو تقديم هذه الحجج و البراهين القاطعة لأبنائي و إخوتي و أصدقائي... كي تطمئن قلوبهم).

---

[1] محمد الهادي الحسني : مقابلة شخصية، أولاد يعيش ، البليدة : 30 جوان 2006 .
[2] أبو القاسم سعد الله : مقابلة شخصية، الأبيار ، العاصمة : 29 جوان 2006 .
[3] أحمد توفيق المدني : رد أديب على حملة أكاذيب، مخطوط ، ص 06 .

و عن محتوى الكتاب فقد قسَّمه إلى خمسه أقسام ،تناول في الأوَّل منها دوره في تأسيس جمعية العلماء، من خلال مساهمته في التحضير للتأسيس ، ووضع القانون الأساسي الأوَّل لها،و كتابته لشعار الحركة الإصلاحية الخالد (الإسلام ديننا العربية لغتنا الجزائر وطننا) و ذكر مساهمته في تأسيس نادي الترقي، و عرَّج على نضاله الصحفي بمجلة الشهاب،و تحرير مقال الكلمة الصريحة الشهير، حيث عرض شهادات و أدلة قوية تدعم ما أدرجه في كتابه حياة كفاح الجزء الثاني.

و من ذلك شهادة "حمزة بو كوشة" أحد المعاصرين،و الذي كان المراقب العام لجمعية العلماء في سنواتها الأخيرة قبيل اندلاع الثورة، و التي وردت في المقال الافتتاحي بجريدة البصائر العدد 317 ليوم 06 ماي 1955م ، و الذي كان بعنوان "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تستقبل سنتها الخامسة و العشرين"، ثم مقاله بمجلة " المعرفة " في عددها العاشر لشهر أفريل 1964م ، و من بين الأدلة كذلك، تقديم "المدني" لوثائق ملف جمعية العلماء بأرشيف ولاية الجزائر الذي يحمل رقم 1728 لسنة 1931م، حيث تضمن إمضاءات بخط يده عربيا و فرنسيا للقانون الأساسي للجمعية ساعة إيداعه باسم "عبد الحميد بن باديس"،و الذي لم يحضر عملية الإيداع و كلف بها "المدني"، بالإضافة إلى كتابته بخط يده قائمة أعضاء المجلس الإداري و لجنة العمل الدائمة[1].

كما استشهد مترجمنا بمقاله المنشور بجريدة "الإصلاح" في عددها السابع و الثلاثين (37) ليوم أول ماي 1947م ،و الذي كان بعنوان "الذكرى السابعة لوفاة فقيد الإسلام و العروبة و الوطن الأستاذ "عبد الحميد بن باديس"،و في هذا المقال ذكر المدني بأنه هو كاتب الكلمة الصريحة ردا على "فرحات عباس"[2].

أما القسم الثاني من الكتاب فجاء تحت عنوان: "ظهور كتاب حياة كفاح الجزء الثاني و الخصومة الظالمة " حيث عرض فيه أصداء ظهور مذكراته في جزئها الثاني على أعمدة بعض الصحف الوطنية .

---

[1] أحمد توفيق المدني: رد أديب على حملة الأكاذيب ، مخطوط ، ص ص 16 – 21 .
[2] المصدر نفسه ، ص ص 27 – 29 .

مبرزا المحاضرة التي ألقاها بالمركز الوطني للدراسات التاريخية تعريفا بها، وأثبت هنا ما نقلته صحيفة الجمهورية الصادرة يوم 10 ديسمبر 1977م،و كذا المقابلة التي أجرتها معه .

و تطرق في هذا القسم بالتفصيل إلى بدايات حملة الانتقاد التي وُجهت إليه عبر الصحف الوطنية،مكتفيا بعرض ردوده المختلفة في كل صحيفة على حدى دون إقحام المقالات المنتقدة له،و هذا عملا بمبدأ المعاملة بالمثل ،إذ لم يتضمن كتاب منتقديه "التحريف و التزييف" الإشارة إلى ردوده الصحفية [1].

حيث تولى الرد على مقالات الأساتذة " محمد الصالح رمضان "،"حمزة بو كوشة " "محمد الطاهر فضلاء " التي نشرت بالصحف الوطنية الناطقة بالعربية ،و هي "النصر"، "الشعب"،"الجمهورية" كما أشرنا في المبحث السابق.

و من بين ما ذكره تعليقا على أسلوب فضلاء في الانتقاد قوله[2]:(إنما الأمر الذي ساءني في نقد الأستاذ فضلاء اللاذع ،هو استعماله -في غمرة الحماس- ألفاظا لا تليق بقائلها ،و لا تليق بمن قيلت فيه،إنها ألفاظ شتم و سب و استنقاص ، لو كان النقد الذي قدَّمه خاليا منها لكان أبلغ و أوقع).

و عرض في هذا القسم أيضا ما كتبته جريدة الجمهورية الصادرة يوم 22 أفريل 1978م عن الندوة التاريخية التي ناقشت الموضوع (حياة كفاح الجزء الثاني) و قد سبق تناولها ، و دعَّم الجزء ببعض مقالات القراء .

و استعرض في القسم الثالث -الذي اختار له عنوان "مناقشة كتاب التحريف والتزييف"- ظروف ظهور هذا الكتاب بعد مرور خمسة أعوام من صدور حياة كفاح في جزئها الثاني،مؤكدًا أنَّ هدفه التحطيم،و الهدم لمكانته التي أحرزها بجهاده الفكري والسياسي ، معتبرا أنَّ مهاجميه و بإيعاز من شخصية كبيرة اعتمدوا المثل الفرنسي القائل[3]:(أكذبوا و لفقوا فلا بد أن يبقى لذلك أثر)، فقابل ترهاتهم بقول الله تعالى[1] z فأمّا الزّبد فيذهبُ جُفاءً ،و أمّا ما ينفعُ الناسَ فيمُكثُ في الأرضِ ، كَذلكَ يَضربُ الله الأمثَالَx.

[1] أحمد توفيق المدني : رد أديب على حملة الأكاذيب، مخطوط ص ص 38 – 45 .
[2] المصدر نفسه، ص 53 .
[3] أحمد توفيق المدني ، رد أديب على حملة الأكاذيب ،مخطوط ، ص 96 .

لقد تصدى "المدني" في هذا القسم لدحض ما جاء في كتاب معارضيه من تحريفات و مغالطات ،مدافعا عن مواقفه بحجج قوية ،مُظهرًا التناقضات الواردة في ذلك الكتاب، كما فنّد فيه كل ما جاء من زعم الإساءة إلى رجال من عظماء الأمة في الجزائر وخارجها.

و خصص الشيخ "أحمد توفيق المدني" القسم الرابع من كتابه و الذي جعل عنوانه: " شيء مما قيل عني" لاستعراض حقيقة علاقاته و اتصالاته،و ما اتسمت به من حميمية ، و تقدير متبادل مع عشرات الشخصيات الفكرية و الأدبية و السياسية من الجزائر، و بلدان المغرب العربي،و الوطن العربي و الإسلامي ،حيث عرض الكثير من الرسائل الودية وذلك لأوّل مرة.

و بالنسبة له فإنَّ مقصده من ذلك ليس المفاخرة،و إنما التدليل على مركزه الممتاز الذي حاول منتقدوه زرع الشكوك حوله، و في هذا الصدد يقول(2):(فإذا ما هم نزلوا إلى الحضيض لإلتقاط أو لاختلاق عبارات سوء قيلت ،أو زعموا بأنها قيلت ضدي ، فأنا مضطر اضطرارًا حتميًا أن أقابل ذلك بنقل عبارات حقيقية لا تزوير فيها و لا تدليس تعَبِرُ عن حقيقة أحاسيس و شعور فضلاء الأمة نحوي).

و من تلك الشخصيات ذكر "عبد الحميد بن باديس"،"البشير الإبراهيمي" "العربي التبسي" ، "مبارك الميلي"،"علال الفاسي"، "شكيب آرسلان" ، "عبد العزيز الثعالبي"،"محمد الفاضل بن عاشور"، "محي الدين القليبي"،"مولود قاسم"،"أحمد سحنون" ، "الأمير خالد بن هاشم" ، "الشاذلي خزندار" و غيرهم .

و جاء القسم الأخير من الكتاب بعنوان:"ردود على ترهات و أباطيل" تطرق فيه إلى مناقشة العديد من القضايا الهامشية التي أثارها كتاب "محمد الطاهر فضلاء"و ردَّ عليها نقطة نقطة موضحًا التناقضات التي وقع فيها أصحاب الردود ،لاسيما تعليقهم على الموقف من اندلاع الثورة التحريرية بالنسبة لأعضاء جمعية العلماء المسلمين.

[1] سورة الرعد ، الآية 17 .
[2] أحمد توفيق المدني : رد أديب على حملة الأكاذيب ،مخطوط ، ص 147 .

هذا و أثرى مترجمنا كتابه – الذي أشار إلى أنه اقتطع له وقتا ثمينا – بتقديم عدد هام من الوثائق التي نشر بعضها لأوَّل مرة[1].

و ختم مؤلفه بالقول[2]:(إنني ما حررت هذا الكتاب تزكية لنفسي ... و إنما تعمَّدت كتابته و أنا كاره دفاعا عن جهاد قمت به في سبيل الله لا أرجو به إلا وجه الله).

[1] أحمد توفيق المدني : رد أديب على حملة الأكاذيب ،مخطوط، ص 97 .
[2] المصدر نفسه ، ص 243 .

المبحث الخامس : صـــدى وفاتـــه

عاش الشيخ " أحمد توفيق المدني" ثمانية عقود و نصف عاصر خلالها أهم أحداث القرن العشرين، و تقلباتها على مستوى العالم ، و ظلّ الرجل يتمتع بشبابه و بذاكرته القوية حيث نجده يُؤلف مذكراته في سِنٍ تجاوزت السبعين ، فلم يكد يشعر بشيخوخته وهذه الحيوية جعلته يُردد مرارًا بعد أن تعدى عتبة الثمانين من عمره أنه يعيش شبابه للمرة الرابعة.

و لذلك كان محل إعجاب و تقدير ممن عايشوه عن قرب في سنواته الأخيرة و خاصة زملاءه بالمركز الوطني للدراسات التاريخية[1].

و الحقيقة أنّ المترجم له لم يستكن للراحة منذ صباه ، فالرجل دأب على العمل والنشاط ،و حركة التنقلات سواء خلال ثورة التحرير، أو في مرحلة الاستقلال لما تولى مهمة التمثيل الدبلوماسي في العديد من البلدان ، إلا أنّ مظاهر الإرهاق بدأت تظهر عليه في مطلع السبعينيات ، و حسب نجله " محمد إسلام " فإنّ والده أخذ يتعرض لأزمات قلبية لذلك طلب منه العودة إلى الجزائر عندما كان سفيرا بالباكستان فوافق على الأمر،حيث عالج مرضه هنا بالجزائر ،و بالتزامن مع فترة العلاج لم يتوقف عن الكتابة ، و الخطابة و المشاركة في المؤتمرات و الندوات داخل الجزائر و خارجها[2].

و مع مطلع الثمانينات و بعد الحملة العنيفة التي تعرّض لها تأزم للموقف إلا أنّ ذلك الأمر لم يقف في طريق عمله حيث كان عاملا إلى آخر دقيقة.

و في مطلع شهر أكتوبر 1983م تضاعفت حدة الأزمات القلبية فكانت كل العائلة إلى جانبه ليلا و نهارًا إلى أن توفي فجأة صباح الثلاثاء الموافق لـــ 18 أكتوبر 1983م بمسكنه العائلي بالأبيار بالجزائر العاصمة .

---

[1] أنيسة بركات درار : مقابلة شخصية ، العاصمة : 13 مارس 2002 .

[2] - محمد إسلام المدني : مقابلة شخصية ،الابيار ،العاصمة :2جويلية 2006.

و يُشير نجله إلى أنه كان و في اليوم الذي سبق الوفاة بمكتبه بمركز الدراسات التاريخية حتى أنه عندما ذهب لأخذ وثائق والده التي خلفها هناك، وجد بعضا مما كتبه في ذلك اليوم أي 17 أكتوبر 1983م .

و لم تشيع جنازته في يوم وفاته، بل تم تأخيرها إلى اليوم الموالي انتظارا لوصول الوفود ،و من بينها عائلة المدني المقيمة بتونس ، و شخصيات وطنية تاريخية و في أجهزة الحزب و الدولة[1].

هذا و قد خلفت وفاته أصداء على الساحة الوطنية و حتى خارجها،حيث أعلن عن وفاته عبر وسائل الإعلام الوطنية كالإذاعة والتلفزة ،و بعث الرئيسان "الشاذلي بن جديد" و الرئيس التونسي" الحبيب بو رقيبة " برقيتي تعزية لعائلة الفقيد[2].

و من جهتها أوردت الصحف الوطنية الناطقة بالعربية "الشعب" ، "النصر" "الجمهورية" و صحيفة "المجاهد" الناطقة بالفرنسية في صدر صفحاتها صورة المرحوم مع خبر الوفاة .

و قد كتبت جريدة الشعب بعنوان : " فضيلة الشيخ أحمد توفيق المدني في ذمة الله" قائلة " انتقل إلى جوار ربه فجر أمس فضيلة الشيخ أحمد توفيق المدني المُلقب بالمنصور عن عمر يناهز 85 سنة إثر نوبة قلبية"[3]، **و** عرضت مسيرته باختصار.

كما أوردت في صفحتها الأولى خبر تعزية رئيس الجمهورية لعائلته ، حيث كتبت أرسل الرئيس "الشاذلي بن جديد" برقية تعزية إلى أسرة الفقيد الأستاذ "توفيق المدني"[4].

و وصفت مراسيم تشييع الجنازة بالقول : " تم عقب صلاة ظهر أمس تشييع جثمان الشيخ "أحمد توفيق المدني" إلى مثواه الأخير بمقبرة سيدي عبد الرحمان الثعالبي ... و حضر تشييع جنازة الفقيد عدد من كبار المسؤولين في الحزب و الدولة ، إلى جانب أفراد أسرته و زملائه في المركز الوطني للدراسات التاريخية ... و في كلمة التأبين

---

[1] محمد إسلام المدني : مقابلة شخصية، مقر إقامته بالأبيار ، العاصمة : 02 جويلية 2006 .
[2] المقابلة نفسها.
[3] جريدة الشعب: العدد 6213 ،الجزائر: 19 أكتوبر 1983 ، ص 01 .
[4] نفس المكان .

أشير إلى مناقب الفقيد في إثراء المكتبة الجزائرية و خدمة الثقافة العربية الإسلامية ، و في الجهاد ضد الاستعمار " [1].

و بالمناسبة ألقى شقيق المرحوم الشاعر الشهير بتونس " الهادي المدني*" قصيدًا رثى فيه المرحوم ، و قد نقش على قبر الشيخ ، ما جاء فيه[2]:

قــف فــفي القــبــر أحمد المدني	هو " توفيق " الشريف الرضي
هــو للمغــرب الكبير و الإسلام	ذاك الــمــنــاضــل الــعــربــي
عَــلــمُ للــتــقى إلى الــرشد نــادى	إنـــه الــرائــد الــنــقــي الــتــقــي
ربـــنـــا إجــعــل مـــثــواه جنة عدن	أيـــن فـــي الـــخـــلـــد جـــدّه الهاشمي

و خلال شهر ديسمبر 1983م نظَّم اتحاد الكتاب الجزائريين حفلا تأبينيا بمناسبة الأربعين ، و مما قاله " محمد الطاهر عدواني " بهذه المناسبة[3]:(لقد عهدناك يا شيخنا الجليل ، أنت الشباب و نحن الشيوخ ... لقد علــَّمتنا كثيرًا فأنت مُعَلِمُ جيل بحق ، يكفيك فخرًا أنك علــَّمته الإيمان ، الإيمان بالله ، و الإيمان بالوطن).

رَحِمَ الله الفقيد و أسكنه فسيح جنانه .

[1] جريدة الشعب: العدد 6214 ، الجزائر: 20 أكتوبر 1983 ، ص 03 .
[2] محمد إسلام المدني : مقابلة شخصية ،الابيار ،العاصمة : 02 جويلية 2006.
[3] مجلة الثقافة : العدد 77 ،الجزائر: سبتمبر – أكتوبر 1983 ، ص 135 .
*- القصيد المنقوش على الرخام على قبر المرحوم حسبما أفادنا به نجله محمد إسلام .

خاتمة:

في نهاية هذا الفصل ومن خلال ما تقدَّم عرضه و مناقشته يمكن استخلاص الآتي:

أولا : مساهمة المدني في ثورة التنمية البشرية و المادية للجزائر الجديدة و التي عملت على المحو التدريجي لحلكة الليل الاستعماري الطويل و مخلفاته الثقيلة،من خلال تنظيم وزارة الأوقاف و استرجاع مؤسساتها ، و خلق معاهد التعليم الأصلي كتجربة رائدة مكنت من تخريج آلاف الإطارات المعربة ذات الثقافة الإسلامية التي عملت على الوقوف في وجه التيار التغريبي الذي حاول التنكر لمبادئ ثورة أول نوفمبر ، و رسم خط إيديولوجي معاكس لتطلعات الأمة.

ثانيا : تطوير العلاقات الدبلوماسية مع الأشقاء العرب و المسلمين من خلال نشاطه كسفير للجزائر لدى بلدان العراق و إيران و تركيا و الباكستان ، و توظيف علاقاته الشخصية بقيادتها لخدمة الحركة التعليمية و الثقافية الجزائرية ،و من ذلك إغناؤه الأرشيف الوطني بآلاف الوثائق المتعلقة بتاريخ الشعب الجزائري ، و لا سيما تحت المظلة العثمانية مما ساهم في تسليط الأضواء على حقبة هامة من التاريخ الوطني .

ثالثا : دافع بقوة عن حركة التعريب تأصيلا للانتماء الوطني و ليس تعصبا للقومية العربية ، و كان متفتحا على ثقافات العالم،و شارك بفعالية في ملتقيات دولية لحوار الحضارات ، و في ملتقيات الفكر الإسلامي الاعتدالي التي تطرح الإسلام المتسامح البعيد عن التطرف و التعصب .

رابعا : تبنى الفكر الاشتراكي القائم على العدالة الإجتماعية المتوافقة مع النظرة الإسلامية والنابعة من صميم الواقع الجزائري ، فالاشتراكية التي دعا إليها محلية و ليست مستوردة لا من بكين و لا من هافانا ، إذ كان يرى أنَّ الشعب الذي اشترك في الآلام والحرمان،عليه أن يتقاسم الثروات و المنافع .

خامسا : توَّج المدني مسيرته بإصدار مذكرات حياته "حياة كفاح " في ثلاثة أجزاء رسم فيها صورة لنضاله و كفاحه في ميادين عديدة ، و عرض وجهة نظره حول القضايا المعاصرة له ، و قد خلفت ردود أفعال متباينة ،و تعالت ضدها أصوات معارضة انتقدت بشدة ما عرضه الرجل ، و شنـَّت عليه حملة قوية جاوزت كل حدود اللياقة والموضوعية العلمية إلى الطعن و الشتم و الاستهانة بشخصه ،الأمر الذي حدا به إلى اقتطاع جزء هام من وقته و هو في أيامه الأخيرة للرد على تلك الحملة بالحجج و الشهادات و التي جمعها في كتاب لم يتمكن من نشره آنذاك.

خاتمة الرسالة :

إن تتبعي لنشأة المدني وتربيته ونضاله في بلدين متجاورين تونس والجزائر، مكنني من ادارك المنطلقات الأول التي بدأ بها مترجمنا مسيرته الغنية بالأحداث والمنجزات المتنوعة ،وان استعرض النتائج التي توصلت إليها من خلال دراستي لمسيرة هذا الرجل المناضل الطويل النفس في مختلف الميادين السياسية والثقافية والأدبية والإنسانية .

ويمكنني استعراض هذه النتائج على النحو الآتي :

أولا :لاشك أن استفادت المدني من ظروف بيئية وأسرية متميزة ،ومغذيات فكرية وتربوية وأخلاقية متنوعة ،قد لعبت دورا كبيرا في تشكيل شخصية الرجل ،وصناعة مستقبله السياسي والعلمي على الصعيدين الوطني والعربي ،بل وحتى الدولي، وفي مقدمة هذه الظروف البيئية والأسرية ،والدته التي كانت المدرسة الأولى التي رضع منها القيم الدينية والأخلاقية ،ووالده الذي نهل منه قيم الرجولة والتضحية ،وأخواله الذين حقن منهم الأفكار السياسية والنضالية لاسيما "محمد بويراز" و"الحبيب بويراز"،حيث نشأ المدني الطفل وسط فضاء عائلي تناقش فيه الأفكار التحريرية ،ويهاجم فيه الاستعمار،فأسرتاه تعدان من ابرز العائلات الجزائرية المهاجرة إلى تونس ،وهما معروفتان بمعاداتهما للاستعمار الفرنسي باعتراف التقارير الفرنسية نفسها،وعلى الرغم من الوضع المادي الميسور نسبيا لأسرته،فانه لم يتوان يوما في حمل هموم الأمة والدفاع عن قيمها العربية والإسلامية ،والدعوة إلى الوحدة والتضامن بين أفرادها وهو ما يزال فتى يافعا، لذلك فلا ريب أن هذه العوامل المختلفة هي التي رسمت ملامح توجهه الفكري والسياسي فيما بعد.

ثانيا :لقد شكل المناخ الثقافي الحي في تونس -الخاضعة لنظام الحماية الفرنسية والمتمتعة بهامش معتبر من الحرية مقارنة بما هو سائد بالجزائر- رافدا متميزا لتكوين الشخصية الفكرية والثقافية للمدني ،الذي درس القرآن في الكّتاب ،ولقن العلوم اللغوية والعصرية في المدرسة الخلدونية، ثم بجامع الزيتونة المعمور صاحب الفضل في نهضة تونس وقبلة جيرانها وخصوصا الجزائريين، مما مكنه من اكتساب تكوين ثقافي متين في علوم القرآن واللغة العربية وآدابها ،إلى جانب إلمامه الحسن باللغة الفرنسية ،فساعده ذلك على الإطلاع على الثقافة والأدبيات الأوربية عامة والفرنسية خاصة.

وإن دراسته على جملة من الشيوخ المشهود لهم بالكفاءة والمقدرة العلمية ،جعله من ابرز الطلبة في عصره لاسيما الأستاذ "حسن حسني عبد الوهاب" الذي اخذ عنه دروس

التاريخ فأعجب بمنهجه ،وتأثر بشخصيته ،ويظهر ذلك في توجهه نحو التأليف التاريخي خلال مسار حياته فيما بعد .

ثالثا: إن علاقة المدني الوثيقة جدا برجال الثقافة من شعراء وصحافيين وكتاب بارزيين ،كان لها كبير الأثر في التعريف بشخصية ومساعدته على ولوج عالم الصحافة من الباب الواسع من أمثال "الطيب بن عيسى" و"حسين الجزيري" " والشاذلي خزندار" كما أن احتكاكه بجيل من السياسيين الناضجين ،سمح له باكتساب تجربة سياسية استثمرها في مشواره النضالي الطويل من أمثال "عبد العزيز الثعالبي" و"أحمد الصافي "وغيرهما.

رابعا: إن دخوله السجن في سن مُبكرة حوّله إلى مناضل سياسي شاب استطاع استغلال سنوات مصادرة حريته -و التي قاربت الأربع سنوات- في تغذية فكره و تكوين نفسه بعصامية قلَّ نظيرها، بما أهَّـله لاستئناف نشاطه السياسي و الاندماج بسرعة في معترك الحياة الفكرية والسياسية النشطة بعد الحرب الكونية الأولى ،وذلك نتيجة التغيرات الحاصلة في المفاهيم و الأفكار محليا و عالميا ،حيث أظهر مقدرة عالية على الكتابة، و بسط قلمه على أعمدة الصحف ،فتحوّل في وقت قصير إلى صحافي محترف و خاض ميادين عديدة و وجه من خلالها سهامه الحادة صوب المستعمرين ،الذين ضاق صدرهم بدعايته فرأوا الحل في إبعاده للتخلص من أفكاره.

خامسا: إن انخراطه المبكر في الحياة السياسية بتونس بعد الإفراج عنه أواخر عام 1918م ،مكنه من البروز كشخصية سياسية وطنية وقومية ذات توجه عربي إسلامي ونزعة تحريرية تجمع بين أصالة المرجعية وعصرنة النظرة والتحرك ، خاصة بعد التحاقه بالحزب الدستوري الحر، وتدرجه في المسؤوليات التنفيذية داخله إلى أن صار عضوا قياديا في لجنة المركزية ،حيث استطاع بحركية الدؤوبة التغلغل في الأوساط الشعبية عبر نشاطه في شُعب الحزب ،وخلايا العمال وعلى خشبة المسرح ،فكسب تأييدا شعبيا تجلت مظاهره في ردة الفعل الغاضبة والاستنكار القوي الذي صاحب قرار إبعاده إلى الجزائر في شهر جوان 1925.

سادسا:إن ترحيل المدني إلى الجزائر سنة 1925 بقرار الإبعاد من المقيم العام الفرنسي بتونس كان خسارة للطبقة السياسية التونسية ،ولكنه كان منحة ونعمة على الجزائر وعلى الحركة الإصلاحية الوطنية فيها ، التي استفادت في نشاطه وتجربته الفذة حيث شارك -بعد وصوله مباشرة- وبقوة في تأسيس أهم ناد ثقافي عرفته الجزائر حتى

ذلك الوقت ألا وهو ناي الترقي سنة 1927 ،والذي تحول إلى فضاء واسع للحركة الثقافية والأدبية والسياسية لأبناء الجزائر ،الذين بدأوا ينفضون عنهم أسمال الماضي، ويتطلعون إلى مستقبل جديد ،ففي هذا النادي ولدت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والتي كانت اكبر منظمة وطنية جزائرية احتضنت في صفوفها ما يزيد عن 40% من أبناء الشعب الجزائري ،وكان في طليعة المبادرين إلى تأسيسها مترجمنا.

إن المدني بانضمامه إلى تأسيس المشاريع الوطنية ،قد كسب ثقة رجال النهضة والإصلاح في الجزائر منذ الوهلة الأولى ،من أمثال "عبد الحميد بن باديس "و"البشير الإبراهيمي" وعلى الرغم من الدور الحيوي الذي لعبه في تأسيس الجمعية ،فقد آثر العمل بالاستقلالية لاعتبارات موضوعية ،وإذا كان يبدوا ظاهريا وطيلة عشريتين متتاليتين (1931-1951) غير منضو تحت لوائها ،فانه ميدانيا لم يتخلف لحظة واحدة عن دفع مشاريعها قدما إلى الأمام ،وظل مستشارها ،وأحد ابرز وجوهها الإعلامية على أعمدة البصائر لسانها الرسمي ،حتى تهيأت الظروف فاحتضنته الجمعية برغبة قوية ،وصار أمينها العام اعتبارا من سنة 1951 ،إلى غاية التحاقه بالوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني عام 1956م .

سابعا:لقد سجل المدني إسهامه السياسي على الساحة الوطنية ،حيث سخـَّـر كل امكاناته و تجاربه و طاقاته لخدمة قضية الوطن ،و فضح أساليب المستعمر و إيقاظ الوعي الجماهيري،و إذا كان صحيحا عدم انضوائه تحت أي تنظيم سياسي – و هو المراقب من قبل الإدارة الاستعمارية كأحد العناصر الخطرة القادمة من تونس تحت طائلة الإبعاد– فإنه قد ناضل بالمدلول الواسع و الشامل للكلمة الذي يستوعب كل جهد وطني مخلص يصُبُّ في خانة تحرير الوطن ، و استعادة السيادة المفقودة متجاوزا بذلك المفهوم الكلاسيكي الذي يختصر في الغالب النضال في المساهمة السياسية المحضة عبر الانضواء في أحزاب و منظمات ،و هي العملية التي تسجل لدى البعض كمقياس وحيد و أوحد للوطنية.

و الحق أنَّ الرجل قد تفاعل بإيجابية مع كل جهد استهدف جمع شمل الجزائريين و توحيد صوتهم اتجاه فرنسا،و من ذلك مشاركته في إعداد البيان الشهير بيان الشعب الجزائري 1943م مع "فرحات عباس"،و تأسيس الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية

و احترامها سنة 1951م و التي اعتبرها الومضة التي سبقت نار ثورة أول نوفمبر 1954م.

ثامنا:لقد أثرى مترجمنا المكتبة العربية الجزائرية ببواكر تاريخية قيّمة لا تزال مرجعا للباحثين الجزائريين في مختلف العصور التاريخية ،باعتبارها اللبنات الأولى في المدرسة التاريخية الجزائرية ،التي نتوقع نضوجها في المستقبل القريب ،في مواجهة طروحات التأريخ القادمة من مخابر ما وراء البحر ،والتي أعدت لخدمة أهداف أصحابها.

والواقع انه لو لم يكن "المدني" متعدد النشاط والاهتمامات ،وتفرغ للكتابة التاريخية وحدها لبرع فيها إلى حد كبير ،وإذا كان قد عيب على الرجل عدم التزامه بالمنهجية العلمية الحديثة فيما قدمه، فان الهدف الذي سعى من وراء هذه الكتابات ،هو بعث الأمة الجزائرية إلى الحياة من جديد ،في مواجهة عملية هدم الهوية الوطنية للشعب الجزائري ولم يكن ذلك يحتاج في وقته إلى العمل الأكاديمي في كتابة تاريخ لم يكتب بعد.

تاسعا: إن الباحث في سيرة هذا الرجل يلاحظ أن الخط السياسي "للمدني" كان يلين ويشتد حسب الظروف ،إلا أن مبدأه المناهض للاستعمار ودسائسه ظل ثابتا،وأن دفاعه عن مقومات الهوية الوطنية اللغوية والدينية سبقت معاصريه ،فالرجل يعد أول الأصوات -إلى جانب أبي اليقظان- التي حاربت سياسة التجنيس ،وهو صاحب الثلاثية الشهيرة (الإسلام ديننا ،والعربية لغتنا ،والجزائر وطننا) التي أصبحت شعار الحركة الإصلاحية، وجرى تلقينها للأجيال، وهو في هذه المسيرة يتصل مع أبي النهضة الجزائرية ابن باديس بخيط رفيع ظل يربطها حتى نهاية المطاف.

عاشرا :أظهر "المدني" اهتماما كبيرا ،و دفاعا مستميتا عن استقلال أقطار الوطن العربي و الإسلامي منذ عشرينيات القرن الماضي (ق 20م) ،فكان من أنصار الوحدة المغاربية التي تشكل في نظره معبرا للوحدة العربية الشاملة،و تتوفر على مقومات النجاح من عنصرية و امتداد جغرافي و علائق تاريخية.

و أفرد لقضية فلسطين حيزا هاما من فكره و قلمه ، فاضحا الحركة الصهيونية والمؤامرات الدولية التي حيكت ضد الشعب الفلسطيني،منددا في أحيان كثيرة بالتخاذل العربي الذي رأى أنه السبب الرئيس لضياعها.

أحد عشر : لقد لعب مترجمنا دورا نشطا إبان الثورة التحريرية الكبرى (1954 – 1962) ، فخلال الفترة التي سبقت انضمامه الرسمي لجبهة التحرير الوطني

سنة 1956م ،تفاعل بإيجابية مع حدث اندلاعها، فوظف قلمه من خلال صحيفة البصائر لمناصرتها مُحمِّلا الإستعمار عواقب سياسته المتنكرة لحقوق الشعب الجزائري.

و من موقعه كأمين عام لجمعية العلماء ،و بحكم صِلاته القوية برئيسها الشيخ البشير الإبراهيمي فقد أشار عليه بإصدار بيان التأييد للثورة المباركة انطلاقا من القاهرة حيث كان يتواجد .

و الغريب أنَّ بعض المندفعين يوجهون اللوم للعلماء و منهم "المدني" على عدم أخذهم موقفا مؤيدا للثورة ، غير انه لا واحد من هؤلاء المندفعين أثبت وقوفهم ضد هذه الثورة ،وعلى الرغم من التكتيك الاستعماري القائم على اختراق الصفوف وفتح قنوات التفاوض غير المتكافئ بما يؤثر على استراتيجية الثورة ،ويضعف تحرها منذ البداية ،فان مترجمنا قد فضل الالتحاق والالتزام بخط الثورة ،لذلك واعترافا بجهوده و امكاناته قررت قيادة الثورة تدعيم وفدها الخارجي بشخصيته ،فكان اختيارها صائبا ،حيث لعب دورا رائدا في الدعاية لصالح القضية الجزائرية،وكسب المؤيدين لها ،وتبوأ مكانة قيادية في مؤسسات الثورة السياسية و الدبلوماسية ،وتجند في مواقع لا حصر لها دفاعا عن حق الشعب الجزائري في الحرية والاستقلال.

اثنا عشر:إن "المدني" وعلى الرغم من تقدمه في السن ،فانه لم يتوان في عهد الدولة الوطنية المستقلة في خدمة وطنية بإخلاص على كافة مستويات المسؤولية والنشاط ،والتي تنقل خلالها ما بين الوزارة والسفارة والاستشارة ،فمثلت شخصيته رجل الدولة الملتزم ،المترفع عن الحساسيات والمؤامرات وصراع المصالح، فأعطى وجها مشرفا للإنسان المثقف ،الذي سخر كل جهده ووقته لنشر العلم والمعرفة بين أبناء بلده ،ولعل معاهد التعليم الأصلي ،وبعث المجلات الفكرية، وتنشيط ملتقيات الفكر الإسلامي ،و تفعيل المركز الوطني للدراسات التاريخية ،تشهد له بكفاحه المتواصل لاسترداد هوية الجزائري وترسيخها.

ثلاثة عشر : على الرغم مما قدمه المدني من خدمة للثقافة الجزائرية ،وللحركة الوطنية بصورة خاصة ،فإن بعضا من رفاقه من ذوي المشرب الواحد، قد كافؤه مكافأة تسيئ لمسيرته الوطنية ،ولم يحفظوا له ودا رغم علاقات الأخوة التي كانت تربطهم به ويا ليتهم قدموا دليلا علميا فنّد ما عرضه الرجل في مؤلفه "حياة كفاح".

أربعة عشر: إن هذه الشخصية الوطنية التي لم تعرف كللا ولا مللا في مواجهة الأخطار الاستعمارية منذ نعومة أظافرها ،وعلى الرغم من الجهود التي قدمتها على مدار سبعين عاما قضتها خدمة للدين والوطن والتاريخ ، إلا أنه وبعد مضي ما يقارب الربع قرن عن رحيلها ،لا تزال في طي النسيان ،ولم تحظ بأية التفاتة من جهة من الجهات تكريما لجهدها ونضالها كسائر أبناء الأمة المخلصين ،بل بالعكس فان تهميشا و إقصاء متعمدان قد مورسا عليها ، فالرجل عاش للجزائر ،ومن أجل الجزائر ،ولا يملك عصبية تدافع عنه أو تقيم له الملتقيات وتحيي ذكراه .

والحق أن التراث الذي تركه المدني للأمة يجعل منه قطبا من أقطاب النهضة والفكر السياسي المتنور في جزائر القرن العشرين.

ونحن نأمل أن تكون هذه التجربة العلمية في مسيرة الرجل ،استفزازا لهمم الباحثين الجادين ،للتعمق في فكر الرجل ،وتراثه الغني الذي يحتاج إلى المزيد من الدراسات العلمية والأكاديمية لإعطاء الرجل حقه في الذود عن حياض الأمة.

الملحق رقم : 01

Consulat Général
à Tunis

REPUBLIQUE ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POPULAIRE

Extrait des Registres de l'Etat Civil

NAISSANCE

N° de l'acte 41/93

Le SEIZE JUIN MIL HUIT CENT QUATRE VINGT DIX NEUF
à / minutes
est né à TUNIS
MADANI AHMED-TOUFIK
du sexe MASCULIN
fils de MOHAMED BEN AHMED MADANI
et de AICHA BENT OMAR BIRAZ
/
/
/

Transcrit au Consulat Général le VINGT SEPT MARS MIL NEUF CENT QUATRE VINGT TREIZE.
/

En marge est écrit : /
/
/

Pour extrait conforme :
Tunis, le 31.MARS.1993
Le Consul Général
عن القنصل العام
نائب القنصل
جيلالي بن نكرلة

شهادة ميلاد أحمد توفيق المدني

المصدر : أرشيف خاص بعائلة المدني

الملحق رقم : 02

ماذا جرى ربّاه إنّي هالكه	نزلتْ عليّ مصائب كالصّاعقة
هَذي بَنِي الألمان جاءت تبْتغي	باريس تَصْليها نِيرانا حاميه
وذي جُنود الأنكليز قد انْثنتْ	تبغي مراكزها لعلّها خائنه

أنــــكلترا

أتضنّي أيّتها البَهيمة أنّني	أُرسل جُنودي لميادين القتال
لأصونَ أرضك أنتِ يا منْ بِي	المغرب الأقصى ضيّعت أُلوفًا من الرّجال
لقد ضيّعت مُدرّعات عشرة	عشرون ألف قضوا حتف الأجال
أبَعْدَ هذا تَطلُبين إعَانَتي	إنّ ذا لَهُو الضّلال

فـــــرانسه

تَعْسًا لك من دولةٍ خَائنة	كطوّحْتِني في حرْب شعْبٍ قاسيا
فلأسْتَعنّ بالأُخْرى ولا صَحّ	عوْنا لأختك يا حبيبتي روسيا

روسيـــــا

بالله دَعِيني يا أُخْتي إنّني	في الهمّ والأحزان والأكدار
قد جاءني الأتْراكُ لمّا كنتُ في	قليسيا(Galice orient)أفْتَحُ الأمصار
ساروا إلى القكاز(Caucase)في مجموعهم	فَتَحُوهُ قصْرًا، واقتفوا الآثار
قد ضَرّني الألمانُ واستولَوْا على	أرض بها جمع من الأحرار
أبَعْدَ هذا تَطلُبين إعَانتي مع	أنّني في الغمّ والأحزان والأكدار

فـــــرانسه

نعم خُدعت اليوم شرّ خَديعة	وإنّني حمْقاء وبلهاء مغترّه

تــــونس

هذا جزاء الظّلم يا فرانسه	والظّلم مصْرعه وخيمٌ كما ترى
لمّا دَخَلْتِني،إليّ قلْتِ إنّني	مُحْتَاجة للعدل وهذا بلا مُرا
ولكن أطردْت مِنّي العدل مُطْلقًا	والظّلم عن أنيابه قد كشّرا
أرَشَادٌ فأنقذْني وكَسّرْ قيديا	وارفع على أرضي لواءً أحمرًا

القصيدة التي نظمها المدني وكانت سببا في اعتقاله سنة 1915.

المصدر: ANT, E550-30/15-836 Doc N°:07

رشـــــــاد

مهلا بُنيّتي إنّني أُنْجِيكِ والجُنْدُ	قبل طرابلس يأتيك
إنّي رشادُ الدّينِ ليْثٌ في الوَغَى	وسأنقذُ الإسلامَ من حاميك

تـــــونس

ربّي عمّرني طويلا لكي أرى	محلّي قِشْلة القصْباء رايتنا الحمرا

فـــرانسه

رفقا يا غليوم رفقا بالتي	تجْثُوا أمام عَلْيّاكَ المتعصم
نعم إنّي فرانسه قد قهرت	وفي هذا دليل للانتصار وقوّتي

فـــرانسه

نعم سعدي قد أفل	بالخيبات الأمل

أنـــكلترا

	بالخيبات الأمل

الملحق رقم : 03

ALGÉRIE 10 FRANCS IMPÔT DU TIMBRE

504

N° 04681 Algérie

Non-travailleur
ou
~~travailleur~~ (1)

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE

CARTE D'IDENTITÉ
" PROTÉGÉ FRANÇAIS "
(valable pour la durée du séjour en Algérie)

~~ou du~~ .... au ....(1)

Nom : M'Madani

Prénoms : Ahmed Toufik ben M'Hamed

Nom du père : M'Hamed

Nom de la mère : Bouiraz Aicha

Date de naissance : 1899

Douar : Tunis

Tribu :

Contrôle civil ou Bureau militaire

Domicile en Algérie : 1 Imp. Berbrugger ALGER

Profession : commerçant

Nationalité : Tunisienne

Pièces justificatives produites : passep.

délivrée par M. le Préfet

de Alger

le 12 JUIN 194

Pour le Préfet :
Le Chef de Bureau délégué

Timbre de la Préfecture

Empreinte du pouce droit
(à l'encre grasse)

SIGNALEMENT

Taille :

Nez :

Bouche :

Barbe :

Signes particuliers :

Non Valable pour les Départements de
MOSELLE, HAUT-RHIN, BAS-RHIN

N. B. — Tout défaut de déclaration de changement de domicile entraînera le retrait de cette carte d'identité et le refoulement de son titulaire.

(1) Rayer la mention inutile.

IMP. CHAIX

PRÉFECTURE D'ALGER — ÉTRANGERS

ALGÉRIE 40 F IMPÔT DU TIMBRE

ورقة جنسية تونسية
مسجلة من دار عامل مدينة الجزائر
(بناء على شهادة شيخ مدينة تونس)

بطاقة الهوية لأحمد توفيق المدني

المصدر : أرشيف خاص بعائلة المدني

الملحق رقم :4

ARRETE

Le Résident Général de la République Française, à Tunis, Officier de la Légion d'Honneur;

Vu l'article 82 de l'Edit Royal de juin I778, déterminant les pouvoirs de police qu'exercent les Consuls Français en pays étrangers à l'égard de leurs nationaux ;

Vu notre arrêté du 6 juin I925 prononçant l'expulsion du territoire tunisien de M. AHMED TEWFIK BEN M'AHMED EL MADANI, algérien, sujet français;

Arrête:

ARTICLE UNIQUE.- L'arrêté susvisé du 6 juin I925 prononçant l'expulsion du territoire tunisien de M. AHMED TEWFIK ben M'AHMED EL MADANI, est rapporté./.

TUNIS, le 28 Novembre I933.

Le Résident Général de la République Française,

SECRETARIAT GENERAL DU GOUVERNEMENT TUNISIEN SURETE PUBLIQUE

[signature]

قرار إبعاد أحمد توفيق المدني للمرة الثانية من تونس سنة 1933

المصدر : أرشيف خاص بعائلة المدني

قرار

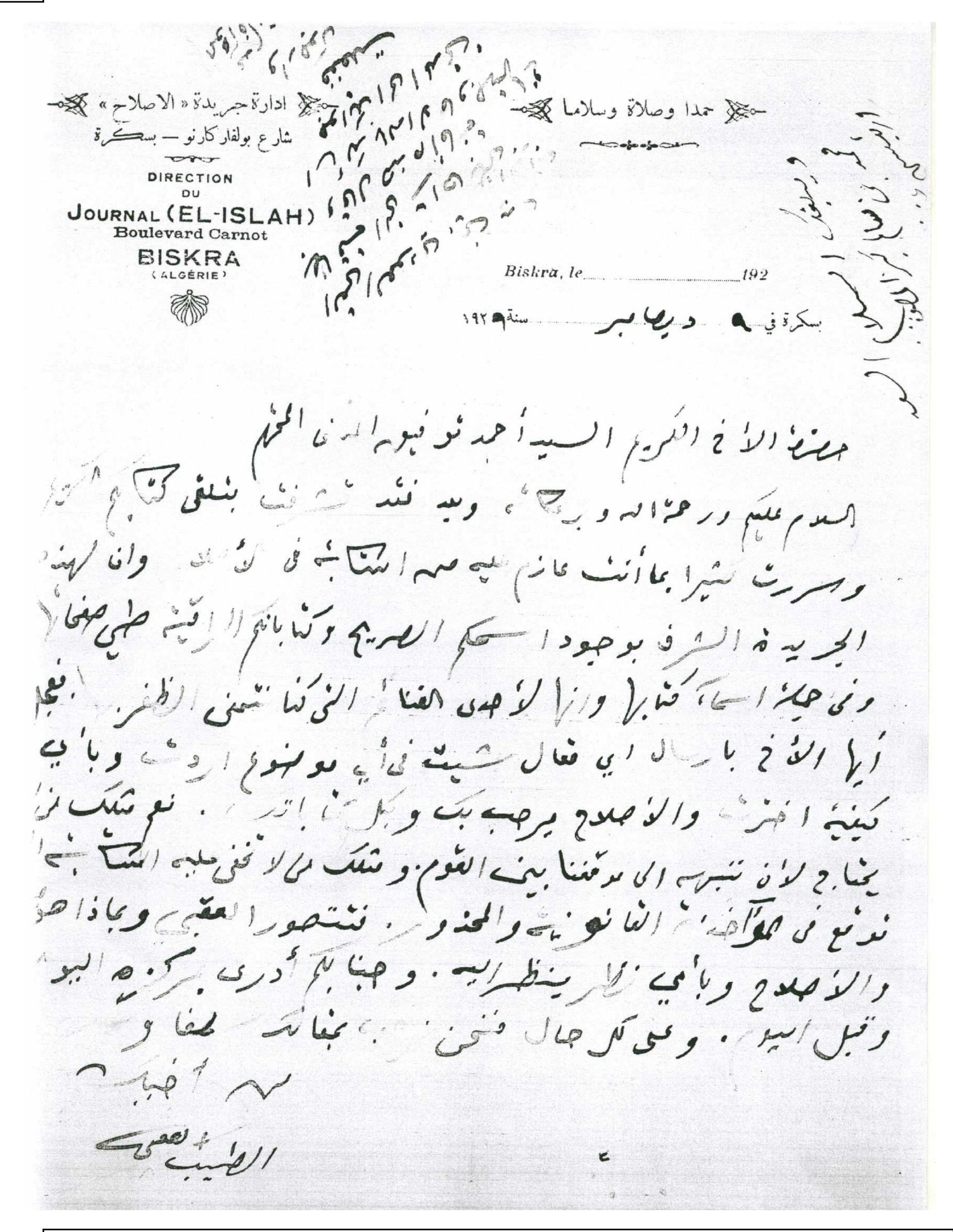
إن المقيم العام للجمهورية الفرنسية بتونس
-بناء على المادة 82 من الامر الملكي لشهر جوان 1778 الذي يحدد سلطات الشرطة المكلفة بمهام حماية الرعايا الفرنسيين في البلدان الاجنبية
- بناء على قرارنا بتاريخ 06- جوان – 1925 المتعلق بالابعاد من الاراضي التونيسية السيد أحمد توفيق المدني ،جزائري ،رعية فرنسي .

يقـــــــرر

المادة الوحيدة : أنا القرار المشار اليه اعلاه الصادر في 06 جوان 1925 المتعلق بالابعاد من التراب التونسي للمدعو أحمد توفيق المدني ،يتم تأكيده من جديد .

تونس في 28 نوفمبر 1933
المقيم العام للجمهورية الفرنسية

الملحق رقم : 05



حمدا وصلاة وسلاما

ادارة جريدة «الاصلاح»
شارع بولفار كارنو — بسكرة

DIRECTION
DU
JOURNAL (EL-ISLAH)
Boulevard Carnot
BISKRA
(ALGÉRIE)

Biskra, le 192

بسكرة في 9 ديسمبر سنة 1929

حضرة الأخ الكريم السيد أحمد توفيق المدني المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فلقد تشرفت بتلقي كتابكم [illegible]

وسررت كثيرا بما أنت عازم عليه من الكتابة في [illegible] وان لهذه

الجريدة الشرف بوجود القلم الصريح وكنا بانتظار [illegible] طي صفحا[illegible]

وفي حلية [illegible] كنا [illegible] الذي كنا نتمنى الظفر به فمجا[illegible]

أيها الأخ بالرسائل [illegible] فعال [illegible] في أي موضوع [illegible] وبأي

كيفية [illegible] والإصلاح يرحب بك [illegible] نعم تشكك لم

يحتاج لأن تنبه إلى موقفنا بين القوم وتشكك لا تخفى عليه الكتابة

نوع من [illegible] القانونية والمحذور. فتتصور العقبي وبماذا هو

والإصلاح وبأي نظر ينظر إليه. وحينا لكم أدرى بمركزه اليوم

وقبل اليوم. وعلى كل حال فنحن [illegible] بمقالاتكم لطفا و

[illegible] أخيكم

الطيب العقبي

رسالة خطية من الشيخ الطيب العقبي لمترجمنا ترحب بإسهاماته الفكرية على أعمدة جريدة الإصلاح

المصدر : أرشيف خاص بعائلة المدني

الة **الملحق رقم : 06**

EC 8895

Conseil d'administration
de l'association des Oulemas d'Algérie

President Benbadis Abdelhamid, Moudarres à Constantine
Vice President Tabeb Bachir Commerçant, Setif
1er secretaire Tamoudi Lamine oukil Biskra
2me " Taieb Log-bi Proprietaire Biskra
tresorier M'barek ben Mohamed Mili Moudarres Laghouat
2me tresorier Bayoud Hadj Brahim Moudarres Guerara.

membres :
Cheik Mouloud ben Esseddik Hafedi, proprietaire Beni Hafed, Lafayette
Moulay Ben Cherif, proprietaire Cassaigne
Tayeb Mehadji Moudarres Oran.
Essaïd Ettgeri, Moudarres Akbou
Hassan Trabelsi Commerçant Bône
Abdelkader Kassimi proprietaire Bou Saâda
Mohamed Foudil Iratni, Conseiller Municipal Michelet

31 mai 1931

Commission administrative permanente
Zmerli Mohamed Restaurateur rue de la Marine 9 Alger.
Ait Si Ahmed Abdelaziz, Negociant rue des Consuls 7
Mohamed Mahdi proprietaire Bône
Omar Smail Proprietaire rue de Abderame Alger
Hadj Amor El Ong Commerçant Maison Carrée

le president
Abdelhamid ben Badis عبد الحميد بن باديس

قائمة أعضاء المجلس الإداري الاول لجمعية العلماء المسلمين المودعة بأرشيف ولاية الجزائر مكتوبة وممضاة بخط أحمد توفيق المدني بتفويض من الشيخ عبد الحميد بن باديس

المصدر: أرشيف خاص بعائلة المدني

الملحق رقم 07

GOUVERNEMENT TUNISIEN

Protectorat Français

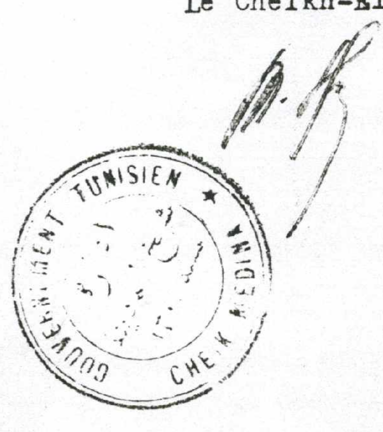
ADMINISTRATION DE LA MÉDINA

Tunis, le 12 SEPT. 1939

ATTESTATION

Le Cheikh-El-Médina, Président de la Municipalité, Officier de la Légion d'Honneur certifie que M. Ahmed Toufik Madani, né à Tunis, le 16 Juin 1899 est de Nationalité Tunisienne.

Le Cheikh-El-Médina



شهادة شيخ مدينة تونس بخصوص جنسية المترجم له

المصدر : أرشيف خاص بعائلة المدني

تونس في 12 سبتمبر 1939
الحكومة التونسية
الحماية الفرنسية
إدارة المديـــــنة

شهادة

يشهد شيخ المدينة رئيس البلدية ضابط التشريفات بأن السيد /

أحمد توفيق المدني المولود بتونس في 16 جوان 1899 من

جنسية تونسية .

شيخ المدينة .

الملحق رقم 08

نماذج من الإسهامات الفكرية للشيخ أحمد توفيق المدني بالصحف الجزائرية و التونسية

الإسم الصريح أو المستعار	عنوان المقال	الجريدة أو المجلة	العدد	تاريخ النشر
نفريت	العقارب	جريدة النجاح	428	1 ماي 1927م
المنصور	بين الموت و الحياة	جريدة الإصلاح	13	27 فيفري 1930م
أحمد توفيق المدني	التجنيس	جريدة البلاغ الجزائري	155	23 فيفري 1930م
أحمد توفيق المدني	في مجاهل الثورة الأفغانية	الشهاب	ج1 – م5	فيفري 1929م
أحمد توفيق المدني	نصر من الله	الشهاب	ج10 – م5	نوفمبر 1929م
أحمد توفيق المدني	سيف في موضع السيف	الشهاب	ج11 – م5	ديسمبر 1929م
أحمد توفيق المدني	الأزمة المصرية	الشهاب	ج12 – م5	جانفي 1930م
أحمد توفيق المدني	الجهاد الهندي	الشهاب	ج12 – م6	جانفي 1930م
أحمد توفيق المدني	العالم سنة 1930م	الشهاب	ج1 – م6	فيفري 1930م
أحمد توفيق المدني	الأزمة المصرية ، أسبابها ، نتائجها	الشهاب	ج7 – م6	أوت 1930م
أحمد توفيق المدني	الحق فوق القوة	الشهاب	ج8 – م6	سبتمبر 1930م
أحمد توفيق المدني	سياسة الإنجليز مع مصر و مع فلسطين	الشهاب	ج5 – م6	ديسمبر 1930م
المنصور	المصاب الجلل	الشهاب	ج6 – م11	سبتمبر 1935م
أبو محمد	مأساة العالم الحديث	البصائر	01	25 جويلية 1947م
أبو محمد	أقتلوا الإستعمار أو يقتلكم الإستعمار	البصائر	02	01 أوت 1947م
أحمد توفيق المدني	مبارك الميلي مؤرخ الجزائر	البصائر	26	08 مارس 1948م
أحمد توفيق المدني	أضواء على التاريخ الإسلامي في الجزائر	مجلة المعرفة	05	أكتوبر 1963م
أحمد توفيق المدني	الإسلام سلاحنا في المعركة	مجلة المعرفة	13	جويلية1964م
أحمد توفيق المدني	الأمير خالد بن هشام	المجاهد الأسبوعي	322	3 – 7 – 1966م
أحمد توفيق المدني	أوراس محطم الإستعمار الروماني	مجلة الأصالة	60 – 61	
أحمد توفيق المدني	تلمسان بين الزيانيين و العثمانيين (1530- 1554)	مجلة الأصالة	26	جويلية – أوت 1975م
أحمد توفيق المدني	عبد الحميد بن باديس - الرجل العظيم -	مجلة الأصالة	44	أفريل 1977م
أحمد توفيق المدني	شكيب أرسلان ، بطل الجهاد في كل الميادين	مجلة الثقافة	76	جويلية – أوت 1983م
أحمد توفيق المدني	**الأخوة الجزائرية التونسية أواخر أيام الأمير عبد القادر**	مجلة الثقافة	75	ماي – جوان 1983م
أحمد توفيق المدني	البشير الإبراهيمي كان أمة ، كان جيلا ، كان عصرا	مجلة الثقافة	87	ماي – جوان 1985م
أحمد توفيق المدني	رأيت و سمعت في يوم 8 ماي 1945م	الشعب الأسبوعي	81	05 ماي 1977م

أحمد توفيق المدني	الجهاد الجزائري في الخارج	مجلة الأصالة	22	أكتوبر – نوفمبر 1974م
أحمد توفيق المدني	المشكلة التونسية	جريدة المشير	/	08 مارس 1920م
أحمد توفيق المدني	الخلاصة السياسية	جريدة الأمة	/	23 فيفري 1921م
أحمد توفيق المدني	في عالمي الشرق و الغرب	جريدة الأمة	/	24 أفريل 1921م
أحمد توفيق المدني	الخلافة العظمى	جريدة الإتحاد	/	16 نوفمبر 1922م
أحمد توفيق المدني	مبايعة الخليفة	جريدة الإتحاد	/	01 ديسمبر 1922م
أحمد توفيق المدني	في مؤتمر لوزان 1	جريدة الإتحاد	/	08 ديسمبر 1922م
أحمد توفيق المدني	في مؤتمر لوزان 2	جريدة الإتحاد	/	15 ديسمبر 1922م
أحمد توفيق المدني	في مؤتمر لوزان 3	جريدة الإتحاد	/	22 ديسمبر 1922م
أحمد توفيق المدني	شهر في لوزان	جريدة الإتحاد	/	05 جانفي 1923م
أحمد توفيق المدني	الموصل و الوفد التركي	جريدة الإتحاد	/	12 جانفي 1923م
أحمد توفيق المدني	الأسبوع في لوزان	جريدة الإتحاد	/	26 جانفي 1923م
أحمد توفيق المدني	معركة الموصل	جريدة الإتحاد	/	02 فيفري 1923م
أحمد توفيق المدني	معاهدة لوزان	جريدة الإتحاد	/	07 فيفري 1923م
أحمد توفيق المدني	تعديل المعاهدة	جريدة الإتحاد	/	16 فيفري 1923م
أحمد توفيق المدني	حوادث أزمير	جريدة الإتحاد	/	23 فيفري 1923م
أحمد توفيق المدني	فوز تركيا بأزمير	جريدة الإتحاد	/	16 مارس 1923م
أحمد توفيق المدني	الجواب التركي	جريدة الإتحاد	/	30 مارس 1923م
أحمد توفيق المدني	دروس لوزان	جريدة الإتحاد	/	06 أفريل 1923م
أحمد توفيق المدني	جواب المتحزبين	جريدة الإتحاد	/	20 أفريل 1923م
أحمد توفيق المدني	بين الشرق و الغرب	جريدة الإتحاد	/	27 أفريل 1923م
أحمد توفيق المدني	أصداع الحق	جريدة العصر الجديد	/	02 أكتوبر 1923م
أحمد توفيق المدني	الأسبوع السياسي	جريدة العصر الجديد	/	13 جانفي 1924م
أحمد توفيق المدني	الأسبوع السياسي	جريدة العصر الجديد	/	17 جانفي 1924م
أحمد توفيق المدني	الأسبوع السياسي	جريدة العصر الجديد	/	23 جانفي 1924م
أحمد توفيق المدني	الخلافة الإسلامية	جريدة الزهرة	/	24 مارس 1924م
أحمد توفيق المدني	لينين	مجلة العرب	/	1924م
أحمد توفيق المدني	أدخل السجن	مجلة العرب	/	1924م
أحمد توفيق المدني	تطهير الإدارة	جريدة لسان الشعب	/	04 فيفري 1925م
أحمد توفيق المدني	مسألة اللغة القومية	جريدة النديم	/	18 فيفري 1928م
أحمد توفيق المدني	لماذا أحب النديم ؟	جريدة النديم	/	15 فيفري 1930م
أحمد توفيق المدني	مدوا الأكف	جريدة النديم	/	18 فيفري 1933م
أحمد توفيق المدني	الصراع الألماني الإنجليزي	جريدة الإرادة	/	08 جانفي 1934م
أحمد توفيق المدني	قضية ستافنسكي ج1	جريدة الإرادة	/	20 جانفي 1934م
أحمد توفيق المدني	ديون الحرب	جريدة الإرادة	/	21 جانفي 1934م
أحمد توفيق المدني	قضية ستافنسكي ج2	جريدة الإرادة	/	22 جانفي 1934م
أحمد توفيق المدني	مآل فلسطين	جريدة الإرادة	/	23 جانفي 1934م
أحمد توفيق المدني	إيطاليا و ألمانيا	جريدة الإرادة	/	24 جانفي 1934م
أحمد توفيق المدني	ميلاد دولة تركستان	جريدة الإرادة	/	25 جانفي 1934م
أحمد توفيق المدني	مشكلة السار	جريدة الإرادة	/	26 جانفي1934م

أحمد توفيق المدني	الخطوة الرابعة	جريدة الإرادة	/	27 جانفي 1934م
أحمد توفيق المدني	هل تحافظ النمسا	جريدة الإرادة	/	28 جانفي 1934م
أحمد توفيق المدني	إرضاء ألمانيا ، ج1	جريدة الإرادة	/	29 جانفي 1934م
أحمد توفيق المدني	مصر و المصالح الأمنية	جريدة الإرادة	/	02 فيفري 1934م
أحمد توفيق المدني	الإتحاد في البلقان	جريدة الإرادة	/	02 فيفري 1934م
أحمد توفيق المدني	دولة تركستان	جريدة الإرادة	/	04 فيفري 1934م
أحمد توفيق المدني	معترك البرامج	جريدة الإرادة	/	07 فيفري 1934م
أحمد توفيق المدني	حول الموقف الوزاري	جريدة الإرادة	/	10 فيفري 1934م
أحمد توفيق المدني	شبح الحرب	جريدة الإرادة	/	14فيفري 1934م
أحمد توفيق المدني	الإتفاق البلقاني	جريدة الإرادة	/	15 فيفري 1934م
أحمد توفيق المدني	القلاقل النمساوية	جريدة الإرادة	/	16 فيفري 1934م
أحمد توفيق المدني	قوة الإسلام الناشئة	جريدة الإرادة	/	03 ماي 1934م
أحمد توفيق المدني	و أنت أيضا يا بروتوس	جريدة الإرادة	/	13 ماي 1934م
أحمد توفيق المدني	**أمريكا بين الأقوال و الأفعال**	جريدة الإرادة	/	08 جانفي 1939م
أحمد توفيق المدني	شاكر من الجزائر	جريدة الصباح	/	20 جويلية 1954م
أحمد توفيق المدني	جائزة تقويم المنصور	جريدة المغرب	01	26 ماي 1930م
أحمد توفيق المدني	حسم النزاع بين صحيفتين (البلاغ و المغرب)	جريدة المغرب	18	30 سبتمبر 1930م
أحمد توفيق المدني	مدوا الأكف (شعر)	جريدة النور	71	07 مارس 1933م
المنصور	أخبار الشمال الإفريقي (المغرب – الجزائر – تونس)	جريدة الأمة	109	09 فيفري 1937م
المنصور	أخبار الشمال الإفريقي (المغرب – تونس – الجزائر)	جريدة الأمة	110	16 فيفري 1937م

المصدر : إعداد الباحث

الملحق رقم : 09

آثار العقول والمطابع

محمد عثمان باشا

داي الجزائر « ١٧٦٦ - ١٧٩١ »

هذا اسم السفر الجليل الذي الفه — أخيرا — الاخ الاستاذ احمد توفيق المدني لخص فيه تاريخ الجزائر في العصر التركي . وبين حالتها الاجتماعية والادبية والسياسية باسلوب بديع جمع الفصاحة والتناسق وعرض للتاريخ بين دلائل العلم ومناهج الفن . وبروح اسلامية لا تعرف الا الصدق عربية لا تفارقها العزة والشهامة ، واذا (١) كان « الوطن هو تاريخ الوطن » كما يقول الاستاذ عبد الرحمن صدقي و« لا حياة لامة الا باحياء ماضيها » كما يقول الدكتور هيكل — فالاخ الاستاذ المدني بكتابه هذا لم يكن كاتبا بليغا ومولفا مبدعا ومؤرخا حكيما فحسب بل كان فوق ذلك من خير من بعثوا اوطانا واحيوا امما.

ان من جنايات الاستعمار الاوربي على البشرية انه قلب حقائق التاريخ على الناس فقد صور الامم التي ابتليت به واصيبت بشره بصور من الهمجية والوحشية والتاخر والانحطاط لا ابشع منها ذلك ليبرر استيلاءه عليها وليمن عليها بما زعمه لها من عمران وان كان هو المستغل لذلك العمران والمستبد به فاميريكا — مثلا — يصورها الاستعمار ويصور سكانها الاصليين باقبح الصور حتى ذهب من ابنائها الاصليين ومن العلماء المنصفين من رد ذلك التصوير وزيفه وهاك بعضا مما يبين لك هذا ذكره الاستاذ محمد كرد علي في آخر كتابه (الاسلام

(١) راجع المقالين المنشورين في هذا الجزء في باب المجتنيات

تقريظ الشيخ عبد الحميد بن باديس لكتاب (محمد عثمان باشا)

المصدر: مجلة الشهاب ،ج7 ، م 13 ، سبتمبر 1937

والحضارة العربية) قال الاستاذ :

« ذكر احد الباحثين في جريدة الكوتيدين LE QUOTIDIEN الباريزية تحت عنوان « تاريخ الامم المغلوبة على امرها لم يكتب » ان المجلس الاعلى لبقايا هنود اميريكا في الولايات المتحدة ارسل الى شيخ مدينة شكاغو احتجاجا جاء فيه : « ان الكتب المدرسية المستعملة الان في الولات المتحدة صورت قبائل الهنود في صورة مخالفة للحقيقة التاريخية » . قال الكاتب وليتنا نفكر قليلا فيما كانت عليه اميريكا قبل ان يفتتحها كلومبس ، ونقرأ ما قصه الفاتحون الاولون وارباب الرحلات الاقدمون من الاقاصيص الغريبة ، ونلقي رائد الطرف على المدن القديمة في العالم الجديد وما بلغته من الازدهار وما غصت به من المعابد العظيمة التي تضاهي بعظمتها معابد مصر ، وتماثيلها الخشبية المحلات بالذهب وما كان هناك من متاحف وخزائن كتب ومراصد فلكية واذا كتب لنا ان نتوغل في مدنية المكسيك ومدنية الماياس في يوكتان ولانكاس في الانو — اذا رأيت كل هذا استنتجت — والدهشة آخذة منك — ان فتح اميريكا كان من اعظم جنايات اوربا » اهـ

هذا هو نفس ما هو واقع بالجزائر من تشويه تاريخها وتصويرها في جميع عصورها خصوصا في العصر العثماني — باقبح الصور في الكتب التي تدرس في المكاتب الفرنسية وتدرس — يا للبلية يا للحسرة لابنائها . غير ان الجزائر ليس فيها جمعية تحتج على هذا التشويه الباطل القبيح ، بلى : من ابنائها — المثقفين بالافرنسي طبعا — من ينكر تاريخها جملة ويزعم ان لا شخصية لها

لكن لا يمكن للحقيقة ان تبقى مستورة بالاباطيل فهي كالشمس لا بد ان تظهر ولو توالت ايام الدجن والغيوم . فقد جاء الاخ احمد توفيق المدني بكتابه هذا يبين ما كانت عليه الجزائر من القوة والعمران قبل الاحتلال الفرنسي وما

357

اصابها من التخريب والتقتيل ايام الاحتلال وبعيد الاحتلال ناقلا له من كتب ووثائق افرنسية لا غبار عليها

هذا الى بيان ما كانت تتمتع به من حرية في دينها وقضائها ولغتها وتعليمها وبيان غير ذلك من احوالها

لا تتسع هذه الصفحات لعرض كل ما في الكتاب ولكنني اقول بكلمة واحدة : انه يتحتم على كل مسلم جزائري ان يقرأ هذا الكتاب . وانك — اذا ختمته ايها المسلم الجزائري — لا بد ان تخرج منه تحب من يجب ان تحب .. وتبغض من يجب ان تبغض .. والحب والبغض سلاحان لازمان في الحياة ولا بقاء لامة بدونهما اذا استعملتهما في محلهما

وحقيق علي ان اذكر بالاعجاب والسرور المطبعة العربية للاخ الشيخ أبي اليقظان التي اخرجت الكتاب في حلة فنية جذابة تدل على تقدم الجزائر في الفن المطبعي وان اذكر بالثناء المكتبة المصرية لحضرة محمود نسيم افندي التي تولت نشره . جازى الله العاملين على نشر العلم واحياء الامم بكل احسان وجميل

عبد الحميد بن باديس



الملحق رقم : 10

السنة الثانية عدد ١٧ الجمعة ٢٣ جمادى ١ ١٣٧٢ ٦ فيفري ١٩٥٣ الثمن ٢٥ ف

المنار

جريدة سياسية، ثقافية، دينية، حرة

طوينا لمطالب كل بحر * طمى، وبدت معالمها الكبار
فحيتنا الشواطئ من بعيد * وأومأ بالشعاع لنا "المنار"

هذا الاستفتاء

محمود بوزوزو

هذا الاستفتاء هو الاول من نوعه في الصحافة العربية الجزائرية . وهذه الطريقة لفهم المشاكل وبسطها والبحث عن حلولها جديرة بالاعتبار لما فيها من ازالة اللبس والغموض وتلقيح الافكار بتعميم السؤال . وقد وعدت «المنار» قراءها في اول عدد برز منها بانها تسلك الطريقة الموضوعية «بعرض المسائل عرضا مجردا من كل غرض وهوى وفتح ابحاث ودراسات وبسط المشكلات المتعلقة بكل ميدان بسطا واضحا والبحث عن الحلول المعقولة بحثا واسعا».

والموضوع الذى نطرقه اليوم من اهم المسائل الحيوية للجزائر . وهو الاتحاد ، الاتحاد الذي كل يدعو له والذى لم يتحقق رغم الاتفاق العام على ضرورته ووجوبه . فظهر من هذا ان تحقيق الشيء الذى ثبتت ضرورته وتأكد وجوبه منوط بالامكان . فاذا كان الاتحاد ضروريا واجبا فلماذا لا يتحقق ؟ اليس ذلك في الامكان ؟ ام هو في الامكان لكن دونه موانع ؟ ما هي هذه الموانع ؟ لاشك انها في اختلاف الآراء على اساس الاتحاد اى البرنامج الذى يبنى عليه . فعلى اى اساس يبنى الاتحاد ؟ فان وقع الاتفاق على اساس معين فماهي الوسائل لجمع الكلمة حوله للتنفيذ ؟ هذا موضوع الاستفتاء الذى تقوم به «المنار» لاول مرة في تاريخ الصحافة العربية الجزائرية . وهو موضوع – كما يعلم القراء – من صميم برنامج «المنار» التى وعدت الامة بالسعي في توحيد الكلمة ودعت الى ذلك مرارا بعبارات متنوعة حتى لايكاد يخلو عدد منها من الدعوة الى توحيد الصفوف وتنظيم الكفاح وقد نادت في فاتحة سنتها الاولى «بوجوب توحيد سياستنا حتى نكون جبهة واحدة ترمي الى غاية واحدة بوسائل متحدة» وفي فاتحة السنة الثانية وعدت بانها « ستعنى عناية خاصة بالاتحاد القومي وبالمساهمة في الدعوة الى الوحدة الاسلامية . وستكون هذه العناية مسخرة في خدمة المصلحة العامة للامة الجزائرية والعالم الاسلامي دون عداء لاى جنس اودين» .

وبذلك تعهدت «المنار» بشيء هام عسير . غير انها لاتراه مستحيلا لأن ما تطلبه قد حصل بالفعل في الماضي : فالمحاولات التي وقعت قد نجحت ولكن لم يطل نجاحها . ولا تزال عالقة بالاذهان منظمة «احباب البيان والحرية» ثم من بعدها «الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها» وكل هذا يدل على أن الاتحاد ليس من المستحيل وانه ممكن الحصول غير انه عسير الدوام. فمن اين جاء العسر ؟ تلك هي النقطة الغامضة التي نرجو بهذا الاستفتاء الوصول الى توضيحها . والجزائر في حاجة الى جميع ابنائها لحل المشكل . ولذا كان هذا الاستفتاء موجها الى كل

وان راى غيره خطأ ينبذ . ولو كان كل راى مصيبا لتعدد الحق ، وهو محال وباجتهاد جميع المخلصين يمكن تجلي الحق.

وانا لنرجو من المفكرين المخلصين ان يشاركوا بآرائهم في هذا الموضوع الحيوى ولئن لم تنجح المحاولات الماضية فلا داعى الى اليأس «انه لاييأس من روح الله الا القوم الكافرون» ، ولا مانع من محاولة جديدة بطريقة جديدة . فان نجحت هذه المحاولة فذاك المبتغى والا فكما قال الشاعر :

وعلي ان اسعى وليس علي ادراك النجاح

«والمنار» تشكر جميع الجزائريين الذين تفضلوا ويتفضلون بالاجابة عن اسئلتها مبرهنين بذلك على ما لديهم من مزيد العناية بمصير هذه الامة ، وترجو ان تخرج من هذا الاستفتاء نتيجة ايجابية تدفع بالامة الى الامام وتعدها لاستقبال الاحداث اعدادا تخرج به ظافرة سالمة .

استفتاء هام فى قضية الاتحاد

١) هل تعتقدون ان الاتحاد في الجزائر ممكن ؟

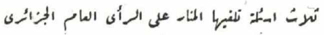
٢) على اي اساس ؟

٣) ما هى وسائل تحقيقه ؟

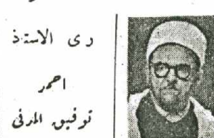
أمر النبى

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا.

(قرآن كريم)



تلوث اسئلة تلقيها المنار على الرأى العام الجزائرى





راى فضيلة الشيخ العربى التبسى

١) الاتحاد فى الجزائر ضرورى لان المنقذ فى وقت الخطر هو تكتل الشعب بأكمله . فقد شاهدنا ان كل امة من الامم في ظروف خنق ذاتيتها وتهديد الخطر لها تزول الحزبية منها لانها مضرة بها. فالحالة بالجزائر لا تبرر تعدد الاحزاب . فبقاء الاحزاب فيها اطالة لعمر الاستعمار وقد ناديت بهذا فى سنة ١٩٤٠ .

فلابد من اتحاد «شعبى» لا «حزبى» اى اتحاد بمعنى «وحدة الشعب» لا اتفاق الاحزاب . فان الذى شاهدناه من الاحزاب هو انها تمثل ضدية بعضها لبعض. ونشاط هذه الضدية ابرز من نشاطها ضد الاستعمار . وهذا ما يظهر جليا في الانتخابات . فالاتحاد الشعبى هو الذى يستطيع ان يغير الحال فى الجزائر.

٢) ويكون هذا الاتحاد على اساس ان الاجناس والالوان واللغات و «الاوروبية» و«الافريقية» يجب الغاؤها وجعل جميع السكان مواطنين لهم فى وطنهم من الماديات والادبيات ما لجميع المواطنين فى الأوطان الاخرى . وقضية التفاضل الجنسى فى الجزائر وجعل الديمقرطية على صنفين وفى معاملتين كل ذلك امور تجعل هذا الوطن الجزائرى شبيها بجنوب افريقيا . فلفظ «مسلم» فى الجزائر معناه الحرمان من كل حق، ولفظ «فرنسى» معناه استحقاق كل شيء. ولهذا نعتقد ان النظام القائم على هذه الأوضاع لا يصلح للعيش فيه ولا يعين على اخوة انسانية فى المستقبل .

٣) ووسائل تحقيق الاتحاد هي:

رى الاستاذ احمد توفيق المدنى

انى لأشكر «للمنار» الزاهر اثارته لهذا الموضوع القومي الحيوى فى الساعة التى تجابهنا فيها احداث عظيمة والتى حمي فيها وطيس المعركة بيننا وبين الاستعمار واصبح نفن للواجب المحتم علينا ان نوحد الصفوف وان نجمع الشمل وان نواجه المواقف الجديدة المقبلة كتلة واحدة متينة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا .

١) اما ان الاتحاد الوطني واجب محتم ولا مفر منه فهذه حقيقة محسوسة ملموسة ارى انه من العبث البحث فيها او الجدال حولها ، فانت تجد كلمة الاتحاد فى جميع الاوساط وعند كل الطبقات فقد اصبح الاندفاع الشعبى و «التوحيد» تيارا جارفا لا يستطيع ان يعاكسه احد.

٢) لكن على اى قاعدة يمكن انجاز هذا الاتحاد وما هي الطريقة التي تبرزه للوجود وتجعله حقيقة واقعة ؟ هذا هو محل البحث .

في الامة احزاب عملت عملها في الحقل الوطني حسب اجتهادها وطاقتها . وفي الامة شخصيات مستقلة ذات وطنية وايمان وعمل ، وان لم تتقيد بحزبية . فهل يمكن ان يقع اتحاد بين الاحزاب في شكلها الحاضر وبين الشخصيات الوطنية المستقلة ؟ وهل يكون الاتحاد على هذه الصفة مفيدا صالحا ؟ وهل هو يحقق رغبة الامة ويجعل منها كتلة صعبة التفكك ؟ اقول بكل صراحة انني لا اعتقد ذلك . بل اعتقد خلاف ذلك . فان تجاريب السنوات الماضية وآخرها تجربة «الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية» قد اثبتت ان مثل هذا الاتحاد الذى يقع على اسس [illegible]



راى الاستاذ عبد القادر وفواي

١ – انى موقن ان الاتحاد ممكن في الجزائر . وما يدفعني الى هذا الراي هو ان الاتحاد صار غاية كل فرد من افراد امتنا وارادة الامة ارادة من الله تعالى كما يقول المثل المعروف .

قد تحققت الامة ان الاتحاد واجب لان فيه حياتها وانه سلاح في يدها لا نظير له وادركت ان الخلاف وتشتت الشمل من جملة المكاره التي سلطها عليها النظام الاستعمارى . والآن وقد عرفت الداء فلابد من السعي في ايجاد الدواء «مهما كانت المصاعب» .

٢ – الاتحاد لا يكون متينا الا اذا بنى على المبادىء اولا . وقد علمتنا التجارب انه اذا كان على مطالب كلها جزئيات لا يجدى نفعا وسرعان مايصير اثرا بعد عين .

لاشك انه اجتمعت لنا والحمد لله كل المميزات التي يجعلها الفلاسفة والمؤرخون مميزات الامة : التاريخ المشترك واللغة والمبتغيات والقطر .. والنزاع كله انحصر الآن في القطر . فمن المخالفة للحقائق الواقعية ان يجعل قطرنا قسمة من اراض ليست منه في شيء .

وقد اعترف لنا ببعض هذه الحقيقة برلمان فرنسا حين وافق على قانون ٢٠ سبتمبر ١٩٤٧ المدعو بقانون نظام الجزائر. الجزائر شعب له الحق في تقرير مصيره هذه حقيقة يجب أن تتفق عليها جميع الهيئات والشخصيات الجزائرية .

يجب ان نبنيه على ايمان قوى شديد بمستقبل وطننا وتكون قوة هذا الايمان بقدر المصائب العظيمة التى اصابتنا حتى نقتل ذلك الفشل الذى اعترانا بعد الضربات الكثيرة التي



رى فضيلة الشيخ الطيب العقبى

١ – اعتقد ان الاتحاد «ممكن ا[illegible] كان الاخلاص . لان القلوب المخلص[ة] تتحد بطبيعة الحال . والاتحاد واج[ب] علينا بحكم ديننا الحنيف الذى ا[مر] بالاتحاد ونهى عن الخلاف والنزاع ولو لم يكن ممكنا لما امر به الله ورسو[له] لان الاسلام لايكلف الانسان [بما] لا يطيقه . والاتحاد واجب علينا – م[ن] جهة اخرى – بحكم وضعيتنا الشا[ذة] اذ هذه الحالة تستدعى جمع الكل[مة] وتوحيد الجهود فى سبيل تحرير امت[نا] من الاستعباد .

اما امكان هذا الاتحاد فهو متوقف على الاخلاص .

٢ – انني بلوت هذه الامة [في] خدمتي لها اكثر من ثلاثين س[نة] وقاسيت فى سبيل الاصلاح ما قاسي[ت] وكانت التجربة قاسية كادت تؤدى [الى] اليأس من نجاة هذه الامة المغبونة ولكن اعتقادى في اصلاح حالها لا يزال اليوم على ماكان عليه امس وهو ان نجاة هذه الامة لا يحصل [الا] فى التمسك بالكتاب والسنة وال[عمل] على ضوء تعاليمهما قولا وعم[لا] فالاسلام هو الذى وحدها في الماضي وهو الذي يوحدها اليوم وغدا . [و] اساس للوحدة اشد قوة من القر[آن] الكريم والدين الاسلامي الحنيف لان الاسلام اقر العدل والاخوة والمسا[واة] والتسامح ومحا العنصرية والظلم والعدوا[ن] واذا وقع الاتحاد على هذا الاسا[س] لم يحصل الا الخير .

٣ – والوسيلة لتحقيق هذا الا[تحاد] هي جمع العاملين المخلصين من ا[بناء] هذه الامة وان كان ثبوت الاخلا[ص] عسيرا لانه لايطلع عليه الا عالم الغ[يب] ولكن فى الاعمال والمواقف شه[ود] [illegible]

استفتاء حول قضية الاتحاد بين الجزائريين ، أجرته جريدة المنار سنة 1953 مع شخصيات فاعلة على الساحة الوطنية ومن بينها أحمد توفيق المدني

المصدر: جريدة المنار ، العدد17 ، 06 فيفري 1953

الملحق رقم :11

شاكر الفضل ليس يعدم شكرا ..

في حفل تكريم الاستاذ احمد توفيق المدني
بعاصمة الجزائر في شهر يوليو (تموز) ١٩٥٥
بمناسبة مرور ثلاثين سنة على كفاحه بالجزائر.

شاكرُ الفضل ، ليس يُعْدَمُ شكرا
خلِّدوها إذن ، (لأحمَد) ذكرى

واكتُبوها ، وليَقْرإ الجيلُ منها
في (كتاب الجزائر) اليومَ سطرا[1]

واذكروا اليوم– وهو عيد الضحايا[2] –
و (الضحايا) رمز الضحايا الأبرّا !

و (الثلاثينَ) قد قضاهـا ، جهاداً
وجِلاداً ، تخالُها اليومَ شهرا

١ – كتاب الجزائر من تأليف الاستاذ توفيق المدني .
٢ – كان الاحتفال في يوم عيد النحر المسمى في الجزائر بيوم الاضحى.

— 278 —

عامراتٌ بالجد ، إن تنشروها
تنشروا في ذُرى الجزائر ، عِطرا

و (التقاويمَ) و (البصائرَ) و (النـ
ـادي) و (عثمانَ) والكتاب الأغرا ١

خالداتٌ على الزمان ، بوَاقٍ
كالمثـاني ، تفيض نوراً ، وطُهرا

صادقاتُ الخُطى ، إذا طوّح العزْ
م بهـا ، صادفت حِفاظاً ، وفكرا

صالحاتٌ ، فلا المطامع تُغريـ
ـها ، وكم خُلّبُ المطامع ، أغرى

وإذا لم يكُ الصلاحُ دليلاً
في المساعي ، كانت ضلالاً وخُسرا

وإذا أخطأ القيادةَ (توفيـ
ـق) وعقـلٌ ، كانت على الشعب، وقرا

وإذا العاملون ، كانوا شَتَاتاً
بشّرِ العاملين ، ويلاً وشرا

١ – كان الاستاذ المدني قبل إبعاده عن تونس ينشر تقاويم سنوية يسميها بتقويم المنصور، وكان رئيس تحرير جريدة البصائر ، وخطيب نادي الترقي ومؤلف كتاب عثمان باشا : داي الجزائر.

— 279 —

الإشادة بمآثر احمد توفيق المدني من قبل شاعر الثورة مفدي زكرياء خلال حفل تكريم أقيم سنة 1955 للاحتفال بمرور ثلاثين عاما على إبعاده

المصدر: مفدي زكرياء: اللهب المقدس ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر: 1983

الملحق رقم : 12



الثورة من الشعب وللشعب

المجاهد

لسان المركزي لجبهة التحرير الوطني الجزائري

الجمعة
١٩ سبتمبر
١٩٥٨
٢٠ فرنكا
طبعة خاصة

ميلاد اول حكومة حرة للجمهورية الجزائرية

يعلن عنه داخل الجزائر وفي عواصم الاقطار العربية

ست حكومات تعترف منذ الساعات الاولى (الجمهورية التونسية – الجمهورية العربية المتحدة – باكستان – ليبيا – العراق – اليمن)

جبهة التحرير الوطني الجزائري — بسم الله الرحمن الرحيم — جيش التحرير الوطني الجزائري

باسم الشعب الجزائري .
نظرا للسلطات التي خولها المجلس الوطني للثورة الجزائرية الى لجنة التنسيق والتنفيذ (لائحة ٢٨ اوت ١٩٥٧) فان لجنة التنسيق والتنفيذ قد قررت تكوين حكومة مؤقتة للجمهورية الجزائرية وقد حددت تشكيلها كما يلي :

رئيس الحكومة :	فرحات عباس
نائب رئيس ووزير القوات المسلحة :	كريم بلقاسم
نائب رئيس :	محمد بن بلة
وزراء دولة :	حسين آيت احمد ـ رابح بطاط محمد بوضياف ـ محمد خيضر
وزير الشؤون الخارجية :	محمد الامين دباغين
وزير السلاح والتموين :	محمود الشريف
وزير الداخلية :	الاخضر بن طبال
وزير الاتصالات العامة والمخابرات :	عبد الحفيظ بوالصوف
وزير شؤون المغرب العربي :	عبد الحميد مهري
وزير الشؤون الاقتصادية والمالية :	احمد فرنسيس
وزير الاخبار :	محمد يزيد
وزير الشؤون الاجتماعية :	ابن يوسف بن خدة
وزير الشؤون الثقافية :	احمد توفيق المدني
كتاب الدولة :	الامين خان ـ عمر الصديق مصطفى اصطنبول

ان الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية مسؤولة امام المجلس الوطني للثورة الجزائرية . وهي تباشر مسؤولياتها ابتداء من هذا اليوم الجمعة ٤ ربيع الاول ١٣٧٨ هـ. الموافق ليوم ١٩ سبتمبر ١٩٥٨ م. على الساعة الواحدة بعد الزوال بتوقيت الجزائر .
١٩ سبتمبر ١٩٥٨ م.

قائمة أعضاء أول حكومة مؤقتة للجمهورية الجزائرية

المصدر: جريدة المجاهد ،طبعة خاصة ، 19 سبتمبر 1958

الملحق رقم 13:

السيد احمد توفيق المدني وزير الشؤون الثقافيه يحدثنا عن :

وضعية الطلبة الجزائريين في الخارج

س ـ ما هو عدد الطلاب الجزائريين وما عدد المنح المعطاة لهم، وما هي البلدان التي يدرسون فيها ؟ وهل في استطاعتكم ان تعطونا ارقاما مفصلة عن عددهم في كل بلد شرقي او اوروبي ؟

الطلاب الجزائرون بالخارج يبلغون اكثر من الف طالب هذا تفصيلهم :

٦٥٠ بالجمهورية التونسية
١٠٠ بالجامعة المصرية
٦٥ بجامعة دمشق
٦٥ بجامعة بغداد
٣٠ بالكويت
١٧٠ بالجامعات الاروبية غير فرنسا (سويسرا ـ يوغوسلافيا ـ الاتحاد السوفياتي ـ المانيا الشرقية ـ اسبانيا ـ الولايات المتحدة الخ)
١٠٠ بالمغرب الاقصى
١٢٠٠ الجملة

زيادة عن عدد محترم من ابنائنا الذين يتلقون العلوم العسكرية والطيران والبحرية في معاهد الشرق • وليس لنا ان نذكر شيئا عن عددهم وعن الجامعات التي يتلقون بها العلوم العسكرية المختلفة •

اما الطلاب الذين يدرسون بالشرق العربي وعددهم في الواقع قليل ، فهم يتقاضون منحا من الحكومات العربية لا تفي بحاجتهم تماما ونحن مضطرون لزيادة شيء الى ذلك حتى نكفيهم شر الفاقة والاحتياج في البلاد الثانية الا طلبة ثانوية الكويت ، فان الامارة تقوم بكل حاجياتهم على الوجه الاكمل •

واما طلبة البلاد الاروبية فاغلبهم يتمتع بمنح دراسية تسمح لهم بالاستقرار في حياتهم الجامعية • وقد ذفعت هذه المنح دول كثيرة في طليعتها الجمهورية التونسية والمملكة المغربية •

انما المشكل الاكبر هو الطلبة الذين يوجدون بالبلاد التونسية ، فهم في حالة فقر وفاقة لا يتصورها العقل • ويثور من اجلها الضمير الحر • انهم يقاسون آلام الجوع والعرى والبرد ، وهم مهددون بالامراض الخبيثة من جراء ذلك • واذا استثنينا النزر اليسير منهم الذي يعتمد على بعض موارد عائلية ، فان الغالبية منهم لا تعيش ـ ان صح التعبير ـ الا بما تتقاضاه من هيئة الاغاثة الجزائرية وهو جد قليل •

س ـ ما هي المواد التي يتخصصون في دراستها ؟ وما هي نسبة توزيعهم عليها ؟

ج ـ الطلبة الموجودون بتونس يزاولون في غالبيتهم التعليم الزيتوني وتعليم المعهد الخلدوني •

والطلبة الذين هم باروبا ـ والذين نوالي ارسالهم لها ـ يتلقون العلوم العصرية ، ونرجو ان يتخددوا في العلوم والفنون التي تحتاج اليها الجزائر بعد استقلالها •

اما الذين بالشرق ـ وخاصة الذين استقروا منذ مدة طويلة ، فاغلبهم يزاولون الاداب والتاريخ والحقوق ، وفن التربية وقليل منهم يزاولون الدراسات العلمية ونحن جادون في توجيه الطالب بالشرق الى النواحي العلمية البحتة والتخصص في كل فن •

س ـ ما هو مستوى دراستهم بصفة عامة ، وما هي نسبة تفوقهم الدراسي مع طلب البلدان التي يدرسون فيها ؟

ج ـ المستوى رفيع جدا من كل الاوجه • في البلاد الشرقية والبلاد الاوروبية نرى الطالب الجزائري يبرز اقرانه وينجح في الامتحانات على نسبة رفيعة جدا وينال الملاحظات الحسنة ، اما من الناحية الادبية ، فسيرتهم وسلوكهم مضرب الامثال

اما بتونس فان حالة الفقر والفاقة المخجلة التي يعانيها الجزائري قد اثرت نوعا ما على دراسته ، فالناجحون بالامتحان غالبا ينالون درجة (قريب من الحسن) او دون ملاحظة ، ولا انتظر من طالب لا ينال منذ سنوات الباكالوريا الضرورية ، ولا ياوي في الغالب الا الى جحر ضب خرب ان يقوم بمجهود كبير لكي يثبت وجوده ويتفوق على اقرانه • وانها لمن المعجزات ان يبقى الطالب طالبا وان يستمر على دراسته وهو في مثل هذه الحالة المخجلة •

س ـ ما هو وقت تخرج الدفعات الاولى من طلابنا ؟

ج ـ الدفعة الاولى تتخرج هذه السنة ووزارة الثقافة الجزائرية تدرس منذ الان وضعة هؤلاء المتخرجين • وتفكر في الحاقهم بمعاهد التخصيص لاننا نريد علماء كاملين متبحرين في كل علم وفي كل فن •

س ـ هل من الممكن ان تعطونا فكرة عامة عن قيمة الخدمات التي يؤدونها الى الوطن ، والى اى حد يمكن ان تعتمد عليهم الجزائر في الاستقلال بتسيير شؤونها ؟

ج ـ هذا هو الطريق الذي يسيرون فيه وكل منهم سيكون في الجزائر الحرة المستقلة في طليعة العاملين البناة الذين يرفعون شان الجزائر وسيوضع كل واحد منهم حسب تخصصه او تفننه في المكان اللائق الذي يستطيع ان يعمل به العمل الصالح لخير البلاد والشعب •

س ـ هل هناك من تخصص في الفنون الجميلة ام ان ظروف الحرب جعلتنا لا نولي هذه الناحية التي قد لا ننتبه لقيمتها الا بعد انتهاء الحرب ؟

ج ـ الميادين التي بقيت شاغرة كثيرة جدا واهمها ما يتعلق بالعلوم الحيوية بالنسبة للجزائر كعلوم الجيولوجيا ، والمعادن ، والتعدين ، والهندسة بمختلف انواعها والكيميا والفيزيا ، وغير ذلك •

فارساليات التي نبعث بها لاوروبا على التوالي نوجهها هذا التوجيه ابتداء من هذه السنة • وكذلك الارساليات التي نبعث بها للشرق الان نوجهها نحو الدراسات العلمية البحتة لسد حاجة البلاد • وارجو ان يتوجه الطلاب بتونس لدراسات الشعبة العصرية الخاصة لكي يقتحموا ابواب الجامعات فيما بعد •

س ـ هل هناك ميادين دراسية بقيت شاغرة ام ان جميع الميادين روعيت في توزيع الطلاب ؟

ج ـ لم يقع التفكير فيها للان وربما وقع في المستقبل •

س ـ هل في الامكان ارسال مجموعة من الشبان الى الصين الشعبية ليتكونوا ويتطلعوا على مختلف تجارب الثورة الصينية القائمة على اساس علمي صحيح ؟

ج ـ اي نعم وهذا من جملة ما تذاكرت فيه شخصيا مع سفير الصين بالقاهرة ومن جملة ما يتذاكر فيه وفدنا الموجود الان في بكين • فيجب علينا ان نفيد من نهضة الصين الصناعية والاقتصادية والعلمية ، كما نفيد من نهضة كل قطر آخر • واريد ان ارى في جزائر الغد القريب طائفة صالحة متخرجة من كل جامعات الدنيا من اقصى مشرقها لاقصى مغربها • حتى تتمكن من الافادة من مجموع النشاط الفكري والعلمي في العالم • وناخذ من كل طريقة احسنها واكثرها فائدة للقطر الجزائري •

س ـ ما هي المساعدات المادية التي تؤديها الحكومه الجزائرية الى الطلاب وهل في استطاعتكم ان تذكروا لنا الغرض من قدومكم الى تونس ؟

ج ـ امكانيات الحكومة محدودة جدا فنحن نقوم بحرب من ورائها الموت او من ورائها الحياة فموارد الحكومة تنفق اولا وبالذات على جيش التحرير الوطني وتمكينه من الاسلحة العصرية التي تناسب مرحلة الحرب الحاضرة ثم امداد الجهات الشاسعة التي امعن العدو في تخريبها ، وتحطيمها وتشتيت شمل اهلها • لكن كل هذا لا يثنينا عن النظر في حالة طلابنا وهم من صميم الشعب شبابه • وهم عدته للمستقبل • وقد تمكنا من عمل شيء لهم وسنتمكن بحول الله وبفضل جهودنا الجماعية وحسن تفهم وادراك الطلاب ، من فض مشاكل الطالب بالبلاد التونسية • من ايجاد الماوى والمطعم الصالحين ومن امدادهم بالضروريات التي تقيهم شر الفاقة وتمكنهم من الاندفاع بروح المجاهد الصادق في ميادين العلم والمعرفة • وهذه هي الغاية من سفري وهذا هو سر وجودي كوزير للشؤون الثقافية الجزائرية بمدينة تونس •

ثورة السودان تعزز معسكر الاحرار

بقية ص ٦

ثانيا ـ حزب الشعب الديموقراطي بزعامة علي عبد الرحمان وزير التجارة في وزارة عبد الله خليل السابقة وهو حزب يتمتع بتاييد طائفة الختمية وزعيمها الروحي السيد (علي المرغني) وقد اشترك هذا الحزب في حكومة ائتلافية مع حزب الامة • ولكن الخلافات اشتدت بينهما اخيرا حول العلاقات مع الجمهورية العربية المتحدة واصبحت تنذر بقيام ازمة حكومية طاحنة •

ثالثا ـ حزب الامة الذي كان امينه العام (عبد الله خليل) رئيسا للحكومة السابقة والذي كان دائما مواليا للغرب ومعارضا للوحدة مع مصر وهو يتمتع بتاييد طائفة الانصار وزعيمها الروحي السيد عبد الرحمان المهدي • وقد انتصر هذا الحزب في الانتخابات البرلمانية في السنة الماضية وعزت الاحزاب الاخرى هذا الانتصار الى تدخل الدول الغربية باموالها وانصارها لفائدته في الانتخابات •

رابعا ـ حزب الاحرار الجنوبيين وهو يمثل مصالح الجنوب ويكون كتلة حزبية خاصة متاثرة بالروح الاقليمية الجنوبية التي تحاول البعثات التبشيرية المسيحية تغذيتها لخدمة لصالح الاستعمار البريطاني والغربي ولم يعد هذا الوضع الحزبي معبرا عن حقيقة اتجاه الراي العام السوداني بعد ان ظهرت قوى جديدة ناشئة بعيدة عن الطوائف الدينية وتاثير المصالح الخاصة • وهذه القوى الجديدة تتمركز خاصة في المدن الكبرى ، والمناطق الشمالية وتتمثل في حركات الطلبة والشباب المثقف المتخرج من معاهد القاهرة والخرطوم وفي النقابات العمالية والزراعية التي تعتبر نقابات السكك الحديدية اكثرها تنظيما وقوة ، وتحمل هذه النخبة الجديدة اتجاها تقدميا واعيا مؤمنا بتيار النهضة والانبعاث الذي يجتاح الاقطار العربية والشعوب الاسيوية والافريقية بصفة عامة • وقد كان لهذا الاتجاه الجديد دور كبير في زعزعة الاوضاع الحزبية القديمة والتمهيد لحركة الجيش السوداني المباركة

بعد ان تولى الجيش السوداني مقاليد الحكم مباشرة توالت التصريحات العديدة لزعمائه وخاصة الفريق (ابراهيم عبود) واللواء احمد عبد الوهاب) تحدد الخطوط العريضة لسياسة الحكومة الجديدة في الميدانين الداخلي والخارجي

ففي الميدان الداخلي اعلنت الحكومة عن حملة تطهير الاداة الحكومية من الرشوة والفساد واعادة بناء الحياة الديموقراطية على اسس سليمة ومعالجة مشاكل وحدة القطر السوداني شماله وجنوبه ، والمشاكل الاقتصادية والاجتماعية القائمة بروح جديدة بعيدة عن عوامل التفرقة والضعف التي كانت تسببها الحزازات الحزبية والمصالح الخاصة •

وفي الميدان الخارجي اعلنت حكومة الثورة السودانية عن عزمها الصادق في القضاء على الاسباب المفتعلة للخلاف بين السودان والجمهورية العربية المتحدة وهو خلاف كان يغذيه الغرب لفائدته دون مراعاة لمصالح السودان الاقتصادية المرتبطة ارتباطا وثيقا بمصر ، وسيكون لتسوية العلاقات مع الجمهورية العربية المتحدة اثر كبير في تحسين الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية للسودان لانه يفتح من جديد اسواق مصر الضرورية لواردات السودان وخاصة من الحبوب والمواشي • ومما سيزيد في توثيق هذه العلاقات اتجاه حكومة السودان الجديدة نحو الحياد واتخاذها سياسة خارجية واقتصادية بعيدة عن كل نفوذ اجنبي

وهكذا يلتحق السودان الجديد بقافلة الشعوب الاسيوية والافريقية الزاحفة في طريق التحرر الخارجي والنهوض الاقتصادي والاجتماعي الداخلي • وبذلك يحتل السودان مكانته اللائقة كقطر افريقي ادخرته الطبيعة والتاريخ للقيام بدور تحريري عظيم •

ان الجزائر الثائرة لتحيي من الاعماق ثورة السودان الشقيق •

حوار أجرته جريدة المجاهد مع وزير الثقافة أحمد توفيق المدني حول وضعية الطلبة الجزائريين

المصدر: جريدة المجاهد ، العدد 33 ، 08 ديسمبر 1958

الملحق رقم : 14

JOURNAL OFFICIEL
DE LA RÉPUBLIQUE ALGÉRIENNE
DÉMOCRATIQUE ET POPULAIRE

DECRET N° 62-1 DU 27 SEPTEMBRE 1962
PORTANT NOMINATION DES MEMBRES DU GOUVERNEMENT

Le Chef du Gouvernement, Président du Conseil,

Vu la résolution de l'Assemblée nationale constituante en date du 26 septembre 1962 fixant les modalités de désignation du Gouvernement,

Décrète :

Article 1er. — Sont nommés :

Vice-Président du Conseil .... MM. Rabah BITAT.
Ministre de la Justice, Garde des Sceaux .... Amar BENTOUMI.
Ministre de l'Interieur .... Ahmed MEDEGHRI.
Ministre de la Défense Nationale .... Colonel BOUMEDIENE.
Ministre des Affaires Etrangères .... Mohammed KHEMISTI.
Ministre des Finances .... Docteur Ahmed FRANCIS.
Ministre de l'Agriculture et de la Réforme Agraire .... Amar OUZEGANE.
Ministre du Commerce .... Mohammed KHOBZI
Ministre de l'Industrialisation et de l'Energie .... Laroussi KHELIFA.
Ministre de la Reconstruction, des Travaux Publics et des Transports .... Ahmed BOUMENDJEL.
Ministre du Travail et des Affaires Sociales .... Bachir BOUMAZA.
Ministre de l'Education Nationale .... Abderrahmane BENHAMIDA.
Ministre de la Santé .... Moham. Séghir NEKKACHE.
Ministre des P.T.T. .... Moussa HASSANI.
Ministre des Anciens Moudjahidines et des Victimes de la Guerre .... Mohammedi SAID.
Ministre de la Jeunesse et des Sports .... Abdelaziz BOUTEFLIKA.
Ministre des Habous .... Tewfik EL-MADANI.
Ministre de l'Information .... Mohammed HADJ-HAMOU.

Art. 2. — Le présent décret sera publié au *Journal officiel de la République algérienne, démocratique et populaire.*

Fait à Alger, le 27 septembre 1962.

Ahmed BENBELLA.

قائمة أعضاء أول حكومة وطنية بعد الاستقلال

المصدر: الجريدة الرسمية ، العدد 01 ، 26 أكتوبر 1962.

الملحق رقم : 15

السـعدد 62
السنة الثامنة



الجمعة 8 جمادى الثانية عام 1391 هـ
الموافق 30 يوليو سنة 1971 م

الجمهورية الجزائرية
الديمقراطية الشعبية

الجريدة الرسمية

ان رئيس الحكومة ، رئيس مجلس الوزراء ،

ـ بناء على تقرير وزير الشؤون الخارجية ،

ـ وبمقتضى الامرين رقم 65 ـ 182 ورقم 70 ـ 53 المؤرخين فى 11 ربيع الاول عام 1385 الموافق 10 يوليو سنة 1965 و 18 جمادى الاولى عام 1390 الموافق 21 يوليو سنة 1970 والمتضمنين تأسيس الحكومة ،

ـ وبمقتضى المرسوم رقم 66 ـ 140 المؤرخ فى 12 صفر عام 1386 الموافق 2 يونيو سنة 1966 والمتعلق بالوظائف العليا ،

ـ وبمقتضى المرسوم رقم 68 ـ 204 المؤرخ فى 3 ربيع الاول عام 1388 الموافق 30 مايو سنة 1968 والمتضمن تحديد الاحكام الخصوصية المشتركة المطبقة على الموظفين الدبلوماسيين والقنصليين ،

ـ وبمقتضى المرسوم رقم 68 ـ 205 المؤرخ فى 3 ربيع الاول عام 1388 الموافق 30 مايو سنة 1968 والمتضمن تحديد أحكام القوانين الاساسية المطبقة على الوزراء المفوضين والمستشارين وكتاب الشؤون الخارجية ،

يرسم ما يلى :

المادة الاولى : يعين السيد توفيق المدنى ، سفيرا فوق العادة ومفوضا للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية ، باسلام أباد (الباكستان) .

المادة 2 : يكلف وزير الشؤون الخارجية بتنفيذ هذا المرسوم الذى ينشر فى الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية .

وحرر بالجزائر فى 4 جمادى الثانية عام 1391 الموافق 26 يوليو سنة 1971 .

هوارى بومدين

ان رئيس الحكومة ، رئيس مجلس الوزراء ،

ـ بناء على تقرير وزير الشؤون الخارجية ،

ـ وبمقتضى الامرين رقم 65 ـ 182 ورقم 70 ـ 53 المؤرخين فى 11 ربيع الاول عام 1385 الموافق 10 يوليو سنة 1965 و 18 جمادى الاولى عام 1390 الموافق 21 يوليو سنة 1970 والمتضمنين تأسيس الحكومة ،

ـ وبمقتضى المرسوم رقم 66 ـ 140 المؤرخ فى 12 صفر عام 1386 الموافق 2 يونيو سنة 1966 والمتعلق بالوظائف العليا ،

ـ وبمقتضى المرسوم رقم 68 ـ 204 المؤرخ فى 3 ربيع الاول عام 1388 الموافق 30 مايو سنة 1968 والمتضمن تحديد الاحكام الخصوصية المشتركة المطبقة على الموظفين الدبلوماسيين والقنصليين ،

ـ وبمقتضى المرسوم رقم 68 ـ 205 المؤرخ فى 3 ربيع الاول عام 1388 الموافق 30 مايو سنة 1968 والمتضمن تحديد أحكام القوانين الاساسية المطبقة على الوزراء المفوضين والمستشارين وكتاب الشؤون الخارجية ،

يرسم ما يلى :

المادة الاولى : يعين السيد عبد الحفيظ منصورى ، سفيرا فوق العادة ومفوضا للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية ، ببرلين (الجمهورية الديمقراطية الالمانية) .

المادة 2 : يكلف وزير الشؤون الخارجية بتنفيذ هذا المرسوم الذى ينشر فى الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية .

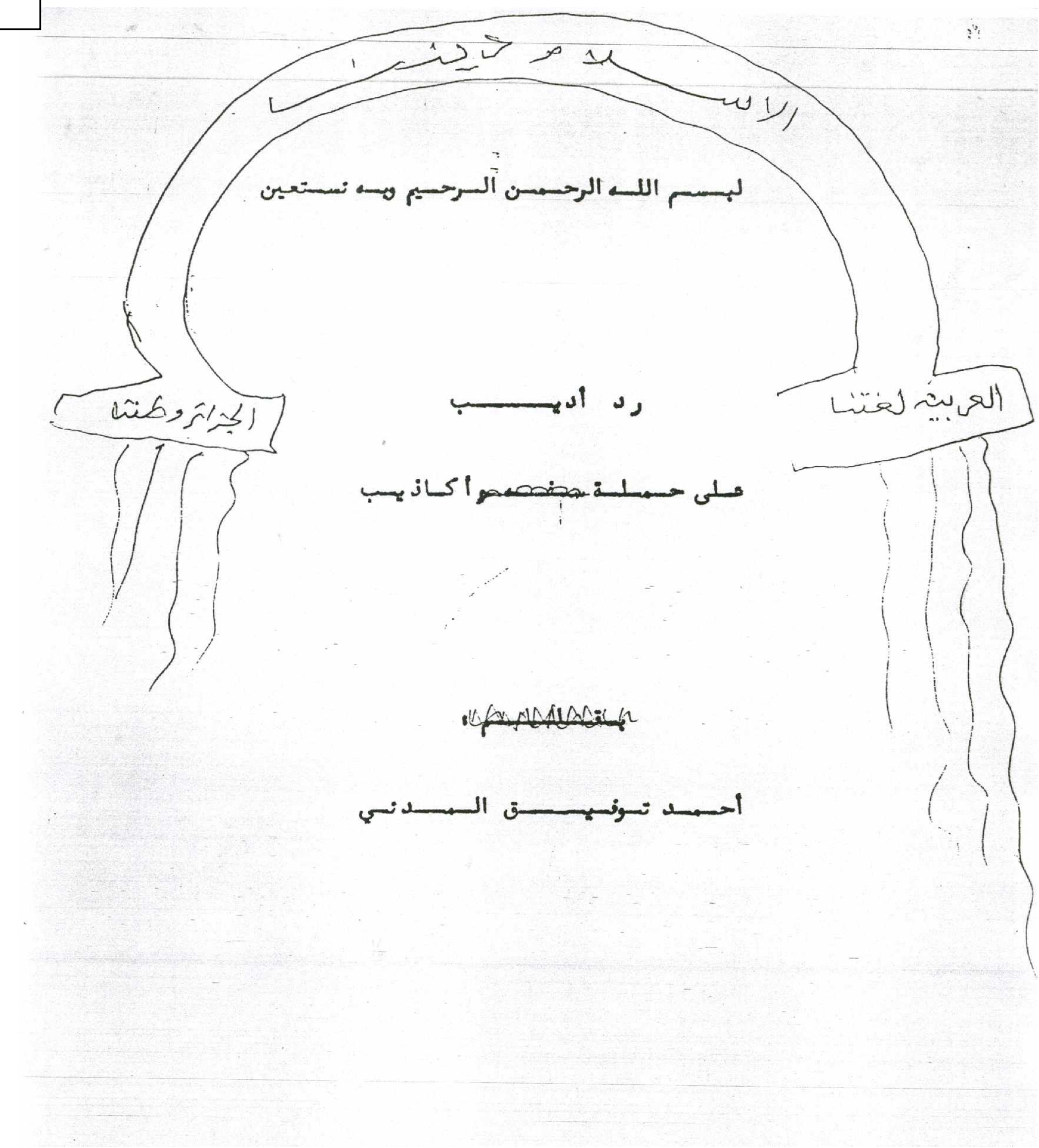
وحرر بالجزائر فى 4 جمادى الثانية عام 1391 الموافق 25 يوليو سنة 1971 .

هوارى بومدين

مرسوم تعيين أحمد توفيق المدني سفيرا بالباكستان سنة 1971.

المصدر: الجريدة الرسمية ، العدد 62 ، 30 يوليو 1971

الملحق رقم : 16



الإسلام ديننا

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الجزائر وطننا

العربية لغتنا

رد أديب

على حملة أكاذيب

أحمد توفيق المدني

صورة الغلاف للكتاب المخطوط : رد أديب على حملة الأكاذيب (بخط مؤلفه)

المصدر : أرشيف خاص بعائلة المدني

الملحق رقم : 17



فضيلة الشيخ أحمد توفيق المدني في ذمة الله

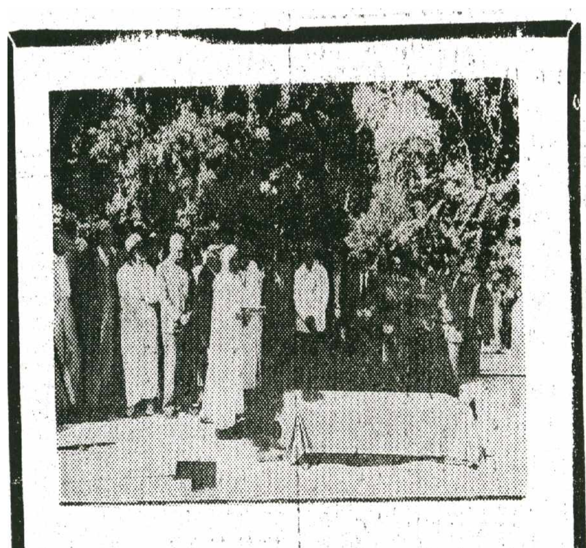
(و ا ج) – انتقل الى جوار ربه فجر امس فضيلة الشيخ احمد توفيق المدني الملقب بالمنصور عن عمر يناهز 85 سنة اثر نوبه قلبيه

ولد الفقيد احمد توفيق المدني بتونس يوم اول نوفمبر 1898 من اسرة جزائرية وتلقى علومه بها من الكتاب حتى جامعة الزيتونة التي بدأ بها نضاله مبكرا ضد الاستعمار وقد اعتقلته الادارة الاستعمارية عدة مرات لكن ارادته الفولاذية في مواجهة الاستعمار

البقية على ص (3)

رئيس الجمهوريه يعزي أسرة الفقيد

(و ا ج) – أرسل الرئيس الشاذلي بن جديد رئيس الجمهورية الامين العام لحزب جبهة التحرير الوطني برقية تعزيه الى اسرة الفقيد الاستاذ توفيق المدني الذي وافته المنية صباح امس بالجزائر



تشييع جنازة الشيخ أحمد توفيق المدني

(و ا ج) : تم عقب صلاة ظهر امس تشييع جثمان الشيخ احمد توفيق المدني الى مثواه الاخير بمقبرة سيدي عبد الرحمان الثعالبي (مدينة الجزائر) .

وقد انتقل المؤرخ الجزائري المعروف احمد توفيق المدني الى رحمة الله صباح اول امس بمنزله اثر نوبة قلبية عن عمر يناهز 85 سنة ، وحضر تشييع جنازة الفقيد عدد من كبار المسؤولين من الحزب وفي الدولة الى جانب افراد اسرته وزملائه في المركز الوطني للدراسات التاريخية الذي انضم اليه الفقيد منذ سنة 1973

وفي كلمة التأبين اشير الى مناقب الفقيد وجهوده في التعريف بتاريخ الجزائر القديم والحديث ونضاله السياسي ، واشير بصفة خاصة الى جهوده في استرجاع الكثير من الوثائق عن الحقبة التركية بالجزائر جمعها من مكتبات وارشيفات تركيا واشرف على ترجمتها ونشرها بمجلة التاريخ التي تصدر عن المركز الوطني للدراسات التاريخية .

الإعلان عن خبر الوفاة ومراسيم تشييع جنازة المرحوم الشيخ أحمد توفيق المدني بالصحافة الوطنية

المصدر: جريدة الشعب ،العددان 6213 -6214 ، ليومي 19-20-أكتوبر 1983

بيبليوغــرافيـــة البحـــث

أولا: المصادر

I-المصادر باللغة العربية :

أ-الصحف والمجلات:

1-صحيفة الشهاب :

- جريدة الشهاب،العدد 29 ،03 جوان 1926.
- جريدة الشهاب،العدد 51، 30 أوت 1926.
- جريدة الشهاب،العدد 92، 14 أفريل 1927.
- جريدة الشهاب،العدد 100 ، 09 جوان 1927.
- جريدة الشهاب،العدد 108، 04 أوت 1927.
- جريدة الشهاب،العدد 115، 29 سبتمبر 1927.
- جريدة الشهاب،العدد 121 ، 10 نوفمبر 1927.
- جريدة الشهاب،العدد 122 ،17 نوفمبر 1927.
-جريدة الشهاب،العدد 160 ، 17 أوت 1928.
-مجلة الشهاب ،ج3 – م 8 ، مارس 1932.
-مجلة الشهاب ،ج5- م10 ،أفريل 1934.
-مجلة الشهاب ،ج 10 –م 11 ، جانفي 1935
-مجلة الشهاب ،ج9-م11،نوفمبر 1937.
-مجلة الشهاب ،ج5-م6،جوان 1930.
-مجلة الشهاب ،ج1-م15، فيفري 1939.
-مجلة الشهاب ،ج7-م13 ،سبتمبر 1937.
-مجلة الشهاب ،ج7-م11،أكتوبر 1935
-مجلة الشهاب ،ج5-م13 ،جويلية 1937.
-مجلة الشهاب ،ج6-م13 ،أوت 1937.
-مجلة الشهاب ،ج 9-م10 ،أوت 1934.

2- البصائر:

-جريدة البصائر ،العدد1،2 أوت 1947 .
-جريدة البصائر ،العدد29،4 أوت 1947.
-جريدة البصائر ،العدد13،10 أكتوبر 1947.
-جريدة البصائر ،العدد23 ،16 فيفري 1948.
-جريدة البصائر ،العدد29، 08 مارس 1948 .
-جريدة البصائر ،العدد32،19 افريل 1948.
-جريدة البصائر ،العدد11،52 أكتوبر 1948.
-جريدة البصائر ،العدد27،61 ديسمبر 1948.
-جريدة البصائر ،العدد18،76 افريل 1949.
-جريدة البصائر ،العدد79 ،09 ماي 1949.
-جريدة البصائر ،العدد08،89 أوت 1949.
-جريدة البصائر ،العدد30،105 جانفي 1950.
-جريدة البصائر ،العدد05،122 جوان 1950.
-جريدة البصائر ،العدد04،145مارس 1954.
-جريدة البصائر ،العدد12،146 مارس 1951.
-جريدة البصائر ،العدد148، 26 مارس 1951.
-جريدة البصائر ،العدد 154، 07ماي 1951.
-جريدة البصائر ،العدد 167، 13 أوت 1951.
-جريدة البصائر ،العدد19،147 نوفمبر 1951.
-جريدة البصائر ،العدد182، 01 فيفري 1952.
-جريدة البصائر ،العدد343، 02 ديسمبر 1955.

3 -جريدة النجاح:

-جريدة النجاح ،العدد 339، 03 سبتمبر 1929.

4- جريدة الإصلاح:

-جريدة الإصلاح ،العدد 17، 28 جانفي 1940.

-جريدة الإصلاح ،العدد 55 ،11 جويلية 1947.

-جريدة الإصلاح ،العدد 49، 17 ماي 1947.

-جريدة الإصلاح ،العدد 13 ،27 فيفري 1930.

5- جريدة المنار :

-جريدة المنار، العدد 30،06 جويلية 1951.

-جريدة المنار، العدد7 ،15 اوت 1951.

-جريدة المنار، العدد8، 31 أوت 1951.

-جريدة المنار، العدد9 ،5 اكتوبر 1951.

6- جريدة المجاهد:

-جريدة المجاهد، العدد 33،08 ديسمبر 1958.

-جريدة المجاهد، العدد37، 25 فيفري 1959.

-جريدة المجاهد، العدد(53-54) ،نوفمبر 1959.

7- جريدة المغرب:

-جريدة المغرب ،العدد01 ،26 ماي 1930.

8- مجلة التاريخ:

- مجلة التاريخ ،العدد 10، الجزائر، النصف الاول من سنة 1981.
-مجلة التاريخ ،العدد 18 ، الجزائر،النصف الاول من سنة 1985.
- مجلة التاريخ ،العدد 8 ، الجزائر،النصف الاول من سنة 1981.

9- مجلة المعرفة:

-مجلة المعرفة ،العدد 13 ، الجزائر،جويلية 1964.
-مجلة المعرفة ،العدد 01 ، الجزائر،ماي 1963.
-مجلة المعرفة،العدد 15، الجزائر،سبتمبر-اكتوبر 1964.
-مجلة المعرفة ،العدد 17، الجزائر،مارس 1964.
-مجلة المعرفة ،العدد 10 ، الجزائر،افريل 1964.

ب - الكتب:

1- الإبراهيمي (محمد البشير): آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر:1981.

2- إبن خدة (بن يوسف): نهاية حرب التحرير في الجزائر اتفاقيات إيفيان ،تعريب لحسن زغدار ومحل العين جبائلي ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر: 1986 .

3- إبن العقون (عبد الرحمان بن إبراهيم) : الكفاح القومي و السياسي من خلال مذكرات معاصر ، ج1 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر: 1984.

4- إبن العقون (عبد الرحمان بن إبراهيم)، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر،ج3 المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر: 1986.

5- بن عاشور (محمد الفاضل): الحركة الأدبية و الفكرية في تونس: ط3 ، الدار التونسية للنشر، تونس :1983.

6- الثعالبي (عبد العزيز): تونس الشهيدة، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان:1984 .

7- حماني (أحمد): صراع بين السنة و البدعة، ج2 ، ط1، دار البعث للطباعة و النشر،قسنطينة :1984.

8- خير الدين (محمد):مذكرات، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، بلا تاريخ.

9- الذيب (فتحي):عبد الناصر وثورة الجزائر ،ط1،دار المستقبل العربي للنشر والتوزيع القاهرة : 1984.

10- عباس (فرحات): حرب الجزائر و ثورتها - ليل الإستعمار، ترجمة أبو بكر رحال ، مطبعة فضالة،المحمدية ،المغرب :بلا تاريخ.

11- فضلاء (محمد الطاهر): التحريف و التزييف في كتاب حياة كفاح، ط1 ، دار البعث للطباعة و النشر ، قسنطينة : 1982.

12- كافي (علي): مذكرات الرئيس علي كافي ، من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 1946-1962.،دار القصبة للنشر ،الجزائر: 1999.

13- المدني (أحمد توفيق): حياة كفاح ،(مذكرات)ج1،ط2،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر :1988 .

14- المدني (أحمد توفيق): حياة كفاح ،(مذكرات)ج2،الشركة الوطنية للتوزيع ،الجزائر: 1983.

15- المدني (أحمد توفيق): حياة كفاح ،(مذكرات)ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر: 1988 .

16- المدني (أحمد توفيق): كتاب الجزائر ،ط2،نشر دار الكتاب ،البلدية ،الجزائر :1963.

17- المدني (أحمد توفيق) : محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766 – 1791 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر:1986.

18- المدني (أحمد توفيق):المسلمون في جزيرة صقلية و جنوب إيطاليا ، ط2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1985.

19-_المدني (أحمد توفيق):جغرافية القطر الجزائري ، ط2 ، المطبعة العربية بالجزائر: 1952.

20- المدني (أحمد توفيق): هذه هي الجزائر ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1956.

21-_المدني (أحمد توفيق):حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا 1492 – 1792 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر :بلا تاريخ.

22- المدني (أحمد توفيق): مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار 1754 – 1830 ، ط2 ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر: 1980.

23-_المدني (أحمد توفيق):رد أديب على حملة الأكاذيب،مخطوط.

24-_الورتلاني (الفضيل): الجزائر الثائرة ،دار الهدى للطباعة والنشر،عين مليلة ،الجزائر:1982.

ج-المقابلات الشخصية :

1- محمد الصالح رمضان : مقابلة شخصية ، القبة ، العاصمة : 22 أكتوبر 2000.

2- محمد إسلام المدني : مقابلة شخصية ، الأبيار ، العاصمة : 02 جويلية 2006.

3- أنيسة بركات درار : مقابلة شخصية ، العاصمة : 13 مارس 2002 .

4- عبد الرحمان شيبان : مقابلة شخصية ، حسين داي ، العاصمة:02 جويلية 2006

5- أبو القاسم سعد الله : مقابلة شخصية ، الأبيار ، العاصمة: 29 جوان 2006 .

6- محمد الهادي الحسني : مقابلة شخصية ،أولاد يعيش ،البليدة :30 جوان 2006.

7- عبد الرزاق قسوم : مقابلة شخصية ، جامعة قسنطينة : 19 جوان 2006 .

II-**المصادر باللغة الفرنسية:**

أ-الوثائق الأرشيفية:

[1] -Archives nationales de tunisie (A.N.T) série Mouvement national, carton 16, Dossier 1,document N 57

[2] -A.N.T, série E 550-30 /15-836, "Un Francophile" au secrétaire général du gouvernement tunisien , le 20/02/1915 ,doc N26.

[3] – A.N.T, Rapport de clapier –commissaire spécial de police , le 02/03/1915 , document N11

[4].-I.S.H M. N tunisie 1917-1940 , bobine 39, carton 61 , dossier N 02., le R.G à Ribot-ministre des affaires étrangères le 20/09/1917,folio 46.

5- A.N.T , E 550-30 /15-836, Arrête du 23/10/1918 , du général Alix –commandant la division d'occupation de tuinisie , ministre de la guerre du gouvernement tunisien , doc N85.

ب –الكتب:

1-Ben youcef ben khedda : Abane –ben ,M'hidi :leur apport à la révolution Algérienne, édition ; Dahleb, Alger : 2000.

ثانيا- المراجع:

I-المراجع باللغة العربية :

أ-الكتب :

1- أجيرون (شارل روبير): تاريخ الجزائر المعاصرة ، ترجمة عيسى عصفور ، ط1 ، منشورات عويدات ،1983.

2- إتحاد المؤرخين الجزائريين:المدرسة التاريخية الجزائرية ،ط1،وسام براس للإعلام والنشر والإشهار،الجزائر:1998.

3- بو الطمين (جودي الأخضر): مسيرة الثورة الجزائرية من خلال مواثيقها ، ط1 ،دار البعث، قسنطينة :1993.

4- بوحوش (عمار): التاريخ السياسي منذ البداية ولغاية 1962 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان :1997.

5- بوصفصاف (عبد الكريم): جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و دورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931 – 1945 ، ط1،دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة:1981.

6- بوصفصاف (عبد الكريم): جمعية العلماء وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1931 – 1945دراسة تاريخية وايديولوجية مقارنة ،منشورات المتحف الوطني للمجاهد ،طبع المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار ،الجزائر: 1996.

7- بوصفصاف (عبد الكريم)وآخرون: القيم الفكرية والإنسانية في الثورة التحريرية الجزائرية 54-1962 ،ج1، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية ،جامعة منتوري قسنطينة:2003.

8- بوذينة (محمد): مشاهير التونسيين ،ط2،دار سيراس للنشر، تونس: 1992.

9- بن قينة (عمر): إتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة ،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر:1995.

10- بوعزيز (يحي): الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوصه (1912-1948)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر:1997.

11- تركي (رابح): التعليم القومي و الشخصية الجزائرية 1931 – 1956 ، ط2 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر ،1981.

12- جوليان (شارل آندري): المعمِّرون الفرنسيون و حركة الشباب التونسي ، تعريب محمد مزالي و البشير بن سلامة،الدَّار التونسية للنشر ، بلا تاريخ.

13- جوليان (شارل آندري):إفريقيا الشمالية تسير (القوميات الإسلامية و السيادة الفرنسية) ترجمة المنجي سليم و آخرون – الدار التونسية للنشر ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، تونس :1976.

14- الجندي (أنور): الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة:1965.
15- جبهة التحرير الوطني :الميثاق الوطني للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية 1976 ،طبع المعهد التربوي الوطني ، الجزائر : 1976.
16- الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية : جهود السنوات العشر 1965 – 1975 ، الطباعة الشعبية للجيش،بلا تاريخ.
17- الجابري (محمد الصالح):النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962،الدار العربية للكتاب ،الشركة الوطنية للنشر ،الجزائر :1983
18- حقي (إحسان): الجزائر العربية أرض الكفاح المجيد ، ط 1 ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان :1961.
19- حمدان (محمد): أعلام الإعلام في تونس، ط1، ش. ت. ف.ر،1991.
20- حسني (عبد الوهاب حسن): خلاصة تاريخ تونس ، ط3 ، دار الكتب العربية الشرقية ، تونس: 1953.
21- حربي (محمد): الثورة الجزائرية سنوات المخاض ، ترجمة نجيب عياد، صالح المثلوثي،موفم للنشر ،1994.
22- حربي (محمد):الجزائر 1954، 1962 جبهة التحرير الوطني الأسطورة الواقع ،ترجمة كميل قيصر داغر ،ط1، مؤسسة الأبحاث العربية ، دار الكلمة للنشر ،بيروت، لبنان: 1983.
23- خالد (أحمد): أضواء من البيئة التونسية على الطاهر حداد و نضال جيل ، الدّار التونسية للنشر ، 1979.
24- دبش (إسماعيل):السياسة العربية والمواقف الدولية تجاه الثورة الجزائرية 1954-1962 ، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع ،الجزائر :2000.
25- الذويب (جمال هاشم)، محمد حسين الزبيدي : الموجز في التاريخ العربي، منشورات الجامعة المفتوحة ، طرابلس ، ليبيا :1997.
26- الذوادي (زهير): الوطنية و هاجس التاريخ في فكر عبد العزيز الثعالبي، سراس للنشر، تونس :1995.
27- رفلة (فيليب): الجزائر ،ط2 ، مؤسسة المطبوعات الحديثة ، القاهرة : بلا تاريخ.
28- زوزو (عبد الحميد): الهجرة و دورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين 1919 – 1939 ،ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر:1985.
29- زكرياء (مفدي) ،: اللهب المقدس الشركة الوطنية لـ لنشر والتوزيع، الجزائر :1983.
30- الزبيري (محمد العربي): الثورة الجزائرية في عامها الأول ،ط1،دار البعث للطباعة والنشر ،قسنطينة ،الجزائر :1984.
31- الزبيري (محمد العربي): المؤامرة الكبرى أو إجهاض ثورة ،المؤسسة الجزائرية للطباعة،الجزائر:1989.

32- الزبيري (محمد العربي): تاريخ الجزائر المعاصرة ، ج1 ، منشورات إتحاد الكتاب العرب ، دمشق: 1999.
33- زايد (مصطفى): التنمية الإجتماعية و نظام التعليم الرسمي في الجزائر 1962 – 1980 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر :1986.
34- سعد الله (أبو القاسم) :الحركة الوطنية الجزائرية 1900 – 1930 ، ج2 ، ط4 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان: 1992.
35- سعد الله (أبو القاسم): أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر ،ج1 ، ط2 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر :1981.
36- سعد الله (أبو القاسم): دراسات في الأدب الجزائري الحديث، الدار التونسية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر : بلا تاريخ.
37- سعد الله (أبو القاسم) : أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر ، ج3 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت : 1990.
38- سعد الله (أبو القاسم): تاريخ الجزائر الثقافي، ج7 ،دار الغرب الإسلامي،بيروت، لبنان :1995.
39- سعد الله (أبو القاسم): الحركة الوطنية الجزائرية 1930- 1945 ج3،ط1،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر:1986.
40- سلامة (عبد الحميد):محمد البشير شروش حياته و آثاره ، الدَّار التونسية للنشر،تونس:1978.
41- سافاري (آلان): ثورة الجزائر ترجمة نخلة طلاس ، مطابع إدارة الشؤون العامَّة و التوجيه المعنوي ، بلا مكان.
42- سيف الإسلام (الزبير): الإعلام و التنمية في الوطن العربي ، ط2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر: 1986.
43- سيف الإسلام (الزبير): تاريخ الصحافة في الجزائر ، ج4 ، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر:1985.
44- السويدي (محمد): التسيير الذاتي في التجربة الجزائرية و في التجارب العالمية ، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر:1986.
45- سلامة (عبد الرحمان):التعريب من خلال الوثائق الرسمية ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر:1981.
46- سعيدوني (ناصر الدين): دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر ، الفترة الحديثة والمعاصرة المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر:1984.
47- الشيخ (سليمان):الجزائر تحمل السلاح دراسة في تاريخ الحركة الوطنية والثورة المسلحة،ترجمة حافظ الجمالي ،منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال ،وزارة المجاهدين ، 2002.
48- الشريف (البشير بن الحاج عثمان): أضواء على تاريخ تونس الحديث 1881 – 1924، د. ب . ل . ن ،تونس :1981.

49- صاري (الجيلالي)، محفوظ قدّاش : الجزائر في التاريخ : المقاومة السياسية 1900 – 1954 الطريق الإصلاحي و الطريق الثوري ،ترجمة عبد القادر بن حراث،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر:1987

50- الطمار (محمد): تاريخ الأدب الجزائري،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر : 1981.

51- عمرون (نور الدين): المسار المسرحي الجزائري إلى سنة 2000 ، ط1 ، شركة باتنيت باتنة ، الجزائر: 2006.

52- عبد الله (الطاهر): الحركة الوطنية التونسية ،دار المعارف للطباعة و النشر ، تونس : 1990.

53- العلوي (محمد الطيب): مظاهر المقاومة الجزائرية من عام 1830 حتى ثورة أول نوفمبر 1954 ، دار البعث للطباعة و النشر ، قسنطينة :1985.

54- عبد الرحمان (عواطف):الصحافة العربية في الجزائر 1954 – 1962 ، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر: 1985.

55- عمر (ابن قفصية):،أضواء على الصحافة التونسية 1860-1970 ،دار بوسلامة للطباعة والنشر، تونس:1972.

56- الفاسي (علال): المغرب العربي منذ الحرب العالمية الأولى ، المطبعة الفنية الحديثة ، مصر: 1971.

57- عبد القادر (حميد): فرحات عباس رجل الجمهورية، دار المعرفة، الجزائر:2001.

58- غيليسبي (جوان): الجزائر الثائرة،ترجمة خيري حماد ، ط 1 ، دار الطليعة، بيروت ، لبنان :1961.

59- فضلاء (محمد حسن): من أعلام الإصلاح في الجزائر ، ج1 ، دار هومة ، 2000.

60- فاسي (مصطفى): البطل في القصة التونسية حتى الإستقلال ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر:1985.

61- قنانش (محمد): المواقف السياسية بين الإصلاح و الوطنية في فجر النهضة الحديثة ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر، بلا تاريخ.

62- قنانش (محمد)، محفوظ قداش : نجم الشمال الإفريقي 1926 – 1937 ،وثائق و شهادات لدراسة تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر : 1984.

63- مرتاض (عبد المالك): نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925 – 1954 ، النهضة الفكرية – النهضة الصحفية و الأدبية – النهضة التاريخية ، ط2 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر :1983.

64- مرتاض (عبد المالك): فنون النثر الأدبي في الجزائر 1931 – 1954 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر:1983.

65- مرتاض (عبد المالك): أدب المقاومة الوطنية في الجزائر 1870-1962 ج2،منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، 2003.

66- محمد الصالح (الصديق): شخصيات فكرية وأدبية ، ط1، دار الأمة للطباعة والنشر ، الجزائر :2002.
67- محمد الصالح (الصديق): أعلام من المغرب العربي ، ج3، موفم للنشر ، الجزائر : 2000.
68- محجوبي (علي): جذور الحركة الوطنية التونسية 1904 – 1934 ، تعريب عبد الحميد الشابي ، ط1 ، المجمع التونسي للعلوم و الآداب و الفنون، تونس: 1999.
69- محمد الصالح (الهرماسي): مقاربة في إشكالية الهوية، المغرب العربي المعاصر، دار الفكر،دمشق:2001.
70- مناصرية (يوسف): الإتجاه الثوري في الحركة الوطنية ما بين الحربين العالميتين ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر: 1988.
71- الميلي (محمد): مواقف جزائرية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ط1 ،الجزائر :1984.
72- محمد (مالكي): الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي ، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت: 1994.
73- نايت بلقاسم (مولود قاسم): ردود الفعل الأولية داخلا وخارجا على غرة نوفمبر أو بعض مآثر فاتح نوفمبر ،ط1،دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة :1984.
74- ناصر (محمد): المقالة الصحفية الجزائرية، نشأتها وتطورها وأعلامها من 1903 إلى 1931 ، م 1 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1978.
75- ناصر (محمد) : الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1939 ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر:1980.
76- ناصر (محمد):أبو اليقظان وجهاد الكلمة،المؤسسة الوطنية للكتاب،ط 2، الجزائر : 1983.
77- كلود (هنري) و آخرون : الإستعمار الفرنسي في المغرب العربي ، ترجمة محمد عيتاني ، دار المعارف ، بيروت : بلا تاريخ
78- يحي (جلال): العالم العربي الحديث و المعاصر ، ج2 ، المكتب الجامعي الحديث،الإسكندرية، مصر:1998.

ب-الرسائل الجامعية:

1- بالعجال (أحمد):الخطاب الإصلاحي عند محمد السعيد الزاهري 1900-1944،مذكرة ماجستير ،قسم التاريخ،جامعة منتوري قسنطينة:2006.
2- بو عسيلة (سليمة):مجلات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف بالجزائر من ماي 1963 إلى أكتوبر 1999م ، دراسة وصفية و تاريخية ، مذكرة ماجستير ، قسم الإعلام و الإتصال ، جامعة الجزائر :2001.
3- حباطي (عايدة):التجنس و موقف الجزائريين منه 1919 – 1939 ، مذكرة ماجستير ، قسم التاريخ ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، قسنطينة :2004.
4- حمدي (فاطمة): المشكل الثقافي في الحركة الوطنية الجزائرية 1950 – 1954 م من خلال بعض أشكال التعابير الفنية والأدبية ، دبلوم دراسات معمقة، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر: 1981.

5- حميدي (أبو بكر الصديق): القضايا العربية من خلال جريدة البصائر – السلسلة الثانية 1947 – 1956 ، مذكرة ماجستير ، قسم التاريخ ، المدرسة العليا للأساتذة للآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الجزائر :2004.
6- رحاي (محمد): الأبعاد الثقافية و السياسية في حركتي عبد العزيز الثعالبي و علال الفاسي ، دراسة تاريخية و فكرية مقارنة ، مذكرة ماجستير ، قسم التاريخ ، جامعة منتوري قسنطينة :2005.
7- زنير (سليم): التطور الثقافي في الجزائر ، دراسة في النصوص و المؤسسات 1962 - 1986 ، مذكرة ماجستير ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، قسنطينة: 2001.
8- شترة (خير الدين): مساهمات جزائرية في الحياة السياسية والثقافية التونسية من مطلع القرن العشرين الى غاية سنة 1939،مذكرة ماجستير ، قسم التاريخ ،جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية ،قسنطينة :2002.
9- قرقب (عيسى):الإمام إبراهيم بيوض رائد الحركة الإصلاحية في الجنوب الجزائري 1920 -1981 ، أطروحة دكتوراه ، قسم التاريخ ، جامعة منتوري قسنطينة: 1996.
10- لوصيف (سفيان): التحولات الثقافية في الجزائر 1962- 1978 التربية و التعليم نموذجا ، مذكرة ماجستير ، قسم التاريخ ، جامعة منتوري ، قسنطينة :2006.
11- مرغيت (محمد): موقف الشهاب من قضايا معاصرة 1925 -1939 ، مذكرة ماجستير ، قسم التاريخ ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، قسنطينة : 2003.
12- معزة (عز الدين): فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية ومرحلة الاستقلال 1899-1985 ،مذكرة ماجستير،قسم التاريخ ، جامعة منتوري ،قسنطينة:2004.
13- ميسوم (بلقاسم): الكتابات التاريخية الجزائرية في الفترة 1927 – 1957 ، من خلال مؤلفات مبارك الميلي و أحمد توفيق المدني و عبد الرحمان الجيلالي ، دراسة تحليلية و نقدية ، مذكرة ماجستير ، قسم التاريخ ، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب و العلوم الإنسانية ، جامعة الجزائر: 2002.
14- مري وش (أحم د): ال شيخ الطي ب العقب ي و دوره ف ي الق ضية الوطني ة ، رس الة ماجستير،معهد التاريخ ،جامعة الجزائر: 1992.
15- ه ادف (م صطفى): الم شروع العلم اني الفرن سي و موق ف جمعي ة العلم اء الم سلمين الجزائريين منه ، مذكرة ماجستير ، قسم الدعوة و الإعلام و الإتصال ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، قسنطينة :2001.

ج-الدوريات المعاصرة:

-مجلة الثقافة ، العدد 85 ، الجزائر:جانفي – فيفري 1985.
-مجلة الثقافة ،العدد 80 الجزائر:مارس – أفريل 1984.
- مجلة الثقافة ،العدد 104 الجزائر:مارس – أفريل 1988.
- مجلة الثقافة ،العدد 76 الجزائر:جويلية – أوت 1983.
- مجلة الثقافة ،العدد 77. الجزائر: سبتمبر – أكتوبر1983.
- مجلة الثقافة ،العدد 1. الجزائر:نوفمبر – ديسمبر1970
-مجلة الحياة الثقافية العدد (28-29)، تونس : 1983.
- الشعب الثقافي ،العدد 10 ،الجزائر:1 نوفمبر 1972.

-مجلة الاصالة ،العدد 20 ، الجزائر: ماي – جوان 1974.
- مجلة الاصالة ، العدد 07، الجزائر: مارس ،أفريل 1972.
- مجلة الاصالة ،العدد 16، الجزائر:سبتمبر – أكتوبر 1973.
- مجلة الاصالة، العدد (54-55) ،الجزائر:فيفري –مارس ،1978.
- مجلة الاصالة، العدد 44، الجزائر:أفريل 1977.
-المجلة التاريخية المغربية، الجزائر:العدد 05 جانفي 1976.
-مجلة الحوار الفكري ،العدد 05 ، جامعة قسنطينة :أوت 2003.
-مجلة الدراسات التاريخية ،العدد 07 ، جامعة الجزائر :1993.
-مجلة الذاكرة ،العدد02، الجزائر:ربيع ،1995.
-الجريدة الرسمية ،العدد 62، الجزائر: 30 جويلية 1971.
-جريدة الشعب ،العدد 6213 ، الجزائر: 19 أكتوبر 1983.
-جريدة الشعب ،العدد 6214 ،الجزائر: 20 أكتوبر 1983.
-جريدة الشعب ،24 جانفي 1978.
-جريدة الجمهورية ،13 مارس 1978.
-جريدة الجمهورية ،28مارس 1978.

د-المعاجم:

1-بوصفصاف (عبد الكريم)وآخرون: معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين،ج2 ، مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية ،جامعة قسنطينة : 2004.
2-الشيخ (أبو عمران): معجم مشاهير المغاربة،المؤسسة الجزائرية للطباعة،جامعة الجزائر :1995.

هـ مواقع الانترنيت :

1-www..binbadis.net /dirasat /lire-rabah-turki-amamra1.htm.
2-www.a wu – dam .org /book /00/study 00/283-a-k/ind –book 00-sd001-htm.
3-www . islam on line . net
4- w ww .s q u .edn .om/stu/tht/history.
5-www.chihab.net./modules .php?name =news § file =article § sid =872

II-المراجع باللغة الفرنسية:

1-André noshi: la naissance du nationalisme Algérien 1914- 1954, édition de minuit, paris: 1962.
2-Ageron, Charles Robert : Histoire De L'algerie Contemporaine , PUF , Paris:1977.
3- Ageron, Charles Robert : Les Algeriens Musulmans et La France 1871- 1919 , T2, PUF , Paris: 1968.
4- Anonyme, du Manifeste à la république Algeriènne, édition liberation, Alger: 1948,
5- Benjamin stora, Zakya Daoud: Ferhat abbas une autre Algérie, édition, casbah, Alger: 1995.
6- Collot (C) , Henry (JR) :Le Mouvement National Algerien 1912-1954, ed, L' harmattan , et OPU , Paris , Alger:1978.
7- Fadhila ,Yahiaoui :Roman et Societé Coloniale dans L'Algeris de l'entre deux guerres ,ENAL , Alger:1985,

8- Harbi Mohamed: La Guerre Commence en Algérie,éd, complexe, Bruxelles : 1998**.**
9- Haroun Ali: L'été de la Discorde -Algérie 1962 , édition Casbah , Alger : 2000.
10- Mahfoud kaddache et Djilali sari, l'Algérie dans l'histoire- la résistance politique 1900- 1954, t 5, ENAL, O.P.U, Alger:1989**.**
11- Mahfoud kaddache: histoire du nationalisme Algérien 1919- 1951, T2, S.N.E.D, Alger: 1980**.**
12- Mohamed teguia, l'Algerie en guerre, office des publications universitaire, Alger: 1988**.**
13-Merad Ali: le reformisme musulman en Algerie de 1925 à 1940,essai d'histoire religieuse et sociale ,(Mouton,co) Paris : 1967

فهرس الأعلام

(أ)

إبراهيم مزهودي : 175- إبراهيم بيوض : 135-136 / إبراهيم راجح الأكودي 76-
أبو القاسم سعد الله 7-80-85-94-102-107-118-142-147-173-217-224-235 ،
243/أبواليقظان : 81-109-136-أبو محمد 85-86/ أبو يعلى الزواوي : 140-ابن جلول :
115 /-أحمد توفيق المدني : 9-19-25-26-34-38-42-43-46-47-48-51-52+54-
55-56-58-60-62-63-65-66-68-71-76-80-81-82-83-84-88-89-90-91-93-
94-96-97-104-105-106-110-111-114-115-117-118-120-121-122-123-
126-127-129-133-134-135-136-138-139-140-141-142-143-145-146-
148-149-10-151-152-154-155-156-159-160-163-164-165-166-167-
168-170-171-173-174-175-176-178-179-180-181-182-183-184-186-
188-189-190-196-197-198-199-200-202-203-204-205-207-208-209-
210-211-212-213-214-125-126-220-225-226-227 ، 229 ، 233 ، 234 ،
240 ، 241 ، 244 ، 245 -/أحمد الصافي : 4-29-أحمد الدرعي 67-70-احمد نجاح :
60- أحمد مدغري : 196/ أحمد السقا : 05-أحمد شوقي 108-أحمد مزغنة : 120-أحمد
ثروت : 136/ أحمد بن عليوة : 157-أحمد بودا 172-174-أحمد بوغرة : 175-أحمد
محساس : 183/أحمد حماني 221-239 ، 240 /أحمد طالب الإبراهيمي 217-235 ./أحمد
سوكارنو : 181/أحمد سحنون : 100-146-147-166-169-220-238 /أحمد الشريف
الزهار 101-102/أحمد بومنجل : 116-117-120-196./أحمد بن بلة : 11-172-173-
174-177-178-183-184-193-196-207./أحمد فرانسيس : 169-172-174-176-
177-179-185-196 /الأمين دباغين : 116-172-173-177-181-182-183-185-
187-189-191/الأمين العمودي : 108-140-141-144-الأمين خان : 185/أنيسة بركات
: 38-201-203-224-243 /لأمير خالد : 8-137-220/إسماعيل بورغيدة : 175-إحسان
حقي :41-أدهم :/ 41-أليكس 64-/ألابتيت : 13-إدريس السنوسي : 181-182/إسماعيل
صبري باشا : 136.

(ب)

البشير الإبراهيمي : 9-10-84-85-88-93-135-136-137-144-146-147-165-
166-168-173-198-200-220./بن يوسف بن خدة : 171-176-18-189-191-193-
196./بن شلعة محمد : 110-/بشير التليلي : 209-211-214-228 ، 232./ با سعيد
عدون: 108-/با عزيز بن عمر: 147-166./بلعيد عبد السلام : 196-/بلفور : 134-بويراز
: 40./ببير بورد : 153-ببير منديس فرانس: 167/بوتفليقة عبد العزيز14.

(ت)

تامزالي : 116/-تركي رابح : 109-174-221/-تشرشل : 211- 229 ./تيجاني هدام :
43-205/-تيرمان : 25-/التهامي : 133/-توفيق : 40-41

(ج)
جاك بيرك : 95/جاك مادول : 15/-جاك سوتيل : 169/-جان ميرانت:103
جمال الدين الأفغاني: 4-45/-جمال عبد الناصر:177-178-180-186-192
الجيلالي الفارسي : 169
(ح)
الحبيب بورقيبة:5-122-130-183-192-226-246/الحبيب بويراز:40-42-الحبيب مزيو:68/-الحاج بكار غريب:64/الحاج علي بن مصطفى:51/-الحاج محمد المؤدب: 64/الحاج يوسف دامرجي:111-/حافظ ابراهيم : 108/-حامد روابحية : 179/حسن حسني عبد الوهاب : 46-/حنبعل : 104-105-حسن قلاتي : 60/-حسيبة:43-/حسين آيت أحمد:173-177-185-207/حسين بن طلال : 181-حسين الجزيري : 49-61-حسين عسلة : 116/حمزة بوكوشة : 139-140-141-143-147-166-169-210-218-219-227 ، 236 ، 237 /حمدان خوجة : 94-حمودة المنستيري : 47-66-70./ الحبيب اللمسي: 241.
(خ)
-خديجة 40-خير الدين التونسي 22-خير الله مصطفى 23.
(د)
-دانيال جانكا20-دالماس22-الداي حسين153./-الدكتور سعدان 116-ديبارمي 124-ديغول 118./-دومينيك لوسياني 103-ديفر بلقاسم 111.
(ر)
-رابح بيطاط 185-196- ريمون هارون 170
(ز)
-زكية بنت الزبير بن الأمين 43/-زيغود يوسف 175/-زهير الذوادي 67/-زين العابدين السنوسي.55 .56 .65. 73.
(س)
-سرفييه 168/-سعد زغلول 52/-سعد دحلب 175-176-196 /-سعود بن عبد العزيز 181-188/-سلمي فاتح 108/-سليم المنجي 122./-سليمان الجادوي 53-سليمان دهيليس 175/-سليمان الشيخ 176./-سليمان يوسف بن داود 221-240.
(ش)
-شارل أندري جوليان 95/-شارل جونار 07/-شارل روبير أجيرون 95./- الشاذلي بن جديد 226-245 /الشاذلي خزندار 49-61-76-220-238./-الشاذلي المورالي 46/-شكيب أرسلان 95-96-160-220-238./-الشيخ الحداد 40-/الشيخ الملياني 221-240 /الشيخ النخلي 46.
(ص)
-الصادق الرزقي 60/-الصادق المنستيري 44/-الصادق النيفر 46/-صالح بن عتيق 221-240 /صالح بن يوسف 130./-صالح الطرابلسي 63/-صالح الوانشي 191.

(ط)

-طارق بن زياد 57/-الطاهر الحداد 14-29-30-65-67-70/-الطاهر الزبيري 196-/الطاهر المنستيري 44/-الطيب بن عيسى 52-73/-الطاهر صفر 55-70-الطيب بن منصور 64/-الطيب الجميل 66/-الطيب العقبي 43-87-110-111-135-136-144.

(ع)

-عائشة بنت عمر بويراز 39/-عبد الحميد الثاني 58/-عبد الحميد بن باديس 9-69-82-85-88-93-96-97-107-110-137-139-140-141-142-143-147-218-220-221-236 ، 240./-عبد الحفيظ بوالصوف 185-190-191/-عبد الرزاق قسوم 211-228/-عبد الرحمان الجيلالي 72-93-100-143/-عبد الرحمان الثعالبي 226-/-عبد الرحمان بن ابراهيم بن العقون 142/-عبد الرحمان اليعلاوي 67./-عبد الرحمان كيوان 177-179/-عبد الرحمان شيبان 84-144-143-145-221-240/عبد الكريم بوصفصاف 89-90-117-153-167-213-231 /عبد العزيز الثعالبي 3-4-5-24-27-31-51-60-65-66-69-156-238./عبد الكريم الخطابي 71-عبد اللطيف سلطاني 145-166/-عبد المالك مرتاض 84-87-89-90-101 /عبد الله سالم الصالح 181-/عبد المجيد الأرناؤوط 57-/ عبان رمضان 169-170-171-176./عباس التركي 110-171/-العربي بن مهيدي 175-176./العربي التبسي 9-144-145-146-166-168-171-220-238./العباس بن الشيخ الحسين 171-172-175-179-221./عمر بن قدور 61/-عمر أوصديق 185-191/-عمر أوعمران 175./عمر بن قينة 211-228./عمر بويراز 40-41- عمر دردور 164./عمر المختار 129/-عمر الموهوب 44-/عمر اسماعيل 138-139./عصام 73/-عميرة 187/-عميروش 175-عثمان 41/عثمان بن الخوجة 65-عثمان الكعاك 55-56-68/-علي ملاح 175./عزت سليمان 178/-العقيد العموري 187/-علي باش حانبه 04./علي بوغدير 47/-علي فارس 62/-علال الفاسي 62-132-133-156-220./علي كاهية 66/-علي مراد 143-159/-علي كافي 175-184- 192.

(غ)

غرسي أحمد 166-غي مولي 170.

(ف)

فانسان مونتاي 169-فتحي بك 40./فرحات عباس 115-116-117-135-136-165-172-173-174-176-177-182-184-187-188-189-191-196-207-208-218-236./فتحي الذيب 177-178-179-186-/فرنسوا ميتران 168./الفضيل الورتلاني 147-166-/فكري طونا 47-202-/فلاندان 51./فونتير دي باردي 97/-فيروز43

(ق)

قاسم أمين 30 – القاسمي 135/-قدور بن مراد 106/قدور ساطور 120-172-قاضي عبد القادر 116

(ك)
كارل ماركس 207/-كارنيار 23/-كالبيرو 118-كرفيار 23./كوش يونس 118-كريستيان 152/-كريم بلقاسم 175-184-187-191-193

(م)
مارسيل بيروتون 117-/مالك بن نبي 87-143-228 -/ ماوتسي تونغ 189./ماسينيون 95-محمد إسلام 38-43-14-225-244./مبارك الميلي 09-138-141-147-220-238 / محي الدين بشطارزي 105./محمد بن حسين 55 -محمد بن شعبان 46/-محمد بن عبد الله بن صالح الطرابلسي 63./ محمد البجاوي 191/- محمد البشير شنيتي 102/-محمد بن القاضي 46./ محمد بوجملين 174 -محمد بوضياف 177-185-207/-محمد بويراز 40-42./محمد بن يوسف 46-133-145182./محمد خير الدين 116-138-145-146-147-164-165-166-169 -224-243./محمد التليلي 66/-محمد خيضر 165-172-173-174-177-178-185-193./محمد الرياحي 66/-محمد الطيب العلوي 138./محمد العربي الزبيري 27-164-170/-محمد العاصمي 108-138./محمد عبابسة 138/-محمد الصالح الجابري 72-75-76/-محمد علي 40-52 / محمد الصالح رمضان 140-144-210-219-221-223-227 ، 237 ، 239 ، 243 /-محمد حربي 159-160/محمد خميستي 196/-محمد الطاهر عدواني 227-38/-محمد عبده 04-45./محمد الطاهر فضلاء 210-219-221-222-223-224-227 ، 233 ، 237 ، 240 ، 241./محمد السعيد الزاهري 108-138-144/-محمد الشريف الزهار 110-111./محمد علي الحامي 70/-محمد العيد آل خليفة 105-146./محمد عثمان باشا 97-98 -154 /محمد الغسيري 144/-محمد مرحوم 144./محمد معلي 68-/محمد الميلي 198-/محمد قنانش 94-98-99./محمد صفر 45-/محمد مناشو 65-/محمد الناصر 62-/محمد ناصر 150./محمد الفاضل بن عاشور 53-93-220/-محمد المنصف المنستيري 53./محمد الهادي جمام 116/-محمد الهادي الحسني 211-216-221-224./محمد المهدي بن الناصر 65/-محمد النيفر 59-60-65/-محمد يزيد 173./محفوظ قداش 142-157/-محمود بن ونيش 106-110/محمود الشريف 103-191/-محمدي السعيد 196./محي الدين الخياط 59/-محي الدين القليبي 53-56-65-68-73-75-220./المختار كاهية 40/-مصالي الحاج 08-120/-مصطفى بن عودة 175./مصطفى الأشرف 177/-مصطفى بويراز 39/-مصطفى بن بو العيد 165./مصطفى اسطنبولي 185-معاوية التميمي 46/-مصطفى كمال باشا 40./المقراني 40-المنصور 53-54-66-73-150./مولود قاسم نايت بلقاسم 96-167-220-238 ./ميشال زيفاكو 47./ محي الدين الثعالبي:238.

(هـ)
الهادي المدني 40-226-247 /الهادي مزاح 60-هتلر 129/هواري بومدين 11-20-187-188.

(و)
وليام شكسبير 47-/وودر ولسن 05-07-65-

فهرس الأماكن والبلدان

(أ)

الأبيار 225-244 /الاتحاد السوفياتي 21-الأردن 185-آسيا 201./الأوراس 221-165-175-الأطلسي 114-إسرائيل 135-136-200./استانبول 40-42-68-202-اسطاوالي 39-إفريقيا 52-71./إفرقيا الشمالية 22-87-93/-ألمانيا الفدرالية 200-المانيا 200/-الأندلس 38-57./أندونيسيا 66-181/-أمريكا 115-175/-أمريكا الجنوبية 1747./إنجلترا 52/-إسبانيا 05-39-101/-ايرلندا 54/-ايران 201

إيفيان 11/-إيطاليا 05-13-98/-أوربا 06-14-22-98-153

(ب)

باتنة 164/-باردو 03/-باريس08-51-126-136-169-172./بجاية 175/-برقة 129/-بريطانيا 05-129-134/-بسكرة 139./الباكستان 181-185-201-244 /بلكور 169-البلدان العربية 05-85-185-186-188-/بكين 207-/بوسعادة 135-199

(ت)

تركيا: 39-40-50-52-177-201-233 /تلمسان: 193-200.

تونس: 03-04-05-13-14-22-23-24-29-30-38-39-40-41-42-47-48-49-50-52-53-54-55-56-57-58-61-62-63-65-66-68-71-72-73-75-76-81-90-91-92-104-105-107-114-129-130-131-145-150-177-181-183-186-188-191-192-207-213-214-223-224-225-226-230 - 231 -232 - 242 - 245 /تيزي وزو 193.

(ج)

الجزائر: 03-05-06-07-08-09-10-11-15-16-17-18-19-21-23-25-27-28-32-33-34-35-38-39-41-42-44-54-57-63-67-71-72-76-79-84-87-88-89-90-91-92-94-95-96-97-98-99-101-102-104-105-106-107-108-109-110-114-115-116-117-119-120-121-123-125-126-127-129-130-132-136-137-138-139-142-143-146-147-150-151-152-153-154-155-156-159-163-165-166- 171-172-173-175-178 –179180-182-186-187-189-191-192-193-196-197-199-200-201-202-203-204-205-206-207-209-214-215-217-218-219-220-223-225-231 - 232 - 233 - 236 - 238 – 244/جنيف 172

(ح)

الحراش: 27-/حسين داي: 121

(خ)

خراطة : 10

(د)

الدار البيضاء: 122-/دلس: 27

(ر)

الريف : 71-132
(ز)
الزلاج : 04-58-60
(س)
سطيف : 10/-السعودية: 181-185-188/-سنغافورة: 181./سوريا: 50-134-175-181-185-186/-السودان: 175-181-185-189./سويسرا: 05-69-175-سيدي فرج: 174.
(ش)
الشام : 92/- شمال إفريقيا: 04-06-08-60-92-94-109-124-131-136-142-232.
(ص)
صقلية : 98-99/-الصومام: 175-176-177-178-183/-صوفيا :207 الصين: 185.
(ط)
طرابلس : 40-59-124-129-192-206
(ع)
العالم العربي: 88 134-137-160-174-180-201./العراق: 92-181-185-189-201-عنابة: 75.
(غ)
غرناطة: 38-39
(ف)
فاتيكان: 68/-فاس: 58/-فرساي: 08-65/فرنسا: 03-05-06-07-08-09-10-19-21-24-33-34-35-40-42-49-52-59-63-67-71-72-88-105-115-116-118-124-126-129-132-134-138-145-153-180
فزان: 129-فلسطين: 11-104-109-134-135-136-200
(ق)
قابس: 62-128./القاهرة: 148-165-171-172-173-174-177-179-180-184-185-87-189-191-192-193-197-198./القبة: 38-39-قرطاجنة: 92-93/قسنطينة: 75-106118-137-138-139-142-165-166-10./قفصة: 61.
(ك)
كوبا: 207-الكويت: 175-181-197
(ل)
لبنان: 181/-لندن: 105./ليبيا: 04-40-58-129-181-182-185-188
(م)

ماليزيا: 181-المحيط الأطلسي: 124-128-المرسى: 03-66./المشرق العربي: 22-
مصر: 52-92-177-180-182-185-186-192-197-200
المغرب: 23-54-72-76-92-131-132-145-155-158-181-182-186-197-
./المغرب العربي: 76-85-90-91-125-126-127-128-130-153-155-158-
172-174-182-188-200-220./ منطقة القبائل: 160-موسكو: 86-207.

(هـ)

الهند: 66

(و)

واشنطن: 86-الوطن العربي: 179-185-220./الولايات المتحدة: 21-وهران: 210

(ي)

اليمن:185./يوغسلافيا: 21

فهرس ا لصحف و المجلات

- أ -

- الإتحاد الإسلامي : 58 ./- الإتحاد : 29 ، 60 ، 61 ./- الإرادة : 60 ./- إفريقيا : 60 ، 62 ، 81 .
- إفريقيا الشمالية : 98 ./- الإصلاح : 91 ، 98 ، 128 ، 165 ، 168 ، 236 ./- الأمة : 29 ، 60 ، 61 ./- الأهرام : 107 .

- ب -

- البصائر : 91 ، 95 ، 96 ، 97 ، 98 ، 112 ، 114 ، 128 ، 140 ، 141 ، 143 ، 144، 146 ، 148 ، 150 ، 155 ، 156 ، 161 ، 178 ، 181 ، 182 ، 183 ، 210 ، 227 ، 236 ، 241 ./
- البلاغ : 171 ./- البدر : 29 ، 37 ، 60 ./- البريد : 28 .

- ت -

- التلميذ : 98 ./- التاريخ : 218 ./- التونسي : 03 ، 28 ، 58 .

- ج -

- الجحيم : 171 ./- الجمهورية : 227 ، 233 ، 237 ، 240 ، 241 ، 245 .

- ح -

- الحاضرة : 28./- حضارة الإسلام : 155 .

- ر -

- الرائد التونسي : 28./- الراشدية : 58 .

- ز -

- الزهرة : 28 ، 62 ./- الزمان : 84 .

- س -

سبيل الرشاد : 28 .

- ش -

- الشعب : 227 ، 233 ، 237 ، 241 ، 245 ./- الشهاب : 18 ، 91 ، 93 ، 95 ، 102 ، 103 ، 105 ، 110 ، 121 ، 122 ، 126 ، 128 ، 139 ، 143 ، 145 ، 152 ، 154 ، 158 ، 168 ، 236 ، 240 ، 241 .

- ص -

- الصواب : 37 ، 60 ، 62 ./- الصادقية : 29 .

- ع -

- العالم : 23 ، 182 ./- العالم الأدبي : 37 ./- العروة الوثقى : 54 ، 58 ./- العرب : 83 .
- العصر الجديد : 29 ، 60 ، 61 ، 62 ./- العمران : 29.

- ف -

- الفاروق : 59 ، 70./- الفتح : 107 ./- الفجر : 29 ، 60 ، 61 ، 76 .

- ق -

- القبس : 107 .

- ل -

- لسان الشعب : 29 ، 37 ./- اللواء : 55 ، 58 ./- الليبيرالي : 28 .

- م -

- المجاهد : 203 ، 245 ./- المرصاد : 171 ./- المرشد : 58 ./- المشير : 28 ، 60 ، 61 .- المعرفة : 155 ، 215 ، 236 ./- المعيار : 171 ./- المصور : 217 ./- المنار : 134 ، 137 .- المنبر : 58 ./- المنتصر : 28 ./- المنصور : 64 -246./- المنتقد : 240 ./- المؤيد : 55 ، 58 .

- ن -

- النجاح : 52 ، 85 ، 98 ، 102 ، 157 ./- النديم : 60 ، 84 ./- النصر : 227 ، 233 ، 237 ، 241 ، 245 ./- النهضة : 37 ، 105 .

- و -

- الوزير : 60 ، 62 ، 83 ./

فهرس الأحزاب و الجمعيات و المنظمات

- أ -

- إتحاد الكتاب الجزائريين : 246 / - الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري : 134 ، 188

- ج -

- الجامعة الإسلامية : 06 ، 07 ، 79 /- جامعة الدول العربية : 13 ، 160 ، 193 ، 195 ، 196 ، 208 ، 209 ، 213 ./- جامعة العمال الإشتراكية الفرنسية : 80 /- جامعة عموم العمالة التونسية : 79/- الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية و إحترامها : 134/- الجبهة الشعبية : 10/جبهة التحرير الوطني : 12 ، 53 ، 138 ، 163 ، 180 ، 181 ، 184 ، 185 ، 186 ، 187 ، 188 ، 189 ، 191 ، 192 ، 193 ، 194 ، 195 ، 197 ، 198 ، 202 ، 212 ، 217 ، 229 ، 250 ، 251 ./- جمعية الأمم : 63 ./- الجمعية الودادية للتلاميذ المسلمين في إفريقيا الشمالية : 98 ./- جمعية الإخاء العلمي : 152 ./- الجمعية الخيرية الإسلامية : 124 ، 125 ، 126 ./- جمعية الفلاح : 124 ./- جمعية طلبة الزيتونة : 26 ./- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: 10 ، 124 ، 127 ، 133 ، 152 ، 153 ، 154 ، 155 ، 156 ، 158 ، 160 ، 161 ، 162 ، 169 ، 177 ، 178 ، 180 ، 183 ، 184 ، 186 ، 188 ، 202 ، 236 ، 239 ، 240 ، 241 ، 244 ./- جيش التحرير الجزائري : 193 ، 194 .

- ح -

- الحزب التونسي : 04 ، 73 ./- حزب إتحاد الشعب الجزائري : 133./- حزب التقدم التونسي : 03 ./- حزب الشعب : 139 ، 204 ./- حزب الإستقلال : 148 ./- الحزب الشيوعي الفرنسي:09./- حزب الشورى : 148 ./- الحزب الحر الدستوري : 05 ، 52 ، 61 ، 66 ، 73 ، 74 ، 75 ، 76 ، 77 ، 78 ، 80 ، 81 ، 83 ، 84 ، 85 ، 93 ، 121 ، 145 ، 146 ، 157 ، 159 ، 230 ، 249 ./- الحزب الوطني المصري : 55 ، 58 ./- حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية : 134 ، 150 ، 159 ، 162 ، 182 ، 184 ./- حركة الشبان : 152 ./- حركة الشباب التونسي : 03 .

- ر -

- الرابطة القلمية : 65 .

- ز -

زاوية الهامل : 150 .

- ش -

- الشركة الوطنية للنشر و التوزيع : 235 .

- ط -

- الطريقة التيجانية : 169 ./- الطريقة الرحمانية : 169 ./- الطريقة الدرقاوية : 169 ./- الطريقة الشاذلية : 169 ./- الطريقة العيساوية 169 ./- الطريقة الطيبية : 169 .
- الطريقة العليوية : 171 .

- ع -
- العصبة الأممية : 08 ، 09 .
- ف -
- فرقة السعادة : 66 ، 118 .
- ل -
- لجنة الخلافة : 77 ، 78 ./- لجنة الإفتاء المركزية : 215./- لجنة التنسيق و التنفيذ : 190 ، 191 ، 198 ، 200 ، 202./- لجنة الدفاع عن حرية التعبير : 134. /- لجنة إغاثة ضحايا القمع : 134 ./- لجنة إغاثة فلسطين : 124 ، 150 .
- م -
- مجلس الأمة الفرنسي : 75 ./- مجمع اللغة العربية : 56 ، 216 ، 217 ./- المجمع العلمي التونسي : 64 ، 65 ./- المجموعة الإقتصادية الأوروبية : 24 ./- منظمة الوحدة الإفريقية : 13./- المنظمة العالمية للتغذية و الزراعة (الفاو) : 39./- المجلس الوطني التأسيسي : 212 ، 213 ./- مكتب تحرير المغرب العربي : 187 ./- المجلس الوطني للثورة الجزائرية : 190 ، 191 ، 192 ، 200 ، 207 ./- المجمع العلمي العربي : 108 ./- المجمع العلمي الفرنسي : 105 ./- المخابرات الفرنسية : 199 ./
- المخابرات التونسية : 203 ./- المركز الوطني للدراسات التاريخية : 218 ، 219 ، 220 ، 227 ، 237 ، 244 ، 245 .
- ن -
- نجم شمال إفريقيا : 09./- نادي الترقي : 86 ، 120 ، 121 ، 124 ، 125 ، 140
150 ، 153 ، 154 ، 236 .
- هـ -
- الهلال الأحمر : 69 ./- هيئة الأمم المتحدة : 13 ، 137 ، 151 ، 206 .

فهرس الموضوعات

مقدمة	أ- ض
الفصل الأول بيئتا الرجل تونس و الجزائر	**45-1**
المبحث الأول: الحياة السياسية بالقطرين	14-3
المبحث الثاني: الحياة الاقتصادية بالقطرين	25-15
المبحث الثالث : الحياة الثقافية بالقطرين	34-26
المبحث الرابع : الحياة الاجتماعية بالقطرين	43-35
خاتمة الفصل	45-44
الفصل الثاني أحمد توفيق المدني الزمان و الموطن الأول	**89-46**
المبحث الأول : المولد و النشأة	54-48
المبحث الثاني : تعلمه	58-55
المبحث الثالث : إسهاماته الأول في الفكر و السياسة	81-59
المبحث الرابع : الإبعاد من تونس إلى الجزائر و ردود الفعل	88-82
خاتمة الفصل	89
الفصل الثالث : إسهامه في النهضة الثقافية بالجزائر 1925 – 1954م	**130-90**
المبحث الأول : نشاطه الصحفي	100-93
المبحث الثاني : أعماله التاريخية	118-101
المبحث الثالث : نشاطه الجمعوي والأدبي	129-119
خاتمة الفصل	130
الفصل الرابع :نشاطه السياسي في الجزائر 1925 – 1954م	**179-131**
المبحث الأول : إسهاماته السياسية في الحياة الوطنية	145-133
المبحث الثاني : المدني و القضايا العربية	154-146
المبحث الثالث : دوره في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين	167-155
المبحث الرابع : موقفه من قضايا عصره	178-168

خاتمة الفصل 179

الفصل الخامس: أحمد توفيق المدني و ثورة الفاتح من نوفمبر 1954 180-216

المبحث الأول : موقفه من اندلاع الثورة 1954 – 1956م 182-190

المبحث الثاني : مهماته خلال الثورة 1956 – 1958م 191-204

المبحث الثالث : نشاطه السياسي و الثقافي ضمن الحكومة المؤقتة 1958- 1962م 204-215

خاتمة الفصل 216

الفصل السادس :أحمد توفيق المدني و الجزائر المستقلة1962 – 983. 217-254

المبحث الأول: وظائفه الرسمية في أجهزة الدولة 219-227

المبحث الثاني : موقفه من القضايا الوطنية الكبرى 228-232

المبحث الثالث : مذكرات حياة كفاح و ردود الفعل الوطنية 233-239

المبحث الرابع : رد على رد. 240-250

المبحث الخامس : صدى وفاته. 251-253

خاتمة الفصل 254

خاتمة الرسالة 255-260

الملاحق

بيبليوغرافية الرسالة

فهارس الرسالة

فهرس الموضوعات